

رواية

# فصبر جميل

آية يوسف

"وذكريات حفرت في القلب علامات لا تمحي"

روايات



٢٩  
فصبر جميل

رواية

آية يوسف

تصميم غلاف و داخلي / براء رياض

عندما تكونُ الغاية أن نبدعُ برُقي



**إهداء ..**

إلى من دعمتني أكثر من نفسي  
إلى من أصرت على نشر كتاباتي  
إلى ملاكي الملهم وذوافة قلبي

**"سماح"**

**إلى رفيقاتي:**

هبة زياد، رحمة خالد  
مريم مصطفى، منة محمود  
**دمتنَّ لي خير عون**

**إلى جروب "كلام روايات .. وقارئاته"**  
**الصحة الطيبة**



"عندما تَنَبَّتْ أَيْمانا صبار شائك، نستسقي بالصبر  
فيطرح لنا العوض الجميل"



## المقدمة

فتاة فقدت كل شيء حتى ذكراتها، أهلها من ناحية، وعملها من ناحية أخرى، ماضيها مجهول وحاضرها ابتلاء ومستقبلها مُلبّد بالغيوم، عندما ظنّت أن قدر الله قد ساق إليها مُخلصًا من قبضة الحياة، فوجئت بـ"فارسها" يُخبئ لها جحيم من نوعٍ آخر.

كُثر هم من يريدون أذيتها، دون أن تعرف السبب؟!، شياطين في أجساد بشرية حاصرتها بـ"الحقد والغل والغيرة و.. و"الغرف الحمراء" حتى كادت أن تغرق وتختنق...

"فصبر جميل" كان سلاحها السري الأقوى، ولكنه ليس الوحيد.. فهل ستنجو؟



لا تيأس من إصلاح شخص عزيز عليك، فأول سلاح  
تقوّمه به هو الدعاء مع الأخذ بالأسباب والعمل بها، ثم  
قاوم شيطانه بالحكمة، واستعطف طبيته بصبرك  
عليه.



وكل باب وإن طالت مغالقه يوما  
له من جميل الصبر مفتاح  
كم من كرب ظننا لا انفراج لها  
حتى رأينا جليل الهم ينزاح  
فاصبر لربك لا تيأس فرحمته  
للخلق ظل وللأيام إصباح



بسم الله الرحمن الرحيم

## الفصل الأول

"لم يكونوا كأب وأم لي ولا ليومٌ واحد، لم أرَ أو استشعر  
اعتنائهم بي، الذي يصدعون رأسي به ليل نهار؟... فأفعالهم  
تنفي هذا الادعاء...، لم أحظ ولو بجزء ضئيل من الرحمة، لولا  
هذه الحادثة المشؤومة التي أفقدتني الذاكرة لكنت تذكرت  
وأنا في طفولتي أي ذكرى تشفع لهما... ولكن هيهات أني  
السبيل؟

يا إلهي سأظل أفكر في هذا الأمر حتي أجنّ.

الجيد في هذا اليوم، أن مخدومتي الحاجة "سهام" ذهبت  
إلى حفلة، هي وبناتها، ونسيت تكليفي بمهام جديدة، يبدو  
أن هذه الحفلة بها العديد من العائلات ذوات الأصول، التي  
تأمل تزويج بناتها من أبنائهم.

اليوم قد مر ثلاثة أشهر بالتمام على عملي عند الحاج  
"محسن"...

لا أعرف كيف اتفق الحاج مع الحاجة "سهام"؟...، هي عصبية  
ومتكبرة وحاقدة بعض الشيء، وهو اسم على مسمي  
بالفعل، محسن وطيب وصبور ومعطاء، ورث هذه الصفات  
لابنته "دنيا"، كما ورثت هي صفاتها لابنتيها "منال" و"هاجر".



رفعت "همسة" القلم عن ورقتها، التي تبثها أحزانها كلما  
سبح لها الوقت منذ نصف شهر، فهي الوحيدة التي تتحملها  
وتجد فيها خير صديق.

اتجهت إلي شرفة حجرتها، التي تطل علي حديقة المنزل،  
وجدت القمر يزين السماء بدرًا، يحيطه السحاب بحرص وعناية  
كأنه يخشي أن يغيب عنه، كأمر وسط حاشيته يتبختر.

سرحت بهذا المشهد الأسر، لا تعرف كم مر من الوقت، حتي  
سمعت صوت مخدمتها تنادي عليها.. فنظرت إلي السماء  
بعبوس طفولي، مُخاطبة إياها:

- يبدو أنني عكرت صفو حفلتها عندما تذكرت أنها لم  
تكلفني بمهام منزلية.

نظرت إلي نفسها في المرآة، لتتأكد من وجود حجابها  
الأبيض، الذي هو توأم بشرتها علي رأسها، وعباءتها  
الفضفاضة باللون العنابي، التي تخفي جسد ممشوق القوام،  
فلا حظت ذبول عينيها العسلية، إنها تفتقد الشغف والحرية..،  
ثم أسرع عندما سمعت النداء الثاني، لكي لا تصب  
الحاجة لعناتها عليها كعادتها إذا تأخرت.

- السلام عليكم، حمد لله علي السلامة يا حاجة .

من داخل خزانة ملابسها، ردت "سهام":



- عليكم السلام.. بالطبع كنتِ مستريحة طوال غيابنا، فلم يكن عندك ما تفعليه.
- قمت ببعض المهام القليلة في المطبخ، وكى الغسيل، ثم جلست انتظركم.

استدارت "سهام" بجزعا الطويل وقدها النحيل، ترتدي فستان سهرة أسود محتشم مطرز باللون الفضي، وحجاب باللون اللؤلؤي يبرز سواد بؤبؤ عينيها.

- أرحناك اليوم كالمعتاد، تستطيعين الخلود إلى النوم، ولكن عليكِ الاستيقاظ مبكرًا، سيزورنا ضيوف على الغداء، فردان مهمان جدًا عندي، أريد أن أرى أصنافًا من الطعام والحلوى، أبلغني "غالية" عندما تحضر صباحًا.
- إن شاء الله سنشرفك أنا وأبلة "غالية" غدًا، تصبحين على خير يا حاجة.
- سنرى.. كما أن الفيلا تحتاج إلى التنظيف.. مفهوم؟..، تستطيع الانصراف.

"زمت شفتيها، بعد مغادرة "همسة"، تهتم بتغيير ملابسها، متحدثة وهي تجز علي أسنانها غيظًا :

- لم أر في برود هذه البنت، أتمني أن تقوم بما أمرتها به غدًا دون أخطاء..، فأنا أظن أن "عايدة" آتية مع ابنتها، لكي تخطب إحدى بناتي لابنها "آدم"، وأنا توقعي لا يخيب .



- يا أم "منال".." "همسة" بنت ممتازة فأنا لا أعرف كيف تكون تربية الذي يدعى "متولي" الجشع هذا؟..،  
فصفتها ومعاملتها ودينها وكأنها تعلمت وتربت جيدًا،  
يبدو أن البيئة ليست المقياس الوحيد لنشأة وتكوين  
شخصية الإنسان.
- كلما تحدثت عنها تُشعرني أنك تتحدث عن عالم في  
الدين أو ابنة رجل ذو شأن..، بالعكس أنا أراها ذكية  
خبیثة لا يمكن أن يوجد أحد بهذه السذاجة والطيبة في  
زمننا هذا، فهي تتصنع أنا أرى هذا في عينيها، وأنت  
بنفسك تشهد بذكائها، فكيف للذكاء أن يجتمع مع  
السذاجة؟
- أنتِ دائماً متحاملة عليها هكذا.
- تركت الحديث الهام عن توقعي لمجيء "عايدة" لكي  
تخطب ابنها لإحدى بناتي، وتمسكت بالدفاع عن هذه  
البنات.
- أنتِ بنفسكِ قلتِ أنه توقع، فبماذا أعلق؟.. غداً سنعرف  
سبب الزيارة وترتاحين بإذن الله، نامي الآن الوقت تأخر.
- وضعت "سهام" رأسها علي الوسادة وأولته ظهرها، لكي لا  
يري غضبها، ويسخر منها كعادته، وهي ترد:
- تصبح علي خير يا حاج، يا من تصفني وتشجعني  
دائماً.
- وأنتِ من أهله.



أغلق الحاج "محسن" النور من زر الإضاءة الذي بجانب فراشه، وهو يبتسم... فهذه زوجته لن تتغير مهما حاول معها، تتعامل بعقل وعناد الطفلة التي مازالت بداخلها، رغم تقدمها في العمر.

\*\*\*\*\*

استيقظت "همسة" مع آذان الفجر، فقامت وأدت فرضها، ثم بدأت بالتجهيزات اليومية المعتادة، حتي جاءت الساعة السابعة، موعد إفطار الحاج والحاجة والابنة الصغرى "دنيا" فقط، ف "منال" و"هاجر" تستيقظا قبيل ميعاد الغداء بقليل.

انتهوا من الإفطار واتجه الحاج لشركته المتخصصة في استيراد الأجهزة الكهربائية، حيث يقوم بتفصيل بعضها والبعض الآخر يأتي بحالته للبيع مباشرة، كما ذهبت "دنيا" إلي جامعتها، حيث تدرس بكلية الحاسبات بإحدى الجامعات الخاصة، فيما ذهبت الحاجة إلي غرفتها بعد أن أعطت تعليماتها إلي "همسة"، بخصوص قائمة الطعام، التي لا بد أن تكون جاهزة في تمام الثالثة والنصف .

ظلت "همسة" تُجهّز في القائمة هي والخادمة "غالية"، التي تأتي كل يوم في الساعة الثامنة صباحًا وتعود في العاشرة إلي بيتها حيث زوجها وأبنائها، نشيطة رغم جسدها الممتلئ قليلا .



ظلا يتسامران أحيانًا وأحيانًا أخرى تستمع "غالية" لأحاديث "همسة" الشيقة، التي هي خليط من قصص دينية قرأتها مؤخرًا أو معلومات عامة أو أحداث شاهدها على التلفاز تُبسّطها لها، فهي تستمتع بطريقتها الرائعة في السرد، حتى سمعا جرس باب الفيلا يرن، نظرا في الساعة فإذا بها الثانية.

- يبدو أن الضيوف وصلوا يا "همسة"، اذهب أنتِ لتستقبلهم وقومي بضيافتهم، وأنا سأظل هنا أنهي الغداء، فنحن لم يتبق لنا الكثير بفضل الله.
- حاضر يا أبله "غالية".

فتحت "همسة" الباب بابتسامة رقيقة، تمد يدها إلي الداخل بترحاب تحت الضيفتين علي الدخول... تتأمل احتشامهم، فالمرأة الكبيرة كانت ترتدي رداء طويل باللون الرمادي به زخرفة سوداء، وحجاب يغطي رأسها حتي جيبها، والفتاة الأصغر أطول منها قليلا بنفس طول "همسة" ولكنها ممتلئة عنها القليل، ترتدي قميص كتاني باللون السماوي وتنورة بيضاء بنفس لون الحجاب، الذي أظهر لون عينيها العسلي المائل إلي اللون الأخضر .

- السلام عليكم، الحاجة "سهام" موجودة .
- عليكم السلام ورحمة الله وبركاته، تفضلا فهي بانتظاركما، حمد لله علي السلامة .
- أشكرك يا ابنتي علي ذوقك.. من أنتِ؟



رسمت "همسة" ابتسامة عذبة علي ثغرها، معرّفة بنفسها وهي ترشدهم إلي غرفة الضيوف:

- أنا الخادمة الجديدة، تفضلا بالجلوس...، أستاذنكما للذهاب إلي الحاجة لأعلمها بحضوركما.
- هذه البنت ما شاء الله تبدو متديّنة وأسلوبها مهذب، حتي ملابسها محتشمة، أتمني أن يكون لها أخت بنفس أخلاقها سأوظفها في الحال عندنا.
- أول مرة أراك تتسرعين هكذا يا أمي، أنا معك في الشكل والأسلوب..، ولكن ما أدراك بأخلاقها؟!، فأنت رأيت الكثير من المتصنعين في هذه الفئة.
- أعلم ولكنني أشعر أنها ليست مثل باقي خادمت هذه الأيام، يبدو عليها أنها تربّت جيّدًا، أشعر معها بألفة غريبة كأنني قابلتها من قبل.
- السلام عليكم مرحبًا يا "عايدة" دائمًا أتشوق للقائك والجلوس في مجلسك.. أهلاً يا "ندي" ما هذا الجمال؟، ما شاء الله دائمًا أراك تزدادين جمالا يا ليتني عندي ابن.. تفضلا بالجلوس .

جلست "عايدة" وابنتها بعد السلام، لقد اشتاقت بالفعل لصديقة دراستها "سهام"، فبالرغم من اختلاف تفكيرهما وطباعهما ولكنهما ظلا أصدقاء، حتى بعد زواجهنّ.

- عليك السلام يا "سهام"، القلوب عند بعضها، لقد اشتقتُ لرؤيتك إن شاء الله الأيام القادمة نتجمع كثيرًا.



- إن شاء الله.. كيف حال "آدم" وأبناء "حاتم" رحمه الله؟
- الحمد لله بخير.. "آدم" مُصر علي تربية أبناء "حاتم" بنفسه، يعاملهما كأنه أبيهما وأكثر ربنا يحفظه ويبارك فيه.
- اسمح لي يا "عايدة".. "آدم" لا بد أن يُلقي بالماضي وراء ظهره، أخيه توفي هو وزوجته في حادث منذ أكثر من ستة أشهر، فلماذا كل هذا الحزن، وكأنه كان بيده منع الحادث، هذا عدم رضى، لماذا لا يبحث عن زوجة ويترك تربية أبناء "حاتم" لمربية تحت إشرافك بالطبع؟.
- السلام عليكم..، أعتذر يا حاجة علي المقاطعة.
- عليكم السلام..، ماذا تريد يا "صالح"؟
- بعد إذنك يا حاجة اسمحي لي بدقيقة واحدة لأمرِ هام.
- رسمت "سهام" على وجهها ابتسامة ودودة، وهي تستأذن منهما:
- استأذنكم دقائق ف "صالح" يحرس الفيلا وكأنه رجل الأمن الهمام.
- ماذا تريد يا "صالح" ألا ترى أنني مشغولة بضيوفي؟
- أعلم يا حاجة، ولكن فاض بي الكيل، لقد كنت أتغاضي عن هذا في الماضي لأن "همسة" كانت تقف معهم بنفسها وتلبي طلباتهم عندما يحضرون، ولكن بسبب انشغالها بالضيوف اليوم، لم تقف معهم..، وأنتِ تعرفينني يا حاجة أحب الانضباط ولا أحب المرح، لقد تحملتهم طوال النهار.



- من هم الذين تحملتهم يا "صالح" .. اختصر ؟
- ضيوف "همسة"، الذين تجمع لهم الطعام المتبقي كل يوم، وتقول لي بدلا من أن ألقيه في القمامة ويكون باب ذنوب مفتوح، سأعطيه لمن يحتاجه..، تقف عند الباب الخلفي للفيلا تضع منضدة وأطباق وتوزع الطعام علي المحتاجين كل يومين أو ثلاثة.
- ماذا؟.. كيف تفعل هذا؟.. أتبيع الطعام؟.. ماذا إذا رأى أقاربنا أو أصدقاءنا هذا المنظر؟، ماذا سيقولون عنا؟
- تنفست "سهام" بغضب محاولة تهدئة نفسها، ثم أردفت:
- اذهب أنت الآن يا "صالح" وأنا لي تصرف معها.
- الحق يُقال يا حاجة، هي قالت أنها لا تبيعه، بل توزعه دون مال، أنا لا أقف معها لأنني أكون مشغول بالباب الأمامي ولكن كلام "همسة" ثقة.
- ما دمت لا تراها وهي توزعه، من أين لك أن تشهد بأنه يوزع بلا مال؟
- فتح صالح فمه ليدافع عن "همسة"، التي أوقعها في مشكلة دون أن يقصد، ولكن "سهام" أوقفته بإشارة من يدها، قائلة بحزم:
- اذهب الآن يا "صالح"، ولا أريد الحديث في هذا الموضوع مرة أخرى، واطرد أي شخص يقف أمام الباب ولا تسمح لهم بالعودة مرة أخرى.



عادت "سهام" إلي الضيوف، وهي تستشيط غضبًا، مُحدّثة نفسها، "من أين لها أن تعرف أنهم محتاجين؟، هي بالتأكيد تبعه"، استعادة رتبة نَفْسِهَا من جديد، فأخيرًا ستثبت لزوجها مدي خُبث هذه البنت، ثمّ رسمت البسمة الودودة علي شفيتها مرة أخرى وهي تدلف إلي ضيفتها، تتحدث معذرة:

- عذرًا علي التأخير.. هل وصلت يا حاج "محسن" حمد لله علي السلامة، لم يقل لي "صالح".
- خرجت مبكرًا فمررت علي "دنيا" وأحضرتها معي، وصلنا منذ دقائق وآثرت الدخول إلي غرفة الضيوف لكي أرحب بضيفتينا توقعت أن أجدك هنا.
- السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.. تفضلوا العصير.
- قدّمت "همسة" المشروب، كادت تغادر الغرفة فنظرت إليها "سهام" والشرر يتطاير من عينيها، لن تنتظر حتى يغادر الضيوف لتعلن انتصارها أمام زوجها فاستوقفتها.
- انتظري يا "همسة".
- نعم يا حاجة.
- أين يذهب بقية الطعام الذي يفيض منا كل يوم؟
- ارتجفت شفتي "همسة" وتلعثمت بالكلام:
- إنه... أنا.. أعطيه..

ارتفعت نبرة "سهام"، وأكملت عنها الكلام بحدة:



- أنتِ تبيعين الطعام من وراء ظهورنا وأمام باب فيلتنا..  
كيف تجرؤين؟

فتحت "همسة" عينيها بذهول فزعة، لا تعرف من أين التصق  
بها هذا الاتهام؟!..، حاولت أن ترد هذه المرة بثبات، لتثبت  
براءتها:

- لا، أنا لا أبيع، أنا أوزعه علي المحتاجين أقسم لك.  
- وهل تعتقدين أنني سأصدق هذا الهراء ؟  
- أقسم لك يا حاجة اسألي..

قاطعتها "سهام" بصوت غاضب، ونبرة تشفّي:

- لا تكذبي يكفي ما فعلته، دائما تختلقين التبريرات  
ونصدقك لأن قلبنا طيب، ولكنك تستغلين طيبتنا أسوأ  
استغلال و...

قاطعتها "محسن" بهدوء حازم:

- اتركها تدافع عن نفسها يا "سهام"..، فهذا حقها.

ثم التفت إلي "همسة" مشجعًا:

- أكملني يا "همسة".

استعادت "همسة" جزء من ثباتها واطمئنانها بتشجيع الحاج  
"محسن" لها، فهي واثقة أنه لن يرضيه الظلم.



- أثناء ذهابي للأسواق بدلاً من أبله "غالية" في بعض الأيام، وجدت ورائنا مناطق نائية بها أناس محتاجين، فقامت بالسؤال عنهم وتأكدت بنفسي من حالتهم...، دعوتهم معي وأعطيت لهم القليل من الطعام الفائض الذي كان سيكب بالقمامة، ومن هنا جاءت لي الفكرة، قلت لهم يبلغوا من يروه محتاج فقط، وبعد ذلك جاء العديد من المحتاجين، وتأكدت بنفسي من بعضهم بعمل بحث عنهم، كلما سنحت لي الفرصة للخروج.

ابتلعت ريقها، ثم أكملت وهى تبدل نظرها بين عيني "سهام" و"محسن":

- حتي الأطباق التي أضع فيها الطعام اشتريها من مرتبي الذي يتبقى معي بعد إرسال الثلاثة أرباع إلي أبي...، صدقني يا حاج "محسن" هذه هي الحقيقة، تستطيع التأكد من أبله "غالية".

توقفت لتلقط أنفاسها، ثم تذكرت أمر هام، فأردفت بانفعال وحماسة:

- كما أنك إذا أحببت، فلتأتي معي عند الباب الخلفي للفيلا وتسال من أوزع عليهم الطعام، فهم بالتأكيد مازالوا يقفون عند الباب، لأن اليوم ميعاد التوزيع، ولكنني نسيت بسبب انشغالي ببعض المهام .

- المتسولون الموجودون بالباب الأمامي أمرت "صالح" بطردهم، وعدم السماح لهم بالمجيء مرة أخرى.



أخفقت "همسة" رأسها بحزن بعد تعليق "سهام" الأخير،  
الذي أضع مجهودها طوال هذه المدة في تجميع المحتاجين،  
فهي مازالت لا تعرف بيوت بعضهم.

- أنا أصدقك يا "همسة"،،، إنها فكرة رائعة، أنا سعيد  
وفخور بك، ولا مانع من الاستمرار في هذا العمل  
الخيرى، وإذا كنتِ تعرفين بيوتهم، فاذهب إليهم  
وأعلميهم أننا سنستمر في إعطاءهم الطعام، ليس  
فقط البواقى، بل ستزيدين في الكميات، لكي يأخذون  
نصيبتهم كما نأكل نحن.

وضعت "دنيا" يدها على كتف "همسة"، وهي تبتسم لها  
تشجعها بعد دعم والدها لها هي الأخرى:

- وأنا سأساعدك إذا احتاجتني، ربنا يجعل عملنا خالصًا  
لوجهه.

شكرت "همسة" "دنيا" بابتسامة فرحة وإيماءة من رأسها،  
ثم نظرت بقلق إلي الحاجة "سهام"، منتظرة رد فعلها، ولكن  
"محسن" لم يعطِ "سهام" فرصة للاعتراض مرة أخرى، هو يعلم  
أنها لن تقتنع بسهولة.

- أحسنتِ يا بنيتي، ما شاء الله عليكِ، هذا عهدي بك  
دائمًا ذكية وطيبة، واستكمالا لفكرتك ما يتبقى ولا  
تجدين من يأخذه من المحتاجين اللائي تعرفينهم،  
سأغلفه وأرسله لمساجد أو جمعيات توزع إطعام يوميًا



للمساكين، ولن تدفعي أي جنيه في هذا الأمر، بل سأزيد راتبك لما تبذلينه من مجهود بتعبئة الطعام والبحث عن المحتاجين، هيا تعالي معي لنخطط للأمر معًا .

تهللت أسارير "همسة" وزينت البسمة ثغرها الرقيق، وهي تغادر مع الحاج "محسن"، حامدة ربهما أنه خلّصها من الحاجة "سهام"، فنظرتها كانت تفضح ما يعتمل في صدرها ونفورها من الشئ عليها.

- ما شاء الله من أول نظرة لها شعرت أنها فتاة طيبة، أنا أيضًا سأنفذ هذه الفكرة، ولها الأجر والثواب لأنها أول من فكّر بها، وسأنشرها عند كل من أعرفهم.

ابتسمت "ندي" لوالدتها، وهي ترفع حاجبها بتعجب:

- نعم.. حكمك كان مصيب يا أمي كعادتك.

انضمت إلى الجمع فتاة طويلة شخصيتها القوية ترسم ملامحها الحادة، ولون عينيها الرمادي يعكس برودتها، ترسم علي شفيتها الرفيعة ابتسامة عريضة:

- السلام عليكم، مرحبا يا خالة "عايدة" أنرتم منزلنا

- عليك السلام يا "هاجر"، البيت منير بأصحابه.

تبعثها فتاة متوسطة الطول ممتلئة الجسم، ملبسها التقليدية تشير إلي شخصيتها السلبية ولا مبالاتها، ورثت سواد العين من والدتها.



- السلام عليكم جميعًا، مرحبًا يا خالة "عايدة" عندما قالت لي أُمِّي أنكما هنا، كدت أطير من الفرحة، كيف حالك يا "ندي"؟... اشتقتُ إليك.

- أنا أيضًا اشتقتُ إليك كثيرًا يا "منال" أنتِ و"هاجر"، الوحيدة التي أراها باستمرار هي "دنيا"، نتقابل في الجامعة كثيرًا.

- هذا من حسن حظي يا "ندي"  
- هل "همسة" لها أخت في مثل أخلاقها يا "سهام"، أريد أن أوظفها عندي؟

أسرعت "دنيا" ترد بحماسة:

- "همسة" فريدة من نوعها يا خالة، فهي ليست كباقي عائلتها تمامًا، وكأنها زهرة نبتت وسط حديقة "صبار".

ابتلعت "دنيا" ريقها، ثم أردفت:

- هل تتصورين أن والديها جعلها توقع علي إيصالات لكي يضمنا أن تعطيها ثلاثه أرباع مرتبها؟.

- أيعقل هذا؟

- نعم يا خالة ولكنك لم تسمعين أهم مميزاتا بعد...،

فعندما تقف أمامي مسألة في حكم ديني أذهب إليها، وكأن ذاكرتها التي فقدتها، أبت أن تفقد هذه المعلومات الدينية القيّمة، ليس هذا فقط..، بل عندما تتحدثين إليها تشعرين أنها علي قدر كبير من الثقافة والمعلومات

و....



- كفي يا "دنيا" لا تثرثرين بتفاهات و تصدّعين رأسا الخالة "عايدة" و"ندي"،،، فهي مجرد خادمة لا تستحق كل هذا الوقت لنهدره عليها.

نظرت "عايدة" لابنتها "ندي" مستنكرة طريقة "هاجر" واستحقارها لفتاة ليس بيدها أنها وُلدت لم تجد قوت يومها، فهرعت إلي عمل شريف تكتسب منه لُقمة عيشها. حاولت "سهام" إصلاح تسرّع ابنتها "هاجر"، فتحدثت، وهي تبتسم نصف ابتسامة:

- "دنيا" وأبيها هكذا دائماً، كلما تحدثا عن "همسة" لا يملان وينسيان نفسيهما، ويهوّلان في الأمر كثيراً، علي كل حال لقد أخذنا الوقت وحن موعد الغداء تفضلوا.

خرج الجميع فتباطأت "سهام"، ثم جذبت "دنيا" من رسغها بغضب، وهي تحذرهما بصوت منخفض:

- لا تفسدين ما أخطط له بالحديث عن هذه البنت، ف "عايدة" هنا لكي نحدثها عن إخوتك وليس "همسة".. مفهوم؟

- حاضر يا أمي.. لقد انجرفت في الحديث دون أن أشعر، أعتذر منك .

التف الجميع حول طاولة الطعام يروون بعض الذكريات القديمة المضحكة، وبعد أن فرغوا من طعامهم، انتقلوا إلي شرفة حديقة المنزل لتناول الحلوى، وطوال هذا الوقت كانت "عايدة"

تختلس النظر إلي "همسة" من وقت لآخر، كلما أحضرت لهم شيء، تتعجب من قصة هذه البنت، تشعر أنها قد عانت كثيرًا.

\*\*\*\*\*

انتهت الزيارة علي وعد بتجديدها، وعندئذ انشغل رأس "عايدة" و"سهام"، كل منهما تفكران في أمور مختلفة، فأحدهما تفكر كيف تُجَمَّل بناتها أمام الأخرى، والثانية تفكر في أمر سيقلب الموازين رأسًا علي عقب، فكرة سطع ضوءها فجأة في عقلها لا تعلم من أين تكونت؟

تفرّق الجمع في بيت الحاج "محسن"، كلٌ إلي غرفته، إلا "دنيا" التي ذهبت إلي حجرة "همسة".

- السلام عليكم يا "همسة" عذرًا على تطفلي، ولكنني وجدت بابك مفتوح فأثرت المرور عليك...، اشتقتُ لجلساتك ونصائحك وكلامك المعسول.

ابتسمت "همسة"، التي توقعت سبب مجيء "دنيا"، لترفع عنها الحرج.

- عليكِ السلام ورحمة الله وبركاته، أنا أيضًا اشتقت إليك كثيرًا، لقد توقعت أنكِ مللتِ مني .



- لا أبدًا.. فأنا لم أرَ فتاة ملتزمة بدينها ودائمًا مبتسمة،  
تتسم بروح الدعابة مثلكِ..، حقًا لا أمل أبدًا من  
مجالستكِ.

- الالتزام بدين الله والتقرب إليه ليس سببًا لتجهم الوجه  
يا "دنيا"، فرسولنا -صلي الله عليه وسلم-، كان دائم  
الابتسامة، يكفي أنه في ديننا الابتسامة عبادة،  
وتبسمك في وجه أخيك صدقة.

نظرت أمامها شاخصة ثم أكملت باستياء:

- للأسف هناك من يفهم الدين خطأ، فيطبقه بطريقة  
خاطئة، وهناك من يحقد علي الملتزمين، فيتعمد إثارة  
الكذب حولهم، حتي أنه في بعض الأحيان، يصل به الأمر  
لتحريف الدين، وللأسف الاثنان يشوهان الدين.

أعادت نظرها إليها، ثم أردفت:

- فالأول رُغم حبه للدين كان سببًا في تغيير الناس منه،  
والثاني أضل نفسه قبل أن يضل غيره وكذب علي الله  
ورسوله بتحريف الدين وتشويهه.

جلست "دنيا" علي المقعد المقابل لفراش "همسة" وبعينيها  
نظرة فخر، ثم تكلمت أخيرا:

- يا لكلامك الجميل يا "همسة".. كدت أنسي سبب  
مجيئ إليك.. أردت الاعتذار منك عن تصرفات أُمي



وإخوتي معك، فأنتِ تعرفينهن سريعي الغضب ولكن  
قلبهن طيب.

- لا عليك لقد تعودت عليهم هكذا.

قامت "دنيا" من مجلسها لتجلس بجوار "همسة"، ثم  
أمسكت بيديها وعينيها تبتسم قبل فمها:

- والسبب الثاني لمجيئي أنني نشرت فكرة توزيع الطعام  
التي اقترحتها علي "السوشيال ميديا"، ولاقى قبول  
الكثيرين وتحمسوا لتنفيذها أيضًا، لقد غبطك بسبب ما  
ستجنيه من حسنات .

اتسعت ابتسامه "همسة" وارتفعت وتيرة أنفاسها، ثم قالت  
بفرحة:

- لقد أسعدتني.. أنتِ أيضًا لكِ مثل أجر كل من  
سينفذها.. ألسنِ أحد وسائل نشر الاقتراح.

ابتسمت وهي تحتضن "همسة" بقوة، ثم تحدثت بطريقة  
مسرحة:

- أنتِ كنز بالفعل سأطلق عليكِ "الفتاة متلازمة  
الحسنات".

قهقه الاثنتان، وكل منهما قد ألقى عن عاتقه همًا كان يحزنه  
ويؤرقه.



شردت "همسة" تفكر، هكذا هي الحياة، إذا فكرنا في كل موقف مضى كان يحمل حزنًا أو غمًا أو غضبًا، وظللنا نتذكره بتفاصيله ليس للعبرة، بل للسخط على حاضري هذا الموقف، كأننا نستحضر الشيطان، ونهيهي له الطينة الخصبة التي سيزرع فيها وساوسه بداخلنا، وأيقنت أنه لا بد ألا نتذكر المواقف السلبية سوى للعبرة فقط".

قطعت "دنيا" شرودها، تتحدث وهي تقوم عن مجلسها بتكاسل:

- لن أطيل عليكِ سأذهب الآن...، لقد كان يومك طويل ومُرهِق، ولكن ضعي في حُسابك، أنني إجباري سأحاول تثبيت يوم على الأقل في الأسبوع كي أستقي من حكمتك ومعلوماتك.

ثم غمزت لها وهي عند الباب، مضيغة:

- هذا خلاف الاستشارات الطارئة بالطبع.

أرسلت لها "همسة" قبلة في الهواء، ممتنة لهذه الفتاة الطيبة التي تعوضها جفاء باقي العائلة.

- سأسعد بكِ في أي وقت يا "دندن"، في انتظاركِ.

\*\*\*\*\*



وفي اليوم التالي أثناء فترة وجود الحاج "محسن" بالبيت، بعد عودته من عمله لتناول الغداء وسط أبناءه كعادته، ثم العودة مرة أخرى لشركته، اتفق مع "همسة" علي آليات توزيع الطعام علي المحتاجين، وخصص لها راتب إضافي.

ولم ينتهِ الأسبوع إلا وقد حصدت "همسة" جزاء مساعدتها للمحتاجين ودعاءهم لها، بأن زُف إليها خبر سعيد، عندما استدعاها الحاج "محسن" في مكتبه فور رجوعه من عمله في التاسعة مساءً.

جلبت "همسة" فنجان الشاي، كما طلب الحاج ودقّت باب حجرة المكتب، منتظرة الإذن بالدخول.

- ادخلِ يا "همسة" .. ضعِ الشاي أمامي هنا واجلسي.

وضعت الشاي وجلست بحذر، وعقلها يعمل بجد يحاول استنباط سبب استدعائه لها، فلم يطل عليها صمته، وأفرج عن كلماته أخيراً:

- هل تذكرين الحاجة "عايدة"، التي زارتنا يوم السبت الماضي مع ابنتها؟
- نعم يا حاج هذه المرأة البشوشة الطيبة، ما بها؟..
- لعلها تكون بخير.
- اتصلت بي اليوم، لتسأل عنك.

ارتشف الحاج من كوب الشاي رشفة صغيرة، قبل أن يكمل:



- وأنا حدثتها عنك يا بنيتي بكل الكلام الذي تستحقينه، لقد عاشرناك أكثر من 3 شهور، لم نر منك إلا كل خير.
- جزاك الله خيراً يا حاج..، أتمني أكون عند حسن ظنكم جميعاً، وربنا يغفر لنا ما لا تعلمون..، ولكن لماذا سألت الحاجة عني؟.
- جزآني وإياك بُنيتي..، الحاجة "عايدة" طلبت يدك لابنها "آدم"..، فما رأيك؟

فغرت فاهها وهي تحملق في الحاج "محسن"، ثم تحدثت بصوت يكاد يكون مسموع متلعثمة:

- ماذا؟.. لكن كيف؟.. هل تعرف من أكون؟.. أقصد ماذا أعمل؟.. يعني عائلتي.. و..

ابتسم وهو يري ارتباكها وذهولها، فحاول طمأنتها:

- هدئي من روعك يا بُنيتي.. هي بالفعل تعلم من تكونين، وتعرف ما هو عملك..، ولكنها رأت فيك ما أراه أنا، رأت أخلاقك وثقافتك وطيبتك ومعدنك.

لم تستوعب ما قاله، كانت تسمع الكلمات دون أن تعي معانيها، هل هذا أحد أحلامها التي ستستيقظ منه لتدونه في دفترها وتنسأه؟ انتزعها من شرودها، ليكمل:

- أنت تستحقين يا "همسة".. فالحاجة بعد أن سمعت عن "متولي" الوصي عليك، لم تغير رأيها، بل اقترحت أن



تعطيهم مبلغ من المال، وتنفصلين عنهما تماما بعد الزواج.

تقدم إلى الأمام، وربيع كفيه مستندا بهما على المكتب... ثم أردف:

- كانت تخشي أن ترفضني هذا الاقتراح، ولكنني أكدت لها أنك لن تمانعي، لأنك رافضة لكل أفعالهم، ولا تشعرين بالانتماء لهم.

ظلت "همسة" علي صمتها شاردة، يحاول عقلها أن يستوعب ما قيل لها منذ برهة، حتي تسلل "محسن" إلى تفكيرها، ليساعدها علي التركيز:

- نحن لن نرغمك علي شيء يا "همسة"، الحاجة "عايدة" طلبت أن تجلس معك وتسرّد لك ظروف ابنها...، والحق يقال هو شاب جيد يُعتمد عليه، دينه لا بأس به، ولكن عيبه الوحيد، أنه مُصر علي تربية أبناء أخيه المتوفي، كما أنه اعتزل الناس قليلا بعد وفاة أخيه وزوجته في حادث أليم منذ 6 أشهر .

خرجت أخيراً عن صمتها عندما وجدت حالة إنسانية أمامها، فاستدعت كلماتها ونشرتها على لسانها، مُعلقة بصوت منخفض خجل:

- وهل هذا عيب يا حاج؟...، أنا لا أراه عيب إطلاقاً، بل أراه وفاء وحنو وإخلاص ورحمة.



- أفهم من ذلك أنك وافقتِ علي المبدأ؟

لم ترفع وجهها عن الأرض واحمرار وجنتيها زادها جمالاً،  
جاهدت في أن يصل صوتها المنخفض، التي تأتي حنجرتها أن  
ترفعه قليلاً إلي الحاج:

- أنا أثق فيك كل الثقة يا حاج، وإذا لا تمنع اعتبرك أبي،  
يكفي حنيتك وحرصك علي مشاعري..، اعتبرني  
كإحدى بناتك، وافعل ما تراه في مصلحتي، وأنا لن  
أعترض.

تهللت أسارير "محسن"، وهو يعتدل في مقعده، منتشياً،  
بشائها عليه وثقتها فيه:

- علي بركة الله..، ما دُمتِ وكلتني أمرك، فأنا من رأيي أن  
تجلسي مع الحاجة، هم أناس طيبون..، اذهبِ أنتِ الآنِ  
إلي النوم، وغداً بإذن الله سأدبر لكِ موعد معها.

\*\*\*\*\*



زينة الغني كرمه...  
وزينة الفقير قناعته...  
زينة الرجل رجولته وعدله...  
وزينة المرأة حياءها وعفتها...  
وزينتنا كلنا طاعتنا لله سبحانه وتعالى...



أنفق من الصبر الجميل فإنه  
لم يخشَ فقرا منفقاً من صبره  
واحلم وإن سفه الجليسُ وقل له  
حسنَ المقال وإن أتاك بهجره  
والمرُّ ليس ببالغٍ في أرضه  
كالصقر ليس بصائدٍ في وكره



## الفصل الثاني

- كيف سيتزوج "آدم" من خادمة يا أمي؟
- هي مازالت جديدة في هذا العمل، كما علمت من الحاج "محسن"، لم تعمل في بيوت مطلقًا قبلهم، قَدَمَت إلي بيته حديثًا، ولم يرها إلا القليل، ولذلك لن يتعرف عليها أحد، حتي "آدم" نفسه لن يعرفها.
- لا أخفي عليكِ يا أمي، أنا أري في هذا الأمر مُجازفة، حتي إذا سلمنا من ماضيها، فأنتِ تعلمين أن "آدم" لا يوافق علي مبدأ الزواج في حد ذاته.
- من هذه الناحية، أنا سأقول له أن هذا هو الحل الوحيد لكي أسمح له بالاحتفاظ بأبناء "حاتم"،، لا بد أن يخرج من هذا القالب الضيق الذي انكبَّ فيه وتوقع بداخله...، لن أتركه يُضَيِّع نفسه.
- قامت "ندى" وجلست علي حافة مقعد والدتها، ثم تحدثت مستسلمة، وهي ترسم ابتسامة باهتة:
- خطَّطتِ جيدًا كعادتكِ يا حاجة "عايدة" ولم تغفلِ عن شيء.

افتعلت ملامح طفولية، ثم أردفت:

- لماذا لم تورثني ذكائك وحكمتك.



اتسعت ابتسامه "عايدة"، ثم أجابت وهي تقرص وجنتيها:

- وأين هذا العقل الذي سيحوى الذكاء والحكمة؟

ضحكت "ندى" علي مداعبة والدتها، ولكن سرعان ما عاد التجهم يرسم ملامح وجهها من جديد، وهي تسأل والدتها:

- هل ستستطيع "همسة" تحمّل "آدام"، وإخراجه من هذه الحالة، يا أمي؟

انتقلت عدوي القلق إلي وجه الأم، وردّت محاولة طمأنة نفسها قبل طمأنة ابنتها:

- أتمني ذلك...، الفكرة لاحت لي عندما شعرت أن الحاجة "سهام" والحاج "محسن"، لن يسمحا لأبنتيهما، الزواج من "آدام"، طالما يرعي الطفلان.

مطت شفيتها، كأنها تحاول الاقتناع بفكرتها، التي اقتحمت عقلها كأن أحد فتحه ووضعها فيه بالإجبار، لعله توفيق المولى وجزاء عمل "همسة" الطيب، فأضافت وهي ماتزال شاخصة بعينيها أمامها:

- هذا بخلاف تصرفات البنات الغير مسؤولة، فبدلا من أن يتعودن تحمّل المسؤولية كلما كبرن...، معهن يحدث العكس، كما أن لي تعليقات علي أخلاق "هاجر" و"منال" بالأخص، والأهم من هذا كله، أنهم لا يعرفون مزاجه العصبي والعدواني أيضاً.



تناولت "عايدة" العصير الذي جلبته الخادمة لهما، وشربت منه رشفتين، ثم عادت لتكمل، بعد خروجها:

- عندئذ أيقنت أنه لن يستطيع أحد تحمله إلا بنت صبورة طيبة ملتزمة، كما أنني سأطمأن علي أبناء "حاتم" معها، فأنتِ بنفسك عندما سألتِ "دنيا" اليوم في الجامعة عنها، كما طلبت منك، قالت أنها ليست فقط ملتزمة ومثقفة وذكية، بل تملك روح الدعابة والمسامحة أيضاً، فمن يترك بنت كهذه لمجرد أنها تعمل خادمة.

- أتمني أن يكون اختيار صائب يا أمي، فأنا أخاف من رد فعل أخي، كما أنني أخشي أن نظلمها بارتباطها بشخص يكره النساء كـ "آدم".

- لا تقلق أري في "همسة" الحكمة والصبر، وأنا سأكون بجانبها طوال الوقت، لكي أساعدها في تقويمه... أنتِ خير من تعرفين أخاك، فهو لم يكن هكذا من قبل .

قامت "ندى" من مجلسها، واتجهت إلي باب الغرفة، تتحدث متظاهرة بالتأؤب :

- علي بركة الله يا أمي سأذهب إلي النوم، فعندي محاضرات صباح باكر، وأترك لك مهمة إقناع "آدم" أيتها المرأة الحكيمة، تصبحين علي خير.

ثم ابتسمت لأمها وغادرت الغرفة تفكر، هل سيوافق "آدم"؟... وإذا وافق، هل ستستطيع "همسة" تقويمه؟... لا

فالكلمة الصحيحة هي "ترويضه" وليس تقويمه فقط، ثم رددت بصوت مسموع وهي تدلف إلي حجرتها:

- معك الله يا "همسة"، فمهمتك أصعب من ترويض أسد أصابه السُّعار .

\*\*\*\*\*

لم تستطع "همسة" إغماض جفنيها إلا في الثلث الأخير من الليل، بعد محاولات عدة، فأمامها الكثير غداً، وكأن آمالها في كسر حياتها الرتيبة المملة، قد تحققت فجأة، ولم تتدرج في سرعتها، بل انتقلت إلي المرحلة القصوى، دون سابق إنذار، وهذا ما يجعلها قلقة متوترة، تهاب الأحداث قليلاً.

وفي منامها رأت رجل يرتدي قناعاً مخيفاً، يحررها من الأسر، وفجأة نزع قناعه، ليكشف عن وجه غاضب، لم تتبين ملامحه جيداً، حاولت الهرب منه ولكنه أمسك بها بعنف.

قامت فزعة من نومها، تمسح مرفقها مكان إمساك الرجل لها في الحلم، فيدها مازالت تؤلمها مكان قبضته، وكأنه قد تركها للتو، استعادت بالله من الشيطان الرجيم ثلاثاً، ثم تفلت عن يسارها، وغيرت جانب نومها، استلقت مجدداً تفكر وتتساءل... هل هذا تحذير من الزواج بـ "آدم"؟

سمعت آذان الفجر، فنفضت عن رأسها هذا التشاؤم، وقامت لتصلي، ختمت صلاتها بركعتي صلاة استخارة، لتوكل المولي

-عز وجل- أن يختار لها الخير، ثم ذهبت للقيام بمهامها المنزلية المعتادة .

وبعد الغداء ناداها الحاج "محسن" في مكتبه، أخبرها أن تُحضّر نفسها، لكي يوصلها السائق إلي بيت الحاجة "عايدة"، كما اتفقا بالأمس، وهو من سيستأذن لها زوجته، لأنه يعرف كيف يُهيئها لهذا الخبر، وكيف سيتمص غضبها.

- شكرا جزيلا لك يا حاج، لا أعرف كيف أرد كل هذه الجمائل سوي بالدعاء لك، فهذا ما بيدي، لعل الله يقبله كدعاء بظهر الغائب.

- وهذا أجمل ما ستقدمينه لي يا ابنتي، حفظك الله، هيا لكي لا تتأخري علي الموعد.

استأذنت "همسة"، وهي في طريقها إلى الباب، دمعت عيناها من كرمه، فهي منذ إفاقتها بعد الحادث في بيتها، لم تعامل بهذا الحنو وهذا الكرم من قبل إلا من الحاج "محسن"، وابنته "دنيا"، هما من يلونان حياتها الرمادية فقط.

وقبل أن تصل إلي الباب، سمعوا دقة قصيرة، ثم دخلت "سهام"، وجلست علي مقعد أمام "محسن"، نقلت بصرها بينه وبين "همسة"، التي مازالت عينيها تلمع بالدموع، ثم تحدثت كالمخبر، وحب الاستطلاع يكاد يقتلها:



- لعله خير يا حاج...، في ماذا تتحاوران، منذ أمس تدّلفون إلي حجرة المكتب وتحدثون وحدكم مدة ليست بالقصيرة؟

- جيد أنكِ جئتِ يا "سهام"...، كنت سأبعث إليك لتأتي، اذهب أنتِ الآن يا "همسة" كي تستعدي.

- شكرا يا حاج...، بعد إذنكم.

نظرت لها "سهام" وهي تغادر الغرفة بريبة، ثم استدارت إلي زوجها، تسأله بفضول:

- تستعد لماذا؟...، إلي أين هي ذاهبة؟، هل اكتشفت عليها شيء، لقد قلت لك من البداية ولم تصدقني فأنا.....

- انتظري يا "سهام"...، ما كل هذا؟...، خيالك خصب في الحوادث ما شاء الله، أنتِ تسألينني، ثم تجاوبين وحدك...، إذا طرحتِ سؤالاً، فانتظري الإجابة لا تتسرعي كعادتك...، أنا أرسلت "همسة" إلي الحاجة "عايدة".

ضحكت "سهام" بسخرية، وهي تسأله:

- وما المناسبة؟ هل ستوزع معها طعام علي المحتاجين أيضاً، أم أنها اقترحت فكرة أخرى من أفكارها النيرة؟

- لا...، الحاجة "عايدة" طلبت يدها لابنها "آدام".

فغرت "سهام" فاهها، وقد أجمتها الصدمة، تحاول استيعاب الخبر، لقد ظنّت أن خيالها هو الذي تحدث إليها منذ برهة،



وأن الحاج لم يتكلم بعد، ظل "محسن" ينظر إليها، وهو مستمتع بأثر الصدمة عليها ويكتم ضحكته، فهو آثر أن يبلغها هو بهذا الخبر لأنه يعرف رد فعلها هذا.

أفاقت "سهام" بعد هُنيهة، فخرجت نبرتها غاضبة:

- ماذا؟... هل جنّت "عايدة"؟... كيف تفعل هذا؟... يبدو أنها أصابها الخرف مبكرًا.
- عودي لرشدك يا "سهام"، ولا تطاولي علي أحد ليس بالموجود في مجلسنا حتي...، لقد رأيت "عايدة" أن "همسة" هي الأنسب لابنها، وهي من سيتحمّل وجود أبناء "حاتم" معه ويرعاهم، فهي تصرفت بحكمة واختارت الأنسب لابنها، هذا هو الأصوب.
- إذا كانت تريد أن تصلح الأمر وتتصرف بحكمة حقًا، فلتجبر ابنها علي التنازل عن أبناء أخيه ويتحلى بالعقل.
- هل تذبّه أم تضربه بالعصى؟... أنت تتحدثين عن رجل وليس طفل يا "سهام"..، فهل كنتِ ستقبلين أن تزوجيه بناتك مع وجود الطفلين؟

تحركت في مقعدها بتوتر، ثم تحدثت بغضب مكتوم:

- بالطبع لا؟...، ولكن إذا عجزت تمامًا، هناك الكثيرات من ذوات النسب الراقى، كانوا سيرضون بهذا الوضع، لماذا أوقعت نفسها في هذا الوحل؟...، أنا لا أفهم هذه المرأة، فبالرغم من أنها ذكية، وتحسب كل خطوة إلا



أنني لا أفهم بعض تصرفاتها، وأري أنها أخفت هذه المرة.

- هي حرة فيما تقرر، ولكن صدقًا..، أنا أتمني إتمام الأمر، ف "همسة" تستحق هذا.

تطاير الشرر من عيني "سهام"، وقامت لتخرج قبل أن ترتكب حماقة، لن يغفرها لها زوجها، مرددة بغل:

- سيأتي اليوم الذي تعرف فيه أن صنف "همسة" هذا يتملق، ويتمسك حتى يصل إلي غرضه ثم يعضّ اليد التي امتدت له، فمن عاش مثلها، وفي مستواها، يكن الكره لمن هم أعلي منهم..، إن ذكاءها يخدمها لكي تخفي حقدًا جيدًا وستري.

لم تنتظر "سهام" رد زوجها، وذهبت لتختلي بغرفتها لعلها تهدأ، لقد ضاع سهرها أمس سُدي، وهي تخطط كيف تجعل "آدم" يتخلى عن أبناء أخيه، حتى أنها فكرت كيف تجمع بينه وبين "هاجر"، فهي أذكى من "منال" وستعرف كيف تجذبه إليها، ولكن سبقتها "همسة" بخطوة.

وبدلاً من أن صنف "همسة" الفقير، هو الذي سيكون الكره للطبقة الراقية أمثال "سهام"، لقد انعكس الحال وغارت الطبقة الغنية من الطبقة الفقيرة، بل وحسدتها علي ما في يدها، فالإنسان طماع، ولكن ليس بطبعه، ففطرته خلقت سليمة وهو من شوهها.



\*\*\*\*\*

وصلت "همسة" إلي فيلا الحاجة "عايدة" و لايزال عقلها يستوعب ما حدث معها، استقبلتها الخادمة "رضا" وأوصلتها إلي غرفة الضيوف، حتي تبلغ مخدومتها، مُرحبة بها كثيراً، لقد رأتها وتحدثت معها من قبل، عندما أرسلتها الحاجة "عايدة" ببعض الهدايا إلي الحاجة "سهام"، منذ شهر ونصف. توترت "همسة" كثيراً، لأول مرة تشعر بهذا الإحساس، هي التي كانت تستقبل الزوار وتخدمهم، لم تُستقبل بهذه الحفاوة من قبل.

وبدلاً من الجلوس، حاولت تشتيت توترها بالسير داخل الغرفة، فتوقفت عند وحدة أدرج يعلوها مرآة، ثم نظرت إلي نفسها مبتسمة لأناقتها، التي أكملت هيئتها الملائكية، تذكرت كيف أصرت "دنيا" علي إعطاءها هذا الثوب الجديد، الذي اشترته لنفسها منذ فترة ولم ترتده، بعد أن سمعت الخبر منها، لم تقبله "همسة" في بادئ الأمر، ولكن مع إلحاح "دنيا" وإصرارها قبلته.

أفاقت من شرودها علي صوت طرقات علي الباب، الذي سرعان ما فُتح، كادت أن تُلقي التحية علي الحاجة "عايدة"، ولكنها فوجئت بشاب طويل في بزة رمادي غامق، عريض المنكبين يبدو من بنيته مزاوله الرياضة بانتظام، شعره بني



غامق، ذو أنف معقوف ونظرة حادة باللون الأسود أو بني غامق، لم تستطع التحديد، يعلوها حاجبان متوسطي الطول والحجم، علي بشرة بيضاء مائلة إلي اللون الحنطي، نظر إليها نظرات مطوّلة، ثم بدي الضيق علي وجهه، وأخفض عينه إلي الأرض.

- عفوا...، لم أعرف أن في بيتنا ضيوف...، السلام عليكم.

لم تستطع "همسة" التفوه بأية كلمة، لقد خرج سريعًا دون أن يعطيها الفرصة حتي لترد السلام، أجفلت وحاولت تبرير فعله علي أنه خجول، ثم تسألت، لماذا نظر إليها بغضب، هل هي تشبه أحد ما يكرهه؟

قطع حبل أفكارها دخول الحاجة "عايدة" مبتسمة ترحب بها:

- السلام عليكم، مرحبا بك يا ابنتي، ما شاء الله، أنتِ كالبدر، تبارك الله.

اعتلي وجه "همسة" حمرة المعهودة، التي تزينه بالأحمر الوردي، فتزيده جمالًا ربّاني، وردت بصوت خافت:

- عليكم السلام ورحمة الله وبركاته، هذا من ذوقك يا حاجة، فعينك الجميلة، هي التي تري كل شيء حولها جميل.

ضحكت "عايدة" لمجاملة "همسة"، ودعتها للجلوس، ثم بدأت محاولاتها لفك عقدة حياءها وتوترها، باسترسال الحديث



عن نفسها، إن الإنسان عندما يتحدث عن نفسه ينسي توتره ويندمج ويطمئن قليلاً.

- أبلغني الحاج "محسن" أنه أعلمك بتصميم "آدم" علي تربية أبناء أخيه "حاتم" رحمه الله، وفرحت كثيراً من ردك، فكلما مر الوقت ورأيت تصرفاتك، أزداد يقيناً أن اختياري صحيح.

استرخت "عايدة" في مقعدها، ثم أكملت:

- "آدم" إنسان طيب، ولكنه أصبح عصبي قليلاً، بعد وفاة أخيه، بخلاف بعض المواقف والأحداث، التي أحبذ أن تسمعنيها منه هو لا مني، وتأكدي أنني سأكون إلي جوارك دائماً كإبنة لي.

ازدرت ريقها، ثم ابتسمت، وهي تضيف:

- لقد سمعت عنك الكثير من الحاج، ولكنني أريد أن أعرفك أكثر، هذا إذا سمحت لي بالطبع.  
- الحديث معك شرف لي يا حاجة.

تنفست "همسة" بعمق قبل أن تضيف:

- أنا لا أتذكر من حياتي كلها سوي ستة أشهر فقط، ثلاث قضيتهم مع "أبي متولي"، وثلاث في بيت الحاج "محسن".

- لا أريد أن أعرف شيء عن حياتك في بيت هذا الرجل المدعو "متولي"، فأنا سمعت عنه ما يكفي لكي أتوقع

حالك في بيته، وآسفة لفقدان ذاكرتك بالطبع، أريد أن أعرف عن شخصيتك... اهتماماتك... كيف نسيت كل شيء إلا المعلومات الدينية والثقافية؟، بالمختصر... أنا أريد أن أعرفك أنتِ.

- لا أعرف سبب فقداني لأشياء وتذكري لأخري، ففي البداية بعد الحادثة مباشرة، كلما حاولت تذكّر أي شيء حتي المعلومات العادية سواء دينية أو غيرها، أجد أن رأسي صفحة بيضاء، لم يُسطر فيها حرف واحد، وبعد الاختلاط بالناس، وبدأ حدوث بعض المشاكل والمشاجرات بيني وبين "أبي متولي" و"أمي هناء"، بدأ عقلي يستعيد جزء من ثقافتي ومعلوماتي وبديهيّتي للخروج من هذه العقبات التي أنهكتني.
- إلي هذه الدرجة كانت مشاكل مرهقة؟، لماذا تناديهم بأبي وأمي، إذا كانوا لم يحسنوا إليك؟

بدي الحزن والألم علي وجه "همسة" ونظرت إلي الأرض، تحاول السيطرة علي دموعها، وهي تسترجع ذكرياتها، ثم تحدث بنبرة سيطر عليها الألم:

- هكذا طلبوا مني في بادئ الأمر بعد الحادث، فهما كانا صديقا والداي، رحمهما الله، وبالنسبة للمشاكل...، فالإجابة نعم كانت مرهقة للغاية، فأكبر هذه الأزمات، كانت إجبارهم لي أن أعمل بأحد الأماكن التي ترفضها أخلاقي.



ابتلعت ريقها واختلج قلبها مع صوتها، ثم أردفت:

- حينها حاولت إقناعهم بجلب المال لهم، ولكن من خلال عمل آخر، وبعد محاولات عدة للحصول علي المال، والعمل بالكثير من الأماكن، التي كانت تعطيني مبالغ زهيدة، لأنني لم أكمل تعليمي، فشهادتي كانت حتي الثانوية فقط، أعطوني مهلة أسبوع لجلب مبالغ أكبر، وإن لم أستطع، أروضخ للعمل الذي أحضروه لي، لأنهم لن يقبلون بي عالة عليهم.
- ماذا أصاب الناس، لا حول ولا قوة إلا بالله، لماذا لم تطلبي منهم إكمال تعليمك؟
- طلبت..، ولكن ردهم كان بعبارات مثل... "لقد صرفنا عليك الكثير، وحن وقت رد كل هذه المصروفات، وما فائدة التعليم، ففي النهاية لا تعملين بما تعلمتيه.."، حاولت العمل في أكثر من مكان في نفس المنطقة، التي كنت أقطن بها وخارجها، لم يوافق عليّ أحد ومرتباتهم في الحد المقبول إلا القليل، وأغلبهم كان لهم أطماع أخرى.

سرت رجفة في جسد "همسة"، عندما تذكرت هذه الذكريات، التي حاولت جاهدة أن تدفنها بداخلها، ولم تتجرأ علي التّيش فيها، منذ عملها ببيت الحاج "محسن" مطلقاً، لقد عاهدت نفسها علي ذلك، لم يطل شرودها، قطعتة "عايدة" تربت علي ظهرها، وهمّت بإعفائها عن التكملة،



ولكن "همسة" تحلّت بالشجاعة لتواجه هذه الذكريات،  
واستمدت قوتها من تريبب "عايدة" الحاني.

تنفست بعمق كي تطرد شبها التوتر والخوف، ثم أكملت:

- وفي هذا الوقت، رأفت بحالي إحدى جيراننا، الخالة  
"صفاء"، واقترحت على أهلي أن أعمل خادمة عند  
عائلة ثرية، طلب منها مخدومها البحث عن خادمة لهم،  
ولكنهما لم يوافقا في بداية الأمر، فوقيتها لم أجد بُد من  
الضغط عليهم بطرق أخرى... قلت لهم أنني لن أعمل لا  
هذا ولا ذاك، لا أريد طعامهم، ولا أن يصرفوا علي أي  
قرش حتي الموت، وعندما نفذت تهديدي يومين  
متصلين، وافقوا أخيراً.

ابتسمت بجانب فمها، وتجلى الألم في ملامحها، ثم قالت  
بسخرية:

- ففي النهاية مرتبي لن يكون قليل كخادمة، وهو أفضل  
من لا شيء، وشاكرة هذه الجارة، قامت بتعليمي كيف  
أعمل في البيوت، وأعطتني تعليمات لا أخرج عنها  
لأتجنب ضجر مخدومتي وأهل بيتها مني .

قامت "عايدة" من مكانها علي المقعد المجاور لـ "همسة"،  
وجلست بجانبها علي الأريكة، ضمتها إلي صدرها، تهوّن  
عليها بنبرتها الحانية:



- كلما سمعت عن هذان الرجل والمرأة، أشعر بالاشمئزاز  
منهما، ولكن لا تقلقي يا بنيتي، ستتخلصين من  
شرهم إلي الأبد وأنتِ في بيتنا، كما وعدت الحاج  
"محسن".

رفعت "همسة" وجهها الذي روته الفرحة، فأنبتت أجمل  
بسمة علي ثغرها الرقيق، شاكرة إياها:

- جزاكم الله خيرًا يا حاجة... ربي يبشرك بكل خير.

أرادت "عايدة" أن تعيد ضمادة جروحها التي ضغطت عليها  
دون أن تقصد، فردت بابتسامة مرحة:

- وإياك بنيتي... دعينا الآن منهما، حدثيني عن نفسك،  
لقد سمعت "ندي" من "دنيا" أنك متعددة الهوايات  
ومثقة، فما هي مصادر ثقافتك؟

أشاحت "همسة" بعينيها بعيدًا خجلًا، وهي تجيب:

- "دنيا" تبالغ قليلًا، كل ما في الأمر أنني أحب القراءة  
كثيرًا، وأحب معرفة بعض المعلومات عن كل أمر جديد  
عليّ، ليس شرطًا أن أتقنه... للأسف لم أجد وقت كافي  
لأتعرف علي نفسي المفتقدة أو اهتماماتي أكثر، ففي  
خلال الستة أشهر، كنت مزدحمة بالمشاكل والعقبات  
والإجهاد في العمل.

استمرت جلستهم قرابة الثلاث ساعات يتسامران ويضحكان  
ويتحدثان في مختلف المجالات، فشعرت "عايدة" بالانسجام

مع "همسة" لما وجدته فيها من صبر وحكمة وأريحية في الكلام، بجانب روح الدعابة التي تستوطنها، كما انشروحت "همسة" وزال توترها وقلقها بعدما رأت حنان وطيبة وتواضع حماتها المستقبلية.

- لقد أحببت جلستك كثيرًا يا "همسة"، ولكنني لن أطمع في أكثر من ثلاث ساعات، حتي لا تغضب "سهام"، فأنتِ ما زلتِ في بيتها، ولكنني سأختطفك قريبًا جدًا منهم لبيتنا كزوجة لابني بإذن الله.

ثم ابتسمت وهي تغمز لها، فانفجرت شفتا "همسة" عن ابتسامة شاكرة مطمئنة، وردت عليها وهي تستعد للمغادرة:

- لي الشرف يا حاجة، لقد استمتعت بجلستنا كثيرًا، وأتمني أكون عند حسن ظنك.
- انتظري يا "همسة" ..، إلي أين ستذهبين؟، لن تعودني إلا مع السائق الخاص بنا.
- شكرًا لك يا حاجة، فالحاج "محسن" أمر العم "رمضان" أن ينتظرنني ويعود بي كما أحضرنني.

قامت "عايدة" تودعها علي الباب بابتسامة.

- كم هو كريم الحاج "محسن"، أبلغيه سلامي وشكري هو و"سهام".

\*\*\*\*\*



وأثناء عودتها، ظلت "همسة" تحمد الله وتصلي علي رسوله، فرحة بأنه عوضها خيرًا أخيرًا، مُرددة بسعادة وامتنان:

- حقا لعلّ الله يغير من أجلك كل شيء، حتى القدر، ليرضيك ويضمّد جروح قلبك من حيث لا تدري، فهو الرؤف بعباده الرحيم.

وفجأة لا حت لها صورة الشاب، الذي دخل عليها أثناء انتظارها للحاجة، فتسأل "هل هو "آدم" الذي يتحدثون عنه؟"، اعترفت مبتسمة أنه وسيم ويبدو عليه الأدب، ولكن ما حيرها غضبه عندما رآها!!...، تذكرت حُلْمها، فاقشعرت وانكمشت علي نفسها، وتمنّت أن يكون حُلْم من الشيطان.

وصلت وبلّغت سلام الحاجة "عايدة" للحاج "محسن"، ولما سألها عن راحتها للأمر، أرجئت الأمر لبعء صلاة "الاستخارة".

مر اليوم دون أحداث، فالحاجة "سهام" كانت مشغولة بالتجهيز لحفل ستشرف عليه، سيقام بأحد جمعيات المرأة المشتركة فيها.

استيقظت "همسة" لصلاة الفجر كما اعتادت، واختتمت أذكار الصباح، ثم أسرعَت إلي مذكراتها حتي تفضي إليها بما في جُعبتها قبل بدء يوم جديد من العمل.

"استيقظتُ علي نفس حُلْم البارحة، ولكن زاد عليه أن الشاب الغاضب لم يبالِ بمحاولاتي في التخلص منه، بل ظل يجرنني خلفه في طريق مُوحش، غير عابئ بما أصابني إثر

سحبه هذا، حتي أوصلني إلي مكان به حدائق مليئة بالزهور والأشجار، والطيور، تنتقل من غصن للآخر، وهي تشدو بأجمل الألحان، فاستيقظتُ وصوتهم مازال يتردد في أذني.

يبدو أن الصعاب لم تنته بعد، ولكنني سأخوض التجربة، فاللهم لا تجعل هذا الطريق الموحش طويلًا عليّ، وأجعل "آدم" زوجًا صالحًا لي يعوضني خيرًا، عما عانيته"

أغلقت دفترها، وأسرعت إلي تحضير الإفطار، وبعد خروج الحاج "محسن" إلي عمله، استدعتها الحاجة "سهام"، فذهبت إلي حجرتها وهي ترتجف، متسائلة "ماذا تُخبئ لها؟"، فأثناء الإفطار كانت ترميها بنظرات أحيانا غاضبة، وأحيانا أخرى غريبة، لم تفهم كُنْهها، فرددت وهي تصعد الدرج:

- اللهم اكفنيها بما شئت وكيفما شئت إنك علي ما تشاء قدير<sup>1</sup>، اللهم أنزل الخبر عليها بردًا وسكينة.

طرقت الباب وانتظرت إذن الدخول، تستمد قوتها من ثقتها بالله، فهو الذي يُنجيها من كل شر، كلما رددت هذا الدعاء.

- ادخل يا "همسة"....، لم تقصين علي من حدث بينك وبين الحاجة "عايدة"، فقلت أسألك أنا...، أريد أن أسمع كل شيء بالتفصيل.

<sup>1</sup> - دعاء غلام الأخدود وقصته مشهورة، رُوت في أحاديث عن رسول الله -صلي الله عليه وسلم-، حيث نجي من الموت المحقق مرتين بمعجزة بعد ترديده لهذا الدعاء، ولذلك فهو من الأدعية المستحب ترديدها عند خوفك من أي كائن إنسان كان أو حيوان.

- لم يحدث شيء مميز، لقد تحدثنا في أمور عدة، منها الثقافية، ومنها الدينية، وجزء عن ما مررت به في حياتي، كانت جلسة تعارف ليس أكثر.

حاولت "سهام" السيطرة علي أعصابها، فسألتها وهي تجز علي أسنانها:

- وهل أعطت لك رد في نهاية جلستكم، أو أبلغتك برأيها؟  
- لا... فقط حملتني السلام والشكر للحاج ولكِ.

قامت "سهام" من مكانها، تسير في الغرفة جيئة وذهابًا، لتقلل من غضبها، ثم اقتربت من "همسة"، وقد احمرت عيناها من الغيظ:

- لم أخرج منكِ بفائدة، أيعقل أن هذه الجلسة الطويلة، ليس بها أي شيء جديد؟!، يبدو أنك تحاولين الالتفاف والكتمان، أنتِ تختبئين وراء ستار التدين والإيمان، الذي تبديه فقط لا غير، ولكن لا ترتدي هذا الثوب معي، لأنني أفهمك جيدًا... لست مثل الحاج طيب رقيق القلب، سأتغاضى عن ألعيبك.

انكمشت "همسة" علي نفسها، ونظرت إلي الأرض، وهي تتحدث بصوت خالٍ من أية مشاعر، لن يليق علي صوتها في هذا الوقت إلا مشاعر الغضب، فأبت أن تحدثها بغير احترام:

- لم يحدث سوي ما أخبرتك به يا حاجة، وتستطيعين التأكد من الحاجة "عايدة" بنفسكِ.



رفعت رأسها، وأردفت لتقنعها باقتراحها:

- كأنك تطمئنين كيف ستسير الأمور مثلًا.

فكرت "سهام" قليلا، ثم عادت إلي الجلوس علي فراشها، لتضع ساق فوق أخرى، قبل أن ترد بنبرة عنجھية:

- حسنا... سأصدقك هذه المرة مؤقتًا... عودي أنتِ الآن إلي أعمالك المنزلية.

وبعد خروج "همسة"، طلبت "سهام" رقم الحاجة "عايدة"، فجاءتها الإجابة أخيرا:

- السلام عليكم... كيف حالك يا "عايدة"؟... لم تسألِ علينا منذ زيارتك الأخيرة، هل كانت زيارة عابرة ومضت؟... لقد وعدتني بتكرار الزيارة؟

- عليكِ السلام يا "سهام"... الحمد لله بخير حبيبتي... لا تتعجلي الأيام القادمة ستشهد تقابلنا كثيرا بإذن الله، فأنا أيضا لم أشبع من مجالستك.

- أتمنى ذلك... هل هذا يعني أنكِ اتفقت مع "همسة" علي إتمام الزواج، قريبا؟

- الأمر مازال معلق يا "سهام"، أنا لم أتفق مع "همسة" علي شيء، ربي يوفق إلي الخير... حبيبتي أعذريني، سأغلق معك الآن لانشغالي بأمر هام، علي وعد بأن نلتقي في القريب العاجل بإذن الله، السلام عليكم.



استشاطت "سهام" غضبًا ولكنها حاولت ألا تظهر في صوتها وهي ترد:

- إن شاء الله حبيبتي... عليكم السلام.

\*\*\*\*\*

- يا الله لم تتغيري يا "سهام"..، الله أعلم ماذا قلتِ للبنت المسكينة، حتي تعرفين منها كل ما حدث بيننا؟، ربي يهديك.

- هل تُحدثين نفسك يا أمي؟

دخل "آدم" يُقبّل رأس والدته وهو يبتسم، فما إن رآته حتي اتسعت ابتسامتها.

- لا أراك كثيرًا هذه الأيام..، ففي الأيام التي تبيّت فيها هنا تعود في وقت متأخر، بقدر ما فرحت لعودتك لمزاولة عملك بالشركة، بقدر ما اشتقت إليك.

- أعتذر كثيرًا يا أمي، فطوال وقت غيابي عن الشركة، تكدّست الكثير من الأعمال عليّ، فأحاول أن أنجزها.

ثم ابتسم وهو يداعبها قائلاً:

- ألسنت أنتِ، من غضبتي مني، بسبب تقصيري، وحثتني علي الرجوع لتسيير العمل.

ابتسمت "عايدة" لمداعبته، وأمسكت بوجنته تقرصه، هي ترد:



- لا تتذاكى عليّ يا ولد، لقد عنفتك لكي تعود إلي العمل  
لا أن تدمنه..، حاول أن تعدل في الغيبة..، والآن اجلس  
أريد أن أحدثك في أمر هام.

جلس آدم علي الأريكة المجاورة لمقعد والدته، يداعبها:

- خيرا يا سيدتي..، فنبرة الجدّية التي يشوبها التفكير  
هذه أعرفها جيّدًا، يبدو أنه أمر جلل فعلاً.

رسمت أمه علي شفاهها ابتسامة صغيرة، و تحدثت بنبرة  
حازمة:

- اسمع دون أن تقاطعني...، سبق وأن أخبرتك أنه لكي  
أسمح لك بتربية أبناء "حاتم" رحمه الله، لابد أن تتزوج.

تجهمّ وجه "آدم"، وهو يجيب:

- نعم يا أمي، فهذا منذ أسبوعين فقط، وردي أنتِ  
تعلمينه.

- لقد تحدثنا في هذا الأمر كثيرًا يا "آدم"، لن تختصر جميع  
النساء في شبح امرأتين، ورغم ذلك..، لن أعود لهذه  
المجادلة، التي لا طائل منها، لقد أبلغتك شرطي  
وانتهي الأمر.

- وأنا لا أجادلك يا أمي، ولكن أعطيني فرصة، فكيف  
سأعثر علي امرأة تتقبل تربية ولد و بنت في طور النمو  
ك"هند" و"هيثم"؟



- لقد وجدتها بالفعل، أظنك لا ترغب سوي في امرأة علي خُلق تقبل بذلك، وتكون أمينة نستطيع ائتمانها علي الصغيرين.

حملت "آدم" في أمه، وازدرد ريقه بصعوبة، كأنه عُصاة تقف في حلقة.

- ماذا؟ كيف وجدتها بهذه السرعة، وأين؟

تحمّست "عايدة" وهي تحاول إبراز صفات "همسة" الطيبة:

- توفيق من ربنا، عندما تراها سترتاح لها فوراً، فهي...

- يا أمي أنا وافقت في البداية علي الزواج حقاً، ولكن

أحب أن أعلمك أن من سأتزوجه سأظلمها، فأنا لا

أطيعهم مطلقاً، ولا أتقبل وجودهم بحياتي...، فخطيبي

الأولي وزوجة أخي، كانوا كفيلين بأن أكره جميع

النساء، ولا أثق بهن، فلا تلوميني بعد ذلك علي

معاملتي لها.

- أنا أعرف ابني لن يظلم أحد مهما كان، كما أن هذه

ال بنت لن تفعل ما يجعلك تغضب منها بإذن الله، أنا واثقة

من ذلك...، وفوق كل هذا نستطيع أن نأتمنها علي

"هند" و"هيثم".

- عجباً! هل أنتِ معجبة بها إلي هذا الحد؟..، ولكن لماذا

تتزوج من رجل يُربي أبناء أخيه، فضلا عن كرهه للنساء؟



- لا تشغل بالك عندما تجلس معها اسألها عما تشاء  
ولكن في حدود الأدب والاحترام، لا تُسيء إليها يا  
"آدم"، فبالله لن أسامحك.

قام "آدم" من مجلسه والأسى عنوان وجهه وصوته:

- لن أجلس معها يا أمي، ما دمت مُصرة افعل ما تريه، لا  
أستطيع مجاراتك أو إقناعك، ولن أجرؤ علي رفض أي  
طلب لك أو إغضابك.

تهللت أسارير "عايدة"، وعانقت ابنها فرحة بما وصلت إليه،  
وتمنت أن تنجح حياة "همسة" و"آدم" ويعوضهما ربهما ببعض  
خيرًا عما عانوه.

- بارك الله فيك يا ولدي، فلنُعجّل بالزواج إذًا لا داعي  
للتأخير.

- حاضر يا أمي...، كما تريدين.

خرج "آدم" من غرفة أمه وهو مهموم، اتجه إلي غرفته، وفور  
استلقائه علي الفراش وضع يديه تحت رأسه وظل ينظر إلي  
السقف شاردًا يفكر...

"من هذه التي أعجبت بها أمي إلي هذا الحد؟..، فهي لم  
تحدثني عن أي واحدة منذ الحادث، فمتي حدث هذا ومن  
هي هذه المتطفلة؟....".

\*\*\*\*\*



في بيت الحاج "محسن" قدّمت "همسة" الغداء، وسط نظرات الأم و"هاجر" الحاقدة، ثم خرجت إلي الحديقة ساهمة تفكر، "هل قرارها صحيح؟، يا ليت لها أب يُرشدّها، أو أم تدعمها، أو إخوة تستشيرهم، فعائلتها المنسوبة إليها لن تفيدها إذا استشارتهم....، قطع شرودها صوت "غالية" تُنادي عليها وهي تقترب.

- نعم يا أبلّة "غالية".
  - ما بكِ يا "همسة" ساهمة طوال اليوم؟..، لقد ناديت عليكِ الآن ثلاث مرات حتي تنتبهين.
  - عذراً يا أبلّة "غالية"..، لقد كنت شاردة قليلاً.
  - لا عليكِ..، ولكن تخلصي من شرودك هذا، واذهب للحاج والحاجة في المكتب، لأنهم يريدونك.
- حاولت "همسة" إخفاء توترها، وهي في طريقها إلي الداخل بجانب "غالية".

- لماذا..؟، هل قالا لكِ لماذا يريدونني؟...
- ماذا دهاكِ يا "همسة"؟!، هل ارتكبتِ خطأ ما؟...، فأنا لن أجرؤ علي سؤالهما بالطبع، ادخلي إليهم لتعرفي السبب، ثم اذهب إلي حجرتك لتستريحني، وأنا سأنهي صحون الغداء، وأجهز العشاء قبل أن أعود إلي بيتي.
- شكرا لكِ يا أبلّة غالية، جزاكِ الله خيراً.



اتجهت "همسة" إلي المكتب وهي تفرك يديها، تكاد تسمع صوت دقات قلبها كأنها نواقيس تُدق، فهذأت نفسها قليلا محدثة إياها:

"لما كل هذه الجلبة والقلق، فما كتبه الله لك ستريه، وفي كل الأحوال أمره خير، أنتِ وكلتِه أمرِك وكفي به خير وكيل".  
أخذت نفسًا عميقًا، ثم طرقت الباب، ودخلت بعد أن سمعت صوت الحاج يأذن لها بالدخول.

- تعالِ يا "همسة"، مبارك لكِ، اتصلت الحاجة "عايدة"...، تريد أن تتمم الزواج في أقرب فرصة ممكنة، وستأتي غدًا كي تطلب يدك مني رسميًا.

توترت "همسة"، ونظرت إلي الأرض مع حمرة خجل أضفت عليها مسحة جمال إضافية.

- الصمت علامة الرضى كما يقال...، إذا علي بركة الله...، سأتصل بها الآن وأدعوها للمجيء، غدًا الساعة الثامنة مساءً، هل يناسبك هذا الموعد؟

- في ماذا تأخذ رأيها يا حاج؟!، هذه فرصة العمر بالنسبة إليها، هل كانت تحلم بمثلها من الأساس، لقد فتحت لها الحياة ذراعيها عن آخرهما...، فلتُقدّر هذه النعمة وتستغلها جيدًا، حتي لا تضيع منها.



- لا بد أن أستشيرها في كل صغيرة وكبيرة يا "سهام"،  
حتي إن وكَلتني، فأولًا وأخيرًا هذه حياتها، ولا بد أن تقرر  
بنفسها فيها.

عاد بنظره إلي "همسة"، التي توشحت بالصمت، يحاول أن  
يحثها علي التفاعل ويُطمئنها:

- إذا احتاجتِ فرصة تفكري يا ابنتي، فخذي وقتك لن  
يلومك أحد، أو يستعجلكِ....، فكل شيء حدث بسرعة  
أنا أعلم ذلك.

خرج صوت "همسة" خافت ممتن أخيرًا، وكأنه كان يتوارى وراء  
حجاب القلق والخوف:

- شكرًا لك يا حاج..، افعل ما هو صواب لي...، كما أن  
الميعاد الذي حددته لا مشكلة فيه أبدًا.

انحنت "سهام" لتجلب فنجان الشاي، واحتست منه رشفة،  
قبل أن تتدخل مرة أخرى لثهدأ النار المستعرة بداخلها:

- لا تنسي أن عمك معنا، كان السبب في هذه  
الفرصة..، وتذكرينا بالخير دائمًا.

- جزاكم الله خيرًا يا حاجة علي كل ما فعلتموه معي، لقد  
كنت محظوظة بالعمل عندكم دون غيركم، فأنتم أناس  
طيبون..، لقد كانت أفضل أيام حياتي بعد الحادث  
بالطبع..، تعلمت فيها الكثير منك ومن الحاج..، ومهما  
كانت الفترات التي تمر علي المرء حلوة أو صعبة مريرة،

يجب عليه ألا يتناساها، لأنها لا بد وأن تكون قد مرت عليه لأسباب عدة، إن لم يلحظ إفادتها له في وقتها، فسيستفيد منها فيما بعد، فالعبرة بالفائدة دائماً.

- كعادتك تتفلسفي...، أنصحك ألا تتفلسفي في بيت زوجك لكي لا يظنك مجنونة، أو مملّة، فيضجر منك.

قالتها "سهام" وهي تمط شفيتها بسخرية، ثم رمقتها بنظرة ازدراء تشملها من فوقها لأخمص قدميها، متشحة بالغل، مضيفة:

- هذا إن لم يضجر لأسباب أخرى، بالطبع.

- بالعكس يا "سهام"،، لقد قالت "همسة" حكمة لا بد أن نتعلمها جميعاً، فمن يُلقي بحقبة من حياته وراء ظهره، لن يتعلم من خطأه مطلقاً، وسيظل كما هو، يرتكب الحماقات نفسها في كل مرة.

أعاد نظره إلى "همسة" وهو يكمل مبتسماً:

- أحسنتِ يا "همسة" هذا عهدي بك، اذهبِ الآن ولا تحملي الهم...، غدًا "دنيا" ستخرج معك بعد الغداء، لكي تشتري لكِ ملابس تُقابلين بها الضيوف .

اعتدلت "سهام" في مجلسها حانقة وكادت أن تعترض، لولا حكمت عقلها في آخر لحظة، لا تود أن تزيد الخلافات بينها وبين زوجها، بسبب هذه الخادمة اللعينة، لقد تشاجرا بما يكفي منذ قليل، فأثرت الصمت المتدثر بالغل، وفي نفسها

تنوي تلقينها دروسًا لتنتقم بطريقتها الخاصة، فهذه المرة سهرت لتخطط للانتقام، وليس للفوز بـ "آدم"، مرددة في نفسها:

"ليعلم كلُّ مقامه ومركزه، سنري من الأذكى، ومن يضحك أولاً ليس بالضرورة هو من سيضحك أخيراً".

وفي المقابل، زينت وجه "همسة" ابتسامة شاكرة، قبل أن تختمها بقولها:

- لا أعرف كيف أشكرك يا حاج، لقد أحسنت إليّ كثيرًا، أحسن الله إليك.

\*\*\*\*\*

- أغلق عليّ مرةٍ أخرى يا أمي يبدو أن هناك أمر ما هام يشغله ويعطله.

- لماذا لم يأتِ حتي الآن؟..، فميعادنا في بيت الحاج "محسن" بعد ساعة، لقد اتفقت معه أمس، فلما يخلف وعده معي؟

- أهدأ يا أمي..، "آدم" لن يخذلكِ ولن يفضبكِ، لا تقلقي، يبدو أن هناك أمر طارئ فقط يشغله، ستجدينه يدخل علينا الآن....، اطمئنِ لن نتأخر علي ميعادنا، و.... ها قد وصل الحمد لله.



- أين كنت يا "آدم" كل هذا الوقت؟... حتي أنك لم ترد علي اتصالاتنا...، ألا يجب أن تطمئنًا عليك، هل نسيت ميعادنا الذي يجب ألا تتأخر عليه.
- لقد حدث أمر طارئ يا أمي، لن أستطيع الذهاب معكما، اذهبا أنتما، وأنا موافق كما قلت لكِ.

تحدثت هذه المرة "عايدة" بغضب، وقد فقدت السيطرة علي أعصابها:

- ماذا تقول؟!...، لمن سنطلب العروس لي أم لك؟، كيف نذهب بدون الخاطب؟
- لقد حدثت سفريّة طائرة يا أمي، الأمر ليس بيدي، وبالتأكيد هم سيقدرّون ذلك، أليست إحدى أقارب الحاج "محسن" والحاجة "سهام"، هم سيتقبلون الأمر لا تقلقي .

هدّأت "عايدة" من حدة نبرتها، وتحدثت بعقلانية وهدوء أكثر، تعلم أنها لا تغلبه إلا بذلك:

- هل هذه هي الأصول؟...، هل كنت سترضي بهذا الوضع إذا ما جاء أحدهم لطلب أختك ؟

تنهد "آدم" وزفر بقلة حيلة، فأمه وضعتَه في وضع حرج، ولن تتركه أو تتقبل عذره، ضاعت حُجته الأولي سُدي، ولكن المعركة لم تنتهِ بعد، سيربح نصفها علي الأقل...، كان يتمني ألا يري العروس أو يقابلها، لإفهامها أنها لا تعني له شيئًا،



وهي مجرد امرأة ستهتم بشئون الأطفال والبيت فقط....،  
ولكن حيله لم تنته بالتأكيد.

- دقيقتين وسأكون جاهز يا أمي، سأذهب للاطمئنان  
علي "هند" و"هيثم".

اطمأنت "عايدة" نسيبًا، فهي تعرف ابنها جيدًا، لا يستسلم  
أبدًا، رسمت بسمة قلقة علي وجهها، وهي تدعمه:

- بارك الله فيك يا ولدي، سننتظرك في الخارج.

خرجت الأم والأبنة، يجران قلقهما معهما، وبعد دقائق لحق  
بهما "آدم"، الذي قاد السيارة وهو يفكر في خطته، مرددًا  
في نفسه:

"هي من أَلقت بنفسها في طريقي، فكما تريد،  
سأنتقم من كل أفعال النساء اللاتي عرفتهن فيها إِدًّا".  
- ما رأيك يا "آدم" في أن نحدد ميعاد العرس أول خميس  
في الشهر القادم؟.

- ماذا؟...، سيكون هذا بعد شهر يا أمي!  
- نعم...، لقد كنت أنوي جعلها أسبوعين فقط، ولكني  
مددتها لكي لا تتزاحم التجهيزات، فهذا الشهر هو فترة  
تجهيز العروس فقط، فالبيت هنا مُجهّز، سنشتري لكما  
حجرة نوم جديدة فقط.

- ماذا؟...، لا لن أجلس هنا، لي فيلا سنعيش فيها.



- لماذا لا تؤنساني هنا يا بني، فالفيلا كبيرة ما الضرر في ذلك؟.

- لا يا أمي، إذا كان علي الصغيران سأجلبهما لك مرة في الأسبوع، وكلما أردت رؤيتهما، تستطيعين القدوم إلينا أيضاً والمكوث معنا كما تريدن، فأنا أحب الاستقلال كما تعلمين، هذا إذا تم الزواج من الأساس.

تهددت الأم بقلة حيلة، ستجاريه رغم أنها كانت تريدهم بجانبها لمساندة "همسة" في تقويمه وتربية الأبناء، فتمتت:

- فليكن يا بني افعل ما يحلو لك، ولكنني أريد التعجيل مثلما قلت لك، فلا تقل لي أنك ستُجهّز البيت وتقوم بترميمه وما شابه من هذه الحجج.  
- لن أفعل يا أمي، فليكن الميعاد الذي قمت بتحديدته.

كان رد "آدم" خالٍ من أي تعبير وجملته قصيرة مقتضبة، لم تسبر الأم أغواره هذه المرة، فدعت في سرها له بالهداية والتوفيق.

\*\*\*\*\*

فتحت "غالية" الباب لعائلة الحاجة "عايدة"، مرحبة بهم، وأوصلتهم إلي غرفة الصالون، فهي قد عرفت سبب زيارتهم



من "همسة" أمس، بعدما خرجت من حجرة مكتب الحاج "محسن"، وفرحت لها كثيرًا، متمنية لها حياة سعيدة.

- أهلاً ومرحبًا بكم، ازداد نور بيتنا بقدمكم، تفضلوا بالجلوس.

- البيت منير بكم يا "سهام"، أعزك الله.

- دام الله اجتماعنا في الخير دائمًا يا حاجة "عايدة"، أين أنت يا "آدم"؟..، لم أرك منذ زمن، لا تأتي إليّ لتزورني كما في الماضي .

- أعتذر يا حاج، فالشركة تأخذ كل وقتي لأعوض الشهرين اللذان أهملتها فيهما بعد حادث أخي..، والأجهزة الإلكترونية كما تعلم يا حاج تحتاج التنبه للسوق دائمًا ومواكبة كل ما هو جديد.

- ربنا يوفقك يا بني، يسعدني رؤيتك دائمًا، وإذا احتاجت أي شيء، أنت تعلم أنني في مقام والدك رحمه الله.  
- لا شك في ذلك يا حاج، جزاك الله خيرًا.

تحنح "آدم" بعد تقديم الضيافة، ثم أردف:

- أنا سأدخل في الموضوع مباشرة، أعذرني يا حاج، لقد طرأت لي سفيرة فجأة إلي "برلين" لمدة أسبوع ونصف، صفقة مهمة جدًا لشركتي، حتي أنني سأخرج من هنا علي المطار مباشرة.

نظرت له والدته شذرا تعاتبه، فيما اطمأنت "سهام" من هذه اللامبالاة وأسعدتها.

- لا عليك... وفقك الله فيها إن كانت خيرا لك، تفضل يا بني.
- أنا يشرفني أن أطلب يد الأنسة "همسة" قريبتكم، لقد سمعت من أمي قصائد مدح في أخلاقها.
- ألن تراها يا بني!، فالرؤية الشرعية واجبة لا يكفي الحديث عن المرأة التي ستكون زوجك فقط، لابد أن تراها وتتحدث معها وتشعر بالقبول اتجاهها!.
- يا حاج أنا.....

(دخلت همسة في هذا الوقت، لتقدم العصير، فاتجهت جميع الأنظار إليها، لقد كانت ترتدي فستان روز مطبوع علي ذيله أزهار، وحجاب أبيض بلا أية مساحيق تجميل علي وجهها، فقط حمرة خجلها تزين وجنتيها...، ووجهها يشع نورا ملائكيًا، فخطفت أنظارهم جميعًا، حتي "آدم" ظل يُحدّق بها لحظات، لقد شعر أنه رآها من قبل.....، فوجهها هذا لا يستطيع المرء نسيانه بسهولة، ولكن أين؟...)

\*\*\*\*\*



لن تذهب الدموع سُدى، ولن يجف عود الصبر بلا  
ثمرة...  
لن يكون الخير بلا مُقابل، ولن يمر الشر بلا رادع.



صبرًا جميلاً علي ما ناب من حدث  
والصبر ينفع أحياناً إذا صبروا  
الصبر أفضل شيء تستعين به  
علي الزمان إذا ما مسك الضررُ



## الفصل الثالث

لم يتذكر "آدم" أين رأى هذا الوجه، شرد في هذه الملامح، التي كانت بمثابة مغناطيس جذب أنظاره دون إرادة منه، إلي أن انتزعه من شروده وتحديقه صوت والدته:

- تبارك الله يا "همسة"، ما هذا الجمال!..، ضعي هذه هنا وتعالِ يا ابنتي لتجلسي بجانبني.

وضعت "همسة" المشروبات علي المنضدة، امثالاً لرغبة "عايدة"، وتوجهت إلي مكان "ندى"، التي انتقلت بدورها إلي الجانب الآخر من الأريكة، حتي تكون "همسة" بالقرب من المقعد الذي يجلس عليه "آدم".

تنحج الحاج "محسن"، قبل أن يسأل:

- ماذا كنت ستقول يا "آدم"؟
- "آدم" يريد أن يُعجّل بالزواج يا حاج، فما رأيك؟..، إن فيلته جاهزة، لن نحتاج إلا لحجز متطلبات العرس ليس أكثر؟
- ألن يجلسا سوياً ليتحدثا ويفهم بعضهما البعض يا حاجة؟!..، فهذا أول لقاء بينهما!.
- لا داعي يا حاج، خير البر عاجله، لا تقلق ستكون "همسة" مثل ابنتي "ندى" وأكثر، سأضعها في عياني

- أثق في أنك ستراعيها يا حاجة، ولكن....



وجه نظره إلي "آدم"، ثم عاد ليضيف:

- ولكن "همسة" ستعيش مع "آدم"، وليس عندك أو عندي، ففي النهاية هو من سيكون زوجها.
- لا تقلق يا حاج، لن أخذك بالتأكيد، اطمئن.

نطق بها "آدم" بعد صمت وهو مضطر، يشعر بثقل تحمله لهذا الوضع، لماذا تُصعّب أمه الأمور عليه هكذا؟.

- عذرًا يا حاجة، فالحاج "محسن" يريد أن يطمئن علي مستقبل "همسة"، فهو يعتبر نفسه مسؤول عنها، فبعد أن تترك العمل عن...

أسرعت "عايدة" لتقاطع "سهام" سريعًا، قبل أن تذكر عمل "همسة"، وهي تنظر إليها نظرة لوم، لقد أخبرتها بعدم معرفة "آدم" لوظيفة "همسة"، ونبّهت عليها جيدًا ألا تفتح هذا الموضوع.

- أعلم... أعلم يا "سهام"، الحاج جزاه الله خيرًا بالطبع، ولا أحد يلومه علي حرصه أبدًا.
- علي بركة الله، ولكن لا بد أن نأخذ رأي العروس أولًا، ما رأيك يا "همسة"؟

احمرت وجنتنا "همسة"، التي امتهنت الصمت منذ دخولها، علي إثر سؤال الحاج "محسن"، ونظرت إلي يدها التي كانت تفركها في الأخرى بتوتر، تتمني أن ينقذها أحدهم، فصوتها لن يخرج بالتأكيد، الكل ينظر إليها إلا "آدم"، الذي نظر في



ساعته متدمرًا، ولكن لم يلاحظه سوي "عايدة"، فربتت علي ظهر "همسة" مشجعة إياها، وضممتها قليلاً لتطمأنها، قبل أن ترد بالنيابة عنها:

- كما يقال "الصمت علامة الرضي" يا حاج "محسن"، ما رأيك أن نحدد ميعاد الفرح، أول خميس في الشهر القادم؟، فالفيلا الخاصة بـ "آدم" كل أثاثها حديث.  
كاد الحاج "محسن" يتحدث، فتدخلت "سهام" سريعًا:  
هذا غير كافٍ يا حاجة، فلنمد الفترة قليلاً، وأنا بنفسني سأشرف علي التجهيزات .

- لا ترهقي نفسك يا "سهام"، فهذا عُرس ابني وسأكون سعيدة بإتمامي للتجهيزات، فلا تبخلي عليّ بهذه الفرحة.  
- كما تريدين يا حاجة، ولكن دعينا نتشارك في التجهيزات، "همسة" غالية علينا مثلما هي غالية عندك.

قالها الحاج "محسن" وهو سعيد لكرم الحاجة "عايدة"، وقد سكن آخر قلق كان يساوره ناحية هذا الزواج، بينما "سهام" تشتعل غيظًا، فماله الذي يبعثه علي "همسة" هو من حقها هي وبناتها فقط، هي ليست من باقي عائلته لا من قريب ولا من بعيد، حتي إذا وضعتها في خانة المحتاج، فمساعدها لا تكون بهذا التبذير.



ضيق "آدم" ما بين حاجبيه، وفكر في نفسه...

"كيف توافق أي أسرة علي إتمام عرس إحدى بناتهن بهذه السرعة، حتي وإن كانت ليست بابنتهم؟!، ولماذا تحدث الحاجة "سهام" وكأنها تمُن علي "همسة" بتجهيزها؟!"

لم يهتدِ إلا إلى أن الحاجة تغار علي بناتها من "همسة"، فالأبناء أغلي حتي وإن كانت قريبتها، فهي بالفعل أحلي من بناتها، وجد نفسه يتأملها، دون أن يشعر، ولكن بعد لحظات أشاح بنظره معاتبًا نفسه، لن يتنازل عن ما نوي عليه مهما حدث، فقام من مجلسه معذرًا:

- عذرًا يا حاج "محسن"، طائرتي ستغادر بعد ساعة ونصف من الآن، أنا وأمي اتفقنا علي كل شيء وهي ستعرف جميع طلباتكم، وأنا علي أتم الاستعداد لتنفيذها، أعذرنى مرة أخرى، فهذا أمر طارئ.
- ليس بيدنا شيء يا بني، لولا معزتك وقدرك عندي، وتقديري للعائلة الكريمة، ما كنت أوافق علي هذه السرعة في المقابلة ولا العرس، ولكن لن نضيّع عليك صفقة جيدة لعملك وفقك الله، في حفظ الله وأمانه، سأصحبك إلي الباب، ولنا جلسة بعد أن تعود من سفرك سالمًا بإذن الله.
- تحت أمرك يا حاج.



خرجا الاثنان، ودلفت "غالية" لتقديم أصناف من الكعك والمخبوزات، فقامت "همسة" لمساعدتها في تقديم مشروبات النكهات بالصودا هربًا من توترها.

- أري أن "آدم" غير مقتنع تمام الاقتناع يا "عايدة".
- أنتِ تعرفين الظروف التي مر بها يا "سهام"، فهو أصبح حذر قليلًا عن الأول فقط.

ثم وضعت يدها فوق يد "همسة"، التي جلست تواءً، ونظرت إليها مبتسمة، وهي تضيف:

- فمن يري "همسة".. ويطلع علي أخلاقها ولا يقتنع بها؟!.
- كنت سأحدثك في هذا الأمر يا حاجة، لقد طاوعتك في عدم إبلاغ "آدم" بوظيفة "همسة"، لعلمي بتفكيره وأنه لن يعترض إذا ما عرف، ولكن يبدو لي غير مقتنع بالمسألة برؤمتها.

تفوه "محسن" بهذا الاستفسار الذي بات يقلقه، وهو يدلغ إلى الحجر، ليعود إلى مكانه في الجلسة.

- يا حاج "محسن"، خطوة الزواج عند "آدم" كانت مرفوضة منذ حادثة "حاتم" ليس أكثر، فهو يخشي ألا يكون مستعد لها، هذا كل ما في الأمر، ولكن كن علي يقين أنه لن يظلم "همسة"، فأخلاقه لن تسمح بهذا.



فكر "محسن" بتردد قليلا، تتعلق به كل عيون الجالسين،  
ينتظرون قراره النهائي، فأفرج عن كلماته أخيرا:  
- ياذن الله يا حاجة أنا أثق في أخلاق "آدم"...، إذًا دعونا  
نتفق علي التفاصيل.

سمعت "همسة" نقاشهم وشاركت في الحوار مرات معدودة  
كانت إجابات لتوجيه أسئلة إليها فقط، فداخلها كان مرتعب،  
خائف من مصير مجهول مع شخص لم تتحدث معه مطلقًا،  
فكل ما تعرفه عنه أحاديث علي لسان من حولها، يبدو أنه  
غير مرن وبه قدر من الشدة واللامبالاة.

طمأنت قلبها طوال الجلسة بأدعية، كان لدعاء الاستخارة،  
الذي كررته مرارًا نصيب الأسد منها، كي تستعين بالله وتتوكل  
عليه، ليدبر لها أمرها.

\*\*\*\*\*

- هل انتهيتِ من جمع أغراضك يا "همسة"؟...، لست  
مضطرة إلي الانتقال إلي بيت الحاجة "عايدة"، فأنا علي  
استعداد أن أدفع تكاليف تجهيزك كاملة إذا ما أردتِ  
المكوث معنا.

- شكرًا لك يا حاج، جزاك الله خيرًا علي كل شيء، فكما  
رأيت أمس، الحاجة "عايدة" أصرت عليّ .



- ربنا يصلح حالك وييسر لك أمرك...، اعلمي أن هذا بيتك في أي وقت، وأنا علي وعدي لك بأن أكون وكيلك في الفرح كما اتفقنا.
- سأظل أحمل جميلك هذا ما حييت يا حاج .

ثم نظرت بخجل وخذلان إلي الأرض، مترددة في الإفصاح عما بداخلها.

- ما بكِ يا "همسة"... هل هناك ما يقلقك؟

استمرت "همسة" في التحديق إلي الأرض، وتحدثت بصوت منخفض:

- هناك أمر واحد يا حاج، أخشي أن يكون عقبة في طريقي، ويعرقل كل شيء .
- ما هو ؟

- لقد نسينا أبي "متولي" وأمي "هنا" في غمرة الأحداث، هما الأوصياء علي من بعد والديّ، وحتى إن لم نعرهم بالآ، أخشي أن يعرقلوا الأمور، ويسئون التصرف مع الحاجة "عايدة"، فهم لن يفرطوا في مصدر مال لهم أبدًا بسهولة.

- لا تعيرهم بالآ يا "همسة"، أنا سأتكفل بهذا الأمر، والمبلغ الذي ستعطيه لهم الحاجة "عايدة" ليس

بالقليل، كنا نستطيع إيقافهما عند حدهما دون هذا المال، ولكن الحاجة آثرت إعطاءهم إياه، لكي تكون وقتّ جميلهما عليكِ فقط.



رسم ابتسامة يطمئننا بها، وهو يكمل:

- هما مجرد أوصياء عليك، ليسوا بأبيك وأمك، فلا تقلقي  
سيمر كل شيء كما اتفقنا بأمر الله، ودعي أمر هاذان  
المستغلان لي، إذا تخطوا حدودهم.

اعتلت شفتا "همسة" ابتسامة أشرفت ووجهها بإنزال هذه  
الحمولة عن كاهلها، وكأن يد مثلجة مسحت علي لهيب  
صدرها المتأجج.

- لا أعرف كيف أشكرك يا حاج، فالله كفيل برد... بل  
ومضاعفة كل هذا المعروف الذي قدمته وتقدمه لي .  
- لا عليك يا ابنتي، فما أنا إلا سبب، أوجدني الله لك،  
لأساعدك بمشيئته، وهذا ليس تكرماً مني، بل حباً من  
الله لك.  
- الحمد لله علي نعمه التي لا تُعد ولا تُحصى، فسبحان  
الملك، إن نعمة شكره يثينا عليها، لتصبح نعمة أخرى  
تستحق هي أيضاً الشكر...

وافقها "محسن" علي قولها بحمد الله وشكره، فبادرته:

- استأذنك يا حاج في الذهاب لتوديع الحاجة والأنسات.  
صعدت "همسة" الدرج، بعد أن أذن لها، وهي تردد الأدعية  
لينجيها الله من غضب "سهام" المحتوم.

وبالفعل تقبل الله دعاءها في النجاة من غضبها دون ازدرائها،  
فودعتها "سهام" بجفاء وعدم اعتناء متعمدة الإهانة، وهي

تجلس مع "هاجر" يعدّون لحفلة بمناسبة تولي "سهام" رئيس منصب الجمعية الخيرية التي كانت أحد أعضاءها.

ولم يختلف توديع "منال" عنهما، وهي مشغولة بمحادثة جماعية مع أصدقاءها علي "الإنترنت"، فختمت الوداع بـ "دنيا" التي تمنى لها السعادة من كل قلبها، وقد أخذت منها وعدًا باللجوء إليها في تجهيزات العرس.

\*\*\*\*\*

في الطريق اضطرب عقل "همسة" مما هي مُقبلة عليه، وبدأ يقيم الأمر من بدايته، وهي تسأل نفسها:

"كيف تطور الوضع بهذه السرعة؟، هل الحاجة "عايدة" تخشى أن يرجع ابنها في كلامه؟، لماذا هذه العجلة؟،....."

ظلت الأسئلة مستوطنة رأسها دون إجابة شافية، احتلت رأسها وكادت تصرعه للوصول لإجابات شافية ترضيها، فتدخل قلبها ليهدأ من روع عقلها الهائم، بحصيلة دعائها واستنجاها بالله.

لقد صلت الاستخارة، ولم تنتظر رؤية أي إشارة في المنام، كما قرأت من قبل، بل انتظرت الاطمئنان وتيسير الأمر فقط، وها هي الأمور تتطور سريعًا دون عوائق.



اختتم قلبها وحسم نتيجة الصراع بصورة "آدم"، التي بزغت أمامها لتحتل ساحة نظرها كاملة.

حاولت الابتسام، ثم نظرت إلي المظروف، الذي كانت لا تزال ممسكة به، لقد أعطاه إياه الحاج "محسن" بعدما نزلت من الدور العلوي، لم يُقصر معها، لقد أغدق عليها بحنئته وماله، فقطعت وعدًا علي نفسها أن لا تنساه من صالح دعائها.

- وصلنا يا "همسة".

قطع مسلسل أفكارها السائق "رمضان"، وقد توقف أمام بوابة الفيلا من الخارج، ثم أضاف:

- اسمعي نصيحتي يا ابنتي وضعيها حلقة في أذنك...، هذه حياة جديدة، اجعل بدايتها ركعتين لله، ليوفئك في خُطاك، واتق الله في من سيكون زوجك، حثيه علي العبادة وصلة الرحم.

شرد بنظره بعيدًا عن عينيها، التي كان ينظر إليها في المرأة، وكأنه يتذكر الماضي، يستخلص لها منه خبرته من الأزمات التي مر بها، ثم أكمل:

- ابتعدي عنه وقت غضبه، ثم عاتبيه بعد ذلك، ولكن دون أن تقوليها صراحة، فأغلب الرجال لا يحبون لوم زوجاتهم، سيقدر لك ذلك ويعترف بخطائه فيما بعد، أو علي أقل التقدير سيعترف به بينه وبين نفسه، ولا تأخذك الدنيا عن حمد الله وشكره.



عاد بنظره إليها من خلال المرأة، وعلى ثغره ابتسامة أب حانية، وهو يضيف:

- ربي يسعدك أنتِ تستحقين كل الخير يا "همسة".
- شكرا لك يا عم "رمضان"، فهذه أفضل نصيحة قيلت لي، حتي الآن لهذه الحياة، التي أنا بصدد الدخول فيها، بارك الله لك.

ترجلت من السيارة وهي خجلة متوترة، ظلت تتأمل ما حولها هل هي في حلم؟، استقبلتها خادمة غير "رضا"، تبدو أكبر سنًا، ولكنها تبدو ودودة أيضًا، فأدخلتها وهي ترحب بها:

- مرحبا بك آنسة "همسة" في بيتك الجديد، أنا "هالة" أقدم العاملات في هذا البيت..، أعمل به منذ 32 عامًا، لم يكن السيد "آدم" قد وُلِدَ وقتئذٍ..، ولد بعدها بسنة، وتربي علي يدي .

ثم غمزت لها وهي تبتسم، وأضافت:

- لذلك أنا أعرف كل خباياه وصفاته..، تفضلي معي إلي حجرتك..، دعيني أحمل عنك حقيبتك .

ابتسمت "همسة" بمرح وانحنت علي "هالة" تداعبها:

- شكرا جزيلا لكِ خالة هالة، أنا سعيدة بوجودك، بالتأكيد سأحتاجك في كشف شخصية السيد الغامض..، فأنا لم أرَ منه سوي شخصيته العملية فقط حتي الآن،



فلتمدينني بغيرها أرجوكِ.....، بالنسبة لحقيبتني لا عليكِ... سأظل أحملها هي ليست ثقيلة.

أشارت "هالة" إليها بالسير لتصحبها إلى غرفتها، وهي ترد ممتنة لأسلوب "همسة" المهذب والمرح:

- حسنا يا آنسة كما تريدين...، لا تقلقي من شخصه، لقد بنى سور حوله يحجب ابتسامته وشخصيته المرححة وحتى طبيته منذ وفاة أخيه فقط، فهو لم يكن هكذا مطلقاً، هذه ليست شخصيته وطباعه الحقيقية.

تباطأت في خطواتها وهي تنظر أمامها، كأنها تتذكر الأيام الخوالي، ثم أردفت:

- لقد كان فرحة البيت دوماً، عندما يدخل لابد أن يرسم البسمة علي وجوه الجميع...، بالوقت والمعاشرة سينهدم هذا السور بإذن الله...، حسناً ها هي غرفتكِ، استريحى الآن ريثما أبلغ الحاجة "عايدة" بوصولك .

خرجت وأغلقت الباب خلفها، تاركة "همسة" في غيابات اليقظة، تحاول استيعاب ما حولها.

لقد وجدت الحجرة رائعة، أجمل من مثيلاتها في بيت الحاج "محسن"، لون جدرانها درجة من درجات الورد مع اللون السماوي، مطبوع فوق فراشها ثلاث فراشات بأحجام متفاوتة، متجهين إلي فروع شجرة لها جزع فقط دون الأوراق، و خزانة ملابس لن تملأ ربعها هذه الحقيبة الصغيرة التي



جلبتها معها، يقابل الفراش أريكة باللون "الكشميري"، تجاورها وحدة أدراج بمرآة، وشرفة تطل علي الحديقة، ينبعث منها نسيم الزهور المزروعة بها، بالإضافة إلي حمام صغير مرفق بها.

قطع تأملها دقائق علي الباب، فأذنت بالدخول .

- مرحبا بك في بيتك يا "همسة"، فرحت كثيرا لموافقتك علي الانتقال معنا للتجهيز لعُرسك، أنا متشوقة جدًا للبدء.

قالتها "ندى" فور دخولها بابتسامة واسعة وعين متحمسة، تصفّق بباطن يديها فرحة كالأطفال.

- كيف لي أن أرفض طلب الحاجة "عايدة"، لقد أسعدني كثيرا، وأنا أيضا فرحة لوجودي وسطكم، وممتنة لعرضك مساعدتي.

صمتت برهة، وفي عينيها نظرة خجلة، قبل أن تضيف:

- أتمني ألا أحمل عليكم وأرهقك.

اقتربت منها "ندى"، وضممتها إليها بحنان، ثم أبعدتها قليلا ومازالت يد تلتف حولها واليد الأخرى تُشير بإصبعها السبابة بتحذير:

- لا تتفوهي بمثل هذه الترهّات، بالعكس أنتِ ستُسعدينني، من الآن فصاعداً، إجباري عليكِ أن



تعتبريني أختك، لن أقبل بغير ذلك، أنا حقًا أخت  
مشاغبة قليلًا، ولكني مرحة وجميلة وطيبة ولطيفة  
وودودة .

تحنحت "همسة"، وهي تصنع الجدية:

- أجمل صفة أعجبتني فيك هي التواضع.
- هذه صفة أخرى نسيت ذكرها.

ضحكا سويًا، ثم استأذنت "ندى" منها لتتركها ترتب ثيابها،  
سارت إلي الباب، ولكنها استدارت فجأة:

- كدت أنسي...، أمي تنتظرك في غرفتها، وهي الغرفة  
التي في نهاية الرواق، أسرع يا فتاة دعينا لا نتأخر  
علي حماتك المستقبلية.

ثم مدت جزعها إلي الأمام، نظرت يمينًا ويسارًا، ووضعت يدها  
بجانب فمها كأنها تفشي سرًا مُخفضة صوتها، وهي تضيف:

- يُقال أنها امرأة طيبة، ولكن ذكية ودقيقة بمواعيدها،  
أحيانًا تشعرين أنك تجالسين سيدة أعمال، وأحيانًا  
أخري امرأة مثقفة تهتم بالعلم، وأوقات أخرى ربة منزل  
لا تتحدث إلا عن الأسرة، فهذا يتوقف علي المجلس  
والأشخاص التي تجالسهم.

ضحكت "همسة"، وقامت بنفس حركة "ندى" تُقلدها:



- لا أخفيك سرًا، أنا رأيت هؤلاء الثلاث شخصيات في أول جلسة لي معها هنا بالبيت، لقد تحدثنا تقريبًا في كل هذا.

خرجت "ندى" من الغرفة، وهي سعيدة بالفعل لوجود "همسة" معهم، فهي كثيرًا ما كانت تتمني وجود أخت لها تؤنسها، بالرغم من أن والدتها لم تُقصر معها، ودائمًا ما كانت تحاول سد فراغ الأخت، ولكن للأخت الحقيقية القريبة من سنها إحساس آخر وقد شعرته مع "همسة".

زال جزء كبير من توتر "همسة"، بعد حديثها مع "ندى"، فذهبت إلي الحمام كي تغسل وجهها وتتوضأ، لتستعيد نشاطها وتركيزها، قررت صلاة الركعتين التي نصحتها بهما السائق، بعد مقابلة الحاجة "عايدة"، ثم خرجت قاصدة غرفتها.

طرقت الباب، فسمعت الإذن بالدخول، دلفت إلى الحجرة وهي تلقي التحية:

- السلام عليكم يا حاجة.  
- عليكم السلام ورحمة الله وبركاته، تعالِ اجلسي هنا يا "همسة".

بعد جلوسها بين يديها، أضافت:

- بداية، أنا أعرف أن الوقت ضيق، وأنتِ ككل عروس تتمنى بأن تفعل في عرسها كل ما كانت تحلم به..،



ولكنني أعدك أن أحاول بقدر استطاعتي إخراج هذه الليلة، أجمل مما تتمني، ولن تندمي أبدًا، القرار مازال يعود إليك، حتي إذا كنتِ تريدين تأخير الزواج قليلًا.

امتلأت عينا "همسة" بالدموع، التي حاولت جاهدة ألا تنزل، فأوقفت أجفانها حُرَّاس عليها، وركزت في الرد المناسب على كرم هذه السيدة وابنتها، فهذا عوض الله لها بالطبع، فتذكرت وفير دعاءها الذي ظننت لفترة أنه لن يتحقق في الدنيا، وأنه تُرك لها ذخراً في الآخرة، تذكرت وساوس الشيطان بأن عدم تحقيق دعواتها رُغم كثرتها بسبب هوانها علي الله .

- أين ذهبت يا "همسة"؟
- لقد تذكرت مقولة قرأتها، صلّحت لي مفهوم خاطئ عن استجابة الدعاء، تقول: "لا تقارن حالك بحال غيرك ممن استجاب الله دعاءهم، فتجعل ذلك دليلاً علي كرامتهم وهوانك علي الله، لأن هذه المقارنة وما ينتج عنها من أعظم مداخل الشيطان علي قلبك، لكي يوقعك في القنوط واليأس من رحمة الله، وعدم التلذذ بمناجاة الله، وترك الدعاء والإحباط والانطواء"<sup>2</sup>.
- بارك الله فيك يا "همسة"، فمن صفات الإنسان أنه خلق عجولاً، يستعجل الأمور التي يدعو بها، يريد حدوثها بالشكل الذي يُرضيه، سواء كان فيها شر أو خير له، وإذا لم تحدث..، أحيانا يسخط ويتذمّر ويظن أنه ما رأي توفيق الله قط، ولا نعمه في حياته، وكأنه أتعس من

<sup>2</sup>- مقولة لدكتور سلطان العرابي، أحد الدعاة بالمملكة العربية السعودية

علي الأرض... أحسنتِ الاستشهاد...، والآن ما هو قراركِ يا ابنتي بشأن حفل العُرس؟.

- أنا أثق في أنك ستفعلين لي ما تودين أن تفعله لـ"ندى" وأكثر يا حاجة، كما أنني واثقة في اختياركِ للميعاد، أعلم أنكِ تفعلين الصالح للجميع.

ابتسمت "عايدة" واطمأنت لاختيارها، فاعتدلت في جلستها قائلة بسعادة:

- حسنًا يا بنيتي...، الآن استدعي "ندى" كي نضع خُطة لتجهيزات حفل الزفاف، وما يلزمك كعروس...، قبل أن أنسي، أظنكِ استمعتِ إلي حديثنا أمس، بشأن معرفة "آدم" بهويتك، فهو يعلم أن والديك متوفيان، وليس لكِ أهل في الجوار.

أطلت من عيني "همسة" نظرة حزن وهوان وتساؤل، كادت أن تتكلم، لولا أن استبقتها "عايدة":

- أود أن أشرح لكِ قبل أن تعترضني يا "همسة"، أنني خبأت عنه طريقة تعرفني عليكِ ليس لعيب فيك، أو في وظيفتك مطلقًا...، بل لأنه كان سيتحجج بهذا السبب فقط للهروب من الزواج...، هو ليس بمتكبر أو نرجسي، ولكنه كان يرفض الزواج بسبب ما حدث من زوجة أخيه وخطيبته السابقة.

تنهدت "عايدة" وهي تطأطأ برأسها، ثم أضافت:

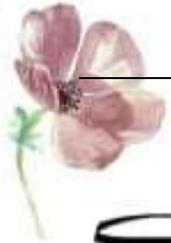


- لقد تلقي الصدمتين وراء بعضهما، الاثنان أخطأوا في تصرفاتهما، وللأسف أخطأتهما كانت خُلقية، فتركنا بصمة في قلبه أظلمته قليلاً...، أود أن تعلمي هاتان القستان منه هو، ولكن إياك أن تفتحي أنتِ معه هذا الموضوع، عندما يحين الوقت، هو سيخبرك بنفسه.

ظلت "همسة" صامته لفترة، تحاول أن تبتلع أول صدمة، متسائلة في نفسها: "هل هذا بداية الطريق الموحش الذي رأيته في الحلم، أم أنه لم يبدأ بعد، وفي انتظارها المزيد من الصدمات؟، رفعت عينيها التي سكنتها الحيرة إلي "عايدة" تهمس:

- إذا كنتِ ترين أن هذا هو الأفضل فلن أجادلكِ، مع العلم أنني متخوفة ومتحفظة، كنت أتمني بداية حياتنا بدون كذب أو خداع، لقد توجست ولاح في رأسي أنه بداية طريق مظلم يحفه الصدمات.

- لا تقولي هذا يا "همسة"، هناك أثر عن الصحابة يقول: "إن القدر موكَّل بالمنطق"، لقد قالت أمنا "عائشة" - رضي الله عنها- {إن البلاء موكَّل بالكلام} 3، واستشهد العلماء علي هذا القول بالحديث الشريف، {عندما دخل النبي، علي رجل يعود، فقال: " لا بأس طهور إن شاء



الله، فقال: بل حُمي تفور علي شيخ كبير، كَيْمًا تُزِيرُهُ 4  
القبور، قال النبي: فَتَعَمُّ إِذَا" { 5 .

أعادت ابتسامتها إلى فمها مرة أخرى، وأردفت:

- صحيح أنه ليس بقاعدة عامة، ولكنه فيه إشارة إلي  
تحذير الإنسان من النطق بالسوء، أو أن يستفتح علي  
نفسه بشر، أو يتشاءم بأمر وينطقه، حتي لا يُبتلي به،  
وأن يحسن انتقاء ألفاظه.

- سنظل نتعلم طوال حياتنا، جزاك الله خيرًا علي هذه  
المعلومة الجميلة يا حاجة، بما أنكِ تثقين في أنه لن  
يعترض علي مهنتي أو أصلي إذا علم، فأنتِ أدري به،  
أتمني أن يتفهّم الموقف فيما بعد.

- أحسنتِ يا ابنتي، يسعدني ثقتك فيّ وفي قراراتي،  
ولكن إياك أن تفعلي ما هو ضد رغبتك ناقشيني  
واعترضني علي ما لا ترضينه.

\*\*\*\*\*

مرت فترة التجهيزات سريعًا، لم تتوقع "همسة" كل هذا الكرم  
من الحاجة عايدة وابنتها، وكانهم يجهزون ابنة وأخت، وليست  
مجرد خادمة، في كل ليلة كانت تسجد لله شكرًا علي هذه  
النعم، رجل وأسرة لم تكن تحلم أن تنتمي إليهم.

4- تُزِيرُهُ : أي حمله علي زيارة القبور، أو تكون سبب في إدخاله القبر .  
5- رواه البخاري، عن ابن عباس -رضي الله عنهما- .



لم تقابل التوأمان، علمت أنهما سافرا ثاني يوم لها بالفيلا إلي والد الحاجة "عايدة" في محافظة "المنصورة"، ليقتضيا معه يومين بعد انتهاء امتحانات آخر العام كما تعودا، وسيمكثان معه حتي موعد العُرس.

كما وُقّت الحاجة "عايدة" بما وعدت، وأبلغت "همسة" قبل العُرس بثلاثة أيام، انتهائها من "متولي" و"هناء"، لا علاقة لها بهما بعد الآن.

وفي نفس اليوم، قدّمَا أختا الحاجة "عايدة"، "ابتهال" وهي الأكبر سنًا، تري أنها علي حق دوما، و"نوال" وهي الأخت الوسطي، تتبع أختها الكبرى كظلها في كل شيء، ومعهما "وفاء" ابنة خالتهما، أرسنقراطية متكبرة، فيما أرجنوا مجيء أبناءهن وباقي العائلة إلي يوم العُرس، تعرّفوا علي "همسة"، التي حاولت عدم الجلوس معهن كثيرًا، عملاً بنصيحة الحاجة "عايدة"، متحججة بالانشغال بأعمال العُرس .

وفي اليوم التالي، استيقظت "همسة"، فنزلت كي تأخذ قهوتها كما اعتادت، قبل أن تذهب مع "ندى" إلي مركز التجميل، دخلت المطبخ بمرحها المعتاد والابتسامة تزين وجهها، فتفاجأت بتكوم "رضا" علي مقعدها، منكمشة علي نفسها تبكي.

- ماذا حدث يا "رضا"، ما يبكيك؟



رفعت الخادمة وجهها عن الطاولة، حيث كانت تستند  
بمرفقيها:

- ليس بالأمر المهم آنسة "همسة"، لا عليكِ لا تشغلي  
بالكِ بي.

جلست "همسة" علي مقعد مجاور، وربت علي ظهرها  
بحنان، وهي تتحدث بابتسامة مهتمة مرحة:

- لن أترككِ حتي تُفضين إليّ بما أهْمُكِ وجعلكِ تبكين؟

ابتسمت "رضا" وسط دموعها، التي حفرت مجري نهرين علي  
وجنتيها، وتحدثت ممتنة:

- ربي يسعدكِ يا آنسة، سأقص عليكِ ما حدث، لعل  
كلامكِ المعسول يخفف عني، لقد كنت انتظر أبله  
"هالة" لكي ترشدني كيف أقدم اعتذار للحاجة "عايدة"  
عن عملي معها، فهي خرجت لشراء بعض المتطلبات.

ثم اعتدلت في جلستها قبل أن تستهل حديثها:

- لقد خرجت لتقديم العصير إلي أقارب الحاجة "عايدة"  
بعد الفطور في الحديقة، كانوا يتحدثون بصوت منخفض،  
ولكني لم أنتبه لهذا أقسم لكِ، وأثناء سيري إليهم رن  
هاتفني، فتوقفت وأسندت العصير علي طرف سور  
الدرج، وأخرجته سريعًا، كنت أنتظر اتصال من ابنتي  
لتبلغني بنتيجة امتحانات آخر العام، فهي في الصف



الثاني الثانوي، ولكنها لم تكن هي، بل كانت أختي  
"شيماء" تطمئن علي النتيجة.

ابتلعت ريقها الوهمي، ثم أردفت وبؤبؤ عينيها يسبح في أنهار  
دموعها:

- فأغلت عليها حتي أقدم العصير أولًا، ثم أعود إلي  
المطبخ فأتصل بها، ولكن في هذا الوقت وقع نظر  
الحاجة "ابتهاال" عليّ، فظنّت أنني كنت أتنصت عليهم،  
حاولت أن أثبت لها صدق كلامي، بأن أريها الاتصال علي  
الهاتف، ولكنها لم تصدقني، وعندما رددت قذفي  
ودافعت عن نفسي بكل أدب...

توقفت عن الحديث وقد فتحت سدا عينيها لتملأ المجريين  
للذان لم يجفا بعد مرة أخرى، فأبت أجفان "همسة" الانغلاق  
علي دموعها كما اعتادت، وعصت أوامر عقلها وفاضت هي  
الأخرى، فأكملت "رضا":

- وجّهت إليّ صفة علي وجهي، وهي تنعتني بالكاذبة،  
وتعيرني بوظيفتي، ثم أكدت عليّ لملمة أغراضي  
وطردي من العمل في الحال.

ضيقت "همسة" ما بين عينيها، متألّمة لتجبر هذه السيدة،  
فأمسكت بكفها الموضوع على الطاولة تدعمها، من ثمّ  
اختتمت "رضا" حديثها:



- لم تكن الوحيدة التي قذفتني بالسُّباب، بل أمَّنت علي  
كلامها أختها الحاجة "نوال"، والحاجة "وفاء" أيضاً،  
بالرغم من أنهما لم يرون أي شيء، بل سمعا منها  
فقط..، أنا لا أبكي الطرد يا آنسة، أنا إنسانة لها كرامة،  
فكوني خادمة لا يُلغي كرامتي أبداً.

- إن الغني وإن تكلم بالخطأ ..

قالوا أصبت فصدقوا ما قالَ

وإذا الفقير أصاب قالوا كلهم ..

أخطأت يا هذا وقلت ضلالَ

إن الدراهم في المجالس كلها ..

تكسو الرجال مهابة وجلالَ

فهي اللسان لمن أراد فصاحة ..

وهي السلاح لمن أراد قتالاً

- لم أفهم، ما معني هذا يا آنسة؟

- هذه أبيات شعر تصف حالك، هوني عليك، فالحاجة

"عايدة" لن يرضيها هذا، وسترد لكِ حَقكِ، مهما كانت

النتائج، اذهبِ إليها وقصِ عليها ما حدث.

- لا أريد أن أكون سبباً في المشاكل يا آنسة، فالحاجة

"عايدة"، لم أرَ منها إلا كل خير.

- هذا حَقكِ يا "رضا"، لا تتنازلِ عنه، إذا أحببتِ أن أذهب

معك سأتي.

فكرت "رضا" قليلاً، تحاول امتصاص جزء من شجاعة

"همسة"، قبل أن ترد بأريحية:



- معك حق، إذا كنت غادرت العمل، دون إظهار الحق، كنت سأظل طوال حياتي مكسورة، جزاك الله خيرًا، ربي يسعدك ويتمم لك زواجك علي خير.
- أريد أن أري بدلًا من هذه الدموع ابتسامتك الجميلة..، سأقص عليك قصة ممتعة، ستجعلك تضحكين لا أن تبتسمي فقط.

اعتدلت وربعت قدميها علي المقعد، ووجها الرقيق لا تفارقه الابتسامة، قبل أن تبدأ:

- "كان هناك غني يعيش في أحد القرى، يملك كلبًا يقدم له كل ما لذ وطاب من لحوم وغيره، يهتم به اهتمام شديد، فاغتاظ فقراء القرية لهذه المعاملة واقترح أحدهم قتل الكلب..، وبالفعل قتلوه..، حزن الغني حزنًا شديدًا، فأقام له مأتم وقدم فيه كل المرفّهات من الأطعمة والمشروبات، اغتاظ أهل القرية أكثر، فذهبوا إلي "العمدة" يشتكون إليه ما حدث..، فطلب حضور الغني، وعندما جاء قال له معاتبًا:
- لقد فعلت كذا وكذا..، وأقمت مأتم للكلب، ألا تعلم أن في هذا مخالفة، ينقصك أن تقول عليه الله يرحمه وما شابه.

فرد الغني بخبت:

كل ما في الأمر أن الكلب قد ترك ألف جنيه، وأخبر في وصيته أن تُعطي 500 للـ"العمدة" والـ 500 الأخرى يقام بها مأتم له.

فقال له العمدة بلهفة:

قلت ماذا قال لك المرحوم؟!.

ضحكت "رضا" حتي دمعت عينيها، وقبل أن تشكر "همسة"،  
رن هاتفها باسم ابنتها "صفاء"، ردت عليها بلهفة، وقلبها يكاد  
يقفز خارج صدرها من فرط سرعته وقلقه:

- عليكِ السلام، طمأنِ قلبي يا "صفاء" سريعًا، ماذا  
فعلتِ؟

- ماذا، الحمد والشكر لك يا الله، 98% هل تأكدتِ؟

تجدد نهرا وجنتيها هذه المرة فرحًا، وهي تبارك لابنتها:

- الحمد لله يا ابنتي مبارك، ربي يوفقك دائمًا وتدخلي  
الفرحة علي قلبي.

.....

- سوف أستأذن الحاجة لا تقلقِ.

.....

- سنقضي هذا اليوم كيفما تشائين كلنا، قرري من الآن  
حتي استأذن وأمر عليكِ.

أغلقت "رضا" الهاتف واحتضنت "همسة" ودارت بها، تشكرها  
وتؤكد أن وجهها بؤشرة خير لها.

- ما سر هذه السعادة الحُلوة أشركوني معكنّ.

قالتها الحاجة "عايدة" مبتسمة، وهي تدخل عليهن.



تناست "رضا" ما حدث معها وبشّرت الحاجة بنجاح ابنتها، واستأذنتها في الخروج مبكرًا للاحتفال معها وسط باقي أبناءها، وعلي إثر استئذانها تذكرت ما حدث فتجهم وجهها قليلًا.

- بالطبع اخرج يا "رضا"، ولكن اجعليها هي التي تمر عليكِ هنا، لكي نبارك لها نجاحها.

استأذنت "همسة" متحججة بالذهاب لرؤية "ندى"، لإخلاء المكان لـ "رضا" كي تستطيع إخبار الحاجة "عايدة" بما حدث دون حرج.

استعجلت "ندى"، التي كانت لا تزال نائمة، وبعد انتهاءها نزلا الدرج يبحثان عن الحاجة "عايدة" لاستئذانها قبل الخروج، فسمعا أصوات تصدح في غرفة المكتب، هرعا إليها، ودقا الباب ولكن يبدو أن من بالداخل مشغول بالشجار ولا ينتبه أحد للباب، فدلفا إلي الداخل، وجدا "ابتهاج" تقف أمام مقعدها وقد احمر وجهها غضبًا، و الحاجة "نوال" تجلس وجذعها ممدود إلي الأمام يبدو عليها الانفعال، أما الحاجة "وفاء"، أقلهم انفعالًا تجلس علي أحد المقاعد واضعة قدم فوق الأخرى، فيما تقف الحاجة "عايدة" بجانب "رضا"، التي تنظر إلى الأرض بالقرب من الباب .

- أتصدقين خادمة وتكذبينني أنا، هذه هي عين الحكمة يا أختنا الحكيمة.



- قلت لكِ مائة مرة، لم أكذبكِ ولا أستطيع يا "ابتهاال"،  
أنتِ اختلطتِ عليكِ الأمر فقط، فأنا رأيتِ مكالمة جارتها  
بالفعل علي الهاتف، المكالمة التي أرادت أن تريكِ إياها  
وأنتِ رفضتِ حتي الاستماع إليها.
- هذه التي تدافعين عنها، لم تُطع أوامري بعد أن أخطأت،  
بل هرعْتِ إليكِ كي توقع الضغينة و تبتث الشقاق بيننا،  
فإذا كانت ذات نية صادقة مثلما كنتِ تقولين كانت نفّذت  
ما قلته لها..، لقد تماديتِ كثيرا يا "عايدة".
- "رضا" لم تذهب لإبلاغ الحاجة "عايدة" إلا بعد أن  
شجعتها علي ذلك، كانت ستجمع أشياءها وستغادر  
بالفعل، ولكنني أصررت عليها لتروي لي سبب بكاءها،  
وعندما سمعت منها، أشارت عليها بأن تقص ما حدث  
علي الحاجة، أعتذر لتدخلني ولكن لا بد من قول ما  
حدث، إحقاقا للحق، وحتى لا تُظلم.
- سكن الجميع تماثيلاً، كأن علي رؤوسهن الطير، "همسة"  
وحدها التي أدارت عينها علي وجوههن، تترقب في ثبات  
خارجي، وتذبذب وخوف داخلي، لقد دافعت عن "رضا"،  
فمادام في يدها ردع الظلم عن أحدهم لن تخشي قول  
الحق، ولن تندم مهما كانت ردة الفعل والنتيجة، فهذا حال  
المؤمن القوي.
- ما الذي سمعته؟!، هل أنتِ من حرصتها؟



كادت أن ترد "همسة" علي "وفاء"، التي خرجت عن صمتها أخيراً، فاستوقفتها "عايدة"، لتنهي هذه المشاحنة، التي حتماً لا فائدة منها، سوي تأجج نار الغضب بازدياد الجدل:

- "همسة"، وجهت "رضا" للصواب يا "وفاء"، ولن نتناقش في هذا الأمر أكثر من ذلك، كفي جدلاً عقيماً، إذا كنت تريدين الاطلاع علي هاتف "رضا" للتأكد مما تقول ستعطيه لكِ بنفس راضية، وبما أنها لم ترتكب خطأ فادح يستوجب البت في عملها، فهي باقية مُرحب بها في منزلي، أن ممتنة لوجودها معي ولن أفرط فيها.

استدارت "عايدة" إلي "رضا"، وربتت علي كتفها وهي تقول بابتسامة:

- تستطيعين الذهاب لعملكِ يا "رضا"، وأنا في انتظار "صفاء"، عندما تأتي أحضرها إلي.

ثم نظرت إلي "ندى" و"همسة"، مخاطبة ابنتها:

- وأنتِ يا "ندى" خذي "همسة"، كي لا تتأخروا علي ميعادكم.

ثم التفتت إلي "همسة"، تدعمها:

- أحسنتِ الفعل بُنيتي، في حفظ الله.

غادر الجميع وبقيت "عايدة" مع أقاربها، فمهمتها شبه مستحيلة، ستحاول أن تمتص غضبهم .



وعندما عادت "ندی" و"همسة" من الخارج، علما بمغادرة الثلاثي أقارب الحاجة إلي شقة تابعة للعائلة، لعدم تقبلهن لاستمرار الخادمة في العمل، حتي وإن كانت علي حق، يرون أن مادامت "ابتهال" طردتها، فكان من الواجب رضوخ "عايدة" لذلك، ولا تنصف خادمة علي أختها، كما اعترضن علي تصرف "همسة" المشين علي حد وصفهن، فاتخذوها عدو لا صديق حتي إشعار آخر.

\*\*\*\*\*

مر اليومين سريعًا، وجاء يوم العُرس، فاخترت "همسة" عُرس منفصل، السيدات في قاعة والرجال في أخرى، وعند وصولها إلي القاعة لم تسلّم من نساءها، انبهرن بجمالها الرقيق، بدءًا من لفة حجابها التي أظهرت دوران وجهها المزيّن بمساحيق قليلة تكاد تُلاحظ، ترتدي فستان مُرصّع بالخرز الأبيض المائل إلي الصفرة<sup>6</sup> حتي الخصر ينتهي بـ "فيونكة" من نفس لون الخرز، ثم ينحدر باتساع إلي الأسفل مزين بـ "الدنتيل" الرقيق.

أثني عليها البعض، والبعض الآخر غبطها وحسدها، ولكنها نفسها كانت في وادٍ آخر شاردة، التوتر والخوف والقلق لم يرحوا قلبها وعقلها.

<sup>6</sup> - المعروف باسم الأوف وايت "off white"

فأثناء مدة مكوثها ببيت الحاجة "عايدة"، لم ترَ "آدم"، بعد أن عاد من سفره، وكأنها لم تعني له شيئاً، كأن زواجه منها مجرد تحصيل حاصل بالنسبة له، ذهب إلي فيلته مع الطفلين بعد عودتهما مع أقارب "عايدة"، ولم تره إلا عندما جاء ليأخذها من الفيلا إلي القاعة، فعندئذ رأت في وجهه اللامبالاة، لم يحدثها أو ينظر إليها، كأى عروس<sup>7</sup> مشتاق لعروسه، رأت في وجهه مسلسل حياتها معه بعد الزواج، ولكنها استعانت بالله، لن تستسلم، هي الآن تعلم أنه مصدوم في النساء جميعاً، وهي التي ستعالجه، وستريح قلبه في النهاية.

انتشلها من شرودها، الذي جعل وجهها متجهم، "ندى" و"دنيا" اللاتان انقضتا عليها يجذبانها لتقوم بمشاركتها في أحد الفقرات، فاندمجت معهما معاتبة نفسها "فليذهب القلق والتوتر إلي مسببهما هذا المتغطرس"، ستمرح معهن وليحدث ما يحدث بعد انتهاء العرس.

انقطعت أنفاسهن وصوتهن يعلو بالضحكات، توقفن أخيراً ليستردن أنفاسهن، فدخلت إحدى المنظمات تستأذن الجمع للجلوس لدخول الوكيل والعروس لإتمام الزواج.

انقبض قلب "همسة" واعتصرت قبضتها، بدلا من الجز علي أسنانها، ها هو يدخل مع الحاج "محسن" لم تلن ملامحه، جلسوا جميعاً علي طاولة وضعت في منتصف القاعة، وبدأت الأذون تتوالي علي سمعها كأنهم يكتبون كتاب أخرى، وعندما

<sup>7</sup> - العروس : لفظة تطلق علي الرجل و الأنثى سواء، وليست مختصة بالأنثى فقط.

جاء وقت توقيعهها، أمسكت بالقلم وظلت هُنيهة تتذكر اسمها،  
حتي ظنوا أنها مترددة في التوقيع لا أحد يعلم بما يعتمل  
داخلها.

فإن كانت وحيدة من قبل، ب وفاة والديها، فهي الآن وحيدة  
ومقهورة، كورقة شجر في أوج موسم الخريف تسقطها نسمة  
هواء دون شفقة أو رحمة من فرعها، لتفقدتها آخر مصدر  
لقوتها، شعرت بريقها يقف في مجرى تنفسها، كغصة تأبي  
الخنوع واللحاق بباقي دفعات ريقها إلي المعدة، ربتت علي  
ظهرها يد حانية، واقتربت من أذنها تهمس لها بأنها بجانبها  
تطمأن قلبها، وكانت وقع كلمات الحاجة كالماء الذي روى  
صدرها بعد الجذب، فوقعت أخيراً، وصدحت الزغاريد وتعال  
أصوات التهاني.

انتهى العرس بفقراته الإسلامية التي أضفت سكينة وراحة  
نفسية علي أجوائه أستشعرها الحاضرين جميعاً، بما فيهم  
الحاقد والمحب، فشياطين الجن لم يكن لهم مكان بين  
الحاضرين، وحدهم شياطين الإنس من استطاعوا الحضور.

ركبا "همسة" و"آدم" السيارة ملوحين للجمع الذي كان  
يودعهم، متجهين إلي منزلهما الجديد، ومعهما الطفلين بعد  
أن رفض "آدم" إبقاءهما مع والدته ولو أيام، وأصر علي  
إحضارهما معه.

سرعان ما وصلت السيارة أمام باب الفيلا، التي لم ترها  
"همسة" من قبل، فطافت بعينها وازدادت سرعة ضربات



قلبها، كدق طبول تُقرع لبداية حرب طاحنة، نزل الجميع ودلفوا إلي الفيلا وآخرهم كانت هي.

توقف "آدم" عند الدرج الداخلي و"همسة" حيث هي بالقرب من الباب، والأطفال في المنتصف ينظرون إلي كلاً منهما بقلق، فوجه عمهما لا ينذر بالخير.

- أنا سأسافر ظهر الغد... أعد لي حقيبتني .

نظرت إليه "همسة"، ثم عادت تنظر إلي الأرض من جديد، فمازالت طرحتها علي وجهها لم تُرفع بعد، ثم قالت بصوت خفيض:

- هل هناك خطب ما؟!، هل... هل من مشكلة؟! .  
- اصعدا إلي غرفيكما.

وجه "آدم" هذا الأمر للطفلين، فأجابا في صوت واحد وقد خبي حماسهما وحل محله الضيق:  
- حاضر يا عمي.

انتظر "آدم" سماع إغلاق الطفلين لبابي غرفتيهما، ثم سار إلي أحد المقاعد، جلس واضعاً ساقياً فوق الأخرى، ونظر إليها بازدياء، متحدثاً باستهزاء:

- بعدما خرجت من بيت الحاج "محسن" يوم أن ذهبنا لطلب يدك، ظللت أعصر رأسي لأتذكر أين رأيتك؟



اقتربت "همسة" ورفعت طرحتها، تنظر إليه بعدم فهم، فتابع هو بابتسامة احتقار علي جانب فمه:

- رأيتك في بيتنا...، عندما دخلت عليكِ بالخطأ، ظناً مني أنكِ أختي أو أمي...، اتصلت علي "رضا" التي رأيتها تخرج من غرفة الصالون حينها قبل أن أدخل عليكِ وأنا في سفرتي الأخيرة وسألتها، فأخبرتني أن التي رأيتها بالغرفة وقتها هي خادمة تعمل في بيت الحاج "محسن" والحاجة "سهام"، وعند عودتي من السفر سألتها مرة أخرى للتأكد.

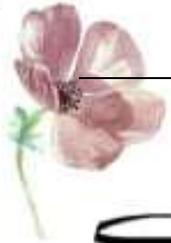
رفع أحد حاجبيه مستمتعاً بما يراه على وجهها من انكسار، ثم أكمل:

- عندئذ ارتبكت...، فخمّنت أن والدتي هي السبب، واجهتها وعلمت بعد أن ضغطت عليها، أن والدتي نبّهت عليها لأنها الوحيدة التي تعرفك في الخدم، ألا تُخبر أحد بوظيفتك.

كادت "همسة" ترد عليه مدافعة عن نفسها، ولكنه استبقها بصوت جهوري غاضب، وهو يشير بإصبعه محذراً ووجهه يَمَيِّزُ<sup>8</sup> غضباً وغيظاً:

- لم أنه حديثي بعد...، عندما أتحدث أتوقع أن أجد الصمت التام...، ألم تسأل نفسك، لما لم أطلب لقاءك أو

<sup>8</sup>- يَمَيِّزُ: أي يتقطع عن بعضه من شدة الغيظ والغضب.



الجلوس معك حتي يوم العُرس؟...، لما لا أهتم برفع  
طرحتكِ عن وجهك، شوقًا كأَي زوج مُتلهف أن يري  
زوجَه؟.

جلست "همسة" علي أقرب مقعد لها، وقد عجزت ساقها  
عن حملها، كما عجز لسانها عن الكلام، لم تتوقع منه كل  
هذه القسوة، ما الذي صدمه ليملاً قلبه بكل هذا الحقد والغل  
ويطفئ أنواره؟!، لا تعلم هل ستصمد أمام هذا الوحش  
الغاضب المتحجر القلب أم ستستسلم، قطع شرودها  
الحزين، صوته الذي عاد ليجلدُها بإهاناته:

- سأجيبك أنا، لأنني لا أهتم بكِ، ولم أرغب في الزواج  
منك من الأساس، ولا بأي امرأة أخرى، لقد خيرتني  
والدتي بين تربيتها هي للأطفال أو الزواج والسماح لي  
بالاحتفاظ بهما، ونظرًا لحرصني علي الاحتفاظ بهما  
وتربيتهما فقط، وافقت علي مشروع الزواج هذا.

صمت مرة أخرى ليري وقع كلماته عليها، فهو يستمتع  
بإهانتها، أخيرًا سيفرغ غضبه من النساء الكامن بداخل صدره  
في إحداهن، لا يعلم لها خطيئة خُلقية مع الرجال، ولكنه  
واثق أنها وافقت عليه للحصول علي زوج غني يحقق لها  
طلباتها التي حُرمت منها وهي خادمة، ولكنها أخطأت الاختيار  
للأسف، لقد صادف حظها رجل كاره للنساء لا يأمن لهن،  
انتشى لرؤيتها عاجزة، وأردف:



- لقد تزوجتك من أجل أن تخدمني الأطفال فقط، أولست خادمة؟... أردت الهروب من هذه الوظيفة ولكنها أبت تركك

"أشياء لا تحتاج أن تبررها للآخرين، مستوي تعليمك مظهرك، علاقتك بربك، وقتك الخاص، واختياراتك بالحياة"<sup>9</sup>

هذا ما جال برأس "همسة" وقتئذ، ولكنها ستفاجئه حتمًا، لقد بنى رأيه فيها علي خلفية بغضه للنساء، ولم يعلم بعد من التي وقع معها أو يُقدّر مقوماتها وأسلحتها، هكذا دعمت نفسها بداخلها، قبل أن تصل شجاعتها إلي لسانها، متحاملة علي نفسها لكي لا تبكي، لتتخط شفتيها وهي مذمومة:

- هل أفرغت شحنة غضبك؟...، أم أن هناك المزيد، أريد الصعود إلي العُرفة لأنام.

اعتدل "آدم" في جلسته مذهولاً من ردها، لقد توقع انهيارها بسبب هذه الإهانة القاسية، ولأنها أدركت أن مخطئها فشل بعد معرفته له أو علي أقل تقدير تقبلها الإهانة وابتلاعها للحصول علي حفنة من المال بمحاولة إرضاءه، لقد رأى وجهها متجهم منكسر بالفعل، فكيف هذا؟!

حك ذقنه مفكرًا، "يبدو أنها ليست سهلة، إذا فلنلعب، ولكن علي هواي، فأنا السيد هنا أيتها الهرة المشاكسة"، عاد إلي

<sup>9</sup> - مقولة لـ "أنطون تشيخوف": ولد في القرن العشرين عام 1860 وهو طبيب وكاتب مسرحي ومؤلف قصصي روسي كبير، يراه البعض من أفضل كتاب القصص القصيرة علي مدي التاريخ.

الخلف لإسناد ظهره علي المقعد، وتحدث وهو ينظر إليها متحدثًا:

- بمناسبة النوم، لكِ حجرة منفصلة، بجانب المطبخ الصغير في الطابق العلوي، وهو معد للمشروبات فقط، لا أريد إزعاج مطلقًا، ولا أحد يوقظني مهما حدث، أتمني أن تكون ممن يفهمون الأوامر من أول مرة، لا أريد تكرار كلامي مرتين.

صعد الدرج وهو يدندن فخور بأول انتصاراته، وعندما وصل إلي آخر الدرج التفت إليها، وقال بتعالٍ:

- لأنك جديدة في هذا البيت، وأنا لا أحب الأخطاء سأعفيك من تجهيز الحقيبة هذه المرة... اعلمي أن هناك خادمة تأتي يوم بعد يوم من السابعة صباحًا وحتى العاشرة مساءً، هي ستتنظف وأنتِ تطهو... هذا لحظك الحسن.

تأفف وهو يضيف:

- كنت قد عزمت علي تسريحها لتقومي بمهامها، ولكن استمرارها كان أحد طلبات أمي مني، التي لا أعرف كيف تثق بأي امرأة في زمننا هذا؟

ترك "همسة" لتنساب دموعها الحبيسة أخيرًا علي وجنتيها ودخل غرفته منتشيًا، لملمت آخر ما تبقي من كرامتها



المبعثرة، وصعدت الدرج باحثة عن غرفتها لتتشارك معها أناتها بدون تلصص أحد.

دلفت إليها لم تهتم بشكلها، ارتمت علي فراشها تبكي حالها حتي آذان الفجر، الذي صدح في قلبها قبل أن تسمعه أذنها، ليلبسه ثوب السكينة، قامت وبدلت فستانها، ثم توضأت وظلت تناجي ربها لعله يرفع عنها هذا الابتلاء، حتي اطمأن قلبها وسكنت....

جلست لتردد الأذكار علي مُصلاها، وقبل أن تقوم عنها وجدت بابها يُفتح علي مصرعيه، وخيال أحدهما يقف علي الباب يمسك في يده مسدس مزود بكاتم للصوت، يقول لها بصوت يشبه فحيح الأفعى :

"الدور عليك"

\*\*\*\*\*



لا تترك لأحد حُلْمك...  
فالعراقيل عناوين الأحلام، ومنتها وحده أنت من  
تكتبه بعزيمتك وإرادتك...،  
دافع عن حقوقك، لا تتحجج بطيبتك، فهذه سذاجة  
وسلبية وليست طيبة.



اصبر قليلا فبعد العسر تيسير  
وكل أمر له وقت وتدبير  
وللميمن في حالاتنا نظرٌ  
وفوق تقديرنا لله تقدير



## الفصل الرابع

تقدم هذا الخيال منها ببطء، فتحجرت "همسة" في مكانها وشُل تفكيرها، لم تتحرك قيد أنملة، مستسلمة لهذا القاتل دون إرادة منها.

وفجأة ظهر من أمسك القاتل من رسغه بقوة، وقام بثنيها لتحرير المسدس، قاومه القاتل بعنف، فخرجت رصاصة، وكأنها تعرف طريقها منذ البداية، رُغم فشل صاحبها إلا أن الرصاصة لم تخطيء وجهتها.

استيقظت "همسة" تتسارع أنفاسها وجبينها يتصب عرقًا، جالت بنظرها حولها، وجدت أنها لا تزال علي مُصلاها، يبدو أنها غفت فرأت هذا الكابوس، تعجبت منه كثيرًا، وتساءلت.. أهى أضغاث أحلام، لأنها باتت ليلتها حزينة؟!

استعادت بالله وتفلت عن يسارها، ثم قامت لتجد الشمس قد أشرقت، أغلقت الشرفة وتذثرت جيدًا بغطائها، ثم رددت أذكار النوم ولم تنسَ آية الكرسي <sup>10</sup>.

قامت بتشغيل هاتفها علي صوت أحد القراء يصدح بالقرآن، لثهدًا أعصابها وتحاول النوم مجددًا، وبعد معاناة، أغمضت عينيها المتعبة أخيرًا.

<sup>10</sup> - روي البخاري في حديث أبي هريرة عندما حضره الشيطان في سورة بشر ونصحه وأكد الرسول علي نصحه بأنه صدق وهو الكذوب "...إذا أويت إلي فراشك فاقرأ آية الكرسي حتي تختم الآية فإنك لن يزال عليك من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتي تصبح..."

بعد خمس ساعات متواصلة، فتحت عيونها بإرهاق تفقدت ساعتها، إنها الواحدة، لقد أذن الظهر، تعجبت كيف نامت إلي هذه الساعة، فهي معتادة علي الاستيقاظ مبكرًا، مهما تأخرت في وقت خلودها إلي النوم، تذكرت كابوس الصباح فاقشعرّ بدنّها، يبدو أن شجارها مع "آدم" جعل خيالها خصب قليلًا فحمّس عقلها الباطن، نفضته عن رأسها، واستنثرت ثلاث<sup>11</sup>.

رددت أذكار الاستيقاظ، ثم اغتسلت وتوضأت، اتجهت إلي الشرفة وفتحتها لتستنشق نسيم الحديقة، لعله يجدد هواء رئتيها المحبوس إثر مشاحتها وتوترها، وجدت الحارس يضع حقيبة "آدم" في سيارته والأخير يودع الطفلان، فرجعت سريعًا إلي الورا لكي لا يلمحها، أطلت نظرة ازدراء من عينيها وهي تزجر نفسها:

"لماذا أهرب منه؟... هو من جرحني ويظن أنني سأستسلم لإهاناته بسهولة... هيئات أيها المتغطرس... لقد أخطأت عندما ظننت أنك أهنتني بعدم جلوسك معي والتحدث إلي قبل العرس، فهذا لصالحني لأنك لم تتعرف علي قوتي وإصراري وعنادي بعد... أنت من أردتها حربًا...، فلتكن إذرًا".

انفجرت شفتاها قليلًا بابتسامة ثقة، وضيق عيناها كأنها تخطط لأمر ما، قبل أن تضيف:

<sup>11</sup>- الاستنثار: هو إخراج الهواء من الأنف وهو من السنن المهجورة التي أوصي بها النبي -صلي الله عليه وسلم-، عن أبي هريرة -رضي الله عنه قال، قال النبي: إذا استيقظ أحدكم من منامه فليستنثر ثلاث مرات، فإن الشيطان يبيت علي خياشيمه".  
رواه مسلم

"لابد أن تتعرف علي عدوك جيدًا قبل بدء المعركة، وأنت خسرت هذه الميزة، سأعيش هنا وأربي الأطفال، كما ائتمنتني الحاجة "عايدة" سواء شئت أم أبيت، لم أعود الاستسلام أو الرضوخ لأحد".

سمعت صوت السيارة تغادر، أدت صلاتها، ثم نظرت إلي المرأة، فرسمت ابتسامة رائعة علي وجهها أعطتها قوة ودعمت ثقتها بنفسها، بحثت عن الطفلين حتي وجدتتهما بالحديقة، فهذا سيكون أول تعارف عن قرب بينهم.

سُتطبق معهما كل ما قرأت عن تربية الأطفال، لقد كانت تواقّة لتنفيذه مع أبناءها لتُخرجهم شباب معافين غير معاقين فكريًا أو خُلقيًا، ولكن لا بأس بمساعدة هذين اليتيمين، فاليّتم من أسوأ الأحاسيس، حتي وإن كان هناك من يرعاهما ويحنو عليهما...، اقتربت منهما وابتدرت بالسلام وابتسامتها المميزة تزين ثغرها:

- السلام عليكما، هل تسمحا لي بالانضمام إليكما في هذا المجلس الخاص؟

ابتسم الطفلان بعد رفعها من شأن جلستهما وإشعارهما بأهميتهما.

- بالطبع يمكنك الانضمام إلينا .
- أشكرك يا "هند" ولكنك نسيتِ الجزء الأول من استأذناني منكما.



بدي التفكير علي وجه الطفلين، متسائلين عن ماهية السؤال الثاني.

ابتسمت "همسة" بحنان، وأردفت:

- لقد قدّمت لكما هدية ستأخذونها فيما بعد، ألقيت عليكم السلام وعندما تردوه ستحصدون ثلاثين حسنة، تضاف إلي ميزانكما، بالإضافة إلي ثلاثين حسنة أخرى تضاف إلي ميزاني أنا، لأنني سبب ردكما للسلام، والحسنة بعشرة أمثالها.

ابتسما الطفلان، ورددا في صوت واحد:

- ونحن قبلنا الهدية، وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.

- أحسنتما، ما رأيكما في التعرف علي بعضنا أكثر؟.

- أوافق، وأنا سأبدأ أولاً، أنا اسمي "هيثم"، في التاسعة من عمري".

- وأنا "هند" في التاسعة أيضاً.. نحن توأم..، وأنتِ كم عمرك يا آنسة؟.

أحمرت وجنتا "همسة" واتسعت ابتسامتها، فتداركت "هند" خطأها ونظرت إلي الأرض خجلة، وهي تصلح خطأها بصوت هامس:

- عفوا أقصد يا عمة "همسة".

رفعت "همسة" ذقن "هند"، وهي تنظر في عينيها، مشجعة إياها:



- اللهم بارك عينك جميلة...، لا تخفضيهما إلي الأسفل مجدداً...، أنا ضعف عمرك زائد ثلثه، فكم عمري إذا؟.

قفز "هيثم" بلهفة، وقال متسرعا:

- واحد وعشرون، صحيح؟.

التفتت "همسة" إليه، وهي تبتسم مع عبوس محبب:

- صحيح يا "هيثم".. ولكنني كنت أسأل "هند"، فلا تتعدى علي حق أحد ولا تتسرع... هل تحب الرياضيات؟  
- نعم أحبها كثيرا، وأتمني أن أتفوق فيها دائما .

قالها بحماس، وقد نسي توبيخه بشأن تسرعه.

- وأنتِ يا "هند" ما أكثر مادة تحبينها؟.  
- أنا أحب مادة العلوم والاختراعات والرسم أيضا.

بدي علي وجه "همسة" التعجب والتفكير، وهي تسأل:

- وما هي مادة الاختراعات هذه؟، هل بدأوا يدرسون مادة بهذا الاسم حديثا؟

ابتسمت "هند" ابتسامة واسعة، وهي تجيب:

- هذه ليست مادة، بل موضوع الكتب التي يجلبها لي عمي "آدم"، نتحدث عن أطفال يقومون باختراعات جميلة ومفيدة، كلما قرأتها تشوقت لأن أصبح مثلهم.



شردت "همسة" تفكر، "كيف لهذا القاسي المغرور أن يُغدق علي الأطفال بهذا الكم من الحنية والتفهم والرعاية؟...، تمت أن تعرف لماذا يكره المرأة إلي هذا الحد؟"، أخرجتها "هند" من شرودها بهز يدها، وهي تسألها:

- لماذا ترتدين الحجاب ونحن في المنزل ؟

ابتسمت لها "همسة" بحب، قبل أن تجيب:

- لقد كبر "هيثم" ولا يجوز لي الجلوس أمامه بدون حجاب

ثم التفتت إلي "هيثم"، وقرّبت ما بين حاجبيها مفتعلة الجدية، وهي تسأله:

- ألم تصبح شخص كبير ومسئول يا "هيثم"؟

انفرجت أساريره، وشعر بالسعادة والاهتمام، فأخيرًا شخص كبير احترام سنه وعقله، فهو يحب أن يعامل كرجل كبير ذو شأن خاص، وتوكل إليه المسؤوليات، ويشكرونه علي إتمامها، ولكنهم جميعًا يرونه مازال صغيرًا، غير أهلّ لذلك...، فاعتدل في جلسته علي المقعد وهو يشب قليلا، متحدثًا بجدية مماثلة:

- نعم لقد كبرت، وأفهم كثيرًا مما يحدث حولي، ولكنهم لا يغيرون نظرتهم إلي.

ثم أخفض نظره إلي الأرض بفقدان للأمل، وهو يضيف:



- وهذا عادة الأهل لا يرون أن أبناءهم يكبرون إلا بعدما يفقد الأبناء حماسهم للمسئولية، ويزداد عندهم اللامبالاة، أو نتعود اعتمادنا علي الآخرين، ثم يعودون ليلقوا اللوم علينا ويقولون نحن عديمي المسئولية، لا بد أن يفهموا أننا يشب أطوالنا مع عقولنا، وليس أطوالنا فقط من تنمو.

ربتت "همسة" علي كتفه ورفعت له وجهه، سعيدة بسعة إدراكه ونضوج عقله، وهي تدعمه:

- هذا نابع من حبهم لكم، وإن كانوا لا يستغلون طاقتكم بشكل صحيح، ولا يستغلون حماسكم جيداً...، فما رأيك أن نتشارك جميعاً المسئوليات هنا في البيت، وفي حياتنا عامة...، أنا أراكم كبار كفاية لتتحملوا معي المسئولية؟

رأت الحماس والفرحة علي وجوههم، فتابعت بجدية قبل أن يعلنوا موافقتهم:

- وقبل أن تفصحوا عن رأيكما، لا بد أن نتعلم، أنه من يتحمل مسئولية، يقع عليه عبء نتائجها فيما بعد...، إذا أخفق لا يقف في المنتصف ويقول لقد تعبت، تحملوا عني مسئوليتي، أو يتركها دون اكتمال ولا يخبر الآخرين خوفاً من توبيخهم له، فإذا وجد أنه سيفسد الأمور أو عجز قليلاً عن إكمالها ولا يستطيع التحمل، وجب عليه عندئذ أن يطلب مساعدة من هم أكبر منه سنًا.



ابتسمت وهي تشرح لهما أهمية تحمل المسؤولية لتُحَقِّزَ عقليهما:

- فالمساعدة دعم ولا تعني الفشل، عندما ستكبر سيتسع فهمك وستُكوِّن خبرتك الخاصة، وتساعد من هم أصغر منك أيضًا، كما ستدرك أنك لم تتعلم كل شيء بعد.

بدي الجد علي وجه "هيثم" وتحدث مخشوشين صوته، مُقلِّدًا طريقة الكبار:

- سألتزم بجميع مسئولياتي، ولن أتخلي عنها، هذا وعد مني، يا عمه "همسة".  
- أنا سعيدة بك جدا يا "هيثم"، أنت مميز عن من هم في مثل سنك، وواثقة أنك ستتحمل أي مسؤولية تُكَلِّفُ بها مهما كانت كبيرة... وأنت يا "هند" أيضًا ستشاركوننا المسئوليات، فأنا أراكِ أهلًّا للتحمل، صحيح؟

بدي علي وجه "هند" التفكير والشروع قليلًا، فهي تخشي الفشل واللوم، ثم حسمت أمرها، ترفع يدها كمن يقسم، وهي تُصرح:

- أتعهد بأنني لن أتخلي عن مسئولياتي.

اتسعت ابتسامه "همسة"، لقد نجحت في بداية مهمتها، فمجرد إقرارهما بتحمل المسؤولية، هو بداية الطريق لخُطتها في تنمية إدراكهما وتربيتهما التربوية الصحيحة، ثم يأتي دورها

في تنمية هذه البذرة بداخلهما، مهما تقاعسوا، فانتبهت  
للسؤال الموجه إليها:

- هل لي أن أسألك سؤالًا، يا عمّة؟
- تفضلي يا "هند".
- مادام "هيثم" قد كبر ولا يجوز الجلوس أمامه بدون حجاب، فلماذا تجلس عمتي "ندى" وجدتي أمامه بشعرهما؟
- عمتك أقرب شخص لأبيك يا "هند"، هي من محارم "هيثم"، بمعنى أنه يجوز لها إبداء زينتها له، ولذلك تستطيع الجلوس أمامه بشعرها، ونفس الوضع مع جدتكما.
- لقد فهمت...، فهما كانا يجلسان دائمًا في هذه الحديقة لأنها بعيدة عن عم "صالح" الحارس، في الجهة الخلفية للفيلا.
- بالضبط...، فكرة سديدة أن تبني الحديقة في الخلف، وبالمناسبة من يرعى الحديقة، يبدو أن أحدهم يهتم بها، فجميع مزروعاتها بحالة جيدة، وأنا لم أر أحد يعتني بها حتي الآن؟
- عم "إبراهيم" يأتي يومين في الأسبوع، لكي يعتني بها، وفيما عدا ذلك يعتني بها عمي "آدم" بنفسه، فهو يحب الزرع والورود كثيرًا.

قالها "هيثم" بتسرعه المعهود، فتعجبت "همسة" للمرة الثانية، فما تسمعه عن "آدم"، لا ينطبق علي تصرفاته أبدًا..،



لا بد لها ألا تتسرع في الحكم عليه كما فعل هو، ولكن هذا لا يمنع أن تعطيه دروس، بسبب حكمه المتقدم عليها وظلمه لها.

أعادت البسمة علي وجهها الرقيق مرة أخرى، ونقلت بصرها بينهما قائلة بحماس:

- دعونا نتفق علي أن الإجازة ليست للعب فقط، فما رأيكما أن نضع خطة سويًا ننظم بها وقتنا، لكي نستفاد منها ونستمتع بها ونُفرِّغ فيها طاقتنا، لنستعد لسنة دراسية جديدة بذهن مُتقد نشط.
  - أنا أحب وضع الخطط كثيرًا، فهي كالرياضيات، لها قوانين تجعلنا نصل إلي النتيجة الصحيحة.
  - وأنا أيضا متشوقة لإعطاء أفكارٍ فيها، ومن ثمّ تنفيذها.
  - جيد جدًّا، والآن قبل أن نبدأ، لكي يبارك الله لنا في أوقاتنا، ويحفظنا ويرعانا، هل صليتم الظهر؟
- نظر "هيثم" و"هند" في الأرض، وحركا رأسيهما بالسلب، فبادرت "هند" علي استحياء:

- عمي "آدم" علمنا الصلاة، ولكن لم يتابعنا بسبب انشغاله الدائم، وجدتي كانت تأخذنا للصلاة معها، ولكن ليس كثيرًا، لذلك ننسي دائمًا.

رسمت "همسة" بسمة حنونة علي وجهها وقربتها منها، وهي تشني عليهما:



- لماذا تخفضا رأسيكما كثيرًا؟، أنا سعيدة بكما لأنكما في مثل هذا السن وتعلمتما كيف تتوضآن وتصليان...، أنتما ممتازان...، ومن اليوم سنصلي سويًا كل الفروض ونشجع بعضنا، ما رأيكما؟

احتضناها سويًا، وقالت "هند" بحب، كما اعتادت أن تصرح بمشاعرها دائمًا:

- لقد أحببتك كثيرًا عمّة "همسة"، أشعر معك بحنان لم أراه مع أمي، أنت جميلة جدًا.

تجمعت الدموع في عيني "همسة"، وكأن الدموع هي الطريقة الوحيدة التي تعبر بها عن سائر مشاعرها، وعزمت في نفسها ألا تخذلها، حتي وإن تحمّلت ظلم "آدم" لها مؤقتًا حتي ترّوده.

- وأنا أيضا أحببتكما كثيرًا، سنكون دومًا أصحاب، نلعب ونذاكر ونمرح ونقرأ سويًا، والآن هيا بنا لنصلي الظهر، ثم نبدأ في وضع جدول لإجازتنا للاستمتاع بها.

فما إن انتهوا من صلاة الظهر وترديد الأذكار دُبرها، عادوا مرة أخرى إلي الحديقة، كلٌ يحمل ورقة وقلم، وظلوا يدونون الأفكار ويتناقشون فيها..، إلي أن قطعهم رنين جوال "هيثم" فأخبرهما أنه عمه، وقام ليرد بعيدًا لكي لا يزعجهما، لا يعلم مدي فضول "همسة" لمعرفة ما سيدور في المكالمة.



- السلام عليكم يا "هيثم"، ماذا تفعل أنت و"هند"،، وأين العمّة "همسة"؟
- عليكم السلام يا عمي، جميعنا نجلس في الحديقة نضع خُطة لإجازتنا.
- أي إجازة، أتقصد نزهة ستقومون بها؟
- لا يا عمي، خطة لإجازة آخر العام، لقد مر منها ثلاثة أسابيع، فاقترحت العمّة "همسة" أن نضع لها خُطة نلتزم بها لننظم أوقاتنا ونستفيد منها أقصى استفادة.
- أحسنتما يا "هيثم" أنت و"هند"،، حسنًا سأغلق معك الآن وأبلغ "هند"، سلامي حتي أراكما ليلًا.

قال "هيثم" فرحًا:

- هل ستأتي اليوم من السفر يا عمي.
  - إن شاء الله يا "هيثم"، اشتقت إليكما، سأحاول إنهاء أعمالي سريعًا لكي أعود إليكما،، السلام عليكم.
  - عليكم السلام يا عمي، في حفظ الله ورعايته.
- أغلق "آدم" الهاتف، وقد اطمئن نسبيًا علي الأولاد...، ثم قضب جبينه، ليس بسبب تكبره في الثناء علي فعل "همسة" بتنظيم الإجازة لهما، وحدث نفسه بصوت مسموع:
- "ما كان عليها أن ترتدي مثل هذه الملابس الرقيقة، فهي ليست في شهر عسل أو رحلة أو منتجع".



زاد من سرعة السيارة، لِيُنقِّس عن غضبه وغيظه، لقد تذبذبت مشاعره منذ أن رأي "همسة" صباح اليوم، في فراشها...، نائمة كالملائكة بمنامة رقيقة، وشعرها يفترش وسادتها بلونه البني ذو لمعة نُحاسية.

عاد ليحدّث نفسه، ولكن هذه المرة بغضب، وقد تطاير الشرر من عينه:

"ما الذي أقوله ما كان علي أن أدخل حجرتها دون استئذان مهما كان كرهني لها، لا بد أن أكون صريح مع نفسي، صحيح أنني طرقت الباب وعندما لم ترد دخلت لانزعاجي منها، كنت أريد تأنيبها علي عدم تحضير الإفطار لي، ولكن الأصول والذوق كانا يفرضا علي ألا أدخل دون استئذان".

عادت تقصيبته إلي وجهه وهو يفكر، عندما وافق علي شرط أمه كان يتوقع امرأة مُطبعة لا ترفع نظرها فيه وتكون خادمة أكثر منها زوجة، ولكنه لم يتوقع أن تزوجه من امرأة لها ملامح جميلة تُصعب عليه مهمته...، بالإضافة إلي شخصية صلبة بدت ملامحها في قوتها أمس، وهي تستقبل إهائته دون خضوع أو انهيار، صحيح أنه رأي في عينيها ألم شديد أحال لون عينيها إلي البني الغامق، ودموع حبيسة تسكنها، وبعض الارتعاشات علي جانب فمها، ولكنها كانت صامدة أمامه، لم يرف لها جفن.

ضرب المقود بكلتا يديه متذمراً:



"لقد بدأت أناقض نفسي، بعد أول يوم لي معها، هي كأي امرأة الأصل في دمهن الخيانة ولا يحق لنا أن نأمن لهن أبدًا".  
حاول طردها من رأسه، وهو يستكمل طريقه إلي  
"المنصورة"، فأمامه أعمال لا بد من التركيز فيها.

\*\*\*\*\*

- السلام عليكم يا أمي كيف حالك اليوم؟، عذرًا.. لقد استيقظت متأخرة علي ميعاد المحاضرات، فاضطرت إلي الذهاب سريعًا دون أن أمر عليك.
- الحمد لله يا ابنتي...، أنا أيضًا تأخرت في الاستيقاظ اليوم، ولكن لماذا تأخرت في الجامعة إلي هذا الوقت..، إنها العاشرة والنصف؟، لولا اتصالك لإعلامي بالتأخير في التاسعة كنت مت قلقًا، فهاتفك أغلق بعد ذلك.

تقدمت "ندى" لتقبل رأس والدتها، وتجلس علي حافة مقعدها كما اعتادت، قبل أن تجيب:

- عذرا يا حاجة "عايدة"، لقد خرجنا بعد "السكشن" لتصوير أوراق بعد اتصالي بك، ثم فقدت صديقة لنا وعيها، "ملك" صديقتي التي تعرفينها، حاولنا إفاقتها بكل الطرق..، ولما لم تستجب طلبنا لها الإسعاف، وكالعادة لا تأتي الإسعاف في موعدها مطلقًا، فأخذناها في سيارة صديقة لنا إلي أقرب مشفى، ولم أنتبه إلا



عندما قفزت الساعة إلي العاشرة إلا ربع، فأخرجت هاتفي لأتصل بكِ ولكني وجدت بطاريتته قد نفذ شحنها، فاطمأنتت عليها واستأذنت، وما هي إلي مسافة الطريق يا أمي العزيزة.

ابتسمت "عايدة"، قائلة بمداعبة:

- بعيدا عن محاولة تثبيتك لي، حمدًا لله علي سلامتها، هل أصبحت بخير الآن؟، وهل استعلمتن من الطبيب عن السبب؟

- نعم يا أمي، إنه مجرد إرهاق وقلة نوم فقط، الحمد لله، تركتها وهي بخير حال، وأهلها كانوا قد وصلوا إلي المشفى، حتي أن أخيها أصرّ علي إيصاله مع والدته، ولكني رفضت وأثرت ألا أتعبهما.

ثم انحنيت علي أمها ترفع أحد حاجبيها، كأنها تستجوبها:

- ولكن قولني لي يا حاجة "عايدة"، فيما كنت تفكرين عندما دخلت عليكِ، لقد كنت شاردة تمامًا لدرجة أنني ألقيت السلام مرتين، حتي انتبهت لوجودي.

تنهدت "عايدة" وهي تحاول تبديد توترها، ثم قالت بصوت نادم:

- لقد كنت قلقة علي "همسة"، فهي بنت رقيقة وطيبة، لا أريد لها الإيذاء، حتي أنني ندمت علي تزوجها من "آدم" وشعرت بالذنب.



قَبَلت "ندى" يد أمها تحاول طمأننتها:

- يا أمي الحبيبة أنتِ تعرفين "آدم" أكثر مني ومن نفسه،  
فهو طيب وحنون لن يؤذيها، أنا أعلم أنه صعب المراس  
إلي حد ما، منذ وفاة "حاتم" رحمه الله، ويكره النساء  
قليلاً.

تحنحت قبل أن تضيف:

- دعيني أقول كثيراً كي نكون صادقين، ولكن عندما يري  
"همسة"، كما رأيناها أنا وأنتِ من الداخل، فتاة طيبة  
خلوقة، سينسي ألمه وأحقادها... سيعلم أن هناك في  
كل جنس الصالح والطالح.

نظرت إليها "عايدة" نظرة مطولة، تحاول أن تتشبع بهذه الثقة  
التي تحدثت بها، ولكنها رأت في عين ابنتها قلق لم تظهره  
هي الأخرى... فربتت علي كفها، وهي تتحدث بأمل:

- أتمني ذلك يا ابنتي، لقد عانت "همسة" كثيراً في  
حياتها الماضية، حسبما سمعت منها هي والحاج  
"محسن"، فلندعو المولي أن تصمد وتتجلد بالصبر...  
ياذن الله ستري "آدم" آخر، "آدم"، الذي لطالما كنت  
فخورة به، لولا فقط حظه العاثر مع النساء... ولكني  
أشعر أن ختامها مسك مع "همسة".

احتضنتها "ندى"، تحاول جاهدة تهدئة عقدة الذنب التي  
تؤرقها:



- "همسة" صبورة وياذن الله ستتحمل معه، هذا عهدي بها، ونحن سنحاول معها أيضًا ولن نتركها، ما شاء الله هي ليست جميلة ورقيقة فقط، بل وذكية أيضًا.  
- من هذه الجميلة الرقيقة الذكية، لا تقولي لي أن أحدًا مدحك بهذا يا "ندى"، انصحيه فورًا أن يرتدي نظارة، ويعكف عن التملق الزائد.

التفتت "عايدة" وابنتها إلي باب الصالون ليتفاجأن بـ"آدم"، الذي أقبل عليهما بابتسامة وقبّل جبين أمه ويدها، ثم دفع "ندى" برفق عن حافة مقعد الأم ليجلس مكانها، فحاولت إبعاده عن مكانها دون فائدة لا يتزحزح عنه وكأنها تحاول دفع حائط أسمنت، فعلت ضحكاته هو ووالدته بسبب أفعالها الطفولية وزمجرتها بعد أن فشلت...، استسلمت أخيرًا لتجلس علي الأرض تمط شفتها السفلي بغضب، وربعت يدها كالأطفال كناية عن رفضها لقوله وفعله.

- لو مدحني أحدهم يا أستاذ، فسوف يقول أشعار، ولكنني لا ألتفت ولا أنتبه من كثرة المادحين.

ثم رفعت رأسها في فخر وابتسامة غرور علي وجهها كي تستغزه.

- ومن هذا الذي ينوي أن يُكتب نعيه في الجرائد غدًا هذا الذي يغازل أختي وأنا موجود، والأدهى من ذلك، والذي لن أقبله...، يغازلها بما ليس فيها.



لم يستطيعا كتم ضحكاتهما علي تقضيب "ندی" وغضبها الذي كان يتطاير من عينيها، فوقفت ودفعت في صدره دفعة قوية كادت تزحزحه عن مكانه، ثم جلست علي الكرسي المجاور لأمها وهي تبتسم، ترفع الراية البيضاء في محاولات استفزازه كالمعتاد.

- ربنا يعين "همسة" عليك، ستري أياما بجميع الألوان القاتمة معك...، صراحة أنت محظوظ أنك رزقت بفتاة مثلها.

ثم رفعت حاجباها بتعجب وهي تسأله وكأنها أدركت توًا وجوده:

- صحيح...، لما جئت الآن؟، هل حدث شيء؟...، إنه اليوم الأول في زواجك!...، أين "همسة" والأولاد؟  
علت تقضيبه خفيفة وجه "آدم"، وقام عن حافة المقعد، ليجلس علي المقعد المقابل لأمه، ثم افتعل ابتسامة كبيرة علي وجهه، وهو يرد :

- ما كل هذه الأسئلة...، سأقدم لك من الغد في المباحث...، هل لابد أن يحدث شيء لكي أزوركما؟

عندما لم تزل الدهشة والتقضية من وجهيهما، أكمل:

- كل ما في الأمر أنني كنتُ أتفقد مقر عمل الشركة في "المنصورة"، وآثرت المرور عليكما قبل عودتي إلى البيت.



فغرت "ندی" فاهها، وتحدثت "عايدة" بغضب:

- كيف تسافر ليلة زواجك يا "آدم"؟... ما ذنب هذه المسكينة التي في البيت لتُصدم بزوجه يسافر ثاني يوم زواجه؟
- يا أمي، لقد قلت لك من قبل لا أريد الزواج، ومن ستأتي ستكون خادمة للأولاد فقط، ولا مكان لها في حياتي...، فأنا لست بمغفل كي ائتمن امرأة علي أسمي وشرفي مرة أخرى... هذا محال.
- لم أزوجهإ إليك غصبًا...، لقد عرضت عليك حلول، وتركت لك الاختيار، وأنت من اختار الزواج منها...، أنا واثقة أن ابني يستحيل أن يظلم أحدًا...، ثم إنك لا تعرفها، لقد أبيت الجلوس معها وإعطاء نفسك فرصة للتجاوب...، فهي فتاة بريئة وذكية، أخلاقها لا غبار عليها، لا تحكم عليها قبل أن تعطها فرصة ولا تأخذها بذنب غيرها.
- هل زوجة أخي كانت فرد واحد؟...، وهل خطيبتني كانت استثناء...، بالإضافة لما تعرفت عليهن في دراستي وعملي، هذه أصبحت أخلاق عامة للفتيات بسبب قلة التربية من قبل الأهل، فهذه التي تتغنون بأخلاقها لماذا تنزوج رجل يربي أبناء ليسوا من صلبه حتي، بالإضافة لمعرفتها بكرهي للنساء؟...، لقد أعماها الطمع كغيرها، لماذا لا تتفهمون رغبتني، لقد وأدت قلبي منذ وفاة "حاتم"، ولا مجال لفتحته مرة أخرى أو الوثوق بهذا الجنس مطلقًا.



أوقفت "عايدة" ابنتها التي همّت بالتعليق علي أخيها بإشارة من يدها، والتفت إلي ابنها الذي ظهر عليه الغضب والإرهاق، لتسأله:

- ألا تثق بأمك وأختك أيضًا؟  
- بالطبع أثق بكما يا أمي، أنتما خارج تصنيفي... لقد ربيتما جيدًا أنتِ وأبي...، أنا أقصد... با...  
استوقفته بإشارة من يدها، ووجهها لا يحمل أي مشاعر، فقط نظرة غامضة، وهي تضيف:

- لا أريد تبريرات، هل تثق بأننا نريد لك الخير، ونحب لك أن تعيش حياتك سعيد مرتاح البال ؟  
- بالتأكيد يا أمي، أنا عمري ما شككت في غير هذا أنا أحاول...

استوقفته مرة أخرى بإشارة صارمة.

- إذن نحن نقول لك أن هذه الفتاة القابعة في بيتك، وقد أهنتها في أول يوم زواجها، اليوم الذي تحلم به كل فتاة، بأن يكون أجمل أيام حياتها، هي مفتاح هذه الحياة السعيدة، ولا تزد كلمة أخرى علي كلامي.

أشرت "عايدة" إلى باب غرفة المعيشة وهي تأمره بإرهاق:

- قم وعد إلي بيتك وزوجتك، حاول أن تتخطي هذا الغضب والكره اللذان يسيطران عليك ويؤرقنك، فلا ذنب لهذه الفتاة فيما عانته.



قام "آدم" وهو متكدر، غائر العينين، ثقیل النفس.

- أمرك يا أمي... السلام عليكم.

ثم قبل رأسها وجبينها وخرج، يجر قدميه إلي سيارته جراً، فمواقف من عرفهم من النساء تمر أمام عينيه كشریط لا يستطيع إيقافه، وكأن عقله أدرك أنه في طريقه للاستسلام فأصرّ علي تذكره بالماضي الأليم، وأخيراً قرر قبل الانطلاق بسيارته، لن يهادن هذه المدعوة زوجته قبل أن يري منها كل الخير، لن يُلدغ من الثعبان لثالث مرة .

- أعلم أنه لم يقتنع تمام الاقتناع فهو عنيد... ولكني أتمنى أن يضع هذا الكلام في رأسه، وأفعال "همسة" وصبرها عليه سيتكفل بالباقي.

- ليس في أيدينا إلا الدعاء له ومساندة "همسة" ودعماً... هوني عليك يا أمي... فوجهك يبدو عليه الإرهاق.

- أنا بخير لا تقلق... فقد يؤنبني ضميري بين الفينة والأخرى، لتركي "همسة" في مهب الريح، تقوم بما فشلنا فيه أنا وأنتِ معه.

- أبشري، سينصلح الحال يا أمي بإذن الله، هل أطلب "همسة" كي نُصبرها ونهون عليها، وتطمئن بنفسك عليها؟

- لا دعيتها تتعامل في البداية، لا أريد أن أخرجها بسبب رفضه لها، فهذا قد يقلب أفعالها غصب عنها والتفكير



في فعلته...، فافتح مدخل للشيطان كي يوسوس لها،  
عندئذ سيكون رد فعلها وصبرها، مثل قطع خرطوم وقود  
السيارة وهي تسيير فينفذ الوقود سريعًا، سنطلبها غدًا  
كي نطمأن عليها، مثل العادة مع أي زواج جديد.

\*\*\*\*\*

وصل "آدم" الفيلا ولكنه لم يجد الأطفال في استقباله، كما  
تعود منهما عندما يسافر...، نظر في ساعته...، إنها الساعة  
الحادية عشر والنصف...، الوقت قد تأخر، ولكنه تعود انتظارهما  
دومًا...، فإذا غلبهما النعاس يجدهما قد غفو في حجرة  
الضيوف أو أي مكان قريب من الباب، حتي يسمعونه عند  
عودته، هذه أول مرة لا ينتظرونه.

بحث عنهم في الدور الأرضي ولم يجدهم، قلق عليهما، صعد  
الدرجات قفزًا، وكان باب غرفة "هيثم" أول البابان ففتحه، ليجد  
"هيثم" و"هند" في فراش الأول يغطان في نوم عميق  
تتوسطهما "همسة"، يقبع علي صدرها قصة يبدو أنها كانت  
تقرأ لهما منها قبل نومهما.

ابتسم "آدم" رُغمًا عنه دون وعي، الثلاثة كانوا كعائلة جميلة  
هادئة، خلع حذاءه علي باب الحجرة و تحرك علي أطراف  
أصابعه حتي اقترب من الفراش...، تأمل وجهها الملائكي،  
وحجابها الذي تزحزح قليلا ليخرج منه خصلاتها الحبرية،  
وكانها خرجت متمردة لتتنفس...، تمنى استنشاقه وتخليه



أصابه فيه، وعندما لاحظ تمللمها في نومها، عاد لوعيه سريعًا زاجرًا نفسه ومؤنبها، " يبدو أنني فقدت عقلي"، فأغلق النور من جانب الفراش سريعًا وعاد أدراجه علي أطراف أصابعه.

دخل حجرته وارتمى علي فراشه يفكر في كلام أمه وأخته، فإذا بنفسه وعقله يقنعانه أنه كان علي حق...، لقد قلبتهما عليه في أيام معدودة، وهن من عانوا معه ومع أخيه من جميع النساء التي دخلت حياتهم، كيف يتناسون كل هذا في أيام، ويثقن في فتاة لم يعاشرنها سوي فترة قصيرة؟...، ولم تكتفِ بأمه وأخته فقط، بل أخذت الطفلين في جانبها أيضًا، لقد لعبت علي وتر افتقادهما للأمر بالتأكيد، كما بدأت زوجة أخيه معهم بتمثيل دور الطيبة الخجولة...، يبدو أنها ذكية وتخطط لما تفعل جيدًا.

بدأ النعاس يداعب جفنيه، ولكن عقله يأبى أن يكمل ما بدأه، فبدأ بتحذيره من هذه الـ "همسة".

"لابد أن أحتاط منها وأكسرهما أكثر كي لا تستطيع ممارسة سحرها عليهم...، لقد وفدت إلينا وكانت تعمل خادمة وستظل هنا خادمة".

ثم أغلق عينيه أخيرًا واستسلم للنوم، مطمئنًا للنتيجة التي وصل إليها، ولكن لم تتركه "همسة" وحده بالحلم أيضًا، لقد احتلت حلمه، فرأها في منامه بمواقف متفرقة، تضحك وتلعب



وتجري وسط حديقة خضراء جميلة وشعرها يتطاير خلفها  
كشرائط الجمباز الإيقاعي<sup>12</sup> ، وهو يراقبها من بعيد.

كلما حاول الاقتراب منها تظهر خطيبته أو زوجة أخيه الراحلة  
وهما يضحكان ضحكات شرسة خبيثة، فيحيلان بينها وبينه...،  
ثم اختتم الحُلم بزوجة أخيه، وهي تأخذه إلي أرض قاحلة  
رُغم إرادته، ليفيق فزع من نومه، يري "همسة" واقفة أمامه،  
ولكن بحجابها هذه المرة، فظن في بادئ الأمر أنه مازال  
يحلم، ظل يحدّق بها ووجهه يتصبب عرقًا إثر كابوسه.

احمرت وجنتيها وحوّلت نظرها إلي الأرض، ثم شرعت تلملم  
ملابسه التي تناثرت في كل مكان، تُداري علي خجلها، لقد  
رأها تتأمله وهو نائم.

- استعذ واتفل عن يسارك، وغير الجنب الذي كنت تركز  
إليه.

اعتدل "آدم" في فراشه، ونظر إليها شذراً، يزجرها بعنف:

- ماذا كنتِ تفعلين، ولماذا أنتِ هنا في حجرة نومي؟

انتشلت "همسة" آخر قميص من علي المقعد الذي بجانب  
الشرفة، وردت عليه دون أن تلتفت له متجهة إلي الباب:

<sup>12</sup> - الجمباز الإيقاعي: نوع خاص من الجمباز مخصص للسيدات فقط، تقوم فيه اللاعبة بأداء حركات إيقاعية بشكل جمالي رشيق كرفصات الباليه، تتم علي مساحات محددة علي الأرض، وهي تحمل في يدها إما كرة أو صولجان أو طوق أو شريط أو حبل.

- لم أعلم أنك عدت من السفر، لقد استيقظت لصلاة الفجر ولم أشعر برغبة في النوم، فأثرت القيام ببعض الأعمال المنزلية حتي يأتيني النوم، فجئت إلي هنا لأبدأ بغرفتك، ولكني وجدتك نائم وملايسك في كل مكان، فشرعت في جمعها لكي أضعها في المغسلة، وها أنا قد انتهيت سأغادر الآن.  
- انتظري لم أنه حديثي بعد.

التفتت له وهي تحمل الملابس، وقد زال خجلها وحل مكانه ملامح مستعدة للعراك.

- ما دمت في هذه الغرفة، فلا تدخلها مطلقًا، إلا إذا استدعيتك... مفهوم؟... كم الساعة الآن؟

ردت "همسة" بعدائية، ونبرة حادة:

- لا أتتوق لدخول غرفتك ما دمت فيها لا تقلق علي نفسك مني... الساعة الآن الخامسة والنصف، ولم يحن الشروق بعد إذا كنت تريد أن تصلي "الفجر".

لم تنتظر رده، لأنه إذا تمادى، وسمعت منه أي إهانة أخرى، لن تصمت وسترد عليه بما يستحقه وليحدث ما يحدث، فبالرغم أنها في الماضي حاولت تقبل إهانات الحاجة "سهام" وابنتيها "منال" و"هاجر" وابتلعتهما، ولكنها لسبب لا تعرفه لم تتحمل إهانات هذا الشخص المتعجرف، ومستعدة للرد عليه مهما كلفها الأمر ومهما كانت النتيجة.



نزلت الدرج متجهة إلي غرفة المغسلة، لقد كانت من ضمن ما أراها الأطفال أمس، واكتملت معرفتها بأركان البيت عندما تجولت وحدها واستكشفت باقي الغرف.

وضعت الثياب وهي تردد الأذكار، ثم ذهبت إلي المطبخ وجدته نظيفًا، لقد تشاركت مع الأولاد أمس في تنظيفه، بعدما قاموا بالطهي سويًا طعام الغداء، فخرجت لتسير في الحديقة صحبة مع عليل هواء "الفجر"، يتشارك حكاويهما ويفضضان بما يعتمل في صدرهما، لعل النوم يحن عليها مرة أخرى ساعة أو اثنين.

بالرغم من نسمة الفجر الباردة النقية التي تبعث الطمأنينة، إلا أن ذهنها ظل يقظ يفكر في حظها العاثر، الذي أوقعها مع هذا الرجل البغيض الوسيم .

ظلت تتجول في الحديقة دون توقف تستمتع بنسيمها، ولكن نفسها كانت ثرثرة لم تجعلها تنهأ بهذا الوقت الذي تخلو أنفاسه من أنفاس المنافقين الكريهة<sup>13</sup> وظلت تتساءل:

"لماذا لم تخبرها الحاجة "عايدة"، بأنه سيتزوجها دون رغبة منه، وأنه يحمل كل هذا الحقد والضغينة؟، هل كانت تعرف مسبقًا نية ابنها، بأنه تزوجها من أجل إهانتها والانتقام منها؟ عادت تزجر نفسها مدافعة عنها:

<sup>13</sup>- عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال، قال رسول الله -صلي الله عليه وسلم- إن أثقل صلاة علي المنافقين صلاة العشاء وصلاة الفجر، ولو يعلمون ما فيهما لأتوهما ولو حيواء،....."

"لا لن أظلمها، فهي وابنتها مثال للأخلاق والطيبة، ولم يصدر منهما أي شيء أهانني أو ضايقني، بل علي العكس تمامًا لقد عاملتني كأني أحد أفراد العائلة، لم يقصروا معي في أي شيء، ولم أرَ منهما إلا كل خير "

غاصت بنفسها في أعماق عقلها، لتخرج باستنتاج آخر:

"كما أنني أشعر أن هذا الـ "آدم" في داخله ليس كما يظهر من العنف والحدة والحقد... أشعر أن بداخله طيبة وحنان ورأفة، ولكنه دفنهم لسبب ما".

تنهدت قبل أن تكمل بصوت مسموع هذه المرة:

- سأحاول معه إما أن أُخرج ما بداخله من صفات طيبة، وإما أن أستسلم وأرحل عن هذا البيت دون رجعة، فلن أغامر بالوقوع تحت سطوة الإعجاب به، فأتنازل عن كرامتي وتذل قدمي مرة تلو الأخرى حتي أخنع له .

\*\*\*\*\*

- كيف ترد علي هكذا؟!، كل مرة أتأكد من خبث نواياها... هل تظن أن أُمي وأختي والأطفال سيساندونها؟، ما هذه المتعجرفة اللثيمة يبدو أنني لم أكن حازما معها بما فيه الكفاية.

زمجر "آدم" بضيق وضيق عينيه، محدثًا نفسه:



"وما هذا الحلم أيضا؟... ألا يكفي أن أراها في واقعي حتي تأتيني في منامي لتنغصه علياً أيضاً".

أسند ظهره علي وسادته، وهو يمسح وجهه بيديه، يحاول أن يمحو أثر هذا الكابوس من رأسه، ثم قام ليتوضأ، وبعد أن أنهى صلاته، حاول الخلود للنوم، فكان رد عقله عليه هو الرفض، وكأنه اتفق مع هذه الـ "همسة" أن يُنغصا عليه حياته، ظل يتقلب في فراشه دون جدوى.

ولما تيقن من فشل محاولاته، قام إلي الشرفة ليستنشق أواخر نسيم "الفجر"، لعله يُهدأ من ماكينات عقله، التي تعمل دون توقف، ففتحها ووقف يتأمل السماء قبيل الشروق.

ظلمة الدُجِّي وهي أظلم ساعة في اليوم كله يُحييها الشروق، كمنار دافئة تؤنث ليل الإنسان القديم... كشمعة توقد ليدون التاريخ بمداد<sup>14</sup> دواة<sup>15</sup> عقيم... كضوء مصباح في كوة تُنير لعالم قويم.

إنها من أجمل الأوقات المفضلة عنده، يخبو ضوء النجوم رويدًا رويدًا، وكأن في حضرة النجم الأكبر "الشمس"، لا ضوء يعلو فوق ضوءها، عندئذ تخرج "الشمس" كأميرة برداءها المغزول بخيوط صفراء، ليفترش السماء فيضيئها ببهائه، تجلس علي كرسي عرشها حتي المغيب.

<sup>14</sup> - المداد : الحبر

<sup>15</sup> - الدواة : المحبرة التي يوضع بها الحبر وكانت تصنع قديما من قرون الحيوانات.



ارتسمت الابتسامة علي وجه "أدم" وهو يتابع ماثورا بالمنظر، فمثل هذا المشهد وهذه النسومات "الفجرية"، لابد لها أن تُصَفِّي النفوس وتغربل البال وتشرح الصدر، فقطع تأمله شيء يتحرك في الحديقة، فوجّه نظره إليه، ليجد "همسة" تسير في خطوات حالمة، انزوى قليلاً كي لا تلاحظه ووقف يراقبها.

كانت تسير تارة وتارة أخرى تتوقف عند الزهور، فتنحني لتمسها وكأنها تربت عليها، ثم تستنشق عبيرها، شرد قليلاً، محدثاً نفسه.

"هذه المرأة تبدو غريبة بالفعل عن باقي النساء، لها أفعال أعترف أنها جيدة مثل تنظيم إجازة الأولاد وصلاة الفجر و...". فأوقف عواطفه قبل أن تسيطر علي عقله، مضيئاً:

" لا لن أقع في نفس خطأ أخي وكل أبله يصدق امرأة في زمننا هذا...، فهذا الصنف من البشرية هو السبب في كل فساد، هن من يغوون الرجال وهن من يرتكب الرجل من أجلهن كل خطيئة..، فلا عجب أن أغلب أهل النار من النساء".

دلف إلي حجرتة وهو عازم علي الانتقام، مثلما خطط منذ أول يوم أجبرته أمه فيه علي هذه الزيجة.

\*\*\*\*\*



تربية الأبناء، مسؤولية وأمانة، لا تخلقوا فجوات بينكم وبين أبناءكم، حاولوا فهمهم والتقرب إليهم، ففساد الأجيال في زمننا الحالي ليس سببه المجتمع فقط، بل أساسه التربية.

ما دتمم أقبلم على الزواج فلتتحملوا تبعاته، وأهم مسؤولياته.. ألا وهي الأبناء، ربوا أجيال يُعتمد عليها، الزواج سنة الحياة والأبناء زينته، وتربيتهم الهدف الأسمى له.



دع الأيام تفعل ما تشاء  
وطب نفسًا، إذا حكم القضاء  
ولا تجزع لحادثة الليالي  
فما لحوادث الدنيا بقاء  
وإن كثرت عيوبك في البرايا  
وسرّك أن يكون لها غطاء  
تستر بالسخاء فكل عيب  
يغطيه كما قيل السخاء  
ولا ترِ للأعادي قط ذل  
فإن شماتة الأعداء بلاء  
ولا حزن يدوم ولا سرور  
ولا بؤس عليك ولا رخاء  
إذا ما كنت ذا قلب قنوع  
فأنت ومالك الدنيا سواء



## الفصل الخامس

مع اكتمال بزوغ ضوء النهار، رأت "همسة" الأرض، وقد أبشَّت<sup>16</sup> بزهور لم تتفتح بعد، لكنها عرفتھا، يبدو أنها كانت من المفضلة لديها قبل فقدانها للذاكرة، فهي لا تتذكر أنها رأتها خلال الستة أشهر الماضية، إنها زهور البنفسج<sup>17</sup> بأوراقها القلبية الشكل، لكنها هنا باللون الأحمر، فتفكرت في نفسها، يبدو أنها كانت مَوْلعة بها، لقد لاحت لها في الذاكرة بعض المعلومات الخاصة بها.

بدأ النوم يداعب عيونها بعد كل هذا السير مع نسيمات الفجر وأشكال الورود المختلفة، مما بعث الطمأنينة في قلبها، فدخلت الفيلا تأمل أن يستمر نُعاسها علي فراشها حتي تخلد إلي النوم.

صعدت إلي غرفة "هيثم" و"هند" لتطمأن عليهما، تذكرت أنها لم توقظهما لصلاة الفجر، فعبست قليلاً ونوت إيقاظهما معها كل يوم، لابد أن تغرس فيهما المحافظة علي الصلاة وتشعرهما بأهميتها مبكرًا، لكي ينشئا علي المداومة عليها، وكأنها جزء من يومهما لا يلهيهما عنها شيء.

<sup>16</sup>- أبشت : أي أنبتت الأرض أول نباتها

<sup>17</sup>- زهور البنفسج: زهور معمرة ذات رائحة عطرية، لا تتواجد باللون البنفسجي فقط رغم أنه المشهور عنها، ولكن قد تكون حمراء أو وردية أو بيضاء أو مختلطة، لها أكثر من 500 نوع، كما تحوي فوائد عدة.

دخلت إلي غرفتها، خلعت روبها، تحاول منع عقلها من التفكير في المستقبل، وأخيرًا غفت عند الساعة السابعة والنصف بعد معركة طاحنة مع عقلها .  
استيقظت علي دقائق عنيفة علي بابها، فنظرت في الساعة لتجدها الثامنة صباحًا.

- يا الله لم أنم سوى نصف ساعة فقط، ماذا يريد هذا المزعج؟!، فلا أحد سواه سيدق بابي بهذا العنف.

قامت من فراشها لترتدي روبها وتفتح له، ولكن قبل أن تمتد يدها للروب كان الباب قد فُتح، فوقف مشدوها قليلًا وهو يتأملها في منامتها الرقيقة الضيقة، أسرعرت ترتدي روبها وقد علت حمرة الخجل والغضب وجنتيها.

كادت توبخه ولكنه فطن لذلك فازدرد ريقه، واستدار بجانبه لينظر إلي الباب، كي يسمح لها بارتداء روبها وحجابها، ثم تحدث بصوت مرتفع يحاول تغليفه بالازدراء والغضب:

- ما شاء الله، هل أجلب لكِ فطورك في فراشكِ أم أحضر أدوات الزينة وأدلكِ لكِ قدمكِ، لا بد أن تعلمينا فخامتك بميعاد استيقاظكِ، لكي يكون الفُطور جاهز.

ثم اشتعلت عينه غلاً وغضبًا، وهو يستدير لها، مضيغًا:

- أين فطوري يا هانم؟

لملمت تركيزها وكرامتها المبعثرة، ثم تحدثت بصوت حاولت أن تظهره قوي متزن:



- لما كل هذا؟... قبل أي شيء...، كيف تدخل حجرتي دون استئذان هكذا؟  
نظر إليها باحتكار، وضحكة استهزاء من جانب فمه، وهو يردد:

- هذا بيتي، أدخل أي غرفة فيه وقتما يحلو لي، من تكونين لتسمحي لي بالدخول إلي هذه الغرفة أو تلك؟!، ألزم حدودك وأعلم أنك هنا مجرد خادمة فقط ليس أكثر.

تجمعت الدموع في عينيها، ولكنها أبت السماح لها بالنزول، فرفعت رأسها عاليًا باعتزاز، وكأنها تعلمه أن حتي إهاناته الجافة هذه لن تكسرهما.

- حتي الخادمة لها خصوصياتها، لا يحق لك أن تقتحم غرفتي دون استئذان، إلا إذا كنت تعتبرني جارية مجردة من كل الحقوق الإنسانية والحياتية، وهذا كما تعلم دون منزلة الخادمة.

زم شفتيه، وكور قبضته، وارتعش جانب فمه من شدة الغضب، ثبت عينه في عينيها وكأنه يحاول سحق انتصارها بجبروته.

- لا تنسين أنك للأسف...، زوجتي.

- ولا تنس أنك منذ برهة، بل وكلما رأيتني ذكرتني أنني مجرد خادمة، لم تعترف أبدًا أنني زوجك، حتي أنني أشك في أننا قد تزوجنا بالفعل.

أولاها ظهره، وهو يستشيط غضبًا ما هذه المرأة العنيدة؟، عندها ردود علي كل شيء، كيف لها أن تهزمه هكذا؟



- بالفعل أنتِ خادمة، ولكن حظي العاثر جعلكِ أيضًا  
ترتقي إلي منزلة زوجتي اسمًا، حتي وإن لم ....

صمت قليلًا يحاول أن يبحث عن كلمات تسعفه، ثم أضاف:

- حتي وإن لم أنم معك كزوج وزوجة، كُفِ عن هذه  
الفلسفة ولا تناقشيني أبدًا في أي شيء، وإلا  
سترين وجه لن تحبيه مطلقًا.

استدار لها وعلي شفثيه ابتسامة شماتة وعجرفة وهو  
يتفحص وجهها الذي رأي فيه غضبها العارم، وشفثيها  
المذمومة، التي ألجمها الخجل، صمت قليلًا ينتظر منها ردًا،  
مع علمه أنها لن تجرؤ، لقد تعمد إحراجها بذكره أمر  
الفراش، ولكنها اكتفت بنظرة غضب وهي تجز علي  
أسنانها، فأكمل:

- جيد أنكِ رجحتي العقل ولم تردِ علي.

تنفس بصوت مسموع لإنهائه هذه المعركة لصالحه أخيرًا،  
وذهب ليجلس علي فراشها، يضع قدم فوق الأخرى ويسند  
بكلتا يديه، وهو يرجع ظهره إلي الخلف قليلًا، و"همسة"  
تتابعه بغيظ واشمئزاز، تحاول جاهدة أن تمسك أعصابها،  
التي أوشكت علي الانفلات، حتى أنها نسيت إنهاءه عن  
هذه الجلسة، لعدم توافقها مع السنة.

- أولًا...، مواعيد الإفطار والغداء والعشاء، بالإضافة إلي  
مواعيد استيقاظي...، الطفلان في إجازة، ولذلك ميعاد  
إفطارهما مختلف عن ميعاد إفطاري.



أسندت ظهرها علي وحدة الأدراج مكتفة يديها، حتي لا تدمي باطنها بالضغط عليها بأظافرها... فهو يتعمد التوقف في كلامه ليستمتع بملامح وجهها الغاضبة العاجزة، عاد ليكمل:

- أنا استيقظ في الساعة...، أبدأ ببعض تمارين الركض لمدة ساعة...، إفطاري يكون جاهز في الثامنة والنصف...، أما الأولاد فعليك إيقاظهم في العاشرة، وإفطارهم في العاشرة والنصف...، أظن حتي الآن كلامي واضح ومفهوم؟

أومات برأسها دون التفوه ببنت شفة، فهي تعلم جيدًا إن تفوهت بحرف واحد سيكون كارثة في كل الأحوال، فبداخل جعبتها الكثير.

- جيد...، ستيسرين علي كلانا الكثير وأنتِ مطيعة وصامته هكذا...، وبالنسبة للغداء فأنا أحاول بقدر الإمكان أن أحضره مع الأولاد، لكي لا يأكلان وحدهما، ولكن بما إنك هنا فهذا سيريحني كثيرًا، فأحيانًا أضطر للغداء بالعمل، إذا اضطررت لذلك سأعلمك بالهاتف. رفعت حاجبها متعجبة، ولما يخبرها وهو لا يبالي بها ولا يحترمها من الأساس؟!

استطرد "أدم" كلامه وكأنه قرأ أفكارها:

- لكي لا ينتظرنني الأولاد علي الغداء بالطبع...، الذي غالبًا ما يكون في الخامسة، قد يتأخر قليلا بحسب



عملي، فكوني جاهزة في الخامسة في كل الحالات... مفهوم؟

سيخابرها من أجل الأولاد إِدًّا، لقد شرد خيالها إلي المستحيل... فهو لا يتقبلها، فكيف سيعترف بأنها زوجته، فضلا عن كون هذا أحد حقوقها عليه؟

عيل صبرها وهو يسألها بعد كل جملة "مفهوم؟"، هل يظنها غبية...، أم يستمتع بإذلالها...، أم يريد استفزازها ويختبر صبرها؟...، حاولت رسم ابتسامة صفراء علي وجهها، وهي ترد بصوت هذه المرة لكي لا تنوله ما ينشده:

- مفهوم.

لا يعلم "أدم" لماذا يستمتع كل هذه المتعة في إخضاعها، وفي الوقت نفسه يشناق لمناكفتها وردها عليه، فتعجب كيف لهذان الشعور أن يتواجدا في آنٍ واحد؟، ما هذا التناقض؟

- حسنا، أما العشاء، فأنا لا أمكث في البيت حتي مواعده، دائما أشرب قهوتي بعد الغداء، وأعود للعمل في السادسة...، العشاء غالبا يكون في التاسعة...، وحتى إن تأخرت أنا، لا بد أن يُقدم للأولاد في هذه الساعة، ليخلدوا إلي النوم في العاشرة.

رفع إصبعه السبابة محذرا، كأنه يُعَنّف طفلة، وهو يضيف:



لا يتأخرون عن هذا الميعاد مهما تأخرت أنا، ولكن أنتِ  
تنتظريني في كل الأحوال، لكي تقدميه لي إذا لم أتناول  
عشاءي في الخارج، و إذا احتاجت إلي شيء، فلا نوم قبل  
مجيئي.

نظرت إلي الساعة بجانب الفراش، لقد بلغت الثامنة  
والنصف، فكت يديها، واعتدلت وقد خلا وجهها من أية  
مشاعر، ثم قالت قبل أن تهتم بالخروج من الغرفة:  
- عذرًا... سأذهب لتحضير الفطور لكي لا تتأخر علي  
عملك.

استدارت لتغادر الغرفة، ولكنه استوقفها بنبرة غامضة خالية  
من التكبر والغرور هذه المرة:

- لن أفطر الآن... سأنتظر الأولاد... فأنا لن أذهب إلي  
العمل اليوم... سأكتفي بكوب "إسبرسو" الآن.  
ضربت "همسة" قدمها في الأرض، وقد احمرت وجنتاها من  
الانفعال، وهي تكيل له بنبرة غاضبة:

- وما دُمت لا تريد فطورك الآن، لِمَا كل هذه الجلبة  
والمحاضرات؟... ولماذا أيقظتني من الأساس، وقد  
غفوت منذ نصف ساعة فقط؟

ابتسم "أدم" وقد فرح لعودة روح المناكفة والمشغبة  
عندها، بعد عكوفها عن مجادلته منذ بدء حديثه، وكأنه طفل  
يتمتع بجرٍ خِناق صديقه، ثم أخفاها سريعًا، وهو يحاول



رسم الجدية علي وجهه، ويضيف إمعانًا في سكب البنزين علي النار لتزداد اشتعالًا:

- في كل الأحوال أنتظر منك أن تستيقظي قبل الثامنة سواء أردت الذهاب لعملي أم لا..، فعندما أستيقظ تستيقظين، سواء خلدت إلي النوم مبكرا أو تأخرت، هذا ليس من شأني.

صمت قليلا ينتظر منها أي رد، ولكنها خيبت ظنه لقد انعقد لسانها غضبا، تضامنا مع شرارة عينيهها، فأردف:

- هذا جدول يومي لكٍ فالتزم به كما هو، وأظن أنني قلت أريد كوب "إسبرسو"، لا تنسي سريعا أحب أن أتعامل مع ذهن متقدّ وتركيز حاضر، اذهب وحضريه الآن، أحبه بمعلقة سكر، اجلبيه لي في الحديقة، سأسير فيها قليلا لقد فوّت تمارين الركض اليوم، بسبب حُلم مزعج.

اعتدل في جلسته واستدار بجذعه لينظر إلي الفراش، غير مبالٍ، بالتي تفتت أسنانها من الجز عليها، وأدمت باطن يدها إثر تكوير قبضتها وضغطها عليها، لقد أرادت لكمه وإدماء هذه الشفاه التي تحوي هذا اللسان المسمّم ب سم الغلظة.

- عجا..، هذا الفراش مريح ويدعو إلي الاسترخاء، لقد حضرنني النعاس، وأنا جالس عليه بهذه الوضعية، أنتِ محظوظة به.



- هذا بسبب نفض الفراش الدائم والتسمية عليه، عملاً بحديث رسول الله -صلي الله عليه وسلم- " إذا آوي أحدكم إلي فراشه، فلينفذ فراشه بداخلة إزاره، فإنه لا يدري ما خلفه عليه، ثم يقول: باسمك ربي وضعت جنبي وبك أرفعه، فإن أمسكت نفسي فارحمها، وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين" <sup>18</sup>، فاتخذها عادة تجد أن ما يطلقون عليه طاقة سلبية سترحل عن فراشك.

نظر إليها بتعجب، ثم قام من مجلسه واتجه إلي الباب، متحدثاً هذه المرة بصوت هادئ وعميق:

- سأخذ بنصيحتك، ولك الأجر والثواب. ولكن نبرته هذه لم تدم، بدّلها سريعاً، وكأنه آلة لا علاقة لها بالمشاعر، وهو يأمرها:

- والآن أسرع بتحضير "الإسبرسو"، فأنا لا أحب الانتظار.

اغتاظت وقد تضاعف كرهها له، ترد من بين أسنانها:  
- لك ما طلبته.

ثم أضافت بعد خروجه:

- مؤقتاً، فقط يا "آدم الشامبي".

ارتدت "إسدال" الصلاة، ونزلت إلي المطبخ، أعدت اثنان "إسبرسو"، فهي لم تأخذ كفايتها من النوم بعد، تركت كوبها في المطبخ، وأخذت كوبه إلي الحديقة، فوجدته علي

<sup>18</sup>- حديث أبي هريرة .. رواه البخاري.

الأرجوحة، يبدو عليه الشرود، يبدو عليه التفكير بأمر يشغل عقله ويفصله عن الواقع، فتأملته قليلاً...، عندما لا يوبخها وينسى وجودها، يبدو شاب هادئ ووسيم، يخدع من ينظر إليه.

- يا الله ماذا دهان؟، هل أراه هكذا وهو الذي لا يتوانى لحظة عن إهانتني وتوبيخي، فهو ليس إلا رجل متعجرف، أناني وبغيض...، ضعي في رأسك هذا ولا تحيدي عنه.

رفعت رأسها باعتزاز، وأكملت سيرها إلي الأرجوحة التي يجلس عليها، قدمت المشروب.

- تفضل "الإسبرسو".

التفت إليها بشرود ولكن دون أن يمد يده، كأنه لا يراها أو لا يعي وجودها أصلاً...، ثم استفاق من شروده وتناوله منها دون كلمة شكر واحدة، فزمت شفيتها وابتعدت عائدة إلي المطبخ، سمعته ينادي عليها، فتوقفت دون أن تلتفت.

- لا أريدك أن تنامي مع الأولاد بعد ذلك، وكل منهما له غرفة ينام فيها.

التفت إليه وهي تنظر إلي الأرض، تفكر وقد اعتلت وجنتيها حمرة، هل رآها وهي نائمة مع الطفلين؟، لعنت خجلها الذي يُلجم لسانها، وردت بصوت يكاد يكون مسموع:

- حاضر...، لم أكن أنوي النوم معهما...، فقط غلبني النوم فنمنا جميعاً...، هل هناك شيء آخر؟



- حاليًا لا... ولكن لا تنسي إيقاظ "هند" و"هيثم" في العاشرة.

عادت إلي المطبخ، نظرت إلي الساعة لتجدها التاسعة والرابع، فتحت الشرفة وجلست بالقرب منها تحتسي قهوتها ومعها مفكرتها، تدون فيها بعض الأحداث الهامة حتي هذه اللحظة، فهي لم تكتب فيها منذ انتقالها إلي بيت الحاجة "عايدة" بسبب انشغالها في التحضير للغرس، ظلت تكتب دون توقف، لم تنتبه لما حولها وذهب عقلها يجب كل موقف تسطره، إن الكتابة تعني لها الكثير فهي التي تُنسيها أحزانها وتحمل عنها أعباءها.

- هل تتكرم الهانم وتوقظ الأولاد، وتُحضر لنا الفطور، أم أن وقتك لا يسمح؟

انتفضت بشدة، فوقعت منها مفكرتها وقلمها، وكاد الكوب أيضًا أن يسقط لولا أمسكه "أدم" في آخر لحظة قبل أن يصل إلي الأرض، فيُسكب ما تبقي فيه علي يده ومنها إلي الأرض... لم تسمع أصوات أقدامه، فهي عندما تكتب تتخيل كل ما تكتبه وتراه وكأنها تعيشه مرة أخرى، فتنتقل إلي عالم آخر.

تحدث بغضب وهو ينظف يده بمحرمة:

- لماذا كل هذا؟... هل أخفتك إلي هذا الحد؟، لقد تلطخت يداي.

قامت لتنظف الأرض، وهي خجلة.



- عذرًا، كنتُ شاردة، فهذه عادتي عندما أكتب، لا عليك... لم أخف... بل انتبهت للصوت دُونَ ما في يدي.

استعداد عدائته، وهو يوبخها:

- أنا لا أعتذر لك...، فأنتِ من يستوجب عليه الاعتذار، كنت أستفسر لما كل هذه الانتفاضة، وأوبخك علي التأخير في إيقاظ الأطفال، كأنني لم أنبه عليكِ مرتين قبل ذلك، اعلمِ أنني لا أحب الإهمال أو التهاون والاستهتار أبدًا.

كورت قبضتها الخالية من المنشفة، تستعيز من الشيطان في سرها، ثم نظرت إلي الساعة، فإذا هي العاشرة والرابع، ابتسمت ابتسامة صفراء رافضة استفزازه، تتحدث من بين أسنانها:

- أنا التي تعتذر منك سيد "أدم"، عذرًا علي إهمالي لن تتكرر مرةٍ أخرى...، هل هناك المزيد من التوبيخ والإهانات أم أذهب لإيقاظ الأولاد؟

فكر قليلاً، وقد ارتضي وشفني غليله، ثم أجاب:

- لا، اذهب لإيقاظهم، ثم أسرع في تجهيز الفطور، ولا أريد تأخير هذه المرة، لا أعلم فيما كنتِ تشردين وماذا كنتِ تكتبين، لا شك أنها مجرد تفاهات. اتجهت إلي الباب غير عابئة بإهانتة هذه المرة، وهي ترد عليه:

- هي تفاهات في نظرك، ولكنها في نظري من أثنم اللحظات التي أقضيها وأسعدها.



- أه كدت أنسى، لا تنادينني أمام الأولاد بسيدي أو سيد "أدم" التي ناديتني بها منذ برهة، ناديني أمامهم باسمي ولا داعي لمزيد من العداوات أمامهما.

ألقي بالمحرمة على طاولة المطبخ، مستكبرًا أن يلقيها بالقمامة خلفه، ثم أضاف بصوت بارد:

- وأنا من ناحيتي سأحاول تقبل وجودك معنا علي نفس المائدة، فأنا لا أريد للأولاد أن ينشئوا في بيئة خلافات ومشاكل وتوتر، أريدهم أسوياء.

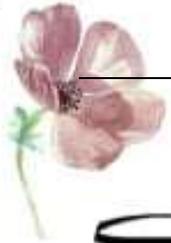
نظرت له من تحت رموشها، وهي تبتسم ابتسامة جانبية قبل أن تتحدث هازئة:

- يدهشني هذا التفكير وهذه اللافتة منك، لم أتوقعها صراحة، يبدو أنك تحبهم حبًا جمًّا لكي تتحمل عناء معاملتي معاملة آدمية.

قرب ما بين حاجبيه، وزم شفثيه يحاول التحكم في غضبه. يبدو أن روح المشاغبة قد عادت إليك، اذهب الآن من أمامي، لكي لا أتهور أو أتصرف بما لا يُحمد عُقباه.

استجابت لطلبه وعلي فمها ابتسامة واسعة، فهي تجد متعة في مناكفته وإغضابه، وتسعد عندما تهزمه في المناكفة، سعدت إلي غرفة الأطفال، حاولت إيقاظهما بصوت حنون مع هزة خفيفة، لكي لا تفزعهما<sup>19</sup>؛ حتي استيقظا تمامًا وألقيا عليها تحية الصباح.

<sup>19</sup> - فلطريقة إيقاظ الأطفال أثر علي سلامتهم النفسية، واستجاباتهم للتوترات.



قبّلتها "هند" علي خدها، فاحتضنتها حزن طويل، ثم قامت  
بالسلام الخاص بهما بالأيدي مع كل منهما، والذي ابتكروه  
أمس كنوع من المرح، وعندما أعلمتهما بوجود عمهما  
بالأسفل وعدم ذهابه للعمل، تحمسا كثيرا.

قفزت "هند" علي الفراش، وهي تتحدث بفرح:

- جميل... سنلعب سوياً نحن الأربعة اليوم، سيكون  
أجمل يوم في حياتي.

أخذ "هيثم" منشفته وجلب ملابسه في ثوانٍ وأسرع إلي  
الحمام، وهو يؤيدها:

- أنا أيضاً متحمس، لكل دقيقة اليوم، لقد اشتقت للعب  
مع عمي كثيرا.

تسمّرت "همسة" في مكانها وخبث ضحكتها، محدثة  
نفسها.

"يا الله سيخيب ظن الأولاد كثيرا، ف"أدم" لن يتحمل كل هذا  
ولن يسمح به، يا لهؤلاء الأطفال المساكين، وعدت نفسها  
أن تحاول بكل الطرق إسعادهما".

- في ماذا تشردين يا عمة "همسة"؟

رسمت علي ثغرها ابتسامة، وهي تجيبها:

- لا شيء يا حبيبتي، ألن تذهبي لتتحممي وترتدي

ثيابك؟، لا نريد أن نتأخر علي العم "أدم"... سأذهب

لتحضير الفطور، ريثما تنتهون من ارتداء ثيابكما.

قالت "هند" وهي تجري إلي غرفتها:



- انتظرينا لن نتأخر، ألم نتفق علي تحضير الطعام سوياً،  
أنا أحببت هذه المشاركة بالأمس.  
ابتسمت "همسة"، وهي تحاول إخفاء توترها بمرح  
متلعثمة في كلامها:  
- عمكما جائع وسيأكلنا جميعاً، إن لم أعد الفطور  
سريعاً، سنعد الغداء والعشاء سوياً، ما رأيك؟  
سعدت "هند" وهي علي باب الغرفة باحترام "همسة" لها  
ولرغبتها، والاهتمام بسؤالها عن رأيها.  
- أنا أحبك كثيراً يا عمّة "همسة"، أنا أيضاً جائعة جداً،  
سأسعد وأنا أفعل معك أي شيء.  
نزلت "همسة" وعلي شفيتها ابتسامة حالمة، لقد حركا  
فيها مشاعر الأمومة، محدثة نفسها:  
"إن هؤلاء الأولاد طيبين غير عمهما تماماً، ويستحقون كل  
هذا الحب منه، كم أتمني مساعدتهما وإسعادهما".  
أسرعت في إعداد الفطور، كانت تضع اللمسات الأخيرة قبل  
أن يدخل عليها "أدم".

- أري أنك أنجزتِ بالفعل، أين الأولاد؟  
- شكرا لك، إنهم يغيران ثيابهما، لحظات وسيكونان هنا.  
أجابت "همسة" وهي تنظر أمامها تُكمل تزيين أطباق  
الطفلين، لم تُكمل كلامها، حتي دخل الطفلين وهم يعدون  
اتجاه عمهما، يحتضناه ويتعلقان في رقبتة، تعبيراً عن  
فرحهما لجلوسه معهما اليوم.



- مهلاً، مهلاً لست بقوتكما، سنري بعد الفطور من منّا يغلب الباقيين في الركض ومسابقات القوة، فكلاً جيداً لتستطيعا المشاركة.

توقفت "همسة" وظلت تُحدّق فيهم كيف ينقلب "آدم" فجأة ويتبدل من حال إلي حال هكذا، سعدت لأنه يعامل الأطفال بكل هذا الحب، ضحكته معهما صافية، ومعاملته معهما رقيقة رغم قوة بنيانه، فانتبهت قبل أن يلاحظ تركيزها عليه، وأكملت اللمسات الأخيرة، ثم شرعت في نقل الفطور إلي طاولة الطعام خارج المطبخ لتخفي توترها، وقبل أن تخرج من المطبخ ناداها "آدم":

- لا داعي لنقل الفطور إلي غرفة الطعام، سنتناول فطورنا هنا علي هذه الطاولة.

نظرت إليه متعجبة، ثم فعلت ما طلب منها، يساعدها الأولاد في نقل الفطور إلي المائدة، بينما جلس هو دون مساعدة، يتعجب من حماس الأولاد في مساعدتها وابتسامتها، التي تُظهرها لهما من حينٍ لآخر.

جلست هي والطفلين، وشرعوا في تناول الفطور جميعاً.

- عمي "آدم"، لماذا لم تساعدنا في نقل الفطور، لابد أن نتعود علي فعل كل شيء بأنفسنا ونساعد بعضنا البعض، فالعمة "همسة"، علمتنا هذا لكي نتحمل المسؤولية، وأنا اقتنعت بهذا وأحاول تطبيقه.

قضب "آدم" جبينه، ثم نظر إلي "همسة"، التي احمرت وجنتيها ووضعت عينيها علي طبقها، لم تستشف شيء من نظرتة، لقد كانت نظرة خاوية لم تفهم ما تحويها.



- "هند" حبيبتي، عمك "أدم" يتحمل المسؤولية بالفعل، فهو يجتهد في عمله كل يوم، لكي يجلب لكما المال، الذي تشترون به احتياجاتكما، كما أنه يكون بجانبكما دائما يلعب ويحنو عليكما، فيكفيه ما يتحمله من مسؤولية.

هذه المرة هو الذي ظل يُحدِّق بها، حتي أنها شعرت بنظراته تخترق عقلها قبل قلبها.

- أنا أعتذر منك يا عمي، لم أقصد، كنت أود مشاركتك معنا في كل شيء، لأنني أحب وجودك بجانبنا، فأنت بالفعل تحمل مسؤولية كبيرة.

ثم نزلت عن مقعدها، تضع قبلة علي خده، فقبلها هو الآخر، وقد توتر وشرد قليلاً، متسائلاً في نفسه.. "يوم واحد جلسته مع الأولاد وثقوا فيها كل هذه الثقة، وتعلموا كل هذا؟!، لقد شعر أنهما نضجوا وكبروا شهوراً أو سنيّاً عن عمرهما، وكأنها أسقتهم مشروباً سحريّاً، أم أنه لم ينتبه إلي تصرفاتهما التي بدأت تكبر مع سنهما من قبل، يا الله.. أكاد أجن".

- لماذا لا تأكل يا عمي؟

عاد من شروده، وابتسم، وهو يجيب:  
شردت قليلاً يا "هيثم"، سأكمل فطوري الآن يا حبيبي.  
ابتسم "هيثم" ونظر إلى "همسة"، وهو يعلق:

- بالتأكيد شردت في العمة "همسة"، ومن غيرها!  
نظر له "أدم" كالأبله، ورفعت "همسة" حاجبها بذهول، قبل أن تتدارك الموقف.



- لا يجوز التعليق علي مثل هذه الأمور يا "هيثم".  
ثم قامت عن المائدة وهي تحمل طبقها، تحاول تجاوز  
الموقف.

- ما رأيكما في مشروب منعش، وأنتم تلعبون في  
الحديقة؟

- فلنعهه سويًا إذًا، ثم نذهب جميعًا للعب.  
- تحضيره سهل يا "هند"، لن يأخذ وقت اذهبوا أنتم،  
وأنا سألحق بكم... مهتمكم أن تعدوا مكان اللعب،  
وتفكروا بأي لعبة سنبدأ.

- موافقة ولكن سنرفع معك المائدة أولاً.  
ضربت "همسة" رأسها برأس "هند" ضربة خفيفة، وهي  
تبتسم لها مجيبة:  
- اتفقنا.

شارك الجميع في رفع المائدة حتي "أدم"، ثم انتقل هو  
والطفلين إلي الحديقة ليلعبوا، ريثما تُعد "همسة" لهم  
المشروب.

وقفت تعد المشروب بحب وهي سعيدة، فـ"أدم" كان لطيف  
معها في وجود الطفلين كما لم تتوقعه تمامًا، ثم عبست  
وهي تُأنب نفسها،

"لقد قلتها بلسانك من أجل الطفلين، وليس من أجلك، فلا  
تذهب بخيالك الخصب بعيدًا، ثم أنك لا تريدن منه التخلي  
عن جبروته، فيصعب عليك الانتقام منه علي أفعاله معك".



انتهت من تحضير المشروب وذهبت به إليهم، فسرَّ الطفلين به كثيراً، لقد أضافت اللبن إلي الكيوي مع القليل من العسل، فضاع لذع الكيوي، وأصبح طعمه مستساغ لهما.

- هيا نلعب سوياً، فما رأيكم بالغميضة؟، أنا والعمة  
"همسة" فريق، و"هيثم" وعمي "أدم" فريق.

نظر "أدم" لـ "همسة" نظرة جوفاء، وقال بحسم:

- العمة "همسة" وراءها الكثير من الأعمال لكي تنهياها يا "هند"، ووقتها لا يسمح باللعب الآن، فدعونا نكمل مسابقتنا، أنا تغيبت اليوم مخصوص من أجلكما.

شعرت "همسة" أنه كُسر شيء جديد بداخلها، فنظرت له بغیظ، ووجه تحاول جاهدة ألا يظهر عليه عدائيتها له، لكي لا تُعكر مزاج الطفلين.

- حقا يا "هند" أنا عندي الكثير من الأعمال، ولكن أعدك أن أنتهي منهم سريعاً، وأعود للعب معكما أنتِ و"هيثم".

ثم أسرع بالمغادرة، قبل أن يُلح عليها الطفلين، ولكي لا تقبض علي عنق هذا الـ "أدم"، وتنتهي حياته لتستريح وتشفى غليلها.

أفرغت شحنة غضبها بالإبداع في طهي الطعام، فاخترت مراحل الصعبة وشرعت في تجهيزها، وتركت الجزء الأسهل لكي تنجزه مع "هيثم" و"همسة" كما وعدتهما، قطع عملها أذان هاتفها يعلن عن دخول صلاة الظهر فتركت ما بيدها، وذهبت لتتوضأ، ثم ذهبت إليهم فوجدتهم قد استلقوا علي أرض الحديقة يبدو عليهم التعب.



- لقد أذن الظهر، فلنقم بما اتفقنا عليه يا "هيثم" أنت و "هند" هل تذكران، هيا نُشجع بعضنا؟
- فليؤمنا عمي "أدم" إذًا، ما رأيك يا عمي؟
- اعتدل "أدم" وهو يتسم لـ"هيثم".
- وهل هذا عرض يُرفض، هيا بنا للوضوء.
- توضأوا جميعًا، وانتظروا مجيء "هند"، ولما تأخرت ذهبت إليها "همسة"، وجدتها قد بعثت خزانة ثيابها، فاقتربت منها، تخفي غضبها من المنظر، تسألها مستفسرة:
- لما كل هذه البعثة يا "هند"، عن ماذا تبحثين؟
- كان عندي جلبابين للصلاة، ارتديت أحدهما أمس في كل الصلوات، وظللت أرتديه بعد صلاة العشاء وعندما كنا نتناول طعام العشاء اتسخ، والآن أبحث عن الآخر ولم أجده.
- كل هذا العبوس وهذه البعثة من أجل عدم عثورك عليه؟، لقد نفعتك ميزة طولك إذن، فأنت اللهم بارك قريبة من طولي كثيرًا، تعالٍ معي لأعطيك واحد من عندي، وقبل أن أنسي تذكري أن جمع وترتيب كل هذه الفوضى مسؤوليتك.

ثم غمزت لها بعينها وأضافت هي تبتم:

- يبدو أنني بعد سنة أو اثنين أنا من سأستعير منك الثياب، هل والديك كانا طوال القامة؟



أجابت وقد زال عبوسها، وحل مكانه ابتسامة زينت ثغرها،  
وهما في طريقهم لغرفة "همسة":

- لا، لقد ورثت أنا طول أبي، و"هيثم" ورث قصر أمي  
رحمهما الله، هي لم تكن قصيرة كثيرًا، لقد كانت في  
مثل طولك تقريبًا أو أطول قليلًا، ولكن أبي كان فارع  
الطول، حتي أنه كان أطول من عمي "آدم" كثيرًا، كما  
أنني لست تسعة أعوام بالضبط، أنا تسع سنوات و7  
أشهر، اقتربت أنا و"هيثم" من العشر.

علقت "همسة" وقد اتسعت ابتسامتها عن آخرها:

- سنة واحدة أصبحت فارق في طولك، أسرعني في  
ارتداء الجلباب، لكي لا يوأدنا عمك "آدم" بعد كل هذا  
التأخير، أو يصلي هو و"هيثم" ويتركانا.  
أمهم "آدم" بعد أن أبدي تدمره من تأخيرهما كما توقعت،  
تمنت "همسة" أن تكون الصلاة جهرية لتسمع صوته في  
القرآن، ولكنها سعدت باطمئنانه<sup>20</sup> في صلاته، ثم ختموا  
الصلاة بالأذكار، وقبل أن يقوموا من مجلسهم، رن جوال  
"آدم" فرد عليه وهو في طريقه إلي حجرة مكتبه، فيما ذهب  
"هيثم" و"هند" مع "همسة" إلي المطبخ ليكملوا معها  
طعام الغداء.

<sup>20</sup> - الاطمئنان من شروط صحة الصلاة، كما جاء في حديث رسول الله -صلي الله عليه وسلم- عندما دخل إلي المسجد فدخل  
رجل بعده فصلي، فسلم علي النبي فرد وقال: " ارجع فصل؛ فإنك لم تصل"، فرجع يصلي كما صلي، ثم جاء فسلم علي النبي،  
فقال: "ارجع فصل؛ فإنك لم تصل"، ثلاثا، فقال: "والذي بعثك بالحق ما أحسن غيره، فعلمني"، فقال: "إذا قمت إلي الصلاة  
فكبر، ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن، ثم اركع حتي تطمئن راعا، ثم ارفع حتي تعتدل قائما، ثم اسجد حتي تطمئن ساجدا، ثم  
ارفع حتي تطمئن جالسا، وافعل ذلك في كل صلاتك كلها" .. متفق عليه.

- السلام عليكم.
- عليكم السلام ورحمة الله وبركاته، أهلا يا حبيبي.
- أهلا بكِ يا أمي كيف حالك حبيبتي؟
- بخير الحمد لله، أين أنت الآن، وكيف حال "همسة" والأولاد؟
- أنا في البيت يا أمي، أخذت هذا اليوم إجازة...، الحمد لله جميعهم بخير.
- حقًا، أسعدتني بهذا الفعل يا بني، ربنا يسعدك ويهدي لك الحال، الحمد لله أنكم جميعًا بخير، لقد قلقت عليكم اتصلت أنا و"ندى" كثيرًا علي هاتفك ولكنه كان مغلق دائمًا، وهاتف "همسة" كان يدق دون رد.
- عذرًا يا أمي، لقد أغلقت هاتفني لكي أبعد عن العمل اليوم ولا يزعجونني كالعادة.
- أنا سعيدة جدًا بهذا التقدم يا "أدم"، أنت الآن ابني الذي أنجبته وربيته علي الحب والعدل، بارك الله فيك.
- أخشي أن أخيب أملك يا أمي، أنا لم آخذ إجازة من أجل هذه الفتاة التي فرضتها علي، أنا أخذتها لأنني تعبت من سفريّة الأمس، كما أنني لم أقضِ مع الأولاد يومًا نلهو ونلعب فيه منذ فترة طويلة، وغدًا يوم عمل عادي جدًا.
- طال الصمت قليلًا من الجهة الأخرى.
- أمي أما زلتِ معي ؟



- نعم، ولكنك خبيت ظني بالفعل، أين "همسة" أريد أن أحدثها؟

قَصَّبَ جبينه، وضيَّق ما بين حاجبيه، ممتعضًا من السؤال عليها، وهو يجيب:

- في المطبخ مع "هيثم" و"هند"، فأنا جلست من أجل الأولاد، وهم يتركونني ويجلسون معها بحجة مساعدتها، علي كل حال، دقيقة واحدة أستدعيها للرد عليك.

ترك "آدم" الهاتف علي المنضدة واتجه إلي المطبخ، فتناهى إلي سمعه أصوات ضحكات عالية وهمهمات، دخل المطبخ ليجد ثلاثتهم يرتدون مئزر المطبخ، وكل منهم مشغول بما في يده، فصمتت ضحكاتهم فور دخوله، وقد تعجبوا لمجيئه، عبس قليلاً وهو يتأملهم.

- هل جئت لتساعدنا عمي "آدم"؟  
- سأقوم ببعض الأعمال في المكتب أولاً يا "هيثم"،  
أمي تنتظرك علي الهاتف يا "همسة"، فأسرعي هي لن تنتظرك العمر كله.

ردت "همسة" ممتعضة من أسلوبه:

- ولما لم تُجلب الهاتف هنا، فأمامنا أنا والأولاد الكثير من العمل؟

كور "آدم" كفيه وهو يحاول إخفاء غضبه أمام الأولاد، لن يخبرها أنه ترك الهاتف هناك كي تحدث والدته أمامه، فإذا



جلبه لها هنا، لن يكون عنده حُجة للوقوف والتنصت علي المحادثة.

- الهاتف بغرفة المكتب.

قالها ثم غادر المطبخ سريعًا متجهًا إلي هناك، تركت "همسة" ما بيدها، وهي تمد شفاهها بامتعاض للأمام كطفل غاضب، وذهبت لترد علي الهاتف.

- السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، لقد أوحشتني يا حاجة.

- عليكم السلام ورحمة الله وبركاته، يا جميلتي، ولكن لما تنادينني بالحاجة، أنتِ من يوم زواجك بابني لابد أن تنادينني بأمي، لا أريد أن أسمع منكِ سوي أمي فقط.

نظرت "همسة" إلي "أدم" الواقف بالقرب منها يتصنع انشغاله بكتاب ما في المكتبة، فوجدتها فرصة لتعكير مزاجه وإغاضته، جلست علي أقرب مقعد ووضعت ساق فوق الأخرى، ثم أجابت بصوتٍ عالٍ وهي تبتسم بزهو:

- حاضر يا أمي، لن تسمعي من فمي "الحاجة" بعد اليوم أبدًا... من الآن فصاعدا، بل من الأمس لن أقول سوي أمي فقط، فهذا شرف لي يا أجمل أم.

وكان ظنها في محله، التفت "أدم" إليها والشرر يتطاير من عينيه، وفتح فمه، كاد ينفث ما فيه ولكنه أغلقه مرة أخرى



دون أن ينطق بكلمة، فعوضها بنظرة تحوي الكثير من  
الغضب والكره، وكأنه يُخزن لها لينتقم.  
- سأطمئن عليك يوميًا علي هاتفك، إذا لم يضايقك  
حبيبتني.

اعتدلت "همسة" في جلستها، وهي ترد بامتنان:  
- وكيف يضايقني هذا سيسعدني كثيرًا اتصالك، فأنا من  
يستأذن التواصل مع "ندى" ومعك، فأنتما الآن أهلي  
الحقيقيون.

- إذا اتفقنا علي مكالمة ثابتة يوميًا، فأنا أشتاق كثيرًا  
لجلستنا الثقافية التي كنا نتبادل فيها ما قرأناه، أثناء  
مكوثك معنا قبل العرس.

- وأنا أيضًا، افتقدتها كثيرًا سننظمها بإذن الله، فجلساتك  
دسمة، ولن أتنازل عنها بسهولة.

- إن شاء الله..، هناك أمر آخر أريد أن أحدثك فيه.  
- كلي آذان صاغية أُمي.

- أطلب منك أن تسامحينني علي معاملة "أدم" لك،  
فهو طيب القلب صدقيني، ولكن الماضي يؤرقه..، لم  
يستطع التغلب علي آلامه، التي حفرت بداخله ندب  
كبير حتي الآن، ولكنني واثقة أنه سيتغلب عليها قريبًا  
بإذن الله.

نظرت "همسة" إلي "أدم"، الذي ترك ما بيده معلنًا  
استماعه لهم بوضوح، ثم ردت بأريحية:



- كيف هذا؟... من قال لك يا أمي أنه يعاملني بطريقة سيئة؟، بالعكس هو جيد معي ويراعيني كثيرًا.
- حقا؟!... حسنا يا ابنتي أنا سعيدة لسماع ذلك منك...، كيف هما "هند" و"هيثم"، لقد اشتقت إليهما؟
- وهما أيضًا، لقد فرحا أنكِ علي الهاتف، فما رأيكِ بسماع صوتهما، سيسعدان كثيرًا بذلك؟
- لقد اشتقت لجلبتهما هنا، ولكني حسبما سمعت أنهما سعداء بمساعدتك في المطبخ، سأتصل بهما في وقت لاحق، كما أنني انتظركما قريبًا...، سأترككِ لمطبخكِ أيتها الطباخة الماهرة، أحبك كثيرًا ابنتي العزيزة.

نسيت "همسة" وجود "أدم" في الغرفة، وتكلمت بحميمية كادت تُبكي عينيها:

- وأنا أيضًا أحبك أمي، في حفظ الله ورعايته، إلي أن نلتقي قريبًا بإذن الله.

أغلقت الهاتف ووضعت علي المنضدة، همّت بالمغادرة ولكنها توقفت عندما سمعت "أدم" يصفق بطريقة مسرحية، فاستدارت له وهي تنظر له بدهشة، متسائلة عما حدث لهذا الاستهزاء.

- أحسنتِ كان أداء رائع، صراحة كلكم بارعين في التمثيل دومًا، لقد كادت دمعة تفر من عيني...، تولدون وكأنكن قد تعلمتمن أساسيات التمثيل في بطون أمهاتكن، ثم تتقنونه بالممارسة اليومية.



نظرت له "همسة" وقد أغممها حاله، فمهمتها معه إن لم تكن مستحيلة، فهي من أقصى درجات الصعوبة، فأرادت إغلاق فمه وإفحامه بطريقة لا يستطيع بعدها الحديث، فمزاجها الآن جيد لا تريد تعكيره بسباقهما الانتقامي، رفعت أحد حاجبيها وهي تقول:

- "يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم" <sup>21</sup>، وذُكر في الأثر أيضاً: "وضع أمر أخيك علي أحسنه حتي يجيئك ما يغلبك" <sup>22</sup>، أظنه رد مناسب علي اتهامك لي .

ثم خرجت مسرعة قبل أن يفيق، وبعد مدة قصيرة وجدته يدخل عليهم المطبخ يطلب "هيثم" و"هند" لمحادثة جدتهما وعمتهما، ولكن مر الوقت ولم يعد أحد منهما، فتوقعت أن "أدم" قد أغراهم باللعب معه بطريقة ما...، فضحكت وهي متعجبة لأفعاله، هل يغار إلي هذا الحد علي أبناء أخيه أم أنه يحاول إغاضتها فقط؟، إن فعله أمر طفولي جداً، فرددت بصوت مسموع لنفسها:

"لا يهم، المهم أنني قد دخلت الحرب بكل ثقلي، ولن أخرج منها خاسرة أيها الطفل الكبير، ولا شك أن الطفلين قد بدءا ينفذا أول خططي مع عمهما الآن، مهما بلغ ذكاءك، فالمرأة تكسب دوماً في طريق الحيل يا "أدم" بك".

\*\*\*\*\*

<sup>21</sup> - سورة الحجرات

<sup>22</sup> - أثر لـ عمر بن الخطاب رضي الله عنه، عندما نصح الناس في خطاب له بثمان عشر حكمة.. المصدر: الخطيب البغدادي في "المتفق والمفترق".



- أنا فزت .

قالتها "هند" بفرح وهي تقفز وتصفق بكلتا اليدين.

- أحسنتِ، مستواكِ تقدم كثيرًا في الأحاجي يا "هند"

- عمي لقد اشتقنا إلي جدتي وعمتي "ندی"، فهل

تأخذنا لنراهم غدًا؟

- لنؤجلها قليلًا يا "هيثم"، أنا اليوم أخذت إجازة

وجلست معكما، لن أستطيع أخذ إجازة ليوم آخر

وخاصة غدًا الخميس، فهو يوم حافل بالاجتماعات

الهامة عندي، ولن أستطيع تأجيل العمل أكثر من

ذلك، ولكنني أعدكم بالذهاب في أقرب وقت بإذن الله.

- إذا نذهب بعد الغد، فهو يوم الجمعة والشركة كلها

إجازة، أنت دائمًا تُقضيه إما في سفريات عمل، أو في

المكتب أيضًا تعمل، فهل العمل عندك أهم منا يا

عمي؟

انتهت "هند" من كلامها، ونظرت إلي الأرض مفتعلة الحزن،

فانخدع "أدهم بحزنها، ونسي أنه اتهم "همسة" وجميع

جنس النساء منذ قليل بإتقان التمثيل.

- دائما تغلبيني في الكلام يا "هند"، تذكريني بأحد

ولكن لا أعرف من هو!، أنا موافق علي الذهاب إلي

هناك يوم الجمعة، مع أنني كنت قد أعددت لسفريه

هامة، ولكنني سألغيها من أجلكما، فأنتما عندي أهم



من العمل، لا أريد سماع هذا منك مرة أخرى، واعلما  
أني أحبكما حبًا جمًّا.

احتضنه الاثنان، فاحتواهما بذراعيه.

- أحبك كثيرًا يا عمي، أنا أعرف بمن أذكرك... فكر  
قليلاً... اعتبره لغزًا .

فكر قليلاً، وهو يحك رأسه، ثم أمسك ذقنه بالسبابة  
والإبهام، إمعانا في التفكير، وأخيرًا سألها:

- بمن، أيتها المشاغبة، غُلب عقلي؟

ابتسمت "هند" بمكر، وهي تجيب:

- أشبه العمه "همسة"، فهي ذكية مثلي.

كشر "أدم" وزم شفثيه معلقًا:

- وهل العمه "همسة" تغلبنى في الكلام، مثلكِ؟

اعتدلت "هند" وهي تجيب بحماسة من ينصب الفخ وهو  
مصدر اهتمام:

- أحيانًا وليس دائمًا.

اشتعل "أدم" غضبًا وكور قبضتيه غيظًا، وحدث نفسه:



"فإذا كان الأطفال يرون ذلك، فكيف إذا اجتمعت بها أمام الكبار، ستنتهز الفرصة وتعاملني بعناد وكبرياء، لا بد لي من كسرهما ووأد شخصيتها العنيدة هذه في أسرع وقت.

- عمي فيما شردت؟، لا تحزن إذا أردت سأعلمك كيف تكون ذو شخصية مؤثرة قوية.
- قالتها "هند" وهي تبتسم في خبث يواريه الاهتمام، فأجبر "آدم" نفسه علي الابتسام، قائلاً:
- شكراً يا "هند" حتماً سأستفيد منك لاحقاً.
- هيا بنا يا "هند" نساعد العمه "همسة"، لقد وعدناها بالمساعدة في تحضير الغداء، وها نحن أخلفنا معها.

رفع "آدم" حاجبيه، أل هذا الحد يفضلون مجالستها عن مجالسته!

انتهوا من تحضير الطعام، وتناولوه في الخامسة في صمت إلا من القليل من التعليقات والدُّعبات من الطفلين، ثم اتجه "آدم" إلي مكتبه ليعمل قليلاً، والطفلين مع "همسة" ينفذون ما خططوا إليه أمس، كنظام يمشون عليه في الإجازة، وقد كان وقت الموهبة، كل منهم يمارس الهواية التي يحبها ثم يعرضونها علي بعضهم البعض.

وفي الثامنة والنصف تجمعوا جميعاً من جديد، إلا "همسة" التي ذهبت لتنظيف المطبخ وتحضير العشاء، رافضة مساعدة الأطفال لكي يجالسان عمهما.



تناولوا العشاء ولكن هذه المرة تشارك الجميع في الحديث، بعدما فرح "آدم"، وقد ظن أن الطفلين اختارا المكوث معه بإرادتهما، فارتضى غروره.

وفي نهاية اليوم طلب الطفلين من "همسة" قص قصة قبل النوم، وبعد إلحاح منهما والاتفاق علي طريقة ثابتة يوميًا للنوم، حيث اختارت "هند" القراءة، و"هيثم" سماع القرآن والتسبيح وافقت، فبدأت قصتها بديباجة غير المعتاد عليها في السرد دائمًا مثل "كان يا مكان وغيرها"، كانت قد كتبتها في دفترها تدخرها لليوم الذي ستقص علي أطفالها قصص قبل النوم وهم صغار، فقالت:

- "مع ظلمة السماء نُوقد سراج الأمل، بحكاية تنسج بخيوطها ذات اللون السحابي المُرصَّع بالنجوم، أحلامًا ترتدي عباءة الخيال، لتَهوّن من خَبَط الحياة وزحامها، تأخذنا في جولة عبر الأزمان والبلاد، فصلوا علي شفيعنا يوم التنادٍ".

واسترسلت في قصتها دون أن تعلم بمن كان يسترق السمع، والذي أعجب أشد الإعجاب بديباجتها، فتركهم وعاد إلي غرفته مشغول البال يدير عقله تروس فكره.

وبحلول يوم "الجمعة" زاروا الجدة والعمة، ومكتوا طوال اليوم، كان الجميع سعيد إلا "آدم" الذي لم يحبذ معاملتهم جميعا لـ "همسة" وكأنها أهم فرد في العائلة، ولم يسلم



من تحذيرات "عايدة" في معاملة "همسة" ولا تلميح أخته بالجوهرة التي لا يقدر قيمتها حتي تضع منه. عادوا إلي البيت سعداء، إلا هو وقد زاد من حقه علي "همسة"، أصبح عقله الآن لا يحارب عائلته فقط بسببها، بل وقلبه أيضًا الذي تمرد عليه، فأصبح حاد المزاج لئيم الفكر، يُكَيِّل لها الكثير من الاتهامات، ويقف لها علي كل كلمة وفعل .

و بحلول يوم الخميس كانت "همسة" قد فاض بها الكيل، فلولا انشغاله وعدم جلوسه في المنزل طوال اليوم، كانت قد هجرته مطلقاً، يهوّن عليها الطفلان و"عايدة" و"ندى" اللاتان زاروهم مرة في نصف الأسبوع.

وفي منتصف اليوم اتصلت "سهام" بها، وكأنها كان ينقصها هذه أيضاً، فدعت الله باتقاء شرها قبل أن تجيب:

- السلام عليكم يا حاجة، كيف حالكم؟
- عليكم السلام يا "همسة" أوحشتينا، هل هذا هو العيش والملح الذي كان بيننا... لا تسألني علينا مطلقاً... وكأننا ما كنا نعرف بعضنا البعض، ألم تحفظي أي معروف قدمناه لك ؟
- عذرا يا حاجة، فأنا كأني عروس انشغلت بتجهيزي، ثم بيتي، فكما تعلمين أنا ما زلت في شهر عسلي، وعلي كل حال اقبلي اعتذارى.
- نسيت موضوع شهر العسل هذا، فما أعلمه أنكما لم تسافرا لقضائه بالخارج، فتوقعتها أيام عادية تخدمين فيها "آدم" وأبناء "حاتم" فقط.



- زوجي مشغول هذه الفترة قليلاً، وعلي المرأة الأصيلة تقدير ظروف زوجها، سنعوضه عندما يتيح له شغله بأخذ إجازة كافية بإذن الله، دعواتك لنا.
- هل تصدقين كلام الأزواج عندما يأجلون أمر ما، هم يتهربون فقط، من يريد أن يُمتع نفسه يفعل، وخاصة أنها فترة لن تتكرر، هذه رحلة شهر عسلكم، وليست رحلة عادية، نصيحتي اطلبي منه قضاء ولو ما تبقي منه خارج البلاد وأصري علي ذلك فهذا حقك، وإلا سيتعود علي إعطاءك أقل القليل.
- سأفعل الصواب يا حاجة لا تقلق، شكرًا علي نصيحتك، جزاك الله خيرًا، وجعلها في ميزانك.
- كدت أنسي سبب اتصالي، أنا أدعوكما لحفلة سأقيمها غدًا، بمناسبة ترأسي الجمعية الخيرية، وأيضًا لنجاح آخر مشروعات الحاج، ولن أقبل أي عذر.
- سأخبر "آدم" عندما يأتي من عمله ونحضرها بإذن الله، مبارك لك، وجعل عملك خالص لوجه الله ليس لمخلوق فيه شيء.
- بوركتِ يا "همسة"، الحاج قال أنه سيتصل بـ"آدم" أيضًا، وللأسف "عايدة" اعتذرت لسفرها العاجل اليوم، كي تطمئن علي صحة أحد أقاربها، في انتظاركم..، السلام عليكم.
- وفيكم بارك، عليكم السلام ورحمة الله وبركاته.

أغلقت "سهام" الهاتف والحقد يأكل قلبها، ووجهها يغلي.



- ماذا قالت لكِ هذه الخبيثة يا أمي، جعلكِ غاضبة إلي هذا الحد؟
- لقد طفح الكيل يا "هاجر"، هذه الخادمة الحقيرة تعطيني أنا نصائح، وتلمح بالكلام عن مواصفات الزوجة الأصيلة...، وماذا تعرف هذه المتملقة الخبيثة عن الأصل والصلاح؟...، لن يهدأ لي بال إلا بإرجاعها إلي أصلها، ولكنها واعية لا تتقبل نصائحي لإفساد زواجها بسهولة.
- لا تعريها بالا يا أمي، من هذه حتي تثير غضبكِ وتؤرق فكركِ، ولماذا دعوتها من الأساس؟، هل أصبحت من سيدات المجتمع الراقى لمجرد زواجها من "آدم"؟، فأنتِ تعرفين أنه مجبور عليها ولا بد أنه لا يطيقها بل ويكرهها، وسيتطلقان عاجلا أو آجلا.
- ولهذا دعوتها، سأتحين الفرص لأريها مقامها وأفسد عليهما، وأعيدها من حيث أتت هذه المدعية.

\*\*\*\*\*

- ما رأيكِ في؟
- استدارت "همسة" بعدما انتهت من ارتداء الحجاب.
- اللهم بارك، ما هذا الجمال يا "هند"، تبدين جميلة جدا، فستانك السماوي أعطته النقاط الذهبية في النصف العلوي، كأنه السماء مرصعة بالنجوم يعلوها



وجهك الذي تقمص دور القمر، يحيطه خصلات شعرك  
كشلال بديع المنظر، أنا أفكر في الجلوس في المنزل  
ستغطين علي بالتأكيد.

- هل أعجبتك حقًا، لقد اشترى لي عمي هذا الثوب  
قبل الزواج في آخر سفيرة له، ومعه واحد آخر أجمل  
منه...، ولكن كيف سأعطي علي الشمس وضوئها  
أسطع من القمر.

- ما أجمل تشبيهك يا "هند"، بارك الله فيك حبيبتي،  
دعينا من آراءنا الآن، وتعالٍ نلحق بعمك و"هيثم"،  
تعلمين أن الرجال لا يحبون الانتظار، هيا بنا سيدتي  
الجميلة.

نزلت "هند"، فعرضت نفسها علي عمها الذي أبدى إعجابه  
بها وأشاد بجمالها، ثم قام بدورة حولها كأنه يغازلها، فضحكا  
جميعًا، إلى أن وجد "هيثم" ينظر اتجاه الدرج تعتلي  
شفاهه بسمة، وبؤبؤ عينيه يتألق بإعجاب.

استدار ليجد "همسة" تنزل الدرج، تمسك بطرف فستانها،  
فأصبح حاله كحال "هيثم"، ولكن ثغره لم يزينه البسمة، بل  
فغره متعجبًا من جمالها، ففستانها كان باللون الأصفر  
الشمسي مرصع بفصوص صغيرة تكاد تراها كأنها خيوط  
قماشه، تنسحب من فوق ومن الجانب ومن أسفل كلها  
تصب في منتصف خصرها، بها ضي فضي وكأنها بؤرة  
المجرة، يعلوه وجهها الخالي من المساحيق، إلا من ملمع



شفاه بنفس لونها، يحيطه حجاب باللون الأبيض المائل للفضي، ظل مبهورًا مأخوذًا بجمالها، حتي علق "هيثم":

- تبدين كالشمس الساطعة عمة "همسة"، وكأن عيني أدمنت النظر إليك، لا أستطيع منعها.

ابتسمت "همسة"، فوضعت وجنتيها لونها الوردي الربّاني بديل للصناعي، نظرت إلي "آدم" عندما انتهت من الدرج، فغابت عينيها في عينيه كأنها احتوتها، لا تعلم كم مر من الوقت، حتي شعرت بحركة قريبة منها، فأشاحت بوجهها سريعًا في خجل اتجاه الحركة كان "هيثم" و"هند" يخرجان من الباب، فثبتت نظرها في الأرض، وقالت تحس "آدم" علي الانتباه تقطع عنه بحار العسل التي كان يرتشف منها في عينيها:

- إذا كنت مستعدا، فلنذهب "هيثم" و"هند" سبقا إلي السيارة.

ثم تحركت متجهة إلي الباب، وقد شعرت بنظراته تخترق ظهرها بل وتملس علي جلدها، فاستفاق "آدم"، وكأن أحدهم قد ألقي في وجهه دلو مياه ساخن وليس بارد، لقد شعر بحرارة تجتاح جسده لا يعلم مصدرها، يبدو أنها نابعة من قلبه، الذي أسكن عقله تمامًا، أو يمكن عقله أيضًا قد أسر بها.



خجل من نفسه، كيف يُظهر لها أنه معجب بجمالها هكذا، مط شفتيه في قلة حيلة، ولحق بهم وهو يبحث في عقله عن شريط الذكريات السيء للنساء، كما كان يفعل عقله معه كل مرة، ولكن يبدو أن عقله في سُبات عميق، لقد كانت تجلس بجانبه ويستشعر وجودها الطاغي.

دلفوا إلي الباب الخارجي لفيلا الحاج "محسن"، حيث أقيمت الحفلة في الحديقة، فالتفتت الكثير من الأعين لهم، وتبادل البعض الهمهمات.

أسرعت "دنيا" نحوهم ترحب بهم، ووجهتهم إلي مكان أبيها، فتبادل الجميع السلام وانشغل "هيثم" و"هند" بأبناء جدتهما "نوال" و"ابتهال"، لم يتوقعا حضور أقارب جدتيهما في هذه الحفلة، فيما وقف "آدم" مع "محسن" وبعض رجال الأعمال يتبادلون الحديث، فاختلت "دنيا" بـ"همسة" تشيد بجمالها وقد انبهرت بفستانها.

- لقد أشرقت علي الحفل يا "همسة"، تبدين رائعة.

بدى الحزن والخزي علي وجه "همسة"، فأطفاً جزء من نور وجهها، ترد وهي تطأطأ رأسها إلي الأرض:

- جزاكِ الله خيراً يا "دنيا"، ولكنني ندمت علي ارتدائه لقد لفت الأنظار إليّ وأنا ارتديه، للأسف لم أفكر سوي بشخص واحد، وعندما رأيت الإعجاب بعينييه



فرحت كثيرًا...، لم أعرف أنها فرحة زائفة وأدرك خطأي  
إلا بدخولي إلي الحفلة، والتفات الأنظار إلينا.  
- هوني علي نفسك يا "همسة"، فهو جميل جدًا عليك  
بالفعل لا تطفئي نور عينيك، إذا ضايقت ارتدائه لا  
ترتديه مرة أخرى، ولكن تناسي الأمر مؤقتًا في  
الحفلة، ماذا سيقول المدعوون؟... أنت عروس جديدة.  
- وماذا إن مت الآن، هل سيشفع لي هذا السبب؟  
- بُعد الشر عنك.

- الموت ليس بشر يا "دنيا"، فلقاء الله هو منتهى  
الشوق، ولكننا نخشى مقابلته بمعاصينا، فلنعمل  
علي التقليل منها والتوبة السريعة كلما أخطأنا إحدًا،  
سأظل في كمد هكذا حتي أعود إلي البيت، فحتى  
التوبة لن أستطيع إكمالها بالندم فقط هنا، لا بد لي  
من خلعه أولًا.

- إلي أين شردت يا "آدم" بك؟

انتبه "آدم" علي صوت أحد الواقفين، ورفع نظره عن  
"همسة" التي انشغل بها، قلقًا لمراي الحزن وقد ارتسم  
علي وجهها، حتي كاد يذهب إليها، ولكن ماذا سيقول لها،  
"كنت أراقبك فوجدتك حزينة؟".

- موجود معكم يا حاج "مصطفى"، أين "سامر"؟... لم  
أره؟، مبارك عليه منصب رئاسة شركة الورق... موفق  
ياذن الله.



شكره الحاج وحدثه عن ابنه متباهياً به، ثم رن هاتفه فتركهم وابتعد قليلاً ليرد عليه، فبادر "محسن":

- هل وافقت علي مشروع الحاج "راغب" يا "آدم"؟  
- لم أكمل دراسته بعد، ولكنه يبدو جيد، أين هو ألم يحضر؟

- بالتوفيق يا بني...، لا لقد استقبلته بنفسي، الحقيقة الحاج "راغب" مشهور عنه نزاهته، وخاصة من بعد وفاة أخيه، زهد كثيرًا.

عاد "مصطفى"، ففرح "آدم" بعودته، فالحاج "محسن" لم يكن ليصمت، طالما تحدث عن العمل، وهو وراءه هم آخر، انتهز فرصة تدخل الحاج "مصطفى" في الحديث وخطف نظرة إليها لعله يطمئن ويرى وجهها بيتسم، ولكنه وجد إحداهن تقترب منها.

- ربي يغفر لكِ يا "همسة" و...  
- ماذا تفعلان هنا، أليس من المفترض أنه عند مجيئك أن تأتي إليّ لتسلمي عليّ يا "همسة"، انتبه للاجتماعيات، أنتِ أصبحت زوجة رجل من المجتمع الراقى وليس مجرد خادمة... تعالِ معي لأعرفكِ علي ضيوف الحفل.

بُهِتت "همسة" من كلام "سهام" الحاد، وأنبت نفسها وهي منساقة وراءها، كيف لم ترد عليها؟، كيف ارتضت بهذا



التوبيخ وهذه الإهانة دون الزود عن نفسها؟، لابد لها أن تعتاد سرعة البديهة إذًا، ولا تسمح لأحد بإهانتها مهما كان.

- أعرفكم بـ"همسة" زوجة "آدم الشامي".

حياها مجموعة النساء الواقفات، وأشاد البعض بها، فيما لم تعلق "ابتهال" و"وفاء" و"نوال" اللاتي كن يقفن بجانب بعضهم البعض وفي عينيهن نظرة علو واحتكار لا تعلم سببها، هل علمن وظيفتها السابقة، وأصلها؟

ودون سابق إنذار وقع كأس "ابتهال" علي أرض الممشى الواقفة عليها، في منتصف الحديقة فانكسر.

- تعالِ يا "همسة" لملمي الزجاج المكسور هذا.

تغضن وجه "همسة"، ورسم حاجبيها الثمانية، ثم رفعت أحد حاجبيها وهي تعلق:

- "إن خادم القوم سيدهم"، هذا مثل مشهور وأنا لي إضافة عليه، و"سيد القوم إن تكاسل عن خطاه أظلمهم".

- "همسة" كيف تجرؤين علي إهانة ضيوفي وفي بيتي ومن هؤلاء؟، إنهم أهل زوجك وأكبر منك عمراً، أنسيت نفسك ومن تكونين؟، من أنت لتضعي رأسك برأسهن  
و...

- هي زوجة "آدم الشامي"..، البيت الذي تهان فيه زوجتي لا أدخله أبداً، وفي حالة تقديري للحاج



"محسن"، لن ندخله مطلقًا، حتي تُرد كرامتها ويعتذر  
لها المخطئون في حقها، هيا بنا حبييتي.

\*\*\*\*\*

روايات



يصرف الشيطان نظرنا عن النعمة التي في أيدينا..  
فلا نرى سوى ابتلاءاتنا حتى تزول النعمة..، حينئذ  
نعرف قيمتها.

النعم ثلاث: نعمة حاصلة يعلم بها العبد.. ونعمة  
منتظرة يرجوها.. ونعمة هو فيها لا يشعر بها.



فكيف أضنُّ عنه وقال ربِّي: .. لئن شكرَ العَبِيدُ لأُعْطِيَنَّه!  
أعدُّ فهل سأُحْصِيها بعدِّي .. يميناً لا تُجيدُ العدَّ فِطْنَه  
تذكرَ كيفَ أغفلَها فُوادي .. فدَوَّتْ في شغافِ القلبِ أَنه  
فهل عيني شكرتُ بها إلهي .. وقد عَكَفْتُ على نظرٍ لِفِئْتَه؟!  
مضى الشَّيْطَانُ يَرشُقُهَا سِيهَاماً .. وطِيسُ الحَرْبِ في عينيَّ سَنَه  
إلهي، فاهدِنِي نوراً مُبيناً .. وبدِّدْ لي ظلامي وامْحَوِّتَه



## الفصل السادس

تسمّرت "همسة" في مكانها، بل تحجرت تمثالاً... ظل عقلها يردد، "ماذا فعل؟... ماذا قال؟... ماذا حدث؟.."، كل هذه الأسئلة ظلت تدور برأسها في دائرة مغلقة، كعجلة سيارة تسير بأقصى سرعة لها، حتي تأبط "آدم" ذراعها، وهو يشير إلي "هيثم" و"هند" بالمجيء، وقبل أن يخطو خطوة واحدة، وجدا الحاج "محسن" وعلي وجهه علامات الاستفهام يسألهما متعجبًا:

- إلي أين تذهبون؟
- سنغادر الحفل، فكرامة زوجتي من كرامتي، ولن أقبل بأي تجاوز في حقها، حتي إن كان من أقرب الناس لي.
- ماذا تقول يا "آدم"، من اقترب من كرامة "همسة"؟... أنت تعلم جيدًا قدرها عندنا، فإذا تعدي أحد حدوده معها، فلن تغادرا الحفل، حتي يعتذر منها أمام الجميع.

بدأ المدعوون ينتبهون لما يحدث، منهم من اقترب ومنهم من يراقب من مكانه في صمت، فشحب وجه "سهام" حتي كادت تفقد وعيها، وازدردا "ابتهال" و"نوال" ريقهما بصعوبة، فيما انسحبت "وفاء" قليلاً إلي الخلف، فلن تقبل بالاعتذار مهما حدث.



- من أخطأ بحقك يا "همسة"؟...، ماذا حدث؟

دارت رأس "همسة"، فتمسكت بساعد "آدم" وكأنها تحتمي فيه وتستند عليه، فشعر بارتباكها، ود أن يحتضنها ويهددها حتي تطمئن، كاد أن يتحدث عنها، ولكنها أبت أن تنزل منزلة الضعيفة، لقد توالى عليها الصدمات فقط ليس أكثر، فانتصب ظهرها بعد انكماشه، ورفعت رأسها وهي ترد:

- عذرًا يا حاج، لقد أخطأت في حقي الحاجة "ابتهال" والحاجة "نوال" والحاجة "سهام"، فقبل اعتذارهم لي، أود أن أرد على سؤال احتكار الحاجة "سهام".

تنفست بعمق، واستدارت لهن، رفعت أحد حاجبيها بتعالٍ:

- أنا "همسة شهاب سيف الدين"، وزوجة رجل الأعمال الناجح "آدم الشامي"، وبالرغم من ذلك لا أجد داعٍ للتباهي، فالمظاهر لا يهتم بها سوي فارغي العقول، أما أنا فأهتم بتصنيفي عند ربي لا أهتم بتصنيف دنياكم.

نظر إليها "آدم" بإعجاب، ولاحت ابتسامة جانبية علي فمه، حتي قطع تأمله، الحاج "محسن":

- "همسة" ضيفتي وكرامتها من كرامتي أنا أيضًا، فمن أخطأ في حقها فليعتذر، ومن لا يريد الاعتذار فليغادر منزلي في الحال.

نظرت إليه "سهام" ببلاهة، وفغرت فاهها، أما "ابتهال" و"نوال"، فكان ردهما المغادرة، وقد سبقتهما "وفاء"، تعلقت

الأنظار بـ"سهام" ينتظرون رد فعلها، الذي طال قليلاً، قبل أن تقول:

- كلام زوجي لن يرد، وكرامته من كرامتي، أعتذر منك يا "همسة" إن كنت قد تسرعت في لومك وتفوهت بما ضايقك...، أستأذنكم .

رمت اعتذارها، وغادرت مسرعة إلي داخل الفيلا، ولحق بها بناتها، فتعالت الهمهمات وتباينت المشاعر .

- أشكرك يا حاج علي ما فعلته فهذا عهدي بك...، ونعتذر علي إفساد الحفل.

- لم يكن ذنبكما يا "آدم"...، فأنا من يعتذر من "همسة" علي ما فعلته "سهام".

- لا تعتذري يا حاج، فأنا أعرف قدرتي عندك، وستظل في منزلة أبي دائماً، الذي لطالما أفخر بانتمائي إليه، في كل مرة تزيد من أفضالك علي، حتي أنني لو ظللت أدعو لك ما حييت لن أوفيك حقك.

- لا تقولي هذا يا ابنتي، لا يوجد أفضال عليكِ، وسيظل بيتي مفتوح لكِ ما حييت.

- ربنا يبارك في عمرك، ويطيئه بالعمل الصالح.

- أشكرك للمرة الثانية يا حاج، واستأذن منك في المغادرة.



- تفضل يا "آدم"، ولكن لا تحرمونا من زيارتكما، فكما قلت بيتي مفتوح لكما دائماً، ويسعدني مجيئكما.
- بالتأكيد يا حاج حفظك الله، السلام عليكم.

غادر "آدم" و"همسة" ومعهما الطفلين، تشيعهم عيون غاضبة تشتعل غيظاً، يضغط صاحبها علي أزرار هاتفه برقم "متولي" زوج هناء، يبدو أن هناك جريمة ستلوح في الأفق.

\*\*\*\*\*

ظل "آدم" شاردًا طوال الطريق لم يعلق أو ينبت بنبت شفة، لا يعرف كيف تحرك إليها بسرعة البرق؟، وكيف تحدث لسانه للزود عنها بهذه الطريقة؟، وتصرفه معها بتأبط ذراعها ومساندتها!.

هو ليس بنادم، فهذا واجب عليه مهما كان موقفه اتجاهها، فهي زوجته، ولكن ما تعجب منه أنه لم يفعل كل هذا بإدراك ووعي، لقد انساق إلي كل هذا بدون تفكير، هرولت إليها قدمه، ودافع عنها لسانه، ودعمتها يده، وكأنهم يأمرون بأوامر قلبه وليس عقله، كأنهم انفردوا بأفعالهم بعيد عنه، لم يكونوا طواعيته كالمعتاد.

لم تقطع "همسة" صمته، فهي بالكاد استطاعت تضبط أعصابها، اعتمل في نفسها أن كل ما حدث بسبب ارتكابها لمعصية الفستان، عاقبها المولي لمخالفتها لما أمرها به من

مواصفات الزي الشرعي، كما كانت تفعل في معظم الأحيان،  
عندما تربط بين معاصيها وبين ابتلاءاتها، أكملت الطريق  
بالاستغفار، حتي تكفر عن هذا الذنب الذي ضج به ضميرها.  
وصلوا إلي الفيلا، فنزلا الطفلين وتباطأت "همسة" تجر رجل  
وتؤخر الأخرى، ثم بادرت قائلة:

- شكرا لك علي الدفاع عني ومساندتي، لقد كنت نعم  
الركن، جزاك الله خيراً.

- أنا دافعت عن كرامتي، فأنت أمام الله والناس زوجتي، فلا  
داعي للشكر.

صمت قليلاً، فظنت أنه انتهى، وكادت تنزل، فاستوقفها بنبرة  
خاوية:

- لا ترتدي هذا الفستان خارج المنزل مرة أخرى.

فرحت "همسة" ودنى علي ثغرها ابتسامة رقراقة، وهي  
تنظر إلي موضع قدميها، التي لم تخطها خارج السيارة بعد،  
أبغار عليها؟!، انتشت وكادت تحلق في سماء حالمة، فتدخل  
عقلها ليقهرها ويقنعها بعدم تصديق هذه الخيالات، ولكن  
قلبها لم يمهلها، فعلي نبضه كدقات الطبول، ليغطي علي  
صوت عقلها الذي تلاشى رويداً رويداً حتي اختفي.

أسقطها "آدم" من هذه السماء، كمن يقتلع جذور شجرة، قد  
بدأت تنبت وتزهر بعنف دون رحمة، مضيغاً بعد صمت قصير:



- من تدعي الالتزام عليها أن تتحلي بجميع شروطه، لا أن تختار ما يناسبها وتترك الباقي، أو تمشي علي سطر وتترك آخر.

حطمها "آدم" وترجل من السيارة، تاركًا إياها تتخبط في النهوض بعد سقوطها من سماء أحلامها، دلف إلي الفيلا صاعدًا إلي غرفته، يحاول وأد تأنيب ضميره، فهو لن يفسر لها سبب طلبه هذا، قد تفهمه خطأ وترجمها بأنه يغار عليها، اشتد الصراع مرة أخرى بين قلبه وعقله، وتبادلا الحجج:

"وما تفسيرك لردك علي من جاء ليخطبها منك في الحفلة بعد تركك للحاج "محسن" ومن معه، أثناء ذهابك إليها، عندما لمحت الحاجة "سهام" تأخذها لأحد التجمعات؟، بل ما تفسيرك لرغبتك في حمايتها منها وترك تجمعك لتكن قريب منها خوفًا عليها؟".

"أما عن السؤال الأول، فكان رد عادي، جاء أحدهم ليطلب يد زوجتي، فأني زوج طبيعي كان سيتصرف مثلي وأكثر، ماذا فعلت؟، لقد حدثته بعنف قليلًا، وعرفته بأني زوجها ونصحته بغض البصر، وذهابي إليها لكي لا افتضح، فالحاجة بالتأكيد كانت تنوي إعلان مهنتها القديمة وإهانتها.

إنه تصرف طبيعي لأي شخص يملك قلب سليم الفطرة، لا تتوهم...، من هذه لأغار عليها؟، أليست إحداهن؟، انظر في أول فرصة سنحت لها، خلعت ثوب العفة والالتزام، وارتدت هذا الفستان المُلفت لتجذب الأنظار إليها متباهية، لن أسمح لك بجلب إحداهن وإسكانها بداخلك مرة أخرى."



\*\*\*\*\*

مر نصف الأسبوع، وقد عاد "آدم" لأسلوبه الجاف وإهانتته، التي لا تنتهي، فتارة تتحملها وتارة ترد له الصاع صاعين، تجادله وتناكفه فتهزم قليلاً، وتنتصر مرات عدة، حتي جاءها اتصال، يوم الثلاثاء، فور رؤيتها لاسم المتصل تعكر مزاجها وتلبّسها القلق والتوتر، فبعد التحية والسلام، قالت محدثتها:

- هل نسيتنا يا "همسة"، هل هان عليكِ عائلتك، من سهروا عليك في مرضك وراعوكِ؟
- لم أنسكِ يا خالة "هناء"، لا أنتِ ولا العم "متولي"، ولكن أظن أن الحاجة "عايدة" قد أنهت الأمر معكما، فهل من جديد؟
- لقد وافقتِ إذًا علي التنصل منا ونسياننا، وأنا من كنت أنفي عنكِ هذه الفعلة لـ "متولي"، وأقول له "همسة" لا تفعل ذلك، حتي أُمي وأبي لم ينطقها لسانك، وكأننا أصبحنا أغراب عنكِ، لقد خاب ظني فيكِ.

قالتها "هناء" بنبرة حزينة يتخللها صوت باكي، فجاءها رد "همسة" قاطعا، هذه المرة:

- عذراً خالة "هناء"، لا أفهم سبب اتصالك وأنتما من وعدتما الحاجة "عايدة" بانقطاع الاتصال بيننا، بعدما



- أجزلت في العطاء إليكما بمبلغ مالي كبير، فلما التقهقر الآن ومخالفة اتفاقكما؟
- لم يكن بأيدينا شيء، كنا نريد لك الخير، الحاجة قالت أنه لن يكون هناك زواج، إلا بعد قطع هذه الصلة، لم نكن نعلم أننا سنشتاق إليك هكذا سريعًا، فأنت كنتِ بركتنا وروحنا، اعتبرناكِ بنتنا، التي لم ننجبها بعد وفاة والديكِ، فهل هذا هو رد الجميل؟
- خالة "هناء" جميلكما الذي ظللتما تعايرونني به قد تُرجم إلي مال وأخذتموه، ما سبب هذا الاتصال الآن؟
- سامحينا يا "همسة"، لقد تغيرنا كثيرًا، وعمك "متولي" علي فراش المرض، ينتظر الموت في أية لحظة، لم يعد يعمل، صرفنا كل ما معنا علي أدويته، كان يتمنى رؤيتكِ قبل رحيله عن هذه الدنيا.
- يا الله..، أنا أسفة لم أكن أعلم بكل هذا..، حسنًا سأطلب الإذن من زوجي وأزوركما في أقرب فرصة..، شفاه الله وعافاه، لا بأس طهور إن شاء الله.
- لا نريد أن نسبب لك المشاكل، مادامت والددة زوجك تريد منك قطع علاقتك بنا، فلها ذلك.. لا تُبلغيه حتي لا ينقلب عليك، كل ما نريده هي زيارات قصيرة يختطف فيها "متولي" نظرة إليك فقط، لعلها تصادف الأخيرة.
- سأدبر أمري وأزوركما إددًا لا تقلقي، أبلغني سلامي إلي العم "متولي" حتي مجيئي.



أغلقت "همسة" الهاتف مترددة، هي لا تثق بهما ولا بكلامهما مطلقًا، تأثرت قليلًا، فماذا إن كان ما قالتها لها صحيح؟، لن تسامح نفسها إن تقاعست عن مساعدة مريض يحتاج إلي علاج، ولن يعتقها ضميرها إذا كانا قد تابا بالفعل، ويود "متولي" رؤيتها وهو طريح الفراش في لحظاته الأخيرة. ظلت تفكر حتي اهتدت إلي استشارة أحد تثق به وتثق في حكمته، فاتصلت فوراً، وانتظرت الرد، حتي جاءها صوته مرحبًا، فاطمأنت عليه، ثم سردت له تفاصيل مكالمتها مع "هنا".

ظل صامتًا لم يقطعها حتي انتهت، فعلق أخيرًا:

- لا يا "همسة" لا تذهبي...، أنا من سيذهب إليهما، وأتأكد من صدق كلامهما، فأنا لا أثق بهما بنسبة 99%
- بالمائة، سأذهب لأريح ضميرك، سأبلغك بالحقيقة عندما أتحقق منها.
- أوامرك يا حاج..، أتمني هدايتهما...، فالعمر غير محكوم بمرض أو كبر، جزاك الله خيرًا، لم أرد إشغالك بأمرى، ولكني وددت استشارة من أثق به.
- لا عليك يا ابنتي، فالأمر لن يرهقني أو يشغلني، سأتركك في رعاية الله وحفظه وأمانه.

\*\*\*\*\*



لم يسدل الستار عن هذا اليوم، إلا وقد زُف إليها خبر غير مزاجها، بل وأنساها مكالمة الصباح تمامًا.

- مبارك يا "ندوش" فرحت كثيرًا لك، يبدو من حديثك أن الأمر لا يحتاج جلسة تعارف إذا...، فلندخل في تفاصيل الخطبة مباشرة.

قالتها "همسة" بحماسة وهي تداعب "ندى" وتناكفها.

- الحق علي أنني اتصلت لأخبرك فور مغادرة "آدم" المنزل، لتكوني أول من يعلم، "لقد سلمت القط مفتاح الكرار"<sup>23</sup> ، أنا أعلم لن تترك المزاح ولا التهكم علي، ما فعلته فيك ستخرجينه عليّ.

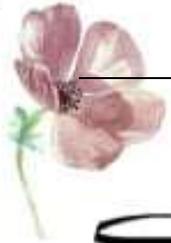
ردت "ندى" بنبرة متأثرة وهي تمثل دور الضحية.

- لا يا "ندى"، أحسني الظن بي، لست أنا من يفعل ذلك...، أنا سأتهكم عليك أضعاف ما رأيته منك بالطبع فهذه فرصتي.

قهقه الاثنان فرحًا، لقد بعث الله كل منهما إلي الأخرى لتكن أختها التي تعوضها عن وحدتها.

- لنعكف عن الضحك قليلًا أيتها العروس، ونرتب أمورنا...، متي موعد الزيارة؟

<sup>23</sup> - الكرار: مكان حفظ المؤمن الغذائية، أي "المخزن" وما شابه، وهو مثل قديم .



- مازالت تقول عروس!، سأعيد مرة أخرى التفاصيل علي مسامعك لكي تقتنعين...، لم أر "سامر" ابن الحاج "مصطفى"، سوي مرتين تقريبًا، حتي أنني لم اختلط بعائلته، ولا أعرف باقي إخوته، ولا أي تفاصيل عن حياته سوي وظيفته وشهادته...، هل الأمر أصبح مفهوم الآن، أيتها المناكفة؟
- يا الله، ربي يصبرني عليكم آل "الشامي"، هل ترونني غيبة إلي هذا الحد؟!...، أم أن كلمة "مفهوم" هي أحد تقاليد عائلتكم أو إرث متوارث، لابد أن تكررونها في كل كلامكم؟!، فأخيك لا يحدثني إلا ويختتم كلامه بهذه الكلمة.

ضحكت "ندى"، وقالت ممازحة:

- لا يجتمع اثنان علي رأي ما في شخص، إلا إذا كان صحيحًا.
- ماذا؟...، أتعنين أنني غيبة؟، حسنًا ابحتي عن أخرى لكي تساعدك وتُهلكينها في مشاويرك إددًا، أنا في الأساس مُتعبة ومشغولة، يكفيني خدمة أخيك ومطالبه التي لا تنتهي.
- حبيبتي "هموس" وهل لي أخت غيرك، أنتِ أختي وصديقتي وزوجة أخي، وكل شيء حلو في حياتي.
- حسنا.. حسنا..، فليكن سأضعك في جدولي، ولكن لا أعدك باقتراب موعدك كثيرًا.



- ماذا؟..، لقد أخطأت بتدليلي إياك..، أعدي نفسك من الغد سننزل لشراء ثوب جديد لمقابلة الضيوف يوم الجمعة، هل عندك اعتراض؟

- أراك تتقمصين شخصية أخيك أحيانا وتصدرين الأوامر..، يكفي "آدم" واحد في حياتي، أيتها المتجبرة..، حسناً.. سأطلب الإذن من شبيهك لقد جاء، فصوت سيارته وكأنه ينادي عليّ، لا ينام هانئ البال إلا بممارسة هوايته المفضلة وهي المجادلة معي، والحق يقال إنه منظم يقسم الجدال إلي جولات.

لم تستطع "ندى" كتم ضحكاتهما، وأغلقت معها الهاتف بصعوبة، وهي تردد وسط ضحكاتهما:

- أعانك الله..، فمهمتك أصعب من إقناع يهودي بأحقية الفلسطينيين في أرضهم المحتلة.

أغلقت الهاتف وأسرعت لتقديم العشاء له، تأمل أن يكون خبر خطبة "ندى" قد عدل مزاجه ولو قليلا وقد كان، لقد تنازل عن مجادلتها هذه الليلة، ورغم قلة كلامه إلا أنه خلا من الإهانات، حتي أنه وافق علي خروجها مع "ندى" وأعلمها أنه هو من سيقوم بإيصال "هيثم" إلي تدريب السباحة، و"هند" إلي تدريب كرة السلة من وإلي النادي.

\*\*\*\*\*



- ما أجملكِ؟ تبدين جميلة جدًا يا "ندى" اللهم بارك،  
سيخرج "سامر" من هنا، وقد اتفق علي موعد العرس  
وليس الخطبة فقط.

تخضبت وحننا "ندى" الخالية من المساحيق بلون أحمر  
قاني، ما لبثت أن استعادت مزاحها، تدور حول نفسها  
متفاخرة، وهي تعلق بمرح:

- أنا دائمًا جميلة، في كل أوقاتي، ملامحي ورشاقتي...،  
أسلوبي ودمي الخفيف...، عقلي وحكمتي...، أنا ثروة  
قومية لكم حقًا.

جلست "همسة" علي فراش "ندى" تكتم ضحكاتهما هي  
والطفلين، يتبادلون التعليقات بنظراتهم، تقضب جبينها،  
ووضعت في خصرها بتحدٍ.

- ماذا؟..، هل من معترض علي كلامي؟

- لا أبدًا نحن ندعو لخاطبك، سعيد الحظ، من دعت له أمه  
في وقت استجابة، نشفق عليه فقط...، سيبتلي بما لم  
يكن في حسابانه اللهم بارك...، أنا لا أحسده بالطبع.

أنهت "همسة" حديثها وهي تعدو خارج الغرفة و"ندى"  
خلفها، فقفزت الدرج قفزًا حتي نهايته، تتمايل من كثرة  
الضحك، و"ندى" تقف أعلاه تتوعدها.

- هوني علي نفسك يا عروستنا، سأذهب إلي المطبخ،  
ريثما تهدأين، لكي اطمئن علي التجهيزات.



عادت "ندى" إلي غرفتها، وهي تبتسم، لقد رزقت بزوجة أخ وأخت، عقلها طفولي مثلها، تحب المزاح، فما أجمله من رزق.

- ربنا أكرمنا بأربع أطفال في البيت، فاللهم صبرك.  
- وما المانع يا "عيود"، زيادة الخير خيرين، أقصد أربعة.  
ضحكوا جميعًا، حتي قطعت "هند" عليهم هذه اللحظة المرحه بسؤالها:

- جدتي لماذا عمي "آدم" لا يحب العمه "همسة"، كما نحبها نحن؟  
- من أين لك بهذه المعلومة يا "هند"؟  
- إنه إحساس المرأة.

فغرت "ندى" فاهها، تحملق في "هند" وقد انعقد لسانها، فيما ضحكت "عايدة" بملء فيها، أفاقت "ندى" أخيرًا، لتسألها:

- ماذا؟..، إحساس المرأة؟!..، فها أنا في سني هذا، ولم أملك هذا الذي تتحدثين عنه... يبدو أنني سأتعلم منكما الكثير.

- هي محقة يا عمتي، فعمي "آدم" يعامل العمه "همسة" معاملة جافة... ولكنه يحاول ألا يُظهر لنا ويحسن معاملتها أماننا، لكننا نلاحظ نظراته، حتي أنهم لا يتمازحون وكل منهما له غرفة منفصلة.



استدارت "ندى" إلي والدتها، لا تعرف ماذا تقول لهما، لقد لاحظا معاملته، حتي وإن حاول إخفاءها، فهي ظاهرة بالفعل، فردت الجدة:

- أنتم تعلمون أن عمكما طيب، ولكنه لم يعتاد علي همسة" بعد...، لقد تزوجا سريعًا...، ولم يتعرفا علي بعضهما البعض...، مع الوقت ستتحسن علاقتهما بإذن الله.

- ألا يري عمي "آدم" العممة "همسة" جميلة؟، كما يراها الجميع...، حتي من لا يعرفونها أشادوا بجمالها، ففي حفلة الخالة "سهام" سمعنا أنا و"هند" عبارات الإعجاب بها...، بل وأحدهم علق علي أن عمي لا يستحقها.

اندهشت "عايدة" لقول "هيثم"، وانعقد حاجبا "ندى"، ثم أخفضتهما وعلت ابتسامة شقية علي وجهها، بعدما لاحظت لها فكرة مجنونة كعادتها، قررت تنفيذها مع الأولاد، كي يعلم "آدم" الجوهرة التي في يده قبل أن يفقدها، فغمزت لهما لا تريد قول الخطة أمام والدتها التي سترفضها حتمًا، وقالت لهما:

- بيننا حديث وخطّة سننفذها بناء علي هذه المعلومات.

مرت المقابلة سريعة، واتفقا في نهايتها علي إعطاء الرد النهائي بعد يومين، ولكن يبدو أن الخاطبان، قد قررا مسبقًا في جلستهما الأولي تقبل بعضهما البعض.



جاء الرد بالموافقة من كلا الطرفين بعد يومين من المشاورة وصلاة الاستخارة، توالى جلساتهم فيما بعد للاتفاق علي الخطبة وما يخص ترتيبات الزواج، الذي سيتأخر سنة كاملة حتي تنتهي "ندى" من دراسة السنة الأخيرة في الجامعة، كانت الجلسات خالية من والده الذي سافر بعد أول مقابلة لعمل بالخارج، فأعجب "آدم" بـ"سامر" لتحمله المسؤولية وتوليهِ المسألة برمتها.

تحدد ميعاد الخطبة بعد أسبوع آخر من المداولات، فأصرت "عايدة" علي قضاء "همسة" و"آدم" والطفلين معهما، حتي موعد حفل الخطبة التي ستقام بحديقة المنزل.

\*\*\*\*\*

- "همسة" اذهبي لارتداء ثوبك، لقد انتهيت تقريباً من كل شيء...، أسرعي كي لا تتأخري، الكل تجهّز إلا أنتِ.
- هل أنتِ علي يقين...، لا تحتاجين أي شيء...، هل انتهينا؟
- نعم هيا أسرعي، من سينزل خلفي علي الدرج مع "هيثم" و"هند" كما اتفقنا.

ذهبت إلي غرفتها، التي كانت قد حُصت لها عند مجيئها إلي الفيلا أول مرة، لقد اختارتها خصيصاً هذه المرة، وقبل أن تدير مقبض الباب وجدته يُفتح، ثم خرج منه من اصطدم



بجسدها، فتراجعت سريعًا مفزوعة، لتجده "آدم"، عقدت حاجبها تعجبًا وسُطر في عينيها ألف سؤال وسؤال، فبادرها مبررًا وجوده بغرفتها:

- لقد طرقت الباب مرات عديدة قبل الدخول، ففتحتته ظنًا أنك في الشرفة، ولم تستمع إلي دقاتي...، أعتذر منك.

تركها وغادر، دون حتي أن يخبرها سبب مجيئه الأول، تركها تتخبط في حيرتها، فارتفع حاجباها أعلي من الأول، لا تصدق ما سمعته أذناها، "هل اعتذر "آدم" لها؟"، نفى عقلها ما رآته عيناها، وكذب ما سمعته أذنها، مقتنعًا أنه أحد أحلامها وستستيقظ منه الآن، تسمرت لحظات مشدوهة، حتي أفاقت علي صوت "هند" تستعجلها لترتدي ثوبها:

- لقد جاء العم "سامر" وأهله.

فنفضت عن رأسها ما حدث، وشرعت في ارتداء ثوبها الذي اشترته مع "ندى" بالإجبار.

\*\*\*\*\*

- يا الله، ماذا فعلت؟...، لماذا دلفت إلي حجرتها؟...، ماذا ستظن الآن؟، فحجتي غير مقنعة.



أخرج هاتفه ليقرأ الصفحة التي صورها من دفترها، بعدما أعجبه بدايتها، وبدأ قراءتها بصوت مسموع:

1- ثم يمن الله عليك بكرمه، فلا يهزك غياب أحد..، ولا تعنيك الأشياء، التي كانت تُفزعك فكرة خسارتها.

2- لا تجعل أحد يعرف سر دمعتك..، لأنه سيعرف كيف يبكيك.

3- قد لا يكون كل يوم في حياتنا جيداً..، لكن لابد من وجود شيء جيد في كل يوم.

4- هناك أقدار في الحياة عليك ألا تستعجلها تمهل..، وتذكر أن ما قُدر لك سيأتي إليك أينما كنت، كل في وقته.

5- لا تغرق في ماضي مؤلم، هناك حياة تنتظرك، وأشياء جميلة يجب أن تعيشها، وفرح كبير قادر علي محو كل حزن مررت به.

6- السعادة من الممكن أن تتواجد في أشياء صغيرة فلا تتجاهلها، السعادة تكمن في تفاصيل أنت تحبها دون سواك..، لسنا كلنا متشابهين، فلا تقارن تفاصيل سعادتك مع أحد..، اهتم بتفاصيل سعادتك أنت، تستمتع بكل لذة فيها.

7- الحياة رواية جميلة في مجملها..، عليك قراءتها حتي النهاية..، لا تتوقف عند سطر حزين، فقد يأتي بعده مباشرة سطور عديدة سعيدة..، قد تكون النهاية



أجمل مما توقعت، فتنسيك كل السطور الحزينة، التي  
مررت بها.

8- عاهد نفسك أن تنظر للجانب المشرق من كل شيء،  
واحرص أن تجعل تفاؤلك يصبح واقعًا.

نظر أمامه نظرة خاوية شاردًا يفكر، هل هي مختلفة بالفعل  
عن باقي النساء؟، هل ستكون عوضه الجميل، الذي  
يُنسيه ما عاناه من بني جنسها؟، ماذا إن استسلم فوجد  
الفاجعة؟، لن يتحمل الغدر مرة أخرى، انتبه على صوت  
"هيثم" يناديه:

- فيما كنت تشرذ يا عمي، لقد ناديتك كثيرًا...، عمتي  
"ندی" جاهزة، فأرسلتني جدتي لكي أخبرك، هما  
ينتظرونك بالأعلى.

ذهب مع ابن أخيه، بعدما أعلم "سامر" وأهله لكي  
ينتظرونهم أسفل الدرج، كما رتبت "ندی" و"همسة" لبداية  
الاحتفال، فيما يقف باقي المدعوون في الحديقة ينتظرون  
خروجهم .

خرجت "ندی" بفستانها الفيروزي، الذي يرسم جزعها  
الأعلى المزين بالدانتيل الأبيض، يتسع رويدا رويدا بالنزول  
للأسفل، يحيط حافته قماش الجُبَيْر المُفَرَّغ، وجهها خالٍ من  
الزينة إلا من ملمع شفاه وردي ورموش أثقلتها قليلا  
"الماسكرا"، يغطي شعرها حجاب أبيض مدرج قليلا بدرجات  
اللون السماوي.



أثنى عليها وقبّل رأسها، داعيًا لها بالتوفيق، ثم اتجه إلي أمه قبّل يدها وجبينها، فانزوت "ندى" جانبًا لكي يري "همسة"، وكأنها تعمدت أن تخفيها، ثم تظهرها كجائزة له.

ظل ينظر إليها، كم هي جميلة عندما يراها بدون أحقاد تسيطر علي قلبه، جمالها حقيقي بدون إضافات أو زوائد تفسده، تقف خجلة في فستانها الوردي، لقد تعلمت الدرس جيدًا، فالفستان فضفاض عن ذاك الشمسي، يتوسطه من الأعلى وردة "إبري"<sup>24</sup> مطبوعة بأوراقها الأحادية الرقيقة يُحجّم وسعه "فيونكة" بنفس لون منتصف الوردة الأصفر علي الخصر، يتسع قليلًا من الأسفل يزين حافته قماش الجُبَيْر المُفَرَّغ بورد "التيليب".

وجهها كما كل مرة دون مساحيق، يظهر لون عينيها العسلي حجاب بلون "فيونكة" الخصر، ظل مبهورًا ينظر إليها، يتمنى أن تحيد عينيها عنها، ولكنها تعصي أوامره، هل تخضع حواسه إليها أيضًا مثل عائلته؟، كيف تسيطر عليه هكذا دون إرادة منه؟.

انتزع نفسه بالقوة مجبرًا، فاستدار إلي أخته التي أحبطها ردة فعله، ليتأبط ذراعها ويقترب من الدرج، فيشير إلي المصورين كي يستعدوا، فاصطف خلفهما "هيثم"، و"هند" من خلفهما "همسة"، وتأبطت "عايدة" ذراع "ندى" الآخر.

<sup>24</sup> - نوع من أنواع الورود أحادية الأوراق، بيضاوية الشكل، تتميز بلونها الزهري .

نزل الجميع يزين وجوههم أجمل ابتسامتهم، ينتظرهم "سامر"، وعائلته المكونة من أمه "أفنان"، وأخته "فدوى"، وأخيه الأصغر "سهيل" من خلفه، فيما مكث أبيه "مصطفي" في الحديقة مع المدعويين .

وصلوا أخيراً إلي نهاية الدرج، فاقترب "سامر" لكي يتبادل الأماكن مع "آدم" ويتأبط ذراع خطيبته، فأشار له بالوقوف في الجهة الأخرى بجانب والدته، تأفف "سامر" ولكنه أطاع ما قاله "آدم".

خرجوا جميعاً بعد انضمام العائلتين خلف العروسين، ثم انفصلا كل في جهة، النساء ذهبت إلي جهة مفصولة عن الرجال بحائل في المنتصف وكأنهما حفلتان منفصلتان، تصدح أناشيد إسلامية بعضها بالدف وبعضها بالموسيقى كما اختارتهم "ندى".

جلس الجميع وتقدم الأهل والأصدقاء ليباركوا، بما فيهم الثلاثي "ابتهال" و"نوال" و"ووفاء"، ثم انصرفوا مباشرة بعد قضاء الواجب إلي طاولة منزوية بعيدة، لقد أجبرهم أبيهم علي حضور الحفل، ولم يستطعن الاعتراض أو تبرير عدم مجيئهم بقص ما حدث في حفل الحاج "محسن"، فجلسن يأكلهن الغيظ.

كما هو الحال مع "أفنان" وابنتها "فدوى" اللاتان لم يعجبا بالتنظيم، ولا انفصال الرجال عن النساء، ولا هذه الأناشيد العقيمة التي تصدح بها السماعات، متذمرين حانقين علي



"مصطفى" و"سامر" لموافقتهما علي هذا العبت، لقد فضحوا أمام أصدقائهم وأهلهم، بسبب تنظيم الحفل بهذا الجهل والتخلف والرجعية.

وفي ناحية أخرى جلست "سهام"، وسط عائلتها تعبت بهاتفها، حتي لا تقع عينيها علي "همسة" أو أحد من من حضر الحفل بمنزلها، لقد تلقت الكثير من الاتصالات، التي جاءت في ظاهرها تًطيب خاطرها، وفي مضمونها التشفي والشماتة، فازداد حقدًا علي "همسة" حتي امتلأ به قلبها وفاض.

- "همسة"، اذهب إلي "آدم" استئذنيه في الحضور مع "سامر" وعائلته، لكي يأخذ لنا المصور صور مجتمعين قبل انتهاء الحفل.

ذهبت "همسة" خائفة من محادثة "آدم"، متوجسة تطلب منه أي طلب، حتي وإن كان لا يخصها، فاستوقفها الحاج "محسن" في بداية مكان الرجال .

- من الجيد أني رفضت ذهابك إلي هذين المحتالين "متولي" و"هناء"، لقد تقصيت عنهم، ف"متولي" بالفعل لم يذهب إلي عمله، الذي امتننه منذ فترة بأحد الملاهي الليلية، متعللاً بمرضه، ولكن بالبحث وجدت أن صحته جيدة، ولا يذهب إلي أي مشفى، ولا يزوره أطباء، ولا يرتادون الصيدليات حولهم لصرف أي دواء...



لقد قلت لك فمثلهم لا نأمن لهم مطلقًا... الحمد لله  
الذي نجاك منهما.

- يا الله... لماذا كانا يريدان مني الذهاب إذا؟... يا تُرى  
فيما كانا يخططان؟!

- بالتأكيد لسحب المال منك، وإلا لماذا ادعيا المرض...،  
علي كل حال، سأذهب إليهما غدًا، لإغلاق الموضوع  
معهما نهائيًا، وإيقافهم عند حدهم.

- لا ترهق نفسك يا حاج، حمدا لله علي وجودك في  
حياتي... فلولا كرم الله، ثم نصائحك واهتمامك  
ومساندتك، لكنت وقعت في الكثير من المشاكل،  
ولكنني أردت إخبارك بأمر ما...

تسمّرت "همسة" في مكانها، تنظر اتجاه مجلس الرجال،  
وقد نحت وجهها معالم الفزع، وأكمل تفاصيله الخوف  
الشديد، انعقد لسانها ولم تنطق بكلمة.

- ما بكِ يا "همسة"؟، ماذا حدث؟

استدار لينظر في الاتجاه الذي تنظر إليه، يرى تجمع من  
الرجال، فما الذي يُزعجها حد الفزع هكذا؟، كلهم رجال  
أعمال لا يوجد علاقة بينهم وبينها، وأثناء تفكره شعر بحركة  
خلفه، التفت ليجدها تسقط فاقدة الوعي، أسندها قبل أن  
تصل إلي الأرض بـ ثوانٍ، فسمع من يقترب منهما بخطى  
سريعة.



- احملها معي يا "آدم"، لا أعرف ما الذي أصابها فجأة؟!

حملها "آدم" وقد تسارعت نبضات قلبه، لأول مرة يمتلكه هذا القدر من الخوف والقلق علي امرأة غير أخته وأمه.

لم ينتبها لتلكما العينان، التي شيعتهم بغيظ وكره تجز علي أسنانها، لفشل خطتها بسقوط "همسة" مغشياً عليها.

اتجه صوب الفيلا وصعد الدرج، متمنياً ألا ينتهي الطريق إلي الغرفة، فهذه أول مرة يلمسها فيها، أصابته صدمة كهربائية، لتحيي قلبه، الذي كان في سُبات كالغيوبة، كمكنسة تزيح الغبار، الذي تراكم علي قلبه، والرماد الذي تكون إثر اشتعاله في كل مرة يرى فيها أنثي تتقرب إليه، ليدخله النور.. نور حبها.

بالرغم من قلقه شعر بأنه يحمل شيء يخصه، شيء يشعره بالاطمئنان والركون إليه.

وصل أخيراً إلي الغرفة، ووضعتها في الفراش برقة، وكأنه يحافظ علي أحد مقتنياته الثمينة القابلة للكسر، دخلت "عايدة" خلفه، التي لحقت بهم، عندما شاهدته يسير حاملاً إياها صوب الفيلا.

- ماذا حدث يا "آدم"..، لقد كانت بخير حال؟

- أنا من كان يقف معها يا حاجة..، كنا نتحدث قليلاً في أمور عادية..، فوجدت وجهها يشحب فجأة، ويستحيل



لونه إلي الأصفر، ثم سقطت مغشيًا عليها، دون أن تتفوه بأي كلمة.

أخيرا خرج "آدم" عن صمته، بعد أن أبعد نظره عنها متجهاً إلي الباب، لا يريد أن ينظر إليهما، لكي لا تفضحه عينيه ويشاهدان القلق المتجلي فيهما:

- سأستدعي صديقي الدكتور "صُهيب" من الحفلة، دون لفت الأنظار، ليُطمئنا عليها.

خرج في عجلة بعد أن ألقى نظرة أخيرة عليها، فيما اقتربت منها "عايدة"، تجس جبينها وتمسد رأسها بحنان.

عاينها الطبيب في وجود "عايدة"، فيما انتظرا "محسن" و"آدم" خارج الغرفة، رُغم إصرار "محسن" علي وجود "آدم" بالداخل ورفض الأخير، فانفتح الباب بعد لحظات ظن كل منهما أنها دهر قد مرَّ عليهما، خرج الدكتور ومن خلفه "عايدة".

- ماذا بها يا دكتور؟

- ضغط دمها ارتفع... وهناك انقباض في العضلات ورعشة خفيفة... يبدو أنها تعرضت لضغط عصبي أو صدمة ما أو ربما إرهاق شديد... فهذه بداية أعراض الانهيار العصبي... هي الآن نائمة، تحتاج للراحة، وعدم الضغط علي أعصابها هذه الفترة، حتي تستعيد صحتها من جديد.



- إن شاء الله يا دكتور جزاك الله خيرًا، سنعمل علي إراحة أعصابها هذه الفترة جيدًا.

قالتها "عايدة"، وهي تنظر إلي "آدم" نظرة ذات مغزى، فنزلوا جميعًا للانضمام للحفلة مرة أخرى، حتي لا يلاحظ أحد شيء، وعندما سألت "ندى" علي "همسة" كثيرًا وألحت، أخبرتها "عايدة"، أنها شعرت بالإرهاق، فأصرت عليها أن ترتاح.

عبست "ندى"، لقد كانت تتمنى وجودها بجانبها حتي نهاية الحفل، فهي تستمد منها قوتها، وتطمئن إلى جوارها.

سرعان ما انتهى الحفل، بعدما قدّم "سامر" لـ "ندى" خاتم ألماس، ألبسها إياها "آدم"، بعد انضمام جمع الرجال والنساء.

غادر الجميع، وقد أوصى الحاج "محسن" علي "همسة" قبل مغادرته، طالبًا من "آدم" أن يطمئنه عندما تفيق.

\*\*\*\*\*

استعادت "همسة" وعيها، لتجد نفسها في غرفة مظلمة، ينيرها ضوء خافت، فانتبهت هذه ليست غرفتها!، ظلت تجمع شتات تركيزها، فتنبهت هذه غرفة "آدم"!، وهذا فراشه.



اعتدلت بسرعة فزاد دوارها، أمسكت رأسها متألمة، تحدث نفسها، "ما الذي أتى بها إلي هنا؟، قطع محاولة استعادتها لما حدث، فتح الباب ببطء.

- الحمد لله..، لقد استيقظت العمه "همسة".

دلفت "هند" إلي الغرفة وأضاءت ضوءها، فضيقت "همسة" عينيها حتي تعتاد الضوء العالي، ثم فتحتها رويدا رويدا، لحق بها "آدم" وباقي العائلة .

- حمدا لله علي سلامتكَ يا "همسة"..، ماذا حدث يا بنيتي، لقد قلقنا عليكِ؟

- حمدا لله علي سلامتكَ يا "هموس"، هل هذا الذي ستكونين بجانبني لحظة بلحظة؟، تتركيني في نصف الحفلة وتفقدي وعيك هكذا، من يعوضني إذًا؟

ابتسمت بإرهاق، وهي تعتدل في جلستها، يراقبها "آدم" الذي ظل واقفا عند باب الغرفة، يستند علي الحائط مرّبعا ساعديه، فلم تتبين ما ظهر في عينيه، مازالت الرؤية مشوشة قليلا.

- الحمد لله أنا بخير..، ولكني لا أتذكر شيء..، لماذا قلقتم علي؟..، وكيف جئت إلي هنا؟..، آخر ما أتذكره، عندما طلبت مني "ندى" الذهاب إلي "آدم"، لناخذ صورة جماعية.



فك "آدم" يديه، وهو ينتصب في وقفته، فبادرت "ندى" تسألها:

- لا هذا ليس آخر ما حدث، لقد قابلتِ الحاج "محسن" وتحدثتما سوياً، ثم وجدك وقد شحب وجهك وسقط مغشياً عليكِ، فحملك "آدم" إلي هنا!

نظرت إليها، رافعة حاجبيها بدهشة، ثم وجهت نظرها إلي "آدم" خجلة، كيف له أن يحملها؟!، لا بد أنه أجبر علي ذلك وتأفف، ثم لماذا ينقلها إلي هنا، ولم يذهب بها إلي غرفتها؟، هل لأنها الأقرب إلى الدرج؟

فردد عقلها بأسى يملي عليه الشيطان ما يزيد حزنها وتوترها، "لا بد أنه يريد غرفته الآن لينام"، فقطع استرسال أفكارها، صوت "هيثم" هذه المرة:

- هل تذكرتي الآن عمة "همسة"؟

نظرت إليه ببلاهة، فهي لم تفكر فيما حدث، لقد كانت شاردة في حال "آدم"، فأجابت بخجل لتخفي ما كان يدور بخلدها:

- لا أنا لا أتذكر هذا الجزء، فأنا ...

أغمضت عينيها و أمسكت برأسها متألّمة، فاقتربت منها "عايدة" تُربت علي ظهرها ثم يدها.



- لا بأس يا "همسة"... دعي عنك كل هذا، إنه ليس بالأمر الهام، يبدو أنه الإرهاق... لقد أرهقتك "ندى" كثيراً، وهذه عادتها.

ثم نظرت إلي "ندى" لترى إثر مداعبتها علي وجهها، أرادت أن تستفزها بالمداعبات، لتمارس هوايتها في نشر المرح الطفولي المميزة به، كي تُفرج عن "همسة"، ففهمت "ندى" ما رمت إليه والدتها، ووضعت يدها علي خصرها، لتقول بعدائية طفولية:

- يا حاجة "عايدة"، لقد نسيت... أنا من أكون ابنتك هنا...، لم أر أم تشيد بابنتها هكذا دائماً مثلك يا "عيود".

ضحك الجميع، وردت "عايدة":

- قومي سريعاً يا "همسة"، لكي تنقذيني من هذه، نريد أن نزوجها سريعاً قبل أن يكتشف خاطبها ما وقع فيه.

علت ضحكات "همسة"، غير عابئة بألم رأسها، بل تناسته عمداً، لأول مرة تعيش في جو أسري، مع أناس يخشون عليها مثل هذه العائلة.

لقد شعرت أخيراً أنها إنسانة بمعني الكلمة، يوجد من يحبها.. ويخاف عليها.. ويشعر بوجودها... لا من يستغلها.. أو يشعرها أنها مجرد أداة للخدمة فقط لا غير، حتي وإن كان أحدهم، بل أهمهم وهو زوجها يُعكر حياتها، فوجود الباقون يغطي علي جفائه، قالت بمرح مماثل لمزاحهم:



- كيف هذا يا أمي؟... ف"ندى" فاكهة البيت..، لا نستغنى عنها..، سنُحدث خاطبها بأن تسكن معنا بعد الزواج بإذن الله.

تنحنت "ندى"، ووقفت بشموخ واعتزاز، تتبختر معجبة بنفسها، فأضافت "همسة"، تجيد التدرج في تمثيل دور الحزينة ثم الفرحة:

- ولكني واثقة أنه لن يوافق يا أمي اطمئن..، عندئذ ستذهب لتجالس "فدوى" ووالدتها، فيأتون إلينا حبا تائبين .

علت الضحكات من جديد، فأغمضت "همسة" عينيها، لقد زاد الدوار من جديد، فاقتربت "عايدة" منها، تذررها، وهي تأمرها:

- ضعي عن رأسك عناء تذكر ما حدث، المهم أنكِ بخير الآن..، سأجلب لكِ كوب من اللبن الدافئ، ثم استريحِي وغطِ في النوم حتي الصباح، ستستيقظين بذهن صافي وتتعافي من الإرهاق بإذن الله.

- لا تتعبي نفسك يا أمي، أنا سأذهب إلي غرفتي، فالنوم بدأ يراودني مرة أخرى.

- لن تتحركِ من مكانك..، فقط استمعِ لما تقوله أمي.



التفت الجميع إلي "آدم"، متعجبين بما فيهم "همسة"، لقد خرج عن صمته أخيراً، يمارس عادته المفضلة وهي أن يأمرها.

- لا...، يكفي انتظارك حتى هذه الساعة، لا بد أنك تريد استرداد غرفتك وفراشك.

كادت تتحامل علي نفسها وتقوم، فجاءها صوت "آدم"، حازماً غاضباً:

- لماذا لا تسمعين الكلام...، فعنادك هذا يفقدني صوابي...، هيا يا "ندى" احضري لها كوب اللبن، وأنتِ يا أمي اذهب لتستريحِي، فأنتِ تعبتِ اليوم كثيراً، وأنتما اذهبا إلي النوم، لقد تأخرتما كثيراً عن ميعاد نومكما، إنها الواحدة صباحاً.

أعطى "آدم" أوامره، ثم ألقى نظرة غاضبة عليها، ولكن بها لون آخر لم تستشفه، وبعدها غادر الغرفة، فظلوا جميعاً محدّقين في مكانه لحظات، قبل أن توأد صمتهم "ندى" بمزاحها:

- هل الذي كان يقف هنا هو "آدم"، أم أني وحدي الذي يتخيل هذا؟

ضحك الجميع، وقد سعدوا بتحول "آدم"، فأضافت:



- سأذهب لتنفيذ أوامره لست مستغنية عن نفسي، فأنا مقبلة علي الحياة...، لازلت عروس جديدة...، لا أريد أن يُيتم أنبائي اللائي ينتظرونني في المستقبل.

دمعت عيونهم ضحكًا عليها، ثم نفذ الجميع ما أمر به، آملين أن تكون نقطة تحول بالفعل .

استيقظت "همسة" في العاشرة، وقد تحسّن حالها بالفعل، بل وقد سكنت روحها سعادة لا تعرف مصدرها، لقد نامت في فراش "آدم"، والغريب أنها شعرت بالانتماء إليه، فعادتها ألا تنام في أي فراش جديد عليها سريعًا، ولكنها علي هذا الفراش، قد غفت بمجرد أن وضعت رأسها علي الوسادة.

قامت ونظمتها، ثم اتجهت إلي غرفتها كي تغير ملابسها، فمازالت بثوب أمس، تحممت وبدّلت ثيابها، ثم نزلت إلي المطبخ سلمت علي "رضا" و"هالة"، واتجهت إلي الحديقة، اطمئن عليها الجميع إلا "آدم" الذي قاطعهم دون سؤالها عن حالها:

- تجهزوا لكي أقوم بإيصالكم في طريقي إلي العمل.
- لماذا يا "آدم" دعهم معنا قليلًا.
- يكفي أسبوع خارج المنزل يا "ندى".
- بما أنك ستكون بعملك طوال اليوم، فمر عليهما بعد عملك، يكونوا قد تجهزوا لتُقْلَمهم، بدلًا من تعطيلك الآن حتي يتجهزوا يا "آدم".



- حسنا يا أمي..، السلام عليكم.

قضت "همسة" اليوم معهم فرحة، تحدث إليها الحاج "محسن" ليعيد عليها ما اتفقا عليه بخصوص "متولي" و"هناء"، بعد علمه بنسيانها هذا الجزء.

مر اليوم سريعًا، حتي اقتراب موعد وصول "آدم"، فاستعدت هي والطفلين، ثم ذهب الطفلين إلي غرفة جدتهما، وذهبت هي إلي غرفة "ندى" لكي تودعها.

طرقت الباب، فتحت لها "ندى"، ولكن فور دخولها، أشارت إليها بالصمت، ثم أنهت مكالمتها مع خاطبها، وأغلقت .

- لقد كان "سامر" يطمئن علي.

قالتها "ندى" محمرة الوجنتين، فأخذت "همسة" يدها إلي فراشها، أجلستها وجلست علي المقعد أمامها.

- لا يجوز يا "ندى" التحدث إليه كثيرًا في خلوة علي

انفراد، سواء في الهاتف أو وجهًا لوجه..، ولا يجوز الاسترسال في كلمات الحب..، اجعليه حب حلال من البداية إلي النهاية، لكي يبارك لك الله فيه، ولا يحرمك منه، فإذا رفض، لا تغضبي الله وتسترضيه.

- كلامك صحيح يا "همسة"، لقد أخطأت بالفعل واندمجت قليلًا...، فالحدث جديد علي، وهو للأسف جرنني بكلامه المعسول سأنبه عليه، جزاك الله خيرًا.



- حمدا لله... أنتِ فطرتك سليمة يا "ندى" اللهم بارك،  
ربي يوفئك لكل خير ويحفظك.

ثم ربت ساقبها، واعتدلت وهي تغمز بعينيها وتبتسم  
مضيفة:

- قولي لي فيما تحدثتم إذًا.

تدرج وجهها بالحمرة، ثم بدأت متلعثمة، ومن ثم انفرط عقد  
لسانها وتحدثت حالمة:

- بداية بعد جلستنا سأحجمه قليلاً كما اتفقنا، ولكنه في  
هذه المكالمة مدح ثوبي وجمالي... فوصف عيوني  
وقدي الرشيق، قال أن بي من الصفات الجميلة أكثر مما  
تمنى... مستكثرا إياي عليه و...

توقفت عندما شاهدت "همسة" تمثل وضعية عازف الكمان  
وتعزف، أسرعت تعدو خلفها، ولكن "همسة" قد فازت  
كالمعتاد، وأفلتت من يديها بأعجوبة عند آخر الدرج بالرُدْهة،  
ولكنها اصطدمت بحائط بشري، فسقطت وارتد هو الآخر من  
قوة اندفاعها، قامت بسرعة غير عابئة بالأم جسدها إثر  
الارتطام.

- ماذا حدث؟

- لا شيء لقد كنا نمارس أنا و"همسة" هوايتنا في العدو.

قالتها "ندى" وهي تغمز بعينيها لـ "همسة".



- لن تكبرا.. حسناً.. هل أنتم مستعدون؟
- قالها بمرح ولين...، ثم التفت إلي "همسة" يسألها.
- نعم الطفلين يجلسون مع أمي تقص عليهم بعض قصص التاريخ، وهم جاهزون.
- حسناً... هيا بنا سأذهب إلي أمي أودعها وأحضر "هيثم" و"هند"، ألحق بك عند السيارة.
- ركبوا جميعاً، وأثناء الطريق تحدث "هيثم" منفذاً خطة عمته، التي لم تكتمل بسبب خطبتها:
- ما شاء الله يا عمه "همسة"... كلما تدخلين حفل الجميع ينتبه إليك ويحسد عمي "آدم" عليك... ففي الحفلات أشاد بك الكثير، حتي أن أحدهم تمنى التقرب إليك، وآخر قال....
- بُهِتت "همسة" لقول "هيثم"، وقد أُلجم لسانها تشتد قبضتها علي حقيبتها، فسأله "آدم" بنبرة غاضبة، وقد قبض علي المقود كأنه رقبة أحدهم:
- قال ماذا؟
- عفوا يا عمي... لقد قال أن العمه "همسة" كثيرة عليك... سامحني يا عمي.. فهذا علي حد قوله.
- وقال آخر: "لو أنني قابلتها قبله".



قالتها "هند" وهي تحتمي بمقعده، خوفاً من نوبة غضبه،  
فنظر "آدم" إلي "همسة" شذراً، ثم تابع باقي الطريق في  
صمت مشحون بالتوتر والترقب والقلق.

دلفوا جميعاً إلى الفيلا، كاد الجميع أن يغادر، فأوقف "آدم"  
"همسة"، وتمنى للطيفين ليلة سعيدة، في إشارة منه  
لذهابهم إلي غرفهم.

تبادل الطفلين نظرة حذرة، خائفين، لقد تصرفا بعفوية دون  
علم عمتهم، فهي لم تُكمل معهما الخُطة، صعدا الدرج  
ببطء، حتي وصلا إلي غرفهم.

- ما الذي تحدث عنه الأولاد هذا؟
- لا أعلم، فأنا أول مرة أسمع به معك... ما ذنبي في  
أقوال أشخاص آخرين غير مسؤولين؟
- بل عليكِ كل الذنب... فلولا ارتداءكِ لهذا الثوب،  
ومجاملاتك بالابتسام لهذا وذاك، لما تجرأ أحدهم علي  
الكلام عنكِ... وبالطبع ما خفي كان أعظم .
- لا أسمح لك... لقد تحملتك كثيراً...، إلا التطاول علي  
سمعتي وأخلاقي، إلي هذه المنطقة ولن أصمت أو  
أتحمل كلمة إضافية.
- ومن قال لكِ أنني سأتحمل خيانة أخرى في حياتي...،  
سنتناقش في هذا الأمر غداً صباحاً، لقد تعبت من  
جنسكن يبدو أن الخيانة تجري في عروقكن مجرى  
الدماء.



- وأنت يجري في دماءك، الشك وسوء الظن، فأنا أيضًا لن أتحمّل شخص لا يثق بنفسه، فضلًا عن غيره... للأسف من فقد الثقة فيمن حوله وحتى أقرب الناس إليه بسبب وبدون سبب، فقد فقدّها في نفسه أولًا.

تركته وصعدت الدرج متجهةً إلي غرفتها، لم تستطع منع دمعاتها، ففاضت واعتصر قلبها ألمًا، باتت ليلتها بين البكاء والتفكير ماذا ستفعل غدًا؟، حتي غلبها النوم بعد صلاتها للفجر، ومن بعده ركعتي صلاة "استخارة" وآخرتان لصلاة "الحاجة".

استيقظت "همسة" في الحادية عشر، لم تجد "آدم"، علمت من "يسرية" مدبرة المنزل، أنه خرج في الصباح الباكر متعجلًا، وترك لها رسالة أن جلستهما ستؤجل إلي الليل، لأنه لن يحضر طعام الغداء.

قضت "همسة" يومها متوترة شاردة، لم تشارك الأطفال في نظامهم اليومي سوي في فترة "مناقشة كتاب"، حيث يقرأ كل منهم علي مدار الأسبوع كتابًا ويتناقشون فيه، وكلّ يعرض ما استفاده منه ورأيه فيه، ومن يفز بإنجاز الكتاب في الوقت المحدد ويخرج كل ما في جعبة الكتاب، يختار كيف يقضون نصف يوم الخميس.

ثم تركتهم بعد فوز "هيثم" بعرض الكتاب ليكملوا جدولهما وحدهما.



\*\*\*\*\*

افترشت أرض الحديقة وحولها أدواتها، فسمعت صوت هرة،  
قامت من مجلسها واتجهت إلي مكان الصوت، فوجدتها  
تحت إحدى الأشجار، اقتربت منها ببطء كي لا تُخيفها،  
وانحنت تُملّس علي ظهرها وهي تحدثها بحنو:

- ما الذي أتى بك إلي هنا أيتها الهرة الجميلة؟... يبدو أنكِ  
هر منازل... كم أنتِ لطيفة وجميلة؟... ممن أنتِ تائهة يا  
ثري؟... سيكون قلق عليكِ بالتأكيد... لابد أنكِ جائعة.

ظلت تُملّس عليها وتطمأنها وتداعبها، لم تنتبه إلي من كان  
يراقبها خلف سياج الحديقة، ثم قفز إلي داخلها، مقترباً من  
مكان جلوسها مع أدواتها، رءا اسمها علي الورق، كانت  
تكتب "همسة" بالخط العربي مزخرفاً.

اقتربا من المكان التي ذهبت إليه تحت الشجرة، حيث لا  
يصل إليه الضوء كفاية، ثم انقضا عليها أحدهما يحاول  
تحجيم حركتها وهو يضع محرمة وضع عليها كمية من  
المخدر، فقاومته بعنف، حتي أنه لم يستطع إحكام يده  
حولها، ووضع الآخر جوال علي رأسها وصل إلي جيبها، بعد  
أن خارت قواها، فقفز الأول إلي الجهة الأخرى حيث الشارع  
وتسلق الثاني جزء من السياج وهو يحملها علي كتفه، ثم  
ناولها للآخر الذي علق :



- كم هي مهمة سهلة، إنها خفيفة جدًا.

وضعها في السيارة التي كانت تنتظرهما يجلس بها ثالث أمام المقود، ورابعهم يجلس بجانبه، حيث كان يراقبهما من بعيد، إذا تطور الأمر يتدخل.

انطلقت السيارة إلي أحد الأماكن الغير مأهولة، حملها أحدهم، ثم دخلوا جميعًا إلي بيت من طابقين لم يكتمل بناؤه بعد، دلف الثلاثة إلي غرفة خالية من الأثاث إلا من أحد الأسيرة فقط، ونافذة واحدة عالية تقترب من سقف الغرفة، وُضع عليها السياج، فأنزلها من كان يحملها علي الفراش، ثم رفع عنها الجوال.

فيما ذهب الرابع الذي كان يجلس بجانب السائق في السيارة، ويبدو زعيمهم ليتصل بالهاتف، منتظرًا رد وجهته.

- تمت المهمة و...

قبل أن يكمل حديثه سمع أحد رجاله يناديه بهلع من داخل الغرفة، فانتقل إليها والهاتف مازال علي أذنه مفتوحًا، ففغر فاه وهو ينظر إلي الفراش.

\*\*\*\*\*



إن عظم الجزاء مع عظم البلاء، وإن الله إذا أحب قومًا  
ابتلاهم؛ فمن رضي فله الرضى، ومن سخط فله  
السخط.

حديث حسن..



يا بائعَ الصَّبْرِ لا تُشْفِقْ عَلَى الشَّارِي  
فَدِرْهَمُ الصَّبْرِ يَسْوَى أَلْفِ دِينَارٍ  
لا شَيْءَ كَالصَّبْرِ يَشْفِي جُرْحَ صَاحِبِهِ  
ولا حَوَى مِثْلَهُ حَانُوتُ عَطَّارٍ  
هَذَا الَّذِي تُخَمِدُ الْأَحْزَانَ جُرْعَتُهُ  
كِبَارِدِ الْمَاءِ يُطْفِئُ حِدَّةَ النَّارِ  
وَيَحْفَظُ الْقَلْبَ باقٍ فِي سَلَامَتِهِ  
حَتَّى يُبَدِّلَ إِعْسَارًا بِإِسَارٍ



## الفصل السابع

أغلقت "مَلَك" الهاتف مع "ندى"، بعد استئذانها منها لترد علي خاطبها، فأذنت لها "ملك" وهي شاردة، تتساءل في نفسها، "ماذا ستقول لأخيها، الذي كان ينتظر بفارغ الصبر إنهاء "ندى" لسننها الدراسية الأخيرة كي يتقدم لخطبتها؟".

أنبت نفسها علي التحدث عن "ندى" كثيرًا له، وتعديد مناقبها واستحسان أخلاقها، كان يجب أن تتأكد أنه لا يوجد أحد في حياتها أولًا، حمدت ربها علي عدم وجودها أثناء حفل الخطوبة، فماذا كانت ستفسر لأخيها، وهو في الغالب يذهب معها إلي هذه الحفلات، خوفًا عليها، فحدثت نفسها ولكن بصوت مسموع قليلًا هذه المرة:

"حمدا لله علي توقيت سفرنا إلي هذه العمرة جميعًا، فلولاها لكان أخي قد صُدم دون أن أمهد له، لم أكن لأتوقع وقوعك سريعًا يا "جاسر"، فمنذ أن رأيتها في المشفى، عندما فقدت الوعي بالجامعة نتيجة الإرهاق، وقد تعلق بها، كيف لم أنتبه نسيت أن أحاسبك علي هذا الأمر، كيف انتبهت لها وكان من المفترض أنك قلق علي وموجه جل تركيزك إلي؟!".

حسنا سأتشاجر معك بخصوص هذا فيما بعد، ولكنك كنت لئيم...، ظللت تأتي إلي الجامعة لتُقلني إلي البيت دون إعلامي بأي شيء".

انفجرت شفاتها قليلاً بابتسامة باهتة، وأكملت:

"ولكنني اكتشفت أمرك، عندما لاحظت نظراتك إليها من حين لآخر أثناء توديعي لها بالجامعة وسؤالك عنها، فأنا لست بالفتاة السهلة أيضاً؟"

- لا حول ولا قوة إلا بالله، أختي الوحيدة جُنت...، ماذا سأفعل من بعدها؟...، من سأناكف؟...، ومن سأضرب؟...، من سيخنقني ويعصبني ويثرثر 24 ساعة بعدها؟...، أخذت الشر وذهبت...، لا تقلقِ حبيبتي سأحجز لكِ حجرة منفصلة بمشفى "العباسية"، لكي نحمي باقي المرضى منك...، أقصد لتأخذي راحتكِ فيها.

اقترب منها "جاسر" يربت علي كتفها وهو يمثل التأثير، نسيت "ملك" حيرتها التي شغلتها منذ برهة، وقامت لتقف علي فراشها، تضع يدها علي خصرها، وهي تتحدث بحنق:

- من هذه التي ستحجز لها عنبر؟، فحتى إذا فقدت عقلي لن أتحرك من هنا...، سأجلس علي قلبك...، ثم من هذه التي تضربها؟!

قفزت عليه، فأوقعته أرضاً وجلست فوقه وهي تنظر لأظافرها بتمعن بعد أن انتقمت، ثم أضافت:



- قلت من يضرب من؟... أريد سماعها مرة أخرى منك؟
- أستسلم، انهضي من فوقني.. نفسي.. لقد خاف نفسي منك وهرب.. سأخذك معي للسير كل يوم صباحًا بالإجبار، لا مناقشة في هذا الأمر.
- أنا أحب جسدي ممتلئ هكذا، لا أحب غصن البان والجسد المشوق الفرنسي، ومثل هذه المسميات التافهة.
- هذه حُجة البليد.

أزاحها من فوقه، لتقع علي وجهها، وانطلق يعدو، وهي خلفه تتوعده.

\*\*\*\*\*

- هذا أفضل لي ولك يا "سامر" صدقني.
- وهل تسمين هذا حب؟.. هل تشتاقين إليّ كما أشتاق أنا إليك؟.. يبدو أنك لا تحبينني كما أحبكِ.
- لا.. أنا فقط أحافظ علي هذا الحب، لكي لا يدنسه ذنب، فيعاقبنا الله بالحرمان من بعضنا البعض.
- وماذا نفعل نحن ليعاقبنا الله؟.. هذه مجرد مكالمات للاطمئنان عليكِ، هل طلبت منك أمر مشين؟، أنت تهولي من الأمر كثيرًا، وكأنني طلبت منك المجيء إلي شقتي أو ...



- يكفي يا "سامر" لا تكمل...، لقد أخجلتني...، أنا لا أريدك أن تظن فيّ بأني لا أحبك، أنا فقط أريد أن نلتزم بشرع ربنا... أرجوك.
- لقد تعبت من هذه المناقشة يا "ندی" دعينا منها الآن...، أنا اتصلت لأطمئن عليك...، هل تريدان الإغلاق في وجهي مثلاً؟
- لا يا "سامر"...، لماذا تصر علي فهمها بهذا الشكل؟، أنا أضع حدود فقط لعلاقتنا.
- وكيف سنفهم بعضنا، إذا لم نتحدث ونتحاور؟، هل تريدان زواج صالونات؟، ترتبطين بشخص لا تعرفينه ولا يعرفك، اقتنع به الأهل، ثم تتزوجوا وتكتشفوا أنكم غير مناسبين، مختلفين في أمور عدة، وقد تكونا أصبحتم ثلاثة أفراد بدلاً من اثنان، ويؤتم طفلي في وجود والديه لا ذنب له ولا جرم إلا أن والديه تزوجا، دون أن يفهما بعضهما البعض، وآثرا ألا يتحدثا قبل الخطبة امثالاً لكلام متشددان لا يفقهون في الدين شيء، بل وينفرون العامة منه؟.
- بالطبع لا أريد أن يحدث كل هذا، دعني أقرأ عن حدود الخطبة أكثر، لكي أوضح لك وأجيب عليك...، ولكن بداية أنا لا أطلب منك ألا نفهم بعضنا البعض، سأعيد لك من الأول.



تنفست بعمق لكي تبدد التوتر الذي سببه النقاش، ثم أردفت:

- أنا فقط أريد منك ألا يكون هناك تجاوز في الكلام...، مثل كلمات الحب المعسولة وما شابه...، وأريد ألا نتحدث في الليل...، ولا تطلب مني كما طلبت في بداية هذه المكالمة...، أن نخرج سوياً وحدنا...، فبيتنا مفتوح لك في حضور أختك أو والدتك ووالدتي...، لن يجلسوا وسطنا، سيتركون لنا مساحة كافية...، لك أن تحدثني عندي عن نفسك، وأن أحدثك عن نفسي، هذا كل ما في الأمر...، أريت أن الموضوع بسيط جداً وغير معقد كما تظن.
- فلنؤجل حديثنا في هذا الأمر، وأظن ردك واضح علي خروجنا غداً...، أتمنى ألا أكتشف أشياء أكثر مختلفة معي تنفرني...، ونصيحة أخيرة الدين يسر وليس عسر، الرسول كان لا يحب من يعسروا علي أنفسهم.
- صلي الله عليه وسلم، أنا أتبع هديه وسنته ولا أتشدد...، ما رأيك في المجيء غداً إلي البيت، لكي نتحدث في هذا الأمر أفضل، أنت تبحث وأنا أبحث ونأتي بالحجج نعرضها علي بعض؟
- وهل عندي الوقت لأبحث وأتصفح في أمور كهذه!...، أنا رجل أعمال يا "ندى" عندي التزامات وأشغال،



يعملون تحت يدي عُمال بالآلاف، عمومًا بيننا تليفون...،  
أراك في أحلامي حبيبتي...، تصبحين علي خير.

كشرت "ندى"، ومطت شفيتها، ثم أجابته دون أن تظهر في  
صوتها ضيقها:

- وأنت من أهل الخير...، السلام عليكم.

أغلقت الهاتف وقلبها مقبوض، لكن نفسها تسوّل لها  
كلماته المعسولة، التي تشعرها بجمالها وتذيقها لذة  
التميز، ألقت بجسدها علي الفراش تتأمل السقف ترى فيه  
وجهه، فتارة تزجر نفسها وتارة تبتسم عندما يلوح لها، وهو  
يغازلها بعينيه وكلامه.

حركت رأسها بنفاذ صبر ونفضت شيطانها عن فكرها، ثم  
اعتدلت واضعة جهازها اللوحي أمامها، وفتحت الإنترنت  
تبحث في مواقع موثوق فيها لشيوخ وعلماء كبار عن شروط  
الخطبة وحدودها.

\*\*\*\*\*

- هل رأيت "هند" يا "هيثم"، لقد بحثت عنها كثيرًا ولم  
أجدها؟

- لا...، ولكنني أعتقد أنها قالت ستتابع استكمال رسمها  
في الحديقة.



- حسنًا... سأبحث عنها هناك... هل انتهيت من تصميم التطبيق الذي تبتكره أيها المهندس العبقرى؟  
- بالكاد سأنتهي منه... لقد أحببت هذا العمل كثيرًا، أطبق ما تعلمته في دورة البرمجة المبسّطة التي أرسلتها لي... عندما أنتهي من هذه الدورة سأجيد صنع التطبيقات بطريقة أكثر احترافية... وعندئذ سيكون أول تطبيق أقوم به، هو تطبيق هدية مني لك... لن أقول لك ماذا سيحوي الآن... هذه مفاجأة، لقد خططت لفكرته بالفعل.

رسمت ابتسامة واسعة علي ثغرها، وهي تضع يدها علي فمها بانبهار وامتنان، تقديرا لمجهوده، ثم وضعتهما ملتصقتان موضع الشكر، وفي عينيها لمعة الفرحة، تشكره بسعادة لتحمسه:

- لقد شوقتني... سأنتظره بفارغ الصبر إذًا، هذه أجمل هدية ستقدم لي، فأسرع فيها ودعني لا أنتظر .

انتشى لحماستها وتشجيعها، وهمّ يياشر ما في يده ليتطور سريعًا، وينفذ لها التصميم الذي وعدّها به.

- لن أضيع الوقت إذًا... فالوقت الذي حددناه للموهبة انتهى، وهذا وقت الفاصل أنا لا أريده، أريد استكمال هذه البدائيات لأرسلها إلي اللجنة المسئولة عن متابعة المشتركين.



- حسنًا، بالتوفيق أيها العبقري، وأنا سأذهب إلي  
"هند" لأري كيف انتهت رسمتها... لقد قالت لي هي  
أيضا أنها تعد لي مفاجأة.

تركته "همسة" وهي سعيدة بوجودهما في حياتها،  
وكأنهما شعرا بكمدها وحزنها اليوم، فأدخلوا عليها السرور  
بهذه المفاجآت، يبدو أنها ليست هي من ستساعدهم فقط  
في التنشئة السليمة، إن الأطفال أيضا يساعدون ويعطون  
أهلهم الكثير.

وأولى مساعداتهم هي رسم البسمة علي وجوه الكبار،  
وتبديد حزنهم بنقائهم...، فكما يحتاج الأطفال لأهلهم يحتاج  
الكبار أيضا لصغارهم، وحتى إلي حزنهم.

وصلت أخيرًا إلي باب الفيلا الداخلي، ثم إلي الحديقة  
الخلفية، ولكنها لم تجد "هند"، فقط أدوات رسمها ودفترها  
الضخم الخاص بالرسم، الذي طارت صفحاته لتستقر عند  
أولى أوراقه، فنظرت حولها ونادت عليها، ولكن لا مجيب،  
قلبت صفحات دفترها، لتجد اسمها مكتوبًا علي آخر  
الصفحات المشغولة، بأحد الخطوط العربية، مزخرف بالورود  
وبعض الزركشة التي لم تلون بعد، انبهرت بجماله، ولكن  
سرعان ما تبددت هذه السعادة بقلقها عليها، متسائلة  
بصوت حائر:

"أين ذهبت إذا؟".



دخلت الفيلا وجددت بحثها عنها، سألت الحارس، الذي بدوره مشط الحديقة مرة أخرى، دون إعلام "هيثم"، ولما زاد توترها، وتبدد أملها في إيجادها، أسرعت إلي الهاتف تضغط علي أحد الأرقام، هي تحاول تهدئة وتيرة أنفاسها، لتقلل سرعة نبضات قلبها قليلاً، ولكن دون فائدة، منتظرة الرد بفارغ الصبر، وأخيراً جاءها:

- السلام عليكم... خيراً؟
- عليكم السلام ورحمة الله

تلعثمت قليلاً، وهي تحاول صياغة خبرها بطريقة هادئة وعدم بث قلقها فيه، قبل أن تضيف بصوت مذبذب:

- لا أريد إزعاجك، ولكن حدث أمر غريب..، لقد اختلى "هيثم" و"هند" كلٌ بنفسه لممارسة هوايتهما كل علي حدى..، مكث "هيثم" بغرفته، فيما ذهبت "هند" إلي الحديقة..، وبعد مرور ساعة..

توقفت عن الكلام، بانحصار الكلمات في حلقها، لقد زاد على توترها وقلقها خوفها من رد فعله، فبادرها بلهجة مستهزئة قاسية:

- ليس لدي اليوم بأكمله لأستمع لك، اختصري..، ماذا حدث؟، هل أصاب الأولاد أي أذى؟..، بالطبع تركتيهما وذهبت للجلوس علي "الإنترنت" أو تتحدثين بالهاتف، أو..



- لقد اختفت "هند".

فاجأته بالخبر دون إكمال التمهيد لتوقف سيل اتهاماته،  
يكفيها ما هي فيه، لن تتحمله في وقت كهذا.

- ماذا..؟.. ماذا قلتِ؟..، أعيديه مرة أخرى.

- لقد ذهبت للبحث عنها بالحديقة الخلفية، فوجدت  
أدوات رسمها، ولم أجدها هي نفسها..، ظلتت أبحث  
عنها نصف ساعة، واستعانت بـ الحارس "صالح"  
ليبحث معي، ولكننا لم نجد لها أثر بالمنزل أو الحديقة  
الأمامية والخلفية.

قام "آدم" عن مكتبه، والقلق ينبش برائته في قلبه وعقله،  
أخذ مفاتيح سيارته، وهو يسألها بعصبية:

- ماذا؟..، كيف لم تجدينها هل الأرض انشقت وابتلعتها  
مثلاً..، أين عساها أن تذهب ؟

- لا أعرف فـ "صالح" أكد أنه لم يدخل أو يخرج أحد.

- كيف لي أن أتمن إحداهن علي الأطفال؟..، فوالدتها  
نفسها كانت مهملة فيهما..، فكيف لامرأة غريبة  
عنهما أن تهتم لأمرهما؟..، هذا خطأي أنا..، أنا قادم  
في الطريق إذا حدث أي جديد اتصل بي فوراً.

لم يكن لـ "همسة" طاقة جدال أو مناقفة، لقد كانت قلقة  
علي "هند"، فلم تبالِ بزمه وتوبيخه، فأغلقت الهاتف  
ولسانها يبتهل بالدعاء لها.



\*\*\*\*\*

احمر وجه زعيمهما غضبًا، كيف سيفسر فعلتهم لمن كلفهم بالعملية؟، سمع محدثه بالهاتف يستفسر عن الأمر، فرد بخزي ونبرة رخوة:

- لقد خطف الحمقى الطفلة الصغيرة...، وليس المرأة المكلفين بخطفها.

سمع محدثه يوبخه أشد التوبيخ، ثم وبعد أن أفرغ جام غضبه فيه، أمره بما سيفعله مع البنت، وأغلق في وجهه الهاتف، فعاد ليقترب منهم بعد أن ابتعد لكي لا يسمعون توبيخه بصوت محدثه الجمهوري، وعلي وجهه ملامح شيطان غاضب، يرد لهم التوبيخ الذي تلقاه منذ برهة:

- كيف لم تنتبهوا أيها الحمقى، أنها طفلة وليست امرأة ناضجة؟...، لقد حذرتكم مرارًا ألا تحتسوا الشراب قبل أي عملية...، يبدو أنكم ما عدتم تنفعونني.

دافع أفتس الأنف، وأحد اللذان قاما بالعملية، ذو الخلق الضيق عن نفسه، بعد أن اتخذ من السيجارة المحشوة بما تعود عليه عقله من المذهبات سبيل للتنفيس عن غضبه وحنقه قائلاً:



- كانت تقاومنا بشراسة، فلم ننتبه لجسدها، كما أنها كانت جالسة علي الأرض تحت شجرة تظللها، لم يصلها الضوء، كانت خيالاً فقط.
- تحدث أنحفهم بحماسة في محاولة منه لتدارج الأمر، وهو يحك أنفه بإلحاح وعنف، يبدو أن موعد جرعته من المخدرات قد حان، أو أن التوتر عجل بها:
- سنصلح الأمر يا زعيم... لا تغضب... سنخطف الأخرى.
- كيف أيها الغبي؟!... لا بد أنهم قد انتبهوا الآن، وسيكون من الصعب الدخول مرة أخرى في ظل هذه الظروف...، لقد عقدتم الأمر...، إذا كان "سمير" و"حامد" هنا كانا قاما بهذه العملية التافهة علي أكمل وجه.
- سار جيئة وذهابا بالغرفة، والباقون يتململون حانقين لثنائه علي هذين الثنائي وتوبيخه لهم، فلطالما كان مدحه يصب في كفتهما دائماً، ولكنهم أغلقوا أفواههم لا يملكون حق الاعتراض، بعد خطأهم الفادح، بالإضافة إلي أنه قد وصل إلي ذروة غضبه، سلط نظره علي "هند" الغائبة عن الوعي، وأضاف:
- الباشا غاضب كثيراً...، وهذا لا يبشر بالخير.
- ضحك السائق بقلق وجسده يهتز من ضخامته يلمع الضوء علي رأسه الخالية من الشعر عند تحركه، وهو يسأل سؤال يعلم أن لا إجابة له:



- وهل نعرف من هو حتي نرفع لغضبه؟... نحن ننفذ عملية لشخص لا نعرف كنهه أو حتي جنسه، رجل هو أم امرأة...، كما في المرتين السابقتين؟
- منذ متي يفرق معكم جنس المُكلف؟، أو حتي شخصه...، ما دمتم تحصلون علي المال في النهاية، لا أريد مزيد من الأسئلة، التي ستضر أكثر مما تنفع..، فأنتم تعلمون كم سيكلفكم المعرفة بها بالتأكيد، كفاكم هذه المصيبة التي أوقعتمونا فيها... سننفذ ما أمرني به، حتي إشعار آخر.
- سنقتلها؟

سأل أفتس الأنف، وقد بدأت النشوة تعود لوجه الخمري المائل للسواد، وصوته الأجش نتيجة إدمانه الدخان.

عدل الزعيم سترته، وبرقت عيناه السوداء المختلط بياضها بحمرة مرض، بضوء كالبرق، وكأن شيطانه من تحدث:

- الذئاب جوعى في الجبل، ولا أحد يطعمهم...، فلا بأس بالعطف عليهم وإطعامهم...، لا تنسوا حرق ملابسها لكي تكون عملية نظيفة دون شائبة .

\*\*\*\*\*

- كيف اختفت طفلة تسع سنوات فجأة، دون أن تروها؟...، فليقنعني أحدكما؟!



- لست أنت القلق وحدك...، فنحن أيضًا قلقون عليها، بدلاً من هذا التوبيخ، فلتتصل بالشرطة لكي نصل إليها سريعًا.
- وهل أنا انتظر منك لتقولي لي!، لقد اتصلت بصديق لي ضابط بالشرطة، وهو من أبلغ ضابط بقسم "التجمع الخامس" هنا ليتابع معه، هما في طريقهما إلينا الآن...، فنحن لن نستطيع الإبلاغ إلا بعد مرور 24 ساعة علي اختفائها، كما أنها.....

صمت قليلاً يحاول إخراج صوته خالي من المشاعر، ولكنه لم ينجح:

- كما أنها إذا أختُطفت، فلا بد لخاطفها أنه يتابعنا الآن من بعيد...، ليعرف إذا كنا قد أبلغنا الشرطة أم لا؟، وكيف سيكون تصرفنا حيال الأمر؟

سقط قلب "همسة" في بئر عميق، لا يعطيها كفاءة ضخ الدم لباقي الجسد، ولكنه يردد صوت نبضاتها السريعة بصوت عالٍ تكاد تسمعه، فأخذتها قدمها لأقرب مقعد خلفها، كانت تعلم باحتمالية الاختطاف، ولكن ذكره أمامها أثقل علي قلبها كثيرًا، حاولت إخراج صوتها بصعوبة، تسأله:

- هل فحصت الكاميرات؟
- فحصتها بالطبع في الوقت الذي قلتِ عليه، ما بين الثامنة والتاسعة، ولكن للأسف الكاميرات تراقب البوابة الخارجية للفيلا ومدخلها فقط...، الحديقة



الخلفية لا يوجد بها كاميرات...، لقد كنت أقوم بتركيبها وقت حادثة أخي، وبعد الحادثة أوقفت كل شيء ولم أكمل.

- عمي أنا خائف علي "هند" كثيرًا، هل ستعود إلينا؟

التفت "آدم" إليه واحتضنه يمسد شعره ليطمئنه، لقد نسى وجوده تمامًا وتحدث بغضب وتوتر أمامه، زاد في احتضانه كأنه يحميه من الهواء المحيط به، وهو لا يعرف كيف يطمئنه؟، وكأنها قرأت أفكاره، لتسارع بنجدته:

- ستعود بإذن الله يا "هيثم"...، يقول الله تعالى في حديثه القدسي: "أنا عند ظن عبدي بي، ظن بي خيرًا فله، وإن ظن بي شرا فله"<sup>25</sup>، وفي الحديث الشريف "ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة"<sup>26</sup>، سنأخذ بالأسباب ونبحث عنها، ونأخذ في الاعتبار أنه في كل الأحوال لعله خير، إن الله لن يُفجعنا فيها، وهذا ظني بالله، الله رؤوف بعباده رحيم.

ظلت تهدده بالكلمات، التي تخرج من فمها ليس لتطمأنه فقط، بل لتستوطن قلوب جميع الواقفين وقلوبها قبلهم، فتعيد ولو جزء ضئيل من رتبة نبضه، حتي رن جرس هاتف "آدم" برقم صديقه "خالد"، يعلن عن وصوله هو وصديقه

<sup>25</sup> - رواه الإمام أحمد، وصححه الألباني

<sup>26</sup> - رواه الحاكم، وصححه الألباني

"شادي" أمام البوابة الرئيسية للفيلا، والتي كانت قد أغلقت بدخول "صالح" معهم إلي الداخل.

طلب "آدم" من "همسة" بعد أن عرفها سريعًا إليهم، أن تقص عليهما ما حدث، بدأت حديثها بتلجلج وتلعثم، ثم ما لبثت أن استعادت ربطة جأشها وثقتها بنفسها، وما إن انتهت، حتي سأل "خالد" كل من "هيثم" و"صالح" عن آخر مرة رأوها، واستفسر من "آدم" عن كاميرات المراقبة.

فيما ختم المقدم "شادي"، الذي ظل صامتًا حتي هذه اللحظة الاستجواب القصير، بسؤال "آدم" عن شخصيتها:

- هل اعتادت علي الاختفاء، ولو حتي لجذب انتباهكم؟... فأحيانًا الأطفال يقومون بمثل هذه الأفعال، عندما يشعرون بانشغال الكبار عنهم وافتقارهم للاهتمام والحنية والاطمئنان.
- أبدًا، ف"هند" شخصية مسؤولة وذكية وغير متهوره.
- حسنا، إذا احتمال الاختطاف هو الاحتمال الأكبر، سنطلع علي كاميرات المراقبة، التي يبدو أنها لم تسجل أي شيء علي حد قولكم فيما بعد، ولكن الآن نريد أن نري آخر مكان كانت تجلس فيه علي حد قولك مدام "همسة".

قالها "خالد" وهو ينظر إلي "همسة"، التي خجلت لسماعها هذا اللقب، فهي لم تسمعه سوي مرات معدودة تقريبًا، وفي كل مرة كانت تصاب بالرعشة والخجل والتقوقع

علي نفسها، فتنبهت لصمتها وشرودها وكل الأنظار موجهة إليها.

سارت أمامهم إلي الحديقة الخلفية من الباب الخلفي لترشدهم إلي مكان جلوسها، سار الجميع خلفها يتقدمهم "آدم"، حتي وصلوا إلي مكان دفترها الملقى علي المنضدة وقد سكنت أوراقه، لم يحركها نسيم الحديقة، كما كان يفعل وكأنه حزين علي صاحبتة يأبى التحرك حتي تأتي هي وتحمله، لتخط بيدها المبدعة عليه أحلامها، التي كانت تترجمها في رسومات ارتجالية دون تنسيق بين كل منها.

اقترب "خالد" و"شادي"، وقاما بفحص المكان، دون لمس أي من محتوياته، حتي الحشائش وآثار الأقدام.

- هل لمس أحدكم أي من هؤلاء الأدوات؟

سأل "شادي" وهو مازال يبحث في أدواتها، فيما انحنى "خالد" يفحص الحشائش بمصباح هاتفه لعله يجد ما يرشده، أو يستدل علي آثار أقدام مريبة، أو آثار دماء:

- نعم...، أنا أمسكت بجميعهم تقريبًا، وتصفحت دفترها لم أكن أعلم وقتها أنها اختفت، لقد كانت تكتب اسمي بشكل مزخرف.

همّت بفتحه مرة أخرى لتريه، ولكنه استوقفها :



- لا... يكفي لمسّه أول مرة، كان لابد ألا تلمسي أي من هذه الأشياء، ولكن لكِ عذرك بعدم معرفتك مسبقاً لاختفائها.
- جزاك الله خيرًا، هل من الممكن أن يكون الاختطاف قد تم بقفز أحدهم من فوق السياج الخلفي هذا وخطفها، بما أن الكاميرات لا تسجل أي شيء، وخاصة أنه بالقرب منها؟

رفع "خالد" نظره إليها، وهو مازال علي انحناءه متعجبًا، والتفت "شادي" لإصبعها الذي كان يشير إلي السياج، ثم عاد بنظره إليها، ابتسم لها وهو يثنى عليها:

- أهنتكِ علي ذكائكِ، فهذا ما جال بخاطري منذ بداية مجيئ إلي الحديقة بالضبط.

رمقه "آدم" بغيظ، ثم كور قبضته، محاولًا ألا يوجهها إلي وجهه علي تطاوله وتعديه علي ما لا يخصه، ثم وجه نظره إلي "همسة" ليرى أثر كلماته عليها، فهي لم تسمع منه ثناء مطلقًا، بل كل كلامه معها كان وابل من التوبيخ فقط متسائلًا، هل هي مثل باقي النساء ينجرفون وراء الكلمة الحلوة فقط؟

لم يستطع تبين وجهها، لقد نظرت إلي الأرض مفتعلة البحث عن شيء ما، لم يلمح أي شيء، فازداد غضبه.



- الأمر حقا لا يحتاج إلي ذكاء، لقد ظللت أفكر طوال الوقت منذ أن لاحظت اختفاءها، ولكن هل خاطفوها كانوا يعلمون بعدم وجود كاميرات هنا، أم أنهم قفزوا من هنا ليتجنبوا الحارس فقط؟  
- مرة أخرى تلميح جيد، أرفع لك القبعة سيدتي، سأسعد بسماع تحليلاتك في أي وقت، يبدو أننا سنجهز لك مكتب معنا بالغرفة في القسم.

قالها "شادي"، بابتسامة واسعة ويده في جيب سرواله، لا يعلم أنه أوقد لتوه بركان نشط، وسينفجر في وجهه لا محالة، نظر "خالد" إليه بتحذير ولوم.

وقام ليقف أمام "آدم"، الذي كان يتقدم بالفعل اتجاه "شادي"، المنشغل بالنظر إلي "همسة" ذو الوجنتين المخضبتين بالحمرة، يحاول ثنيه بإشغاله بأمر أهم لكي لا يتهور، فهو يعرف صديقه، بالرغم من جسد "شادي" الرياضي، إلا أنه لن يصمد أمام "آدم" في غضبه لثلاث دقائق:

- "شادي" لا يقصد التمادي يا "آدم"، هو خلوق ولكنه اجتماعي زيادة، لا تؤاخذة، ثم إنني اكتشفت أمر هام.

نظر "آدم" إليه ومازالت نيران الغضب تشتعل في عينيه، ويده تستنجد لتلكم أحدهم بدلا من الضغط علي باطنها بهذه القوة، لكن حيلة "خالد" نجحت إلي حد ما، لقد توقف

تقدم "آدم" منتظرًا استكمال له لبقية حديثه بالفعل، حمد الله علي إيقافه، ثم أضاف:

- "هند" أختطفت بالفعل، ومن هذا المكان بالضبط.

قالها وهو يشير إلي أحد الأركان تحت شجرة بجانب مبنى الفيلا، تظللها أوراقها الوارفة، فيقل الضوء تحتها حتي يستحيل من يقف تحتها إلي خيال.

نجح في لفت نظر الجميع، حتي تناسوا واقعة تبجح "شادي"، فأكمل بعد أن اقترب من الشجرة ولكن في اتجاه متعرج يقفز من علي بعض الأماكن، ثم أشار لهم بألا يقتربوا:

- كانت جالسة تلون عند أدواتها، فحدث أمر ما لفت انتباهها أو جذبها إلي هنا، ولكنه أمر طبيعي بالنسبة إليها، لأنها تقدمت بإرادتها، فخطواتها طبيعية لم تكن فيها هرولة..، جاءت إلي هذه الشجرة، ثم أختطفت.  
- وكيف علمت بهذه التفاصيل؟

سأل "آدم" بعدما زال من فكره الغضب قليلاً، وحل محله القلق علي "هند".

- هنا بالتحديد يوجد قلم من أقلامها، كما أن هناك آثار قد أزيلت بطريقة عفوية بدائية بسرعة عن هذه الممشاة، لذلك لا أريد لأحد أن يقترب من هذه البقعة، حتي يأتي فريق البحث الجنائي غدًا.



أوماً "شادي" رأسه، وشفتيه مزمومة، يفكر في تحليل صديقه، فيما وقف الجميع يتخيلون، كيف تقضي "هند" وقتها؟، وهل آذاها أحدهم؟، داعين الله أن ينجيها ويحفظها.

\*\*\*\*\*

- إذا عادت والدتك يا "منال" وأنا بالخارج، أخبريها أنني خرجت ولن أتأخر، لن أذهب إلي العمل اليوم فترة ما بعد الغداء.

ركب "محسن" سيارته، رافضاً عرض "رمضان" عليه ليوصله متعجباً، "كيف لم تأخذه "سهام" معها في مشوارها؟"، نفذ عنه حيرته، فأمامه طريق طويل ومهمة لا بد أن ينهيها اليوم، قاد سيارته إلي وجهته منطقة "المُنيب" بمحافظة الجيزة.

وصل إلي مقصده، وهمّ بركن سيارته عند مخبز للخبز البلدي يصطف أمامه طابور من الكادحين من الطبقة الفقيرة والمتوسطة، ينتظرون رغيّف مُدعم يطالب بالغاءه وتوفير أموال الدعم، بطون قد امتلأت بـ"الكافيار" و"الاستاكوزا" ولحوم البجع والنعام... وكل ما لذ وطاب.

قبل أن يترجل من سيارته لمح من يخرج من البيت المتجه إليه، وهو يتلفت حوله، كأنه يخفي وراءه جريمة، فانسعت عينه وامتلات عن آخرها غضباً.



\*\*\*\*\*

- كيف تخفي علي أمر كهذا... لا أعرف أن حفيدتي قد اختطفت، إلا ثاني يوم يا "آدم"؟
- لقد اختطفت مساء أمس يا أمي، فجئت من عملي مسرعًا، بعد اتصال "همسة"، ثم بحثت وأبلغت الشرطة، وعندما بدأت أفيق كان الوقت قد تأخر، فكيف اتصل بك في الليل لأخبرك بأمر كهذا؟
- هذا صحيح يا أمي كلنا أخطأنا في حقلك، ولكننا كنا في دوامة بالفعل، لم يقصد "آدم" إهمال إخبارك صدقًا، اقبلي اعتذارنا.
- أنا أعاتبه من قلقي يا "همسة"، أعلم أنه لم يقصد إخفاء الأمر عني، فأنا قلبي مكلوم علي "هند"، لم يتصل خاطفوها إلي الآن!...، ولا أعرف كيف هو حالها؟...، وكيف يعاملونها؟، وماذا ينوون فعله معها؟
- الشرطة رفعت البصمات عن مكان الاختطاف، وفي انتظار ظهور النتيجة ليلاً...، نأمل أن يتصل خاطفوها، قبل هذا الوقت...، لا أعلم لماذا يُقبل أحدهم علي اختطاف أحد أفراد عائلتي؟...، فأنا ليس لدي أعداء يصل بهم الأمر إلي هذا الحد...، عقلي سيُجن ؟
- ستعود بإذن الله سالمة غانمة يا "آدم"...، نحن نفعل ما في أيدينا...، فأين ما علي قلوبنا فعله؟...، تذكر حسن الظن بالله.



حاولت "همسة" طمأنته، وفي داخلها يجاور حسن الظن خوف وقلق...، لا تعرف كيف السبيل إلي وأدهم إلا برؤيتها لـ"هند" تقف أمامها سالمة غانمة.

لقد قامت الليل كله بركعات تدعو فيها لها، وصلت "صلاة الحاجة" <sup>27</sup> مرات ومرات، فرددت بشفاها وقلبها بصوت هامس:

"اللهم إنك قلت في كتابك الكريم ادعوني استجب لكم، فاستجب لنا كما وعدتنا يا أكرم الأكرمين".

حاشاه أن يرد داعياً يدعوه راجياً في أمر يرضيه ليس فيه معصية، فإما أن يستجيب له ولو بعد حين، وإما أن يدخرها له في الآخرة، وإما ما يدعو به عبده فيه شر له، فيعوضه بخير من هذه الدعوة.

وفجأة التفتت الأعين محدّقة عند البوابة، خرت أقدام بعضهم علي أقرب مقعد، و سابقت قدم أحدهم الريح حتي هناك، واتفق الباقي علي السكون والصمت، بعد نطق "هيثم" باسم "هند"، والعدو نحوها ليحتضنها.

\*\*\*\*\*

<sup>27</sup>- فقد روي عن -صلي الله عليه وسلم أنه قال: "من كانت له إلي الله حاجة أو إلي أحد من بني آدم، فليتوضأ، فليحسن الوضوء، ثم ليصل ركعتين، ثم لئن علي الله وليصل علي النبي -صلي الله عليه وسلم-، ثم ليقل: لا إله إلا الله الحليم الكريم، سبحان الله رب العرش العظيم، الحمد لله رب العالمين، أسألك موجبات رحمتك وعزائم مغفرتك والغنيمة من كل بر والسلامة من كل إثم لا تدع لي ذنباً إلا غفرته ولا هما إلا فرجته، ولا حاجة هي لك رضا إلا قضيتها يا أرحم الراحمين" .. زاد "ابن ماجة" في روايته ( ثم يسأل الله من أمر الدنيا والآخرة ما شاء فإنه يقدر) .

- لا أعرف سبب تراجعه عن قتلها، هل قلبه حنّ فجأة؟... لا أصدق هذا... لقد قمنا له بعدة عمليات كلها أعنف من بعضها، فلترج فضولنا يا زعيم وأخبرنا.

سأل النحيف متذمرًا وهو يجلس في المقعد الخلفي للسيارة.

- لما كل هذه الأسئلة، هو صاحب العملية وهو من ألغى قتلها... لا أفهم لماذا أصبحتم كثيرو الأسئلة؟.

تدخل أفتس الأنف، وفي يده سيجارة، وكأن السجائر أصبحت كإصبع سادس في يده لا ينفك عن تركها:

- نريد أن نفهم فقط... كنا قد بدأنا للتو بعد إعادة تخديرها لكي لا تفيق، لماذا تراجع؟... فهذه ليست برأسه وطبيعته التي أعتدنا عليها، فبعدما نفذنا له أكثر من مهمة صرنا نعرف أنه لا يهتم لأحد ولا يرحم أحد، فلماذا إذا؟

وصلوا أخيرًا إلي بيت آخر غير الذي اختطفوا فيه "هند"، يجتمعون ويتفقون فيه علي أعمالهم، فترجلوا وكان بانتظارهم "سمير" و"حامد"، جلسوا جميعًا ينفثون السجائر المحشوة بكل ما يغضب الله ويذهب العقل و"النارجيلة"، حتي تحدث زعيمهم أخيرًا بعد أن اعتدل مزاجه :



- أحدهم أشار عليه أنه إذا قتل "هند" لن يكتشفوا الأمر سريعاً، وسيظلون يتحركون بحذر ويزيدون في الحرس، ولن تغفل عنهم الشرطة لفترة طويلة، وخاصة بعلاقات صاحب الفيلا الواسعة، فقرر ألا يقتلها إلا إذا تأكدنا أنها طوال فترة وجودها هنا كانت في حالة إغماء من المخدر، ولم تتعرف علي أحد منا.
- لذلك طلبت منا التأكد بوخزها بدبابيس في أطرافها
- نعم، فإذا عادت إليهم سريعاً وهم لا يعلمون أي أسباب دعت إلي خطفها ولم يتصل بهم أحد، سيظنون أنها عملية تمت بالخطأ، ويتخلون عن حذرهم ولو قليلاً، ثم يتناسون الأمر بالتدريج، وخاصة أنهم ليس لهم أعداء واضحين.
- ظلمنا صاحبنا إذا بالحنو.

قالها ضخم الجثة، فانخرطوا في نوبات ضحك جميعهم، وسط أدخنة المُسكرات التي أتلفت قلوبهم قبل عقولهم.

\*\*\*\*\*

قاد "محسن" سيارته خلف من خرج من البيت، والذي استقل بدوره سيارة أجرة كانت بانتظاره، محاولاً أن يتفادى رؤيته من قبل السائق، حتي وصلت السيارة الأجرة إلي وجهتها، فانتظر فترة من الزمن في مكانه يهدئ نفسه،



وبعد ما يقرب من ربع الساعة، نزل وقد محي الجزء الظاهر من غضبه، ودخل بيته، متجهًا إلي غرفته مباشرة.

- أهلا بك يا حاج، لقد أخبرتني "منال" أنك خرجت لبعض الأعمال خارج المكتب، حمد لله علي السلامة، سأطلب من "غالية" تحضير قهوتك حالًا.

تحدثت "سهام" بتلعثم وتلجلج ووجه شاحب، وهي تهتم بالخروج من الغرفة.

- ما أخبار الحاجة "قدرية"، لم تأتي إلينا منذ وفاة زوجها، بارك الله فيك لتذكرك إياها.  
- وفيكم بارك يا حاج، بخير.. هي بخير، لم أمكث معها طويلًا كانت تنتظر حفيدها القادم من السفر.  
- ولماذا ذهبتِ إدًا، طالما هي مشغولة؟

ازداد اصفرار وجهها متعجبة!، أول مرة يسأل عن إحدى صديقاتها، أو يستفسر عن زيارتها إليهن، هل سمع مكالمتها مع "قدرية" قبل نزولها، لقد تأكدت أن لا أحد يستمع إليها.

التفت "محسن" إليها، وقد خرج غضبه مرة أخرى وتلبس وجهه حتي احمرت عيناه، ألقى مفاتيح سيارته علي الفراش، وهو يقترب منها.

- لقد أعطيتك فرصة لتقولي الحقيقة..، ولكن لا فائدة..، أول مرة علي حد علمي تكذبين علي، ولكن يبدو أنها

لم تكن الوحيدة، مادامت قد تمت دون رجوع عنها بكل جرأة... فقط كنت أنا المُغفل، الواثق في أهل بيته زيادة عن اللازم.

سألها وقد اقترب من وجهها حتي لفحتها أنفاسه الغاضبة، بصوت جاهد ألا يكون مرتفع لكي لا تسمعه بناته، محاولاً تحجيم غضبه بقدر استطاعته، لعلها تعود إلي رشدتها وتخبره الحقيقة:

- لماذا ذهبتِ إلي "متولي" و"هنا"؟

تسمّرت مكانها وانعقد لسانها، وقارب شحوب وجهها وجوه الموتى، ثم ازدرت ريقها، الذي وقف في حلقها كالغصة.

- أنا... كيف علمت؟... أنا كنت في طريقي إلي..  
- لا مزيد من الكذب يا "سهام"... أريد الحقيقة كاملة الآن.

على صوته دون أن يشعر، فأزعته نبرة صوته العالية الغاضبة، حتي انكشيت علي نفسها، وهي تستجمع كامل شجاعتها لتعترف:

- اجلس يا حاج وسأقول لك علي كل شيء... فقط اهدأ واجلس.

جلس علي الفراش بنفاذ صبر، فاتخذت المقعد المقابل له مجلساً لها، ثم بدأت في الحديث متلعثمة:



- يبدو أن هاذان الخسيسان لم يحفظا سرًّا أبدًا، لقد وعداني...، ولكن هذا خطأي أن آمنت لهم...، بداية أنا هاتفت "همسة" بالهاتف، وعلمت منها عدم وفاقها مع "آدم"، فدبرت فعل لإبعادهم عن بعض، وكان هو الذي علمته من "متولي" و"هناء"، لقد كنت أراعيها بدلًا من عملها كخادمة عند "آدم" ومعاملتها بهذه الطريقة المشينة.

رفع حاجبه، متعجبًا ما الذي فعلته؟، هذه ليست "سهام" التي تزوجها، لقد كانت عفوية في أفعالها وذات غيرة، ولكنها لم تصل إلي التفريق بين رجل وزوجته برسم الخطط من قبل، ما الذي أصابها؟، عاد إليها محاولًا معرفة الحقيقة دون أن يُعلمها أنه لا يعرفها:

- أريد أن أسمع منك الحقيقة كاملة، ولا علاقة لك بما قاله "متولي" و"هناء"، كلي آذان صاغية.

تشجعت قليلًا، لأنه لم يثور عليها، وبدأت بالسرد:

- أنا ذهبت إليهم منذ أسبوعين ونصف تقريبًا بعد محادثتي لـ"همسة" بالهاتف، قبل الحفلة التي أقمناها هنا، وطلبت منهم أن يهاتفوها ويطلبون رؤيتها لكي ينصحونها بما كنت أريد نصيحتها به، فأنا أعلم حساسيتها مني.

- طلبت أن يهاتفوها ويتمارضا ويطلبوا منها المال، لا تُحرفي الحقائق، وأكملني بصدق.



اتسعت حدقتنا "سهام"، لقد أخبراه بكل شيء هاذان الخسيسان، يا لهما من لئيمان، يا لخسارة كل هذه الأموال، التي أغدقت عليهما بها من أجل تنفيذ المهمة وكتمانها، لقد أفشا سرها بالكامل.

لا تعلم بكامل إرادتهما أم أن هذه الخبيثة "همسة" هي من اكتشفت أن الأمر لعبة وأخبرت الحاج، فأغراهم بالمال لمعرفة الحقيقة، زاغت عينيها في جميع أنحاء الغرفة إلا موضع عينيه، ثم استقرت علي الأرض تمثل الندم وهي تكمل:

- هذه الحقيقة، ولكنني ندمت علي هذا الفعل يا حاج، وذهبت إليهما اليوم لإلغاء هذه المهمة، لقد دفعت لهما بالفعل لكي يطلبوا منها المال من وراء زوجها، ثم أفشي سرها لـ "آدم" بأنها تُصرف أمواله في مكان مجهول بطريقة غير مباشرة، وينكر "متولي" و"هنا" بعد ذلك إذا جاء اسمهما في الموضوع أنهم أخذوا منها المال.

ابتعلت ريقها الوهمي، ثم أكملت بخزي:

- و"آدم" بيئة خصبة للشك، فيظن بها السوء ويطلقها... سامحني يا حاج، لقد أعماني الغضب، ولكنني ذهبت إليهما اليوم لكي ألغي المهمة، صدقني...



قالت آخر جملة وقد جثت علي ركبتيها مقتربة منه، تمسك يده وتقبلها، وقد أفرجت عن دمعتين يتيمتين، و"محسن" ينظر إليها بقلب مجروح، وعقل ناكر لما قيل، وأذن تحاول طرد هذه الخطة الخبيثة عن مجرى سمعه، فيما انعقد لسانه وشخصت عيناه.

وبعد فترة كان الصمت سيدها، لم يجرؤ النفس حتي علي الخروج من الصدور بصوت مسموع، نزع يده من يدها وقام عن الفراش، مشمئزا من فعلها، ناقمًا عليها.

- من أنتِ؟...، ف"سهام" التي أعرفها لا يمكن أن تفعل ذلك...، لي حساب معك بعدما أعود.

تركها وغادر الغرفة يشعر بدوار في رأسه، لم يكن يتوقع كل هذا الحقد والغل بداخلها، لقد زحزحها قلبه عن مكانها المتربعة فيه بداخله، وأغلق الباب حتي يصفى اتجاهها ويتأكد من صدقها، أنها ذهبت لإلغاء خطتها بالفعل وشعرت بالذنب.

وفي المقابل قامت وهي تلهث بأنفاس متقطعة، اتجهت إلي هاتفها بسرعة وضغطت الأزرار مرة واثنان وثلاثة.

\*\*\*\*\*



انتهت "هند" من حضن "هيثم" وجرت اتجاه "همسة" أولاً تستقي منها حناناً واطمئناناً، فاحتضنتها وملست علي شعرها، وربتت علي ظهرها، وهي تردد بعض آيات القرآن بصوت هامس، فتأملهما "آدم"، وقد رق قلبه ولانت ملامحه، فارتسمت ابتسامة حانية علي شفثيه واقترب منهما، فانتبهت "هند"، سحبت نفسها من حضن "همسة"، واتجهت إلي حضنه تستشعر السند والحماية.

ثم إلي أحضان جدتها وعمتها تتشبع بالحب والأمان، إلي أن عاد إليها ما افتقدته في هذه الأوقات الصعبة التي مرت عليها.

شكر "آدم" الشرطي الذي كان معها ووعدته بالإتيان إلي قسم شرطة ثالث أكتوبر للإدلاء بشهادته وإغلاق المحضر، بعد أن علم منه أنهم وجودها بالقرب من طريق الواحات، وأنها لم تتذكر أرقام هواتف، فاضطروا لاصطحابها إلي العنوان التي أرشدت إليه.

جلسوا جميعاً حول "هند"، ينتظرون أن تقص عليهم ما حدث معها، فلم تمهلهم كثيراً، وبالفعل روت ما حدث حتي وصلت إلي استيقاظها في الصحراء، صباح اليوم.

- لم أجد حولي أثر لأي شيء... كنت ملقاة خلف هضبة رمال كبيرة تحجبني عن الطريق، حاولت الوقوف بصعوبة فرأسي كان يدور بشدة... وعياني زائغة... سرت بخطوات بدائية كطفل في بداية سيره، أمشي

خطوتين وأقف لأستعيد توازني، حتي وصلت إلي الطريق...، كانت السيارات أمامي تتجاوزني بسرعة عالية لا تستجيب لإشاراتي...، وبعدها استقر نظري لمحت من بعيد محطة بنزين عكس الاتجاه.

شردت بنظرها كأنها تعيش هذه اللحظات مرة أخرى، وأردفت:

- تحاملت علي نفسي وسرت إليها، استقبلوني جيداً، واتصلوا بقسم الشرطة، الذي أرسل إلينا سيارة، وهناك فُتح محضر وأخذوا أقوالي ولكن شفاهية، ثم أبلغتهم بعنوان المنزل أوصلوني إلي هنا كما رأيتم، هذا كل ما حدث.

كانت عيونهم تحتضنها رافة بها، حتي تدخلت "ندى":

- حمدا لله علي عودتك يا "نودي"، من المحتمل أنهم أخطأوا في قصد بيتنا واختطافك، كما توقعت الشرطة، لأنه لن يُختطف أحد ويُترك بعد يوم واحد، بل لمجرد ليلة واحدة، دون حتى الاتصال بالهاتف أو تحذير، أو إعلان سبب الاختطاف.

- في كل الأحوال هيا بنا نحتفل بعودتها سالمة، وتعويضها عن هذه الليلة، ما رأيكم؟

- أحسنتِ القول يا "همسة"..، خليفتي في الملاعب، هذه العائلة محظوظة بوجود اثنان يفكرون بفكر "ندى".



ضحك الجميع، وشرعوا في التجهيز لاحتفالية عائلية، حتي عودة "آدم" من قسم الشرطة للإدلاء بأقواله، التي أيدت إغلاق المحضر، بعد وصول تقارير البحث الجنائي، التي أرسلها "خالد" بالفاكس إلي القسم، والتي لم تسفر عن وجود أية بصمات غير بصمات أهل البيت، فيما اتفق "آدم" مع "خالد" علي إجراءات احتياطية سرية لمراقبة المنزل لفترة القادمة، ولم يكتب بذلك، بل هاتف شركة أمن لتركيب باقي كاميرات المراقبة وأجهزة الإنذار، فهو لم يقتنع باختطاف "هند" عن طريق الخطأ مطلقاً، ويرى أن خلف هذا الخطف أمر جلل.

\*\*\*\*\*

قاد "محسن" سيارته بعد خروجه من المنزل شارداً الذهن، مكروب النفس، مهموم القلب، فإذا بأذان العشاء يصدح بالقرب من منطقة "المنيب"، ركن سيارته وصلى في جماعة، ثم جلس يستغفر له ولها<sup>28</sup>، لعل الله يهديها

<sup>28</sup> - الاستغفار لا يكون للميت فقط، بل للميت وللحي، للزود عن ما تحيون، فعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه- قال: "سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم- يقول: (من استغفر للمؤمنين والمؤمنات، كتب له بكل مؤمن ومؤمنة حسنة)".. رواه الطبراني وحسنه الألباني، وتكون صيغة الاستغفار كالتالي: "اللهم اغفر لي وللمؤمنين والمؤمنات أو لفلان وفلانة ونحو ذلك".

ويتوب عليها، ثم دعي لها وصلى "الشفع" و"الوتر" <sup>29</sup>،  
وقام متجها إلي بيت "متولي".

صعد السلم إلي الدور الرابع والأخير بهذه البناية القديمة،  
دق الباب، ففتحت فُرجة منه يبدو أنه كان مفتوحًا، دفعه  
ببطء ودلف، فصعق من المنظر، اتسعت حدقتا عينيه،  
وكادت قدمه أن تخر فيسقط، تقدم إلي الأمام بخطى  
ثقيلة، ليجد "متولي" و"هنا" غارقان وسط بركة من الدماء،  
يبدو أنها ليست دماء حديثة، لقد تصفى جسدهما من  
الدماء تقريبًا.

اقترب من "متولي" يحاول التأكد من علو صدره وهبوطه  
لعله يكون حيًا دون أن يلمسه، ولكنه فقد الأمل، فخاف أن  
يأتي أحدهم ويُتهم في قتلهما، بدأ يستعيد عقله نشاطه،  
فاتجه إلي الباب مغادرًا.

ولكن فجأة.. توقف قلبه لحظات..، وانقطع نفسه خوفًا..،  
بعد أن وجد من أمسك بقدمه فأعاقه عن إكمال الخطوة،  
ازدرد ريقه بصعوبة، ونظر إلي الأسفل، فإذا بيد ملطخة  
بالدماء تمسك بقدمه، استدار ببطء وقلبه الذي استعاد  
دقاته يرتجف هلعًا، ليجد عينان جاحظتان، قارب زهو الحياة  
أن يفارقها، ووجه مُلطح بالدماء ينظر إليه باستغاثة.

<sup>29</sup> - حافظ عليهما، فهما وصية النبي -صلي الله عليه وسلم- لأبي هريرة -رضي الله عنه- حيث قال: (أوصاني خليلي صلي  
الله عليه وسلم بثلاث لست بتاركهن: أن لا أنام إلا علي وتر، وأن لا أدع ركعتي الضحى، فإنها صلاة الأوابين، وصيام ثلاثة  
أيام من كل شهر) .. متفق عليه.

- "هنا" هل لازلتِ حية؟... من فعل هذا بكما؟

انحنى عليها يحاول الاستماع إليها، فتحدثت بصوت متقطع لاهثة:

- من فعل بنا هذا، هو نفس الشخص الذي يريد أن يقتل "همسة"، وهو من خطف "هند" بالخطأ بدلاً منها.

حاولت جاهدة لتُكمل، ولكن صوتها لم يسعفها، فحثها علي الحديث:

- أرجوكِ حاولي التماسك قليلاً سأستدعي لكِ الإسعاف، قولي لي اسمه فقط.

قالت اسمه بصعوبة، لم تعرف أن هناك من يتنصت عليهما بالخارج أمام باب الشقة، حاول حثها علي قول المزيد، ولكن عيناها شخصت ونفسها انقطع، وارتقت روحها إلى خالقها، ولحق بها عملها إلي قبرها ينتظرها.

اهتز "محسن" لرؤية آخر لحظاتها، فسقطت منه الدموع دون استئذان لتختلط بدمائها، فقام مذهولاً مما رأي وسمع، لقد كانت الصدمة تأتي تلو الصدمة، لم يممهه الوقت ليسترد أنفاسه.



غادر المبني، فحالفه الحظ بالإنارة الضعيفة، التي تنير الشارع، الخالي من المارة، إلا من قهوة علي بعد أمتار لا تكشف البيت الذي يعتبر في نهاية رواق كثيرًا.

ركب سيارته يحاول تجميع تركيزه، ليغادر المنطقة قبل اكتشاف الجريمة، ولكنه لم يكن وحده، لقد انطلقت خلفه سيارتان كانتا تنتظر خارج الزقاق.

خرج علي الطريق الدائري، يقود علي اليمين خوفًا من قلة تركيزه ويده التي بدأت ترتجف، يبدو أن ضغطه وسكره اتفقا عليه مع الظروف، لم ينتبه إلي هذه السيارة، التي بدأت تسير في محاذاته وتُضيق عليه كثيرًا، فيما كانت الأخرى خلفه مباشرة لتمنعه من الوقوف.

انتبه أخيرًا، فنظر بجانبه ليشير إليه أن الطريق مفتوح، فليتركه وشأنه، ولكنه بمجرد أن نظر داخل السيارة إلي هذا الوجه المبتسم، جحظت عيناه، وفقد السيطرة علي عجلة القيادة، فاختل توازن السيارة.

أوصل السائق رسالته بمرآته له، ثم ضيق عليه أكثر، فانقلبت السيارة دورتان خارجة عن حدود الطريق، الذي يحاوطه سياج قد عفى عليه الزمن، لا يوجد منه سوي نتوءات، حتي استقرت علي سقفها ومن داخلها ينزف بشدة، ركنت إحدى السيارتان للتأكد من الانتهاء منه، ثم انطلقا في طريقهما وعلي شفاه قائدهم ابتسامة واسعة.



\*\*\*\*\*

روايات  
روايات



احترامك للآخرين وتقديرهم..

من أسباب كسب قلوبهم ومحبتهم، فلربما تأتيك دعوة من  
قلب أحدهم لا ترد.. كن جميل الخلق تهواك القلوب.



تصبر يا فؤاد فإنّ ربي  
بكل مواجِعِ البلوىِ عليمٌ  
أتحزنُ والدعاءِ لديكِ كنزٌ  
إذا ما أظلم الليل البهيمُ  
إذا ما أنتَ ترفعُ كفَّ بوحٍ  
فهل يبقى بعد انكساركِ أو يقيمُ؟



## الفصل الثامن

- أجمل يوم قضيته منذ حفلات أبي، التي كان يكافئنا بها.
- رحمه الله وأسكنه فسيح جناته هو وجميع موتانا وموتي المسلمين أجمعين، حقا يا "ندى"، أنا أيضا بحسب ذاكرتي القصيرة التي بعمر الشهر فقط، هذا أجمل يوم مر عليّ .
- ربنا يجعل أيامكم كلها سعادة..، الوقت تأخر إنها العاشرة، سنترككم كي تستريحوا..، فجميعكم لم تهنئوا بالنوم يومان كاملان.
- ما هذا الكلام يا أمي!..، هذا بيتكم قبل أن يكون بيتي إلي أين أنتما ذاهبان؟، ثم أننا لسنا متعبون..، فنحن سعدنا وتمتعنا بهذا اليوم الجميل بأكمله.
- يا بني أنت تعلم، أنا لا أستريح إلي في حجرتي وعلي فراشي.
- اختاري ما تشائين يا أمي من الغرف، ولكن لن أترككم تذهبا في هذه الساعة، لن تتحرك سيارتي ولا سيارتكما من مكانها، أنا أيضا لم يمر عليّ أسعد من هذا اليوم، منذ وفاة "حاتم".



اعترض "آدم"، ثم نكّس رأسه في الأرض يخفي حزنه الذي برز مجددًا في عينيه.

رق قلب والدته، التي كانت قد قامت من مجلسها استعدادًا للعودة، فجلست مرة أخرى، ورسمت علي وجهها ابتسامة عطوفة حانية، وهي تعيده لمرحه:

- وهل أقدر علي رفض طلب ابني المفضل؟

رفع رأسه وقبل أن يرد بابتسامة، تدخلت "ندى" بمرح وعناد طفلة:

- من هذا المفضل؟، وأنا.. أين ذهبت؟، آخر العنقود دائماً هو المفضل، ولا أحد سيحاربني علي هذا اللقب، كنت أغار من "هند" و"هيثم" أحيانًا، فيخرج لي السيد "آدم" أيضًا، رفقا بي يا أهل البيت .  
- وأنا اتفق معك يا "ندى" الابن الأصغر دائماً لا بد أن يلقي التدليل.

أيدتها "همسة" ثم غمزت لها، وافتعلت خفض صوتها وهي تكمل:

- هل ستساعديني إذًا بعد نهاية سهرتنا في المطبخ.

- أنا أعترض، شهادة زور ورشوة في آن واحد، لقد كونتما فريق، اقتربا يا "هيثم" أنت و"هند" سنكوّن فريق نحن الآخرون ضدهم، أنتم مساكين مثلي توأم فمن سيكون المفضل منكم؟، إذا فلنعلن الحرب.



حدّق فيه الجميع ما عدا الطفلين اللذان انضما إليه بالفعل، فحوّطهم بذراعيه، وحدثهم بصوت منخفض، لم يصل إلي الثلاثي النسائي المتعجب، حيث ظلّتا "همسة" و"ندى" في ذهول فاغرنا فاههما، فيما ابتسمت "عايدة" للتقدم الملحوظ في سلوك "آدم" وطريقة تعامله مع "همسة"، فانتزعت الثنائي المضحك "همسة" و"ندى" من ذهولهما:

- أغلقا فاهكما...، وهلما عليّ أيتها الكسولتان، لن نخسر الحرب.

بدلتا "همسة" و"ندى" نظرتهما المتعجبة من "آدم" إلي الأم، فأصبحوا كالبلهاء، فانتبهن أخيراً علي ضحكات "هند" و"هيثم" و"آدم" عليهما.

- أفيقي يا "ندى" الجميع يضحك علينا، وصراحة أنا أيضاً ضحكت عندما نظرت في وجهك.

انتبهت "ندى"، هزت رأسها تحاول استيعاب سرعة التطورات، بعد أن رأت الجميع يضحك عليها بالفعل.

- ليس شرط أن من يضحك أولاً يضحك أخيراً، تذكروا ذلك، سنرى من سيضحك في النهاية.

قالت حكمتها، وهي تضع يد علي خصرها كطفلة تستفز أصدقاءها، وتشير بالأخرى إلي الثنائي الرجالي مع "هند"، ثم أضافت:



- لعبتنا كالتالي، فريق سيفكر في جماد أو نبات أو حيوان، وليذهب أحد أعضاء الفريق الآخر إليهم ليخبروه باسم الشيء الذي اختاروه زائد ثلاث معلومات خفية عنه تيسيراً...، ثم يذهب ليمهد لفريقه بهذه المعلومات، وفريقه يسأله 10 أسئلة عن هذا الشيء خلال 10 دقائق، وهو يجاب بنعم أو لا فقط، وإذا لم يتوصلوا إلي الحل بعد الـ 10 أسئلة، وبعد انتهاء الوقت، يخسر الفريق ويضاف للفريق الآخر نقطة، وإذا توصلوا إلي الإجابة يسجل لهم نقطة، اتفقنا؟
- وافق الجميع علي لعبتها، وكلّ انضم إلي فريقه يتناقشون ويخططون، وبدأت اللعبة..

\*\*\*\*\*

- أين كنت لقد بحثت عنك كثيراً؟
- يا خفي الألفاف بك أستجير مما أخاف، خيراً هل تشاجرت مع أحد فضربك؟
- مطت "ملك" شفيتها، وهي تزحزحه عن الأرجوحة قليلاً لتجلس بجانبه في حديقة منزلهما، ثم اعترضت:
- وهل أنا طفلة لأتشاجر مع أحدهم.

ثم حركت الأرجوحة قليلاً بقدميها، وهي تضيف مبتسمة بمرح:



- من يتشاجر معي لن أنتظر لآتي إليك وأشتكي،  
سأضربه في الحال.

ضحك "جاسر" وهو يحيط كتفيها بذراعه، ثم يقبل رأسها  
وهو يرد بحنان:

- سيكون آخر يوم في عمر من يقترب من أختي  
حبيبتي، نبض قلبي وقرة عيني.

علي ذكر القلب، تبدلت ملامح "ملك" السعيدة، وتذكرت  
السبب الذي كانت تبحث عنه من أجله، فتحدثت بحنان  
مبطن بالجدية:

- لقد هاتفتني "ندى" اليوم.

انتبهت حواس "جاسر"، وابتسم قلبه علي ذكر اسمها،  
وضم صورتها التي بداخله بشوق، فارتسمت ملامح الهيام  
علي وجهه، ازدرت أخته ريقها لمرآى هذا التغيير، وانقبض  
قلبها وانفطر عليه، فشجعت نفسها، لا بد ألا يظل معلقاً بها  
حتي لا يزداد حبها بقلبه، ستكون الصدمة أكبر كلما تعاضم  
حبها بداخله.

فأضافت بصوت تجاهد في تكوينه وإخراجه:

- كانت تتصل بي الفترة الماضية في انتظار عودتي،  
ولكن كما تعلم..، لقد اتفقنا علي إغلاق هواتفنا، لكي  
لا ننشغل في العمرة، وأبقينا خط سعودي معنا  
للتواصل فيما بيننا فقط.



- نعم وكانت فكرة جميلة بالفعل، لقد استمتعنا كثيرًا  
ولم يقطع علينا خلوتنا أي عامل خارجي.  
- خطبة "ندى" كانت منذ أيام.

صمتت قليلًا تحاول استنباط وقع الخبر عليه، فيما تستجمع  
نفسها لتَهوّن عليه، ولكنها وجدت وجهه تجهم، ثم سحب  
يده من حول كتفها، وقام من مجلسه، مستعدًا للمغادرة،  
فقامت لتتمسك بيده، وهي تُطيبه:

- لم أكن أعلم، لقد حدث الأمر سريعًا، أنا واثقة أنها إذا  
كانت علمت بما تكنه لها كانت انتظرت، ولكنك أصررت  
عليّ ألا أخبرها، حتي تنتهي من دراستها لكي لا  
تشغلها عنها، لقد طلبت منك أن تكلم أخاها علي  
الأقل، فرفضت أيضًا..، لعله خير يا "جاسر" "ندى"  
كانت بنت طيبة لا أنكر، ولكن بالتأكيد هناك من هم  
بنفس أخلاقها بل وأفضل..، فلا تتعجل نصيبك.  
- جزاك الله خيرًا حبيبتي..، لا تقلق أن رضيت بقضاء الله،  
منذ أن ولج الخبر إلي أذني، ولكنني أحتاج إلي  
الجلوس وحدي لأتجاوزة، وأمحيها من حياتي وعقلي  
و..، أخبري أمي أنني سأخرج للسير قليلًا.

\*\*\*\*\*



- هذا غش، لقد قالت "هند" يشبه هذا، وأشارت إلي المقعد.

ضحكتنا "عايدة" و"همسة" علي اندفاع "ندى"، واندماجها في اللعبة بطفولية، فيما قامت الأخيرة تتأبط ذراعها لتجلس وتجلسها بجوارها، ثم مالت عليها تحدثها بصوت منخفض باسمه:

- هذه لعبة يا "ندى"، اهدئي...، لقد عدت بعقلك وعمرك إلى سنوات الطفولة... نحن نلعب لنستمتع لا لنتشاجر، ونقف لبعضنا البعض علي كل هفوة، استمتعي باللعبة...، ثم إن الإجابة ليست مقعد، فلما الانزعاج، لقد يسرتها لهم .

تنحنت "ندى" وهي تضحك علي نفسها، لم تشعر بحالها، لقد اندمجت في اللعبة، فقامت من مجلسها ترفع كلتا يديها كمسئول مهم يحي جمهوره ويعتذر:

- أكملوا، أكملوا، خطأ طفولي لا عليكم...، هيا الوقت يمر ستخسرون...، أنا سأذهب لعمل الفشار، ولكن لا تغشوا، سواء اعتبرتموها طفولة أو شيخوخة التزموا بالقواعد، سأعود كل دقيقة لأراقبكم.

ثم أشارت بإصبعيها السبابة والوسطى إليهم، وعادت بهم إلي عينيها مرة أخرى، كناية عن المراقبة، فاستكمل



الفريق الآخر أسئلتهم، بابتسامة واسعة علي "ندى"،  
وعقلها الذي لم يصل إلي مرحلة سنها بعد.

ذهبت "ندى" لإلقاء نظرة علي هاتفها الموضوع في صندوق  
مع باقي الهواتف، حيث نفذ الجميع اقتراح "همسة" بوضع  
الهواتف علي الصامت، ووضعها في صندوق بجانب الباب، لا  
يقترّب منه أحد للاستمتاع بجو العائلة، فنظرت خلفها  
تطمئن ألا يراها أحد، ثم أخذته تلقي نظرة لعل "سامر"  
اتصل بها.

ولكنها لم تجد أية اتصالات منه، فمطت شفاتها في حنق،  
وترددت هل تتصل به لعله يكون غاضب إثر آخر مكالمة  
بينهما أمس، وفي هذه الأثناء وجدت شاشة هاتفها يضيء  
باسم "دنيا":

- السلام عليكم، يا "دندن" أوحشتني....

بترت صوتها لسماعها بكاء "دنيا" في الطرف الآخر ونحيبها،  
فأضافت بهلع:

- ما الأمر يا "دنيا"، ماذا حدث، هل الجميع بخير؟

حاولت "دنيا" إيقاف نحيبها وهي ترد بصوت باكي مقطوعة  
الأنفاس:

- لقد اتصلت كثيرًا علي "همسة" دون رد، أبي في

المشفى حالته خطيرة جدًّا.. بين الحياة والموت.

- عمي "محسن"، كيف حدث هذا؟ ماذا أصابه؟



- حادثة .
- حسناً... حسناً أهدأي... أعطيني العنوان، سنأتي جميعا في الحال، أنا عند "همسة"، هاتفها بعيد عنها علي وضع الصامت، لذلك لم تر أو تسمع اتصالاتك.

\*\*\*\*\*

- ادخل.
- سالم باشا، البحث الجنائي يعاين الآن مكان الحادث، وتم نقل الجثتان إلي المشرحة، لكن يبدو عليها قضية سهلة، وسنصل سريعاً إلي الجاني.
- نظر "سالم" متعجباً إلي ساعته، التي أشارت عقاربها إلي الحادية عشر.
- بهذه السرعة؟!... لقد اكتشفنا الحادث منذ ساعتين فقط!
- يبدو أنه يوم الجوكر بالنسبة إلينا... لقد رأى أحد مكتشفي الجريمة رجل ينزل من بيت القتيلين في حوالي الثامنة والنصف يترنح قليلاً، عندما كان في طريقه إلي أخيه، الذي يسكن بالدور الأرضي من نفس البيت، فأعتقد أنه أحد المتتردين علي شقة القتيلين، فهم يعرفون في المنطقة بالسمعة السيئة، ويتردد عليهم من هم علي شاكلتهم.



جلس على المقعد المقابل، ثم أكمل وهو يواجه محدثه:

- البحث الأولي أثبت أن القتل مساعد لأحد القوادين في الملهى الليلي الذي يعمل به.
- هذا ليس دليلاً قوياً... فلما الحماسة إذا؟
- الحماسة بسبب القادم، عندما دخل هذا الشاهد إلي البناية دق الجرس في انتظار أخيه ليفتح الباب، فسند علي سور الدرج وهو ينحني لجلب محرمة القماش، التي وقعت منه عندما أخرجها من جيب جلبابه، رفع يده من علي السور ليجد يده ملطخة بالدماء... ففزع وأخبر أخيه بالأمر، فأول ما تبادر إلي ذهنهما هو شقة القتيلان، كانا دائما يردد أهل الزقاق أن هذه ستكون نهايتهما علي أفعالهما المشينة، وخاصة أن الرجل الذي خرج كان يترنج.

أخذ رشفة من القهوة التي أدخلها لهما العسكري، ثم أكمل:

- فخرجا سريعاً إلي الخارج ينظران إلي السيارة، التي مرت من أمام البيت للتو، متجهة خارج الزقاق، من حسن حظهما أنه كان يقود ببطء، فاستطاعا حفظ رقم لوحة سيارته، ونادا علي بعض ممن يجلسون علي المقهى...، صعدوا إلي الشقة ليكتشفوا الحادث، وها هو رقم لوحة السيارة، سأرسله حالا إلي المرور لمعرفة من هو تعيس الحظ هذا؟ .



غمز إليه "سالم"، وهو يسند ظهره إلي المقعد، ويشعل سيجارته بأريحية، معلقًا:

- جيد يا "حسام"، يبدو أن الترقية في طريقها إليك، استمر علي هذا النشاط، وأعدك أن تترقى سريعًا إلي أعلي الرتب... ولكن لا تنسانا عندئذٍ.

\*\*\*\*\*

دخل "آدم" و"همسة" و"عايدة" المشفى، بعد أن تركوا "ندى" مع الطفلين في الفيلا، وصلوا إلي رواق غرفة العمليات، فلمحوا "سهام" تجلس علي أحد المقاعد بجانبها "منال" تحتضن كتفها، و"هاجر" تجلس أمامهما علي مقعد آخر، تقف بجانبها "دنيا" مغمضة العينين تستند برأسها إلي الحائط، وكل منهم يبتهل بطريقته، فأقبلوا عليهن.

قامت "سهام" تحتضن يد "عايدة"، وقد تجدد دمعاها من جديد، فيما ارتمت "دنيا" في حضن "همسة" وازداد نحيبها، وقف "آدم" في الخلف ينظر إلي غرفة العمليات، وقد تجددت ذكرى وقوفه أمامها في مرة مشابهة، خرج بعدها الطبيب ليخبره هو وأخيه بوفاة والده، وهو في التاسعة عشر من عمره.



حاولت "عايدة" و"همسة" احتواء الأم وبناتها بالكلمات والأحضان، ولكن الأطباء تأخروا كثيرًا، لقد مرت ساعة ونصف علي مجيئهم، و قد دخل قبل مجيئهم بساعة أخرى، خلال هذا الوقت كان "آدم" قد أحضر مقاعد لـ "منال" التي قامت لـ"عايدة" و"دنيا"، و"همسة" التي شكرته علي استحياء، فهي كانت تعباً بالفعل.

وفجأة خرج الطبيب وجزء من طاقم التمريض، فاندفعوا جميعًا إليه، تحدث "آدم" أولًا :

- كيف حاله يا دكتور؟

أحنى الطبيب رأسه إلي الأرض وقال بأسى:

- البقاء لله...، لقد فعلنا ما بوسعنا، الحالة تُوفيت.

ثم غادرهم مسرعًا، يكره إبلاغ الأسر بهذا الخبر دومًا، تركهم يقفون كلهم في حالة ذهول وصمت، حتي جوارحهم وأعضاءهم كلها قد سكنت، إلا من عضو واحد ظل يذرف شلالات من الدمع عند الجميع.

كانت "سهام" أول من انتبه عقلها، اقتربت من غرفة العمليات تود الدخول، فخرجت إحدى الممرضات تمنعها بلطف تقديرًا لحالتها، صرخت باسمه مرددة بحرقه:

- دعوني أراه...، أريد أن أودعه وتشيعه عيني لآخر مرة.



على صوت البكاء تدريجيًا من "هاجر" و"منال"، حتي تحول إلي نشيج وشهيق، فبادرت "منال" بنحيب:

- أبي...، لما تركتنا؟

لتكمل "هاجر" عنها:

- هل هذا وعدك لنا بوجودك بجانبنا؟...، عُذ لنا.

فيما سقطت "دنيا" مغشيًا عليها، تلقفتها يد "آدم" في آخر لحظة قبل سقوطها علي الأرض، عاونته إحدى الممرضات لنقلها إلي أحد المقاعد تحاول إفاقتها، واستندت "عايدة" إلي الحائط تكتم أناتها، ولكن لم تستطع كتمان دمعاتها، أما "همسة" فقد ظلت دون حراك يضيق صدرها كل ثانية أكثر مما قبلها، حتي شعرت كأن روحها تصعد في السماء، يبدو أنها ستلحق بمن كان بديل والدها.

هو سندها وظهرها الصلب في هذه الدنيا، فقدت أباه وأمه ولا تتذكرهم فعوضها الله به، امتدت يد تهزها بشدة، كأنها تطالبها بالألا تترك هذه الدنيا، فهناك من يحتاجها فيها.

أفاقت علي يد "دنيا" التي بدأت تهزها بعنف، ففتحت عينيها لتجد "آدم" و"عايدة" أمامها، وقد استبد بهم القلق، نظرت حولها، "سهام" مكانها علي مقعدها ترمقها بنظرات جوفاء، والباقون في أماكنهم، استغفرت واستعادت بالله من هذا الكابوس، ولكنها لم تستطع إيقاف مستوطنني عينيها،



الذين فروا فور فتحها إياها ليصنعوا شلالات علي وجنتيها الشاحبة.

لقد تحملت أعصابها أكثر من اللازم طوال الأيام الماضية، ضاق نفسها بشدة، فأمرهم "آدم" بالابتعاد عنها لتسترد أنفاسها، فيما تطمئنها "عايدة" :

- اهدأ يا بنيتي لقد كان كابوس، سيخرج الحاج "محسن" معافى بإذن الله..، لقد أرهقت كثيرًا هذه الفترة، خذها يا "آدم" وأعدّها إلي البيت لكي تستريح.

وقبل أن تعترض "همسة"، خرج الطبيب من غرفة العمليات بصحبته مساعده، فاندفعوا جميعًا إليه إلا "آدم"، الذي ظل بجانب "همسة"، توقفت أنفاسهم وعيونهم معلقة علي فم الطبيب ينتظرون التفوه بأي كلمة ليتنفسوا من جديد، انتظر الطبيب أن يسأله أحد كما المعتاد، ولكن القلق أجمعهم جميعًا، فبادر بالحديث رحمة بهم:

- نحن فعلنا ما بوسعنا.

لم تتوقف أنفاسهم فقط، بل سقطت قلوبهم هلعًا، وارتعشت السيقان، كل ذلك خلال ثوانٍ، فأكمل الطبيب:

- الحمد لله نجحنا في إيقاف النزيف بالمخ وبسائر جسده، ولكن حالته مازالت حرجة جدًّا، ليس بوسعنا



سوى الانتظار، الفترة القادمة هي ما ستحدد إذا كان سيظل علي قيد الحياة.

تركهم الطبيب، فنظر "آدم" إلي "همسة"، ووضع يده علي كتفها وهو يسألها:

- حمدًا لله، فهذه في حد ذاتها بشرى، هل أنتِ بخير الآن؟

لم ترفع عينيها إليه، ولكنها أجابت:

- الحمد لله بخير...، ليس بأيدينا سوى الدعاء والصلاة والصدقات، ربنا يعيده إلينا سالمًا معافى.

- اللهم آمين، أنا سأذهب خلف الطبيب لأفهم منه وضعه أكثر، ثم سأذهب إلي الحسابات...، كوني بخير.

رفعت "همسة" عينيها الدامعة إليه، لم تتبين ما في عينيها، لقد حجت غمامة دموعها الرؤية، ولكن يكفيها عدم خذلان أذنّها لها، لقد شعرت بما في صوته من صدق، أرادت الابتسام له امتنانًا، ولكن لم تسعفها شفيتها، فاكتفت بنظرة مشوشة بثت فيها امتنانها، وأومات برأسها.

وبعد نصف ساعة عاد "آدم"، وقد طلب من الجميع المغادرة، والعودة غدًا صباحًا، موضحًا أن غرفة العناية لن يدخلها أحد منهم، وبعد نقاش حاد وأوامر صارمة منه ودعم من "عايدة"، وافق جميعًا، فتنهد أخيرًا، وهو يقترح:



- حسنا..، سأقوم بإيصال الحاجة "سهام" والبنات أولاً، ثم آتي لإيصال أمي و"همسة".
- لا تتعب نفسك يا "آدم"، "رمضان" معنا بالأسفل
- يجلس بالسيارة سيقوم بإيصالنا..، قم أنت بإيصال "عايدة" و"همسة"، جزاكم الله خيراً علي مساندتكم، فهذا ما ننتظره منكم دومًا.
- علي ماذا الشكر يا "سهام"، فنحن نعتبركم أهلنا، الحاج "محسن" ربنا يعافيه أعماله وسيرته تسبقه..، حتي أنه لم يتركنا لحظة واحدة بعد وفاة زوجي الحاج "كرم" رحمه الله.

ربتت على كتفها وهي تبتسم ثم أكملت:

- هيا بنا إذا نخرج سوياً، لتستريحوا في المنزل، ثم نحضر جميعاً غداً للاطمئنان عليه، لنكتف دعائنا له وسيتعافى بإذن الله ويعود وسطنا من جديد.

خرج الجميع واستقلوا السيارتان، كل منهم لا ينفك لسانه عن الدعاء له، وصل "آدم" لفيلته طمأنوا "ندى" التي مازالت تنتظرهم قلقة، ثم ارتمى كل منهم علي فراشه، بعد أن أنهكه التعب البدني والنفسي والعصبي، لقد مروا بأزمات متتالية لم يفصلها فاصل.

قامت "همسة" علي آذان الفجر، فأيقظت الجميع ووقفت أمام باب غرفة "آدم"، مترددة في إيقاظه، فُتح بابه فجأة، فترجع الاثنان كل وراءه خطوة، فبادرته متلعثمة:



- كنت أريد إيقاظك لصلاة الفجر فقط..، أنا أعتذر منك.

ظل ينظر إلي رأسها المنحني إلي الأرض، ووجنتيها الحمراوين، فاشتاق لرؤية عينيها العسليتين، لقد فطن إلي تردها في الدخول، فلما لم تجد منه ردًا، ظنت أنه غضب، فهمت بالمغادرة، ولكنها لأول مرة، سمعته ينادي عليها باسمها دون أن يتخلل صوته أي مشاعر كره أو حقد:

- "همسة".....

كانت قد استدارت لتغادر، فتوقفت بجانبها دون رد، أكمل بنبرة خاوية:

- شكرًا لك، حرصك علي إيقاظي..، سأنتظر منك كل يوم إيقاظي لصلاة الفجر..، فأحيانًا أغط في نوم عميق ولا أستيقظ لها..، سأكون شاكرًا لك صنيعك.

استدارت إليه وعلي وجهها إمارات التعجب، هل حقًا ما سمعته؟!، إنه يشكرها ويطلب منها بكل أدب إيقاظه كل يوم للصلاة؟!، وأخيرًا تلقفت عينيه عينيها، لقد أدمن النظر إليهما، يشعر بالسكينة وهو يحتويهما.

فلون عسلهما الصافي يثير جنونه، يريد أن يرتشف منه حتي الشبع، تنبّهت "همسة" علي وقع أقدام خلفها، فسحبت عينيها من بئر عينيه اللتان تتحولان من البني الغامق إلي الأسود عندما تنظر إليهما، فتغرق في هوتهما



فاقدة الإحساس بالعالم الخارجي، وجدت "هيثم" يقترب  
وعلي شفثيه ابتسامة.

- السلام عليكما، لقد جئت إليك يا عمي لأسألك، هل  
سنلحق الصلاة في المسجد أم سنصلي جماعة هنا؟  
- يبدو أننا لن نلحق يا "هيثم"، فالمسجد يبعد عنا  
كثيرًا، في الأيام القادمة ستوقظنا العمة "همسة"  
بإذن الله مبكرًا قليلًا، لنلحق بهم في المسجد، اجمع  
الجميع لنصلي الفجر جماعة.

فرح "هيثم"، وغادر لإخبار الجميع، فأسرعت "همسة"  
خلفه، لقد اكتفت من التوتر الذي أعقب نظراته وكلماته،  
كاد يقول لها شيئًا، ولكنه تراجع بعد رؤيتها تسرع في  
المغادرة، فرسم ابتسامة واسعة علي شفثيه، لقد استراح  
من داخله كثيرًا .

انتهوا جميعًا من الصلاة، التي أئمهم فيها "آدم"، وأخيرًا  
استمعت لصوته في القرآن، واكتشفت كم أن صوته شجي  
ومطمئن في الترتيل، حتي أنها استشعرت كل معاني آيات  
"المنافقين" التي قرأها من سورة "التوبة".

تفرقوا لاستكمال ساعات نومهم، فأمامهم يوم طويل، إلا  
"همسة" التي لجأت لدفتري ذكرياتها تبثه مشاعرهما، تشركه  
فرحها كما تشركه حزنها، فكتبت ما حدث طوال اليومين  
الماضيين من قلق وتوتر وأحزان، حتي وصلت إلي ما حدث



بينها وبين "آدم"، فاختتمته بأبيات شعرية تُلخص ما يجيش به صدرها وخاصة موطن قلبها:

**أغار عليك من نفسي ومني ... ومنك ومن زمانك  
والمكان**

**ولو أني خباتك في عيوني ... إلي يوم القيامة ما  
كفاني**<sup>30</sup>

أغلقت دفتي دفترها خائفة من مشاعرها، التي تتنامى يوماً بعد يوم اتجاهه، ثم استسلمت أخيراً إلي نوم عميق تحتضن دفترها.

\*\*\*\*\*

- لا أستطيع الذهاب معك للتسوق يا "ندى"، أعذريني، فعندي بعض الالتزامات في البيت، أخي يريد السفر لتنفيذ اتفاقية شراكة مع شركة إيطالية، ويريد متابعتها بنفسه، وأنا وأمي نحاول إقناعه بالعدول عن السفر.
- وما المانع في سفره!..، دعوه يُثقل خبرته، ولا تقفا في طريق نجاحه يا "ملك".

<sup>30</sup> - هذه الأبيات للشاعرة ولادة بن المستكفي، وهي أميرة عربية وشاعرة من بيت الخلافة الأموية في الأندلس، اشتهرت بالفصاحة والشعر وجمالها الأخاذ وخفة روحها، وبراعتها في الغناء والعزف، وثقتها بنفسها، أحبت الوزير ابن زيدون وأحبها، ولزال هناك صرح يمثل أيديهما متشابكتان موجود في قرطبة، كتبت عليه ولادة هاتان البيتان.

- أنتِ لا تفهمين يا "ندى"، أخي ممتاز في مجاله، فهو مهندس بارع كأبي...، هو يريد البعد عن مصر ليس أكثر، ولا نعلم مقدار المدة التي يود أن يبعد فيها.
- ولماذا يريد البعد عنها...، وأنتم موجودون في حياته...، هل مر بأزمة ما أو تشاجر مع والدك؟
- لا...، بل مشكلة خاصة به...، علي كل حال أعتذر منك كثيراً، لماذا لا تذهبين مع "همسة" زوجة أخيك، التي لطالما حدثتني عنها؟
- هي مشغولة بعدة أمور أهم، لا أستطيع الطلب منها ترك العم "محسن" والذهاب معي لشراء هدية ليوم ميلاد "سامر"، حتي أنني مَن أجلس مع أبناء "حاتم" رحمه الله، وقد انتهزت فرصة فترة تمرينهم في النادي، وقررت الذهاب، كما أن "همسة" حتي وإن كانت فارغة الوفاض، لن ترضى بأمر كهذا.
- وطالما تعرفين أنه خطأ، ولا يوجد أعياد ميلاد في ديننا...، لماذا تصرين علي ذلك؟، هل تخافين "همسة" أكثر من الله؟
- لا أبداً...، استغفر الله، أنا سأقدمها له قبل يوم مولده ليس في يومها، أريد أن أصالحه، فهو لم يحدثني منذ مناقشتي معه حول ضوابط حديثنا، حتي أنني اتصلت به لكي أخبره أنني بحثت جيداً في هذا الأمر، ولكنه تعلل بأنه مشغول، ورغم انشغاله...

صمتت قليلا، ثم أكملت بخجل:



- لم ينسَ أن يطمئن علي، ويذكّرني أنني الأفضل دومًا.
- قبل مولده أو بعده، فهو تحايل على الدين يا "ندى"...، ثم أنني أرى أنكِ تنجرفين في دوامة الإباحة، ثم الاستباحة، أنا ....

قطعت "ملك" كلامها، ثم عادت لتستأذن "ندى":

- عذرا يا "ندى"، لقد جاء أخي من الخارج، كان يُجهّز أوراق سفره، سأتركك الآن...، ولكن لا تتصرفي في هذا الأمر قبل أن أعود إليك، أو استشير "همسة" يبدو أنها إنسانة صالحة، ونصيحتي ألا تنجرفين وراء كلامه المعسول وترتكب المحظورات لإرضائه.

أغلقت "ندى" الهاتف مشوشة، تشعر أن قلبها مقبوض، ولكن هناك لذة خفية تشدها وتجرفها مع تيار الاستمتاع بفترة الخطبة، لقد سمعت أن فترة الخطبة أجمل الفترات بين كل اثنين مرتبطين.

أخرجها من شرودها، صوت "سامر" من خلفها، فالتفت له ترد عليه تحيته، وقد تناست ضميرها الذي كان يؤنبها منذ **برهة**:

- ماذا تفعل بالنادي؟

- لقد أتى بي قلبي، يبدو أنه علي اتصال مع قلبك، فاتفقا علي الموعد دون إعلامنا.

ألقي بشباكه حولها وهو يبتسم ابتسامة جريئة، فخلجت "ندى"، امتعض قليلاً وهو ينهرها:

- لماذا تحمر وجنتاكِ مع كل كلمة أقولها لكِ، أريد منك الرد علي إطرائي، لكي أشعر بمدى اشتياقك لي، أم أنني من أشتاق وحدي هنا، وأنتِ تمثلين الرفعة والتكبر؟
- لا أبدًا...، أنا فقط لم أعود علي هذا الكلام من أحد، فهو جديد عليّ.

اشتبك ضميرها مع نفسها الأمانة بالسوء، فعبثت قليلًا وأحنت رأسها إلي الأرض، وهي تكمل بصوت أقل حماسة ونبرة خافتة:

- قلت لك يا "سامر"، لا أريد سماع المزيد من المجاملات والإطراءات.

ثم رفعت نظرها إليه، وعينيها تترجاه قبل شفاهها:

- صدقني يا "سامر"، هذه المخالفات طريقها مسدود، حتي إن نجح الثنائي وتزوجا، لن يبارك لهما الله في حياتهما...، وسيرد لهم هذه التجاوزات في هيئة ابتلاءات قد تؤدي بزواجهما.
- رجعنا لمثل هذه الترهات، "ندی" أنا أرى أصدقائي وأقاربي والمجتمع بأكمله، يتمتعون بخطبتهم كأني اثنين مرتبطين، ويتزوجان ويعيشان في سعادة وهناء بعد ذلك...، لم أر ما تقولينه هذا مطلقًا.

زفر بضيق وهو يدير عينيه في المكان بتأفف، ثم أردف:



- هذا كلام سخي ف يدخله المتشددون في عقول التابعين لهم، الذين قد ألغوا عقولهم...، وأنت لست مثلهم، أنا أراك عن هؤلاء، أنت مثقفة جامعية ذو عقل قوي لا تركيهم يسرونك مع القطيع.

تشوشت "ندى"...، يابى عقلها وقلبها وضميرها قبول كلامه، وفي المقابل تتقبله نفسها الأمانة بالسوء بصدر رحب، لملمت شتات تركيزها الذي تبعثر، وكادت تُعلق، فلم يعطها فرصة، ضرب علي الحديد وهو ساخن، نافثا سمة في عقلها:

- لا تعلقي الآن، اترك لعقلك العنان فأنا أثق به، والآن تعالِ نجلس علي أحد الطاولات نطلب مشروبًا...، لقد جف ريقى بهذه المحادثة الغير مجدية، وقبل أن تعترض جذبها من يدها إلي إحدى الطاولات القريبة، ولكن قبل وصولهم سحبت يدها منه، وتحدثت بنبرة غاضبة:

- كيف تجرؤ علي الإمساك بيدي، يبدو أنه خطأي أني تساهلت في الكثير من البداية، عفواً أنا لن أجلس معك وحدنا، وإياك والإمساك بيدي أو لمسي مرة أخرى، وإلا ستكون نهاية خطوبتنا التي لم تبدأ بعد...، بعد إذنك...، السلام عليكم.

تركته وقلبها يدق بأعلى صوت له منذ أن ولدت، لا تعلم فرحاً أم توتراً أم احتفالاً بانتصارها علي نفسها الأمانة بالسوء، تراجعت عن الذهاب لشراء هدية له، وجلست تنتظر أبناء أخيها بأحد مقاهي النادي، ولما وجدت أن



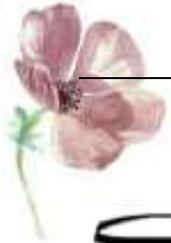
نفسها، قد بدأت تُضعف من عزيمتها، قررت الاتصال  
بـ"همسة"، لعلها تكون اطمأنت علي الحاج "محسن"  
فتطمئن منها وتثبتها.

انتظرت ردها ولكن انتهى الجرس ولم تجد إجابة، فأصابها  
القلق، عالجته بقراءة صفحتين من القرآن، ثم ترديد الأذكار،  
"ألا بذكر الله تطمئن القلوب"<sup>31</sup>.

\*\*\*\*\*

- يكفي هذا، هيا بنا نعود إلي بيوتنا، الحمد لله رأيتموه،  
واطمئنانا من الطبيب أن حالته بدأت تستقر، ولكنها  
لن تستقر تماما قبل 24 ساعة أخرى، فلا داعي  
لوجودنا.
- لا لن نتركه، علي الأقل نجلس حتي انتهاء موعد  
الزيارة، نريد أن نجلس علي مرأى منه..، ألا يكفي أننا  
نراه من خلال حاجز زجاجي، موصل بالخرطوم  
والأجهزة ساكنا تماما..، لا نلمسه ولا نسانده.
- وكيف ستساندينه يا "دنيا"؟..، مساندتك له الآن  
بالدعاء والصدقات فقط، فالدعاء يرد القدر يا ابنتي.
- ماذا؟..، كيف تقولين هذا يا خالة "عايدة"، حاشا لله،  
فالقدر من عند الله وهو وحده المتحكم فيه، كما أن هناك

<sup>31</sup> - آية 28 ، سورة الرعد.



حديث يقول "رُفعت الأقلام وجفت الصحف"، أي أن كل ما فعلناه وما سنفعله مكتوب.

- هناك العديد من النصوص التي تثبت هذا القول يا "دنيا"، وهذا من رحمة الخالق سبحانه وتعالى بنا، فقد ذُكر في حديث القنوت "وقني شر ما قضيت" 32، وهناك حديث آخر أيضا يقول: "لا يرد القضاء إلا الدعاء ولا يزيد في العمر إلا البر" 33

- وهناك حديث يقول فيه رسول الله -صلي الله عليه وسلم-: "الدعاء ينفع مما نزل، ومما لم ينزل، وإن البلاء لينزل، فيتلقيه الدعاء فيعتلجان إلي يوم القيامة" 34

- وهذا أوضح جزاك الله خيرا يا "همسة"، هل فهمت الآن يا "دنيا".

- نعم يا خالة، جزاكما الله خيرا.

ثم ابتسمت بوهن، وهي تنظر إلي "همسة" قبل أن تضيف:

- لقد أخذتم مرجعي، فماذا أنا فاعلة إذًا؟.

احتضنتها "همسة" بحب وحنان، فقطعت وصالهما، "سهام" بنبرة غيظ حانقة:

32- رواه الإمام أحمد وأصحاب السنن

33- رواه الحاكم وحسنه الألباني.

34- رواه الحاكم وحسنه الألباني.



- أنا سأتواصل مع مدير المشفى وأجلس معه، لا حاجة لكم هنا بالفعل كما قال "آدم"، سيقوم بإيصالكن "رمضان"، وأنتِ يا "عايدة" شكرًا لكم مرة أخرى، لقد تعبتن كثيرًا، وخاصة بعدما علمنا اليوم منكم باختطاف "هند" العجيب، عودوا إلي البيت وأنا سأظل هنا..، سنبقي على اتصال.

تقبل الجميع اقتراح "سهام"، إلا "آدم" الذي لم يجد داعٍ لمكوثها مع الحاج، وهو في غيبوبة يعلم الله متي سيفيق منها، ولكنه لم يبدِ اعتراض، غادر الجميع إلا "سهام"، فأصرت "عايدة" علي العودة إلي منزلها.

أوصلها "آدم"، ثم عاد إلي المنزل، في نفس توقيت عودة "ندى" مع الأطفال، عرض عليها المكوث معهم ولكنها كانت تريد أن تختلي بنفسها، فمزاجها متوتر وعقلها مشوش، فاطمأنت عليهما وعلي الحاج "محسن"، ثم ذهبت بجة عدم ترك والدتها.

صعدوا جميعًا لتغيير ملابسهم، حتي تستعد "همسة" لتجهيز الغداء مع "هيثم"، و"هند".

انتهى "آدم" من حمامه وثيابه، فنزل إلي المطبخ ظنًا منه تجمعهم فيه بالأسفل، ولكنه وجد نفسه أولهم نزولًا، وهم لم يصلوا بعد، كاد يغادر، فلمح دفتر "همسة" علي الطاولة، يبدو أنها نسيتته أثناء تحضير الفطور في الصباح، اختلس نظرة إلي الخارج، ثم هرع إليهم وكأنه جرعة دواء وجدها



أخيرًا، لقد أدمن كتاباتها، بعد أن وصفها لها في الماضي بالتافهة، ففتحه عشوائيًا.

قرأ بداية الصفحة كانت تحكي عن موقف العودة من خطوبة "ندى" حيث وبخها بعد حديث "هيثم" و"ندى" عن إعجاب المدعويين بها، فقرأ ختامها للموقف الذي تبرئ نفسها فيه بصوت مسموع:

**"أحسن بنا الظنَّ إنَّا فيك نحسنه**

**إن القلوب بحسن الظن تنسجمُ**

**والمس لنا العذر في قولٍ وفي عملٍ**

**نلمس لك العذر إن زلت بك القدمُ**

**لا تجعل الشك بيني فيك مسكنه**

**إن الحياة بسوء الظن تنهدمُ"**

سمع أصواتهم يقتربون، ود أن يُكمل ولكن الوقت لم يسعفه، ودخلوا عليه.

وقفت "همسة" وكانت أول الداخلين مشدوهة، تريد أن تسأله ماذا يفعل هنا ولكنها تخشى رده، كان يقف واضعا يده خلف ظهره وكأنه ينتظر مجيئهم ليلقي خطبة، لحقا بها الثنائي "هيثم" و"هند"، فاتجهت إليه "هند" وهي تعلق فرحة:



- هل أخذت اليوم أيضا إجازة من أجلنا؟ و....

بترت كلامها عندما لاحظت وهي بجانبه دفتر "همسة" خلف ظهره، لقد سار بعيدًا عن الطاولة وهو مندمج في القراءة دون أن يشعر، ولم يسعفه الوقت للوصول إليها ووضعه في مكانه، فاحتضنته، وهي تكمل:

- يا حبيبي يا عمي...، وهل ستساعدنا في تحضير طعام الغداء أيضًا، أنت دائمًا صدر حنون لنا.

استدارت خلفه يحجبها جسده، وأردفت لبيدًا للجميع بالانشغال:

- فلنبدأ العمل إبدأ.

احتضنت الدفتر وسارت به إلي الطاولة وضعته عليها، دون أن يلحظ أحد، فذب النشاط في المطبخ، كل يساعد بما تأمر به "همسة" حتى "آدم"، الذي كان يشرد كثيرًا في حركاتها وتلقائيتها، لقد انتصر قلبه أخيرًا، واستسلم عقله .

انتهوا جميعًا من جميع التحضيرات، وتناولوا غداءهم علي طاولة المطبخ، ثم صممت "همسة" علي تنظيف المطبخ وحدها، فانتقل ثلاثتهم إلي غرفة "هيثم" ليطلع "آدم" علي آخر إنجازاتهم، طالبًا رؤية الجدول، الذي اتفقوا عليه مع "همسة" لتنظيم الإجازة.

اشترك معهما في بعض منه، وتركهما في فترة الموهبة ليكملوا إبداعاتهما، وتحرك لينفذ ما كان يفكر به منذ الصباح.

نزل إلي المطبخ، فلم يجدها ولم يجد دفترها، فتوقع مكانها، اتجه إلي الحديقة، وجدها تنظر إلي الشفق الذي ألبس السماء رداء بدرجات الأصفر والأحمر، ثم تعود عينيها إلي دفترها وكأنها تسجل هذه اللحظات بقلمها في هيئة سطور، ظل يراقبها فترة، فهو لا يستطيع تأملها عندما تكون أمامه وجها لوجه، إما لخجلها أو خجله من شخصيته التي تعود عليها معها.

اقترب منها، فانتبهت له، وضعت قلمها في دفترها وتركته أرضاً، ثم قامت عن العشب، وهي تسأله:

- هل تحتاج لشيء؟... أقصد هل تحتاجون لشيء لقد تركتم تقضون وقت مع بعضكم؟

- لا نحتاج لشيء، لقد استمتعت بوقتي معهما وشاركتهما بعض النشاطات التي بجدول الإجازة، لقد أعجبنى الجدول كثيراً، إذا عُمم سينشئ جيل واعٍ مثقف يستخدم جميع جوانب عقله وينميها، وكأنه معد من قبل مراكز تطوير مهارات الطفل... لقد أعجبت بطريقتك في المعاملة مع الأطفال وطريقة معالجتك لأفعالهم سواء الجيدة أو السيئة.

أذهلها بكلامه، فهو يتغير بالفعل كما قالت الحاجة "عايدة"، نظرت إليه بخجل، ثم ردت عليه بصوت منخفض:



- جزاك الله خيرًا علي تشجيعك، لقد أسعدني رأيك  
جدًا، سأذهب إلي "هيثم" و"هند" الآن هل تريد مني  
شيئًا.

رد بسرعة:

- نعم أريد..

صمتت لحظات وهي تنظر إليه ببراءة منتظرة طلبه، شعرت  
أنها مرت كالدهر، فهي تتوتر لوجودها معه وحدها، فرحمها  
من هذا التوتر، مستكملًا حديثه:

- أريد فنجانين من القهوة.

- فنجانين؟!!

- نعم... اثنان... هنا في الحديقة.

ذهبت "همسة" لتعد القهوة وهي متعجبة، لماذا يطلب  
فنجانين؟!... تقبلت طلبه وشرعت في البدء فيهما.

انقض "آدم" علي دفترها فور مغادرتها، وفتحه علي ما كانت  
تكتب وقرأه:

**" يا من تظنون أننا لا نحنُ لكم  
والله ليس لنا في الشوقِ أندادُ  
إنا إذا رمقت أبصارنا أثرا  
تذوب منّا علي الآثارِ أكبادُ"**



قلب في دفترها، يقرأ مقتطفات سريعة، يرفع نظره بعد كل سطر خوفاً من مجيئها فجأة، ففطن إلي سوء ما يفعله، كيف يراقب العبد ولا يراقب الله؟، فأول مرة نظر في دفترها بسبب شكه الزائد ومحاولة سبر أغوارها، وكان يكفيه بما أنه لم يجد به إلا كل طيب.

أغلقه ووضعه في مكانه، وظل يتأمل السماء، لم تظهر النجوم بعد، كم يعشقها، كان يفضلها في صغره، فهو يحب القراءة ولكنه لا يجيد الكتابة والتعبير بالألفاظ.

لم ينتبه لمجيئها سمعه ولكن قلبه انتبه، فنبه عقله، استدار لها، ووجهه خالٍ من أية تعابير، يطلب منها بهدوء وذوق:

- ضع الفنجانين علي الطاولة واجلسي.

ترددت "همسة" قليلاً، ثم وأدت توترها وجلست، أخذ أحد الفنجانين، وتذوقه مستمتعاً، شرب رشفة أخرى، ثم علق:

- من النوادر أن يضبط أحدهم قهوتي بهذه المثالية، شكرًا لكِ هي جميلة بالفعل...، الثاني لكِ...، لا أعلم هل تشربينه مثلي مضبوط أم لا، ولكن المضبوط معيار يتحمله الجميع في اعتقادي .

لم يعد للتوتر مكان علي وجهها وعقلها، لقد استُبدل بالتعجب والذهول، حتي أنها لم تخجل من شكرها علي القهوة ولا إطرأه عليها، كان عقلها يحاول استنباط ما يدور



بعقله، وما سبب تحوله بالإضافة إلي أفعاله المؤخرة  
الغريبة، فتساءلت في نفسها

"هل ينوي طلاقها ويحاول التخفيف عنها بهذه المعاملة  
الطيبة؟، هو بالتأكيد لن يتغير من ليلة وضحاها كل هذا  
التغيير؟".

- أين ذهبت...، فيما تشردين؟
- لا أبدًا أنا معك...، سعيدة بإعجابك بقهوتي...، أنا أحبها  
علي الريحه، فلن أتضايق من شربها مضبوطة.
- جيد...، فلنبدأ إداً.

كانت قد أخذت الفنجان في يدها، وبدأت بأول رشفة،  
فتوقفت قبل أن تصل إلي حلقها وأنزلته مرة أخرى، وهي  
تنظر إليه مرتعبة من الوسائوس، التي بدأت تتفاقم ويتعالى  
صوتها علي صوت فألها الحسن.

لم يمهلها وقت طويل، هو يرى وجهها ككتاب مفتوح، ويعلم  
كم التوتر والقلق والحيرة الذي سببه لها، هو نفسه يشعر  
أنه منساق رُغم عنه، يشعر أن قلبه استبد بسائر أعضاءه  
وجوارحه وأصبح الحاكم يأمر وينهي دون معارضة، وبدأ  
أخيرًا:

- في البداية أريد أن أقص عليك ما حدث لأخي، وما  
فعلته خطيبي السابقة...



تقدمت في مقعدها، أسندت ساعديها علي الطاولة،  
تمسك الفنجان بكلتا يديها، كأنها تستمد منه القوة والدفء  
لقلبها الذي بدء في التجمد رغم حرارة الجو، أوقفت قدميها  
عن الاهتزاز، لكي لا تزداد توترًا وقلقًا، وهي توليه جام  
اهتمامها، ثم حثته علي الاستكمال:

- كلي آذان صاغية...، سأكون ممتنة لمشاركتك هذه  
الذكريات، مهما بلغ ألمها أو ما حوته من حزن، فهذه  
بداية وأد نقاط الضعف وتحويلها إلي مواضع قوة.

ثم رمته بابتسامة صافية، ترمقه بنظرة احتواء واهتمام  
لتشجعه على التحدث، فتشجع وتعززت رغبته في الإفشاء  
بما يسكن قلبه من آلام، قد تسلحت بغضبه وسخطه علي  
أفعال هاتين المرأتين، فرفضت هذه الآلام دخول النور أو  
الحب أو الاطمئنان مرة أخرى إلي قلبه، حتي دخلت  
"همسة" بأسلحتها من حب وإيمان وعفو وكرم وحنية  
وذكاء، فتقدمت وتقهقر الغضب والألم، يبدو أنها في طريقها  
إلي الانتصار وكشف الغمة عن قلبه.

- رغم أن حادثة أخي بعد صدمة خطيبي، ولكنني  
سأبدأ بها لهول صدمتها وضخامة وطأتها عليّ.

صمت قليلًا، ثم أغمض عيني، وسحب نفس عميق قبل أن  
يبدأ السرد:



- أحب أخي فتاة كانت تعمل عنده في الشركة، لعبت عليه وتمسكنت، رسمت الشرف والجدية في أوقات وأوقات أخرى تغريه كأنه دون قصدٍ منها، كانت تشد وترخي، أشهد لها بالدهاء، حتي وقع في حبها رغم معارضتنا كلنا وتفنيطنا لعيوبها... لكن أخي كان قد أغرم بها، ولم يري منها إلا ما أحب، وهذا أكبر عيوب الحب... وكأنه يُوزَع علي القلوب مع غمامة توضع علي العين... أو فلتر من نوع خاص... أو دواء سحري ترى به مميزات من تحب فقط.

أسند رأسه علي ظهر المقعد ونظر إلي السماء، يري النجوم مشتاقة لفضفضته معها كما الماضي، فبدت علي جانب فمه ابتسامة حزينة سريعة ثم تلاشت، وعاد ليكمل:

- وبالفعل تزوجها، فتجلت الكثير من عيوبها واضحة للعيان، لم يحبها أحد والكثير نصحه بتطليقها، ولكنه كان يحبها، أنجبت الثنائي "هيثم" و"هند"، وكان الحسنة الوحيدة التي فعلتها طوال مكوثها معنا، وبعد إنجابها زاد تبجحها حتي معه، كانت كثيرًا ما تحزنه... بدي مهموم دائمًا ومكروب.

بدي الألم جليًا على وجهه، وهو يفيض بما ملأ قلبه وفاض، سيطر على مشاعره وأردف:

- كان لا يود إلا أن تحبه كما كان يحبها... أو فقط تتركه يحبها دون مشاكل وعقبات، ولكن هيهات علي

أخلاقها وطباعها الكريهة أن تسمح بذلك...، كانت تتبجح معنا لعلمها بسيطرتها عليه بالكامل، فلو كان حازماً معها، لما جرّوت علي التبجح مع أهله علي الأقل، جُرّحنا لهواننا عليه وعدم أخذ موقف جاد معها...، ولكننا لم نتركه...، لأننا نعلم أنه كان أسيرها بمعنى الكلمة.

ضيق عينيه وقرب ما بين حاجبيه، و انتفخت أنفه وتهاوت سريعاً بغضب مرات، وكأنه يراها أمامه، ثم أغمض عينيه يُهدأ من فوران الدماء بقلبه، الذي تألم من تذكر الأحداث من جديد.

ظلت صامته تتألم لتألمه، وتشعر بما يعتمل في صدره، كأنها قطرة دم بشرائينه تسكن قلبه، لم تقاطعه أو حتي تطيبه، ودت أن يخرج ما بداخله دون عوامل خارجية، تنفس بعمق، ثم استكمل متحاملاً علي قلبه:

- للأسف لم تكن أخلاقها المشينة تقتصر علي تبجحها وأسلوبها فقط...، بل وبُعدها عن الخالق في العبادة وإهمالها في بيتها وأبناءها وجشعها للمال أيضاً، حتي عرضها لم تتركه معافى، ولكنني لن أخوض في هذه النقطة.

ضم قبضتيه، وكأنه يحاول ألا يخنق كيانها الهلامي المتمثل أمامه، أطبق شفّتيه وضمهم بغضب، ثم أردف:



- يوم الحادث كنت أنا وأخي في الشركة، نتناقش في بعض الأعمال، فأتاه اتصال قلب وجهه، وقف عن مقعده، تتلبسه شياطين الدنيا، قلقت عليه وسألته "ما الأمر؟"، فلم يجبني أخذ مفاتيحه وخرج مسرعًا يعدو، ركضت خلفه، فاستقل سيارته، ركبتها معه، فقال لي دون وهو شاخصًا أمامه، كأنه لا يرى سوى ما أغضبه:
- عد إلي المكتب، وأكمل عملنا لن أتأخر... سأفعل ما كان يجب أن أفعله منذ سنوات.
- لا أفهم عما تتحدث، ولكنني لن أنزل من السيارة مهما قلت، لن أتركك تقود وحدك وأنت بهذه الحالة.
- حسنا، ما دمت مُصر.

انطلق بالسيارة يقود بسرعة عالية يمسك المقود بكلتا يديه كأنه يقبض علي عنق أحدهم...، توقف عند محطة وقود، لم يستطع عامل المحطة فتح باب خزان الوقود، فأمرني بغضب:

- أنزل وافتحه لهذا الغبي...، اضرب الباب بقوة لعله فهو يعلق.
- نزلت بالفعل بحسن نية، ودورت حول السيارة لكي أفتح باب الخزان، ولكنه انطلق بأقصى سرعة، فعلمت أنها خدعة منه، افتعل هذه الأزمة لكي أنزل من السيارة، يعلم أنني لم أكن لأنزل مهما حدث، وإذا أجبرني علي النزول لأي سبب ونحن بجراج الشركة،



كنت سأنطلق وراءه بسيارتي، ولذلك أخذني لمكان بعيد لكي لا أستطيع اللحاق به.

مسح علي وجهه، وفرك عينيه، يبدو أنه يحذرهما من البكاء، وأعاد تمرين النفس، ثم واصل :

- بدون تفكير ركضت وراء السيارة، وأنا أتساءل بغضب: "لماذا لا يريد مني الذهاب معه، ما الذي حدث لكل هذا؟"، أول مرة أراه بهذا الغضب وهذا الانفعال، قلقت عليه، ثم طلبت أحد أصدقائي من هاتف بالمحطة، فجاء إلي وفعلت معه ما فعله أخي معي، لم أحب علي أي من استفساراته لهيئتي وسبب وجودي بالمحطة، عدت إلي المكتب فهاتفني كان لا يزال هناك، اتصلت به مرارًا ولكن دون إجابة، مكثت بجواره لعله يتصل.

تنهد وهو يمسح على شعره ليخفي توتره، ثم أكمل:

- لم أعمل وألغيت جميع المقابلات، طلبت ألا يزعجني أي أحد مهما كان، لقد انقبض قلبي واستشعر الخطر، لم يكن بيدي سوى الدعاء، لا أعلم أين أبحث عنه، فكرت لعله ذهب إلي البيت، اتصلت بالخدمة، فأبلغتني أن لا أحد بالبيت سوى الطفلين.

صمت لحظات، وهو ينظر إلي اللاشيء، لمع بؤبؤ عينيه بدموع تهدد بالسقوط، فأغمض أهدابه، لتقف لها بالمرصاد،



أكمل المأساة بصوت شعرت فيه "همسة" بألم وجرح لم  
يندمل بعد:

- وبعد ساعة ونصف من القلق، جاءني اتصال منه وهو  
في سيارته في قمة غضبه، يبدو علي صوته الألم  
والقوة .. والبكاء المكتوم، كانت تجلس بجانبه في  
السيارة، من الواضح أنها تسترضيه، تجاهلها، وقال  
لي بنبرة مهتزة مهترئة:
- لقد طلقتهآ..، أخيراً استمعت لنصائحكم، سامحوني يا  
"آدم"، عندما آتي إلي البيت سأقبل يد ورأس أمي،  
تحملتوني كثيراً في وجود هذه الشيطانة، سأتححر  
من سحرها تماماً عن قريب.
- ماذا حدث يا "حاتم"؟..، أنا لا أفهم شيء، أين أنت؟
- أنا علي الطريق الدائري، لقد أمسكت بتلك الساقطة  
تخونني..، ترتكب الزنا يا "آدم"..، ولكن الحقيير الذي  
كان معها هرب عندما طرقت الباب، فتحت هي علي  
غفلة لا تعلم أنه أنا، سمع صوتي فهرب من درج  
المطبخ..، رأيتهآ بقميص النوم ورأيت..

صمت أخي لحظات يبدو أنه قد ذبح بسكين بارد، فأكمل  
كأنه قد أنزل عن كاهله حمل، قد أثقله لفترة طويلة بنبرة  
مغلغة بالألم:

- المهم أنني طلقتهآ..، ومن تبجحها ارتدت عباءة ونزلت  
خلفي مسرعة، تتوقع مني أن أرددها وأسامحها..،



تعلم أنني لن أضرب امرأة في الشارع، وخاصة إذا كانت للأسف زوجتي، فاستغلت ذلك ورفضت النزول من السيارة، ولكن الأمر منتهي، أنا قادم .....

وأخيرا سقطت دمعة تلتها أخريات، يبدو أنهن حبسوا منذ زمن طويل، مررن علي وجنتيه كالبرق وكأنهن يتذوقون طعم الحرية أخيراً، لم ينتبه لهن "آدم"، وكأنه عاد ليس بفكره فقط إلي الخلف، بل بروحه أيضاً، فأكمل دون مسحهم:

- سمعت صوتها يصرخ، تنبهه من اصطدامه بسيارة النقل، و.. سمعت بأذني ارتطامه بالسيارة، تخيلت سماع ملك الموت وهو يقبض روحه... شعرت بروحي أيضاً تُسحب مني...، وانعقد لساني وثبتت عيناى لا ترمش ولا تغلق أهدابي...، وكأنني استحالت تمثالا لا روح فيه.

ازدرد ريقه وعينه شاخصة، ثم أكمل بوهن:

- لقد كان أبي وأخي وصديقي...، لم أر منه إلا الحب والاحتواء، لم نتشاجر كباقي الإخوة...، وخاصة بعد وفاة والدي، فيوم وفاته عندما جاءنا الخبر ونحن بالمشفى احتضنني حضن لم أنساه طوال حياتي، بث فيه حب وأمان وحنان طمأن قلبي وأسكن روحي الهائجة.



ضغطت على كأس القهوة بدلاً من الترييب على يده، حاولت التركيز، لقد طنت رأسها، وهي تعيش معه هذه المأساة، ركزت على عينه كأنها ترى بها ما رآه وهو يكمل:

- كنت حزين وقلبي يأن عليه دائماً بسبب كُربه وحزنه الدائم بعد دخولها حياته...، وحققت عليها، تجربتها عليه وقسوتها، لم أره ضعيفاً مطلقاً إلا معها، لا أعلم هل الحب يكسر الكرامة والقوة والقلب هكذا؟!...، كرهت الحب وكرهت النساء وكرهت الاختلاط بالناس، وما زاد حزني هو أن السيارة التي اصطدم بها أخي كانت محملة بالسولار، فانفجرت وتحطمتا السيارتان وتفحمت الجثث بداخلهما واستحالت رماداً بسبب تأخر المطافئ والشرطة...، لم نجد له جسداً لندفنه، لم يتبق لي منه جسد ولو محترق لأودعه، تمنيت أن تكون علي قيد الحياة لأدق عنقها بيدي، وأشفي غليلي منها .

توقفت دموع "آدم"، ولكن دموع "همسة" لازلت تتسابق في سباق ركض.. أيهما تخرج أسرع، تضع يدها علي فمها لكي لا يصدر منها صوت واحد يجرحه، يظن منه أنها شفقة عليه.

لقد عاشت معه ما عاشه ورأت ما رأي بقلبيها...، ضاق صدرها بكتمانها لأنفاسها وشهقاتها، ولكنها تحاملت ولم



تصدر صوتًا، وجّه نظره إليها فرق قلبه لحالها، أضاف بنبرة مطمئنة:

- لقد رأيته أول مرة بعد موته فيما يرى النائم، وهو علي سرير الغسل وأنا أجلس تحته أبكيه بشدة، ولكن دون صوت، فقامت فزع من الرؤية ووجهي وليس جيني فقط يتصب عرقًا... فسألت أحد مفسري الأحلام تفسيرها، وكان معناها أحد الأسباب التي هونت علي كثيرًا.

ابتسم ابتسامة ضعيفة، ثم أكمل وهو يتنهد:

- فسرّها الشيخ أنه يُطمئن علي نفسه، ويبلغني أنه سعيد بمكانه ولا يود العودة للدنيا، هوني علي نفسك...، كما أنني رأيته مرات عديدة بعد ذلك في رؤي مع أبي، وهم في أبهي هيئة يوصونني بأمي وأختي، وعند تقصيري بأحد العبادات، أو صلة الرحم.

أطلت بسمة من وسط دموعها، بعد أن رفعت يدها عن ثغرها، وأفرجت عن صوتها أخيرًا:

- الحمد لله، ربنا يرحمهم جميعًا، ويرحمنا إذا صرنا إلى ما صاروا إليه، ويلحقنا بهم علي خير.

كشر وجهه مرة أخرى بعد اطمئنانه، ودق بقبضته علي الطاولة، وهو يرد بنبرة غاضبة من بين أسنانه:



- يرحمهما فقط، لن أترحم علي هذه الجاحدة الساقطة  
أبدًا ما حييت، ولن أسامحها وسأقتص منها يوم لا  
يُظلم أحد مثقال ذرة.

- حسنا أنا آسفة، عد إلي وجهك الهادئ، رفقا بي لقد  
عشت معك كل لحظة تحكي عنها، وقلبي مازال  
يؤلمني حتي الآن.

دون سابق إنذار وضع يده علي يدها الموضوعه علي  
الطاولة وأمسك بكفها بحنان، وهو يقول لها بابتسامة  
رقيقة:

- أنا من عليه أن يتأسف..، لقد ظلمتك كثيرا وأخذتك  
بذنب هاتان المرأتان، بل وكل امرأة رأيتها في مجتمع  
المنفتحات اللاتي لا يخشين الله، بحجة الحرية  
والمساواة وما إلي ذلك..، تحملت ظلمي بتجلد وصبر  
دون الشكوى مني حتي لوالديتي، بالرغم من  
استفزازك لي عن عمد في كثير من الأحيان، ولكن  
صدقا مناكفتي معك، كانت السبيل الوحيد للتنفيس  
عما بداخلي، أفعله معك دون وعي مني، وأنا رهن  
وساوس الشيطان وسيطرة الماضي بآلامه عليّ.

من هول ذهولها بعد سماعها لكل هذه الكلمات، التي لم  
تسمعها بأذنها بل استقبلها قلبها مباشرة، لم تسحب يدها  
أو حتي تنتبه لها..، ضحك علي تعابير وجهها وفاهها الفاجر،



فحرّك يده الأخرى أمام وجهها بمرح، لينتزعها من هذه الحالة، معلقًا:

- هل تري يدي؟، أفيقي...، ألهده الدرجة أسأت إليك؟

بدأت تفيق أخيرًا، فلم يمهلها، رفع يدها إلي فمه ليُقبلها، فاستحالت وجنتيها إلي تفاحة حمراء اقتطفت في أوانها، حاولت جذب يدها، ولكن هيهات، لقد أغراه التفاح فتبّت علي يدها أكثر، مانعًا إياها من سحبها، وهو يركز نظره علي عينيها، ثم وجنتيها، ثم....

- عمي "آدم"، عمّة "همسة"، أين أنتما لقد بحثنا عنكما بالفيلة كلها قبل الخروج إلي هنا.

انتبه "آدم" علي صوت "هيثم"، فترك يدها، ولكن عينيها أبت ترك وجهها، فيكفي التركيز مع "هيثم" بأذنه فقط، وأمسكت هي فنجانها بيدها، الذي أصبح بدرجة حرارة الجو، وكأنه مرجعها للحماية من الخجل، أدارت رأسها اتجاه "هيثم" و"هند" القادمان، بعينيها فقط، واستبقت في يده وداخل عينيها قلبها وعقلها.

- لقد اتصلت جدتي علي هاتفي، لأنها قلقت عليكما، بعدما اتصلت علي هواتفكما ولكن دون مجيب.

- هواتفنا صامتة للأسف يا "هند"، سأتصل بها حالًا لأطمئننها.



اتصل بها مقتصرًا في المكالمة، ثم قام من مقعده وهو  
يقترح عليهم بحماسة:

- ما رأيكم باللعب سوياً لعبة الغميضة؟

فرح "هيثم" و"هند" فيما كانت "همسة" تطير فرحًا، ونوت  
شكر ربها بركعتين تخشع فيهما له في وقت السحر مع  
وردها من قيام الليل، لم تتوقع استجابة دعائها وابتهاها  
بهذه السرعة، ولكن الله الكريم، عوضها بصبرها العوض  
الجميل.

لعبوا سوياً بسعادة طفل ظل محبوس قسرًا فترة، ثم  
انطلق ليلهو دون موانع أو عقوبات، ولكن هيهات أن يمهلهم  
الحاقدين ليفرحوا، وسط انشغالهم ارتفع "مونو بوت" مسح  
الحديقة في فيديو قصير، ظهر فيه "آدم" وهو يجري إلي  
"همسة"، التي وقعت في المنتصف مغطاة العينين، تحاول  
الإمساك بأحدهم، يداعبها من وقت لآخر.

- سيد "آدم" .. سيد "آدم"، لقد وجدنا شخصان يحومان  
حول الفيلا، وعندما انتبهنا لهما ركضا وركبا سيارة  
"جيب" بدون لوحات، وانطلقا مسرعين فلم نلحق  
بهما، لا نعلم ماذا كان يفعلان، لابد من تمشيط الفيلا  
للاطمئنان علي سلامتكم.



يبدو أن حدسه كان في محله، فحمد الله علي تعيين رجلي  
أمن مع "صالح"، ولكن عاد القلق ليستبد به، ماذا كانا  
يفعلان؟ وماذا يريدان؟

\*\*\*\*\*

روايات



احتياجك إلى المال ليس سببًا لظلمك أحد.. فما  
دمت تمتلك قوت يومك معاف في بدنك أمن في  
سربك.. احمد الله على ذلك، فأنت قد حزت الدنيا بما  
فيها.. الأرزاق قُسمت، فالتفت للنعم التي حولك  
وارض بها قبل أن تُنتزع منك.



إِن السَّلَامَةَ كَنْزٌ كُلُّ خَرْدَلَةٍ  
مِنْهُ تَقُومُ مِنْ مَالٍ بِقَنْطَارٍ  
وَالْمَالُ يُدْعَى صَدِيقًا عِنْدَ حَاجَتِهِ  
وَقَدْ يَكُونُ عَدُوًّا دَاخِلَ الدَّارِ  
يَا مَنْ حَزِنْتَ لِفَقْدِ الْمَالِ إِنَّكَ قَدْ  
خُلِقْتَ عَارٍ وَمَا فِي ذَاكَ مِنْ عَارٍ  
كَمَا أَتَى أَمْسِ ذَاكَ الْمَالُ مُكْتَسَبًا  
يَأْتِي غَدًا مِنْ بَدِيعِ اللَّطْفِ جَبَّارٍ  
حَوَادِثُ الدَّهْرِ تَجْرِي فِي الْبِلَادِ عَلَى  
مَرَاتِبِ النَّاسِ مَقْدَارًا بِمَقْدَارٍ  
إِن الرِّيحَ تُصِيبُ النَّخْلَ تَقْصِفُهُ  
وَلَيْسَ تَقْصِفُ عُصْنَ الشَّيْحِ وَالْغَارِ  
إِذَا بَقِيَ مِنْكَ أَدْنَى فَضْلَةٍ صَغُرَتْ  
فَإِنَّهَا قِطْعَةٌ مِنْ طُورِ أَطْوَارِ



## الفصل التاسع

- لقد سئمت منها يا أبي، لا غبار أنها جميلة وقدها ممشوق... ولكنها ذو عقلية رجعية متخلفة...، أنا أخشى تعريفها إلي أصدقائي، فأصبح أضحوكة وسطهم.
- معه الحق يا "مصطفى"، أنا نفسي أكره الجلوس مع والدتها، تتحدث وكأنها تعرف كل شيء والباقي جهلة لا يفقهون شيء...، لا تعلم أن حديثها في الأساس ممل، أجلس معها كأني جلست مع أحد المتفلسفين المتحذلقين...، حتي الآن لا أستطيع الخروج مع صديقاتي لأنني حرجة منهن...، جميعهن عابوا علي هذه الحفلة البيئة السمجة، التي أقاموها للاحتفال بالخطبة...، بل وجعلوها علكة في أفواههم حتي الآن يعضونها...، أصبحن يضربن بها المثل ويحذرن بعض منها عند إقبال إحداهن علي الخطبة لأبنائهن، لن أتحمل حفلة زفاف كحفلة الخطبة، لن أتحمل فضيحة أخرى.
- ما المانع أن يضحى "سامر" من أجلنا جميعًا يا "أفنان"...، ثم إنه قال بعظمة لسانه أنها جميلة، فهو لن يضحى بالكثير...، وعندما تكن عندنا نطبعها



بطباعنا، فأنت خبرة في ذلك، وواثق أنك تستطيعين  
ومعك "فدوى" تسانديك.

-

أنا أيضا يا أبي معهما في هذا الرأي... لقد أخرجت  
من دعوة أصدقائي إلي هذه الخطبة، بعدما علمت  
كيف ستنظم، ولكنني لم أتخيل هذا الدنو...، فما إن  
انتهيت من تطيب خاطر من علمن بخطبة "سامر"

ممن كان يواعدهن، حتي توالى عليّ غضب المتبقي  
منهن لعدم دعوتهن...، فتحججت بأن الخطبة كانت  
سريعة ومفاجئة ولم نرتب لها جيّداً، ثم إنه لم يردن  
سوي اتصال واحد من "ست الحسن"، وما يزيد البلة  
طين أنها بعقل طفلة وسمجة...، أنا أيضا أتحرّج من  
تعريفها إلى أصدقائي اللاتي يسألن عنها، ويريدن  
التعرف عليها بفارغ الصبر لمقارنتها بهن بالطبع.

-

أمضي عقد الشراكة، وبعد ذلك عندي فكرة ستريحكم  
جميعاً...، سنقيم حفلتان عُرس، نحضر معهن حفلهم  
وندعو القليل من معارفنا، ثم نقيم حفل آخر بحجة  
فرحنا بهما عندنا، تفعلون فيه ما تودون وندعو الجميع  
إليه، هل ارتحتن الآن؟

-

أنا الخاسر الوحيد في هذا كله يا أبي، أخشى ألا  
تتغير، وأعيش أنا في كمد، حتي نصل إلي بغيتنا،  
وأستطيع طلاقها والنفاد منها .

-

أنا أؤيد رأي ابني...، كيف سنرتبط بأناس مثلهم، أنا  
وافقتك في البداية رغم ما سمعته عن عائلتهم، لأنك  
مُقبل علي عقود شراكة مع ابن "عايدة" ومع حليفهم



"محسن"، وللأمر الآخر الذي يؤرقك أيضًا...، ولكنني أيقنت أن تحذيري منهم كان صحيح، ولكن ابنهم يُماطل كما قلت حتي الآن في الإمضاء علي عقد الشراكة...، و"محسن" أصبح بين الحياة والموت في المشفى، بل وسمعت أنها مسألة وقت حتي يعلنون عن وفاته...، فخطبة إحدى بنات "سهام"...، هذه المتعجرفة كانت أرحم بالنسبة لي.

- في كل الأحوال سنكسب بارتباطنا بهم، هل أفعل كل هذا من أجلي أنا فقط؟...، فلتتحملوا قليلاً وتدبروا أمركم، فأنا فوق رأسي هموم ومشاكل كثيرة .

\*\*\*\*\*

- "سالم" باشا.

التفت "سالم" خلفه ليجد الضابط "حسام" في إثره يلحق به عدوًا عند بداية الرواق...، فحيّاه ودلفا سويًا حجرته.

- ماذا تشرب ؟

قالها "سالم" وهو يضغط علي زر استدعاء عسكري غرفته.

- ماذا سأشرب سوى القهوة، فهي مشروبي الأوحد تقريبًا عندما أكون في خضم حل إحدى القضايا.



دخل العسكري يقدم التحية، فطلب منه "سالم" كوبان من الشاي وإفطاره المعتاد له ولـ "حسام"، ثم يتبعه بفنجانين من القهوة.

- أين كنت كل هذا؟... قلت أن رقم لوحة المتهم بين يديك... فلماذا لا يتواجد داخل الحبس حتي الآن؟
- لقد حصلت علي اسمه وعنوانه بالفعل، وتحريت عنه، مع استمرار استجواب بعض أهالي منطقة المجني عليهما، ولم أنته حتي الآن، كما وقعت علي معلومات تخص نفس المتهم أيضاً من إحدى جارات المجني عليهما، واكتشفت أن القتيلان كانا يرعيان بنت، قالا لأهالي المنطقة عندما جاء إلي مسكنهم الحالي، أنها ابنة أحد أصدقائهما، الذي توفي منذ عدة أشهر في حادثة...، وأنها نجت بأعجوبة من الحادث ولكنها فقدت الذاكرة.
- اشجين أحب العمل علي مياه بيضاء... هات ما عندك.

تقدم "حسام" إلي الأمام بجانبه ليضع أمام "سالم" صورة "محسن" وهو يدلي بما توصل إليه:

- هذا هو ما نبحت عنه...، "محسن جاد البشبيشي" عمره بالضبط 57 عامًا...، رجل أعمال ميسور الحال، سمعته جيدة وأخلاقه تسبقه في السوق ووسط المجتمع...، متزوج وله ثلاث بنات، ولذلك يُستبعد أنه



كان يترنح بسبب احتساء الخمر أو المخدرات مع  
المجني عليهما.

عاد بظهره إلى المقعد ووضع ساق فوق الأخرى، ثم أكمل:

- كما توصلنا إلي صلته بالمجني عليهما من إحدى  
جارات القتيلان، حيث قالت أنها أوصلت بنفسها البنت  
التي كانا يرعونها إلي بيت "محسن" لتخدم فيه، رأفة  
بها بعدما كان يريد المجني عليهما لها العمل  
بالملاهي الليلية، لجلب المال الوفير... وقد تعرفت  
علي صورة المتهم بالفعل، وأكدت أنه هو من ذهبت  
البنت للعمل عنده.
- حتي الآن جيد جدًا، ولماذا إذا هذا المتهم لا يقف  
أمامنا الآن؟
- لقد قام بحادثة في نفس اليوم المنشود بنفس  
السيارة، التي كنت أبحث عن أرقامها... يبدو أنها  
حدثت له بعدما خرج من عندهما مباشرة علي  
الطريق الدائري، انقلبت سيارته... وهو الآن بين  
الحياة والموت في المشفى.
- يبدو أن ترنحه كان أزمة ما، أو تعب بعد تنفيذ الجريمة  
إذا كان هو منفذها، ولكنه ليس سُكر.
- هذا ما جال بخاطري بالفعل.
- حسنا، فلتقم بالآتي...

أملى عليه بعض الأوامر، فدونها "حسام" وهو يرد:



- علم ويُنقذ.

دخل العسكري ومعه الإفطار، وأعلم رئيسه أن القهوة في الطريق، فتناسا القضية برمتها، وجلسا يتناولان إفطارهما وهما يحتسيان الشاي، يضحكان وبجانهما صور القتيلان والمتهم الأول، فمصائب قوم عند قوم فوائد.

\*\*\*\*\*

- حمدا لله، لم نجد أي شيء.

- ولكن هذا غير مُطمئن يا "همسة"، لقد توقعت ألا نجد شيء...، فلتأخذوا جميعًا حذرکم، حتي أعلم من وراء كل هذا، لا يخرج أحد إلا بعلمي، وغداً لا يوجد نادي سنوقفه مؤقتًا...، وأنت يا "صالح" فتّح عيونك مع رجلي الأمن، ولا تغفلوا عن الصغيرة قبل الكبيرة.

انصرف رجلي الأمن و"صالح" بعد سماع التعليمات، فيما بدى التفكير والقلق علي "آدم"، فقطعت تفكيره "هند":

- عمي ولكن نحن..

- "هند" تريد أن توضح أن النادي هو المكان الوحيد اللذان يقابلان فيه أصدقائهما، ويختلطان بالمجتمع في الإجازة، وهناك مسابقة تُعد أيضاً، ألا ترى أنك تبالغ قليلاً؟... من الجائز أن يكونا لصان عاديان، وعندما لمحنا رجلي الأمن أو انتبها لاستيقاظ أهل الفيلا هربا.

التفت لها "آدم" بوجه متجهم، وعينان غائرتان، وهو يرد عليها:

- لصان عاديان يحومان حول الفيلا ويهربان بسيارة جيب، في نفس التوقيت الذي اختطفت فيه "هند"؟!... أين روح المحققة التي حضرت في وجود الضابطين "خالد" و"شادي"، تبخرت الآن؟، أم أنها لا تحضر إلا في وجودهما؟

أحنت "همسة" رأسها إلي الأرض بعيون دامعة، يبدو أنه لم يتغير بالكامل كما توقعت، لقد أخطأت، يبدو أنها ستعاني كثيرًا معه حتى يقلع عن هذا الشك وهذا الأسلوب، هذا إذا أقلع عنهما من الأساس، كادت تتركه وتغادر، ولكنها قبل أن تخطو أول خطوة، أضاف بنبرة يائسة:

- لست مستعد بالتضحية بأي منكم...، هذه إجراءات احترازية مؤقتة لحمايتكم، سأبذل قصارى جهدي للوصول لمن وراء كل هذا في أقرب وقت بإذن الله.

رفعت وجهها المزموم الشفتان، يشع من عينيها الحزن، خلاف داخلها الذي بدأ يبتسم، تريد أن تقفز فرحًا لاعتذاره المتوارى هذا...، ولكنها لا تريد أن تشعره بمسامحتها له علي أسلوبه الفج، لمجرد اعتذار ضمني، فردت بنبرة جدية:

- حسناً.. أتمنى هذا...، وفقك الله وحفظك من كل سوء، لقد تأخر الوقت كثيرًا علي ميعاد نوم "هيثم" و"هند".



ثم استدارت لهما، وهي تسألهم بحنان:

- هل اكتفيتما بالشطائر التي أكلتموها وقت اللعب أم تريدون تناول العشاء؟

رد الاثنان بالسلب، فاستأذنت من "آدم" ليصعدوا جميعًا إلي النوم، أراد الاعتراض، فهو لم يكمل حديثه معها، حتى أنه أفسده بتسارعه وأسلوبه العنيف منذ برهة، هو لم يقصد اتهامها بشيء، هو فقط تعود علي أسلوب الهجوم هذا مع كل امرأة، وبالتأكيد لن يتغير في يوم وليلة.

أراد أن يقول لها تتحمله حتى يستعيد نفسه القديمة، ولكنها صعدت أمامه بوجه محتقن وعيون دامعة، فأثر الاستسلام لطلبها، حتى يُصقّي ذهنه، ويحاول كشف هوية من يريد أذيتهم أولًا.

سمع صوت إغلاق الأبواب، وكأنها تُغلق في وجهه، فردد بصوت منخفض أبيات شعر كان قد قرأها ولمست قلبه فاستوطنته، ليدرب نفسه علي الاعتذار ومن ثم قول الكلمات الطيبة وليس التجريح وإلقاء التهم فقط:

**"ألا عطفةً تحيّا بها نفسٌ عاشقٍ..  
جعلتِ الرّدى منه بمراًى ومسمعِ  
صليني بعضَ الوصلِ حتي تبيني..  
حقيقة حالي ثم ما شئتِ فاصنعي**

<sup>35</sup>"

<sup>35</sup> - من قصائد استعطاف الشاعر ابن زيدون لحبيبتّه الشاعرة ولادة بنت المستكفي.

رفع نظره عن الدَرَجِ أخيرًا، وكأنه كان ينتظر منها العودة مرة أخرى، ثم دخل غرفة مكتبه يفكر في الخطر المحدق بهم، هاتف "خالد" واستشاره، فاقترح عليه فكرة أبدى تخوفه منها في بادئ الأمر لما تحوي من خطر، وبعد محاولات إقناع وتقديم ضمانات لاقت استحسانه، عزم علي تنفيذها بدءًا من الغد بعد أخذ الاحتياطات اللازمة، وإعلامهم لأخذ حذرهم أثناء التنفيذ، فهو لن يغامر بأهله وأحباءه هباءً.

\*\*\*\*\*

- لقد مر يومان بعد يوم العملية، وها نحن في الثالث ولم يفق يا دكتور؟!... لماذا لا نرى أي جديد في حالته، فهو كما هو منذ أول يوم؟
- لا تقلقِ سيديّة "سهام"، فحالته تتحسن بالفعل، ولكنها تظهر فقط من خلال الأجهزة..، لا تستهينِ بما مر به..، حمدًا لله علي أنه مازال على قيد الحياة، لقد كنت أضع نسبة من 20 إلي 30 % فقط لبقائه علي قيد الحياة، فهو كما يقال كُتب له عمر جديد.
- ربي يبشرك بالخير يا دكتور..، حمدًا لله فالمولى يعلم حالنا ومدي احتياجنا إليه.
- الحمد لله أنسة "دنيا"، لا تقلقن سيداتي أبشرن، إفافقته مسألة وقت ليس أكثر، بعد إذنكن.



خرجت ورائه "هاجر" مسرعة بعد أن تعلت بالرد علي الهاتف، فلمحته في نهاية الرواق، تعجبت ورددت بصوت عالٍ قبل اللحاق به:

"خطواتك لا تتفق مع عمرك أبدًا...، الرواق قصير حقًا، ولكن ليس لدرجة إنهاءه في هذا الوقت الوجيز".

أسرعت خلفه بعدما رأته ينعطف يسارًا لئلا تفقد أثره، لقد علمت أنه سيمر في جولة علي مرضاه، فلن تجده بسهولة، وصلت أخيرًا إلي نهاية الرواق وانعطفت كما انعطف، ولكنها اصطدمت بحائط آخر ارتدت عنه حتى كادت تقع، لولا حفاظها علي اتزانها، فرفعت وجهها الغاضب لتكبل له :

- أرى أن وجهك يحوي عينان، ألم يعلماك والديك أنهما خلقت للتمييز بها والرؤية، تذهب إشاراتهما إلى العقل فتترجم فورًا إلي صور؟...، أرى العينين ولكني لا أرى العقل.

رفع حاجبيه متعجبًا، واتقدت عيناه بالشرر، وهو يرد عليها بنبرة متزنة هادئة يشوبها الغضب:

- يبدو أن والديك أنت أيضًا قد نسيا تقليد لسانك، وتدريب عقلك علي احترام الآخرين...، أرى اللسان ولكني لا أرى العقل، الذي يعقل الكلام قبل خروجه.

ثم كتف يديه أمام صدره وهو يضيف بابتسامة شامتة:



- أنا من كان يمشي بخط مستقيم وبهدوء وروية، وأنتِ من كان يركض كالطفل، وانعطفتِ فجأة، أعتب على والديك أنهما لم يعلمانك أيضاً، أن اللعب في أروقة المستشفيات خطأ وغير مسموح به.

احمرت وجنتا "هاجر" بالإضافة إلي عينيها، كبركان ثائر استفزه أحدهم لينفجر ويحيل المكان رماداً، ولكنه لم يعطيها الفرصة، لقد غادرها وهي تغلي وتغور، لم يستطع أحد حتي الآن وأد جماحها والتفوق علي لسانها السليط وسرعة بديعتها في الرد.

نادت عليه بغل ولكنه كان يتجه إلى المصعد، فدلف إليه ونظر لها بابتسامة مستغزة، وكأن أبواب المصعد تأتمر بإمرته فأغلقت لتوها في وجهها، زفرت بضيق وحاولت تهدئة أعصابها الثائرة، حتى سمعت "منال" تسألها عما حدث .

- لم يحدث شيء اصطدمت بإنسان متعجرف تافه، وليس هذا فقط، بل وسليط اللسان أيضاً .  
- أكثر منك!..، لا أظن، فإذا كان كذلك أود رؤيته علي الفور كيف يبدو؟

داعتها "دنيا" وهي تبتسم.

- لست في مزاج يسمح بالمبارزة يا "دنيا" أنا حقاً غاضبة حتى آخر نفس...، دمائي تغلي وتغور، حتى



بدأت تجف في أوعيتي الدموية وشرائبيني... ولكن لما خرجتما جميعًا من الأساس؟  
ردت "سهام" هذه المرة... دون أن ترفع وجهها عن هاتفها، مشغولة بالكتابة:

- كفوا عن المشاجرة... لقد طلبت منا الممرضة المغادرة من غرفة العناية، فمدير المشفى قد سمح لنا بالاطمئنان عليه فقط والمغادرة فورًا، فهذا لا يتاح إلي أي أحد لأنه مخالف.

هندمت ثيابها، ثم أردفت:

- سأغادر معكما الآن لكي أتحمم وأقوم ببعض المهام، ومن ثم أعود صباح الغد للمكوث بالحجرة التي حجزتها هنا مرة أخرى إذا استمر في غيبوبته، ولم ينقل إلي غرفة عادية أستطيع المكوث معه بها، ربي يعافيه ليعود وسطنا من جديد.

\*\*\*\*\*

- هل فهتمم الآن جميعًا؟... لقد رحل أيضًا رجلي الأمن لسبك الدور، وإقناعهم أننا تخلينا عن حذرنا.  
- نعم فهمنا، سأذهب إلي تحضير الفطور لك حتى نلحق بموعد التمرين في النادي إذًا، لقد تناول



"هيثم" و"هند" الفطور... فأنت من ترك لي ملاحظة  
بذلك مع "يسرية" قبل أن تغادر في الصباح الباكر.  
- نعم فعلت... لقد ذهبت للاطمئنان أن كل شيء  
سيمر كما ينبغي... اذهب أنت لتغيير ثيابك لتلحقوا  
بموعد التمرين، و"يسرية" ستحضره لي.

سعدت "همسة" بداخلها وضحك قلبها فرحًا، ولكنها ظلت  
علي حالة تجهم الوجه والجدية في التعامل، تريد أن ترد له  
ما كان يفعل لتذيقه من نفس الكأس، لعل هذا يردعه في  
كل مرة ينوي الثورة والغضب عليها، ردت بنبرة خالية من أي  
عرفان:

- حسنًا، هيا بنا يا "هيثم" أنت و"هند" لنستعد.

ثم صعدت تاركة إياه يتخبط في كبريائه وغضبه وهو  
يتساءل، ألم تسامحه بعد؟، ألم يمحي الليل غضبها؟، ما  
هذا الجفاء؟، لقد اعتذر أمس وقال لها لا يستطيع  
خسارتهم!، ماذا تريد أيضا؟، رفع رأسه مترفعًا، واتجه إلي  
مكتبه.

نزلوا جميعًا بعد الانتهاء، فوجدوا "آدم" يجلس بالحديقة  
الأمامية علي الأرجوحة وهو شارد، تنحنت "همسة" وهي  
تقترب منه كأنها تسلك حلقها، لا يعرفون أنها تستدعي  
كلماتها التي هربت، ثم قالت بصوت مرتفع لكي ينتبه:

- نحن جاهزون الآن وسنغادر.



انتبه "آدم" فقام عن الأرجوحة، واقترب منهم وهو يبتسم ابتسامة صافية لا تخلو من قلقه عليهم، ثم دعى لهم وودعهم وهم يستقلون السيارة، مقتربًا من "همسة" يدس في يدها ظرف ملون وهو يقول بصوت هامس:

- هذا لكِ ح.....

لم يستطع لسانه إكمال الكلمة فاقتطعها وأغلق لها الباب ملوحًا لهم، فانطلق السائق "فوزي" الذي استدعاه من الشركة ليقلهم، وأمره بالمجيء فورًا إذا اتصلوا به لإيصالهم لأي مكان يريدونه فيما بعد، فهو الوحيد الذي يثق به وسط سائقي الشركة، فهو أقدمهم، كان موجودًا منذ أيام والده.

وفي السيارة وضعت "همسة" المظروف في حقيبتها، لكي تمنع يدها عن فتحه قبل أن تختلي به وحدها، لقد اجتمع قلبها وعقلها ونفسها، بل وجوارحها علي أمر واحد هذه المرة، ألا وهو فتحه في الحال، ولكنها تماسكت، وأشغلت فكرها بترديد الأذكار، حتى وصلوا وجهتهم أخيرًا، كادت تجزم بأن الساعة قد توقفت والزمن ثبت في مكانه ومر دهر بأكمله حتي وصلوا.

أسرعت توصلهما إلي أماكن تمرينهما، وهي تنظر من وقت إلى آخر حولها تحاول استكشاف من وكلهم "آدم" وصديقه "خالد" بمراقبتهم من بعيد، ولكنها لم تصل إلي نتيجة، فتساءلت في نفسها:



"هل تأخروا أم أنهم أحسنوا التخفي؟، وهل هذا الفخ سيفلح بالفعل؟".

تذمر قلبها لغفلتها عن المظروف وحس عقلها علي تنبيهها علي الفور، فنفضت كل شيء عن رأسها، واتجهت إلى أقرب طاولة لتجلس عليها وتفتح المظروف، أمسكت به في حقيبتها وكادت تُخرجه، فوجدت من ينحني عليها يُقبلها من الخلف ثم جلس أمامها، لم يتمالك قلبها نفسه فسب الجالس علي الفور.

- مفاجئة، لم تتوقعي حضوري أليس كذلك؟

تركت المظروف، ووضعت حقيبتها أمامها تنظر إليها بشوق وخيبة أمل، مجيبة:

- مفاجئة طيبة يا "ندى"، لقد أوحشتني كثيرًا.
- أنتِ أيضًا أوحشتني أكثر بكثير منك...، افتقدتكِ الأيام الماضية وجدّ الكثير، أريد استشارتكِ في تلال من الأحداث والمواقف والقرارات.
- كل هذا حدث في اليومين اللذين تغيبتهم.
- نعم الكثير والكثير...، انتظري سأحكى لكِ، أنصتي.

\*\*\*\*\*

- لا يوجد أمل مطلقًا؟...، هل بالفعل ستسافر صباح الغد؟



التفت "جاسر" وهو يرفع حقيبته عن الفراش، ينزلها على الأرض، يرد بمزاح زائف:

- سترتاحين مني هذه المدة، لن أضربك أو أناكفك... لا تمثلين دور الحزينة... أعلم أنك ستكسرين ورائي "زير".

- آخر مرة سأسألك إياها... لا تسافر يا "جاسر" أنت تعلم مدى تعلقي بك أنا وأمي.

ذهب إليها واحتضنها، طمأنها وهو يربت علي ظهرها:

- لن أغيب طويلًا وسأتحنين الفرص، وأتي للمكوث معكم يومان أو ثلاثة، ومن ثمّ أعود... هذا أفضل لي صدقيني يا "ملك"، فإذا كنت تحبينني لا تبكين لا أتحمل رؤية أحد يبكيك، فتخلي شعوري وأنا أعلم أن أنا من يبكيك... اصمدي أمام أمي أرجوك.

ابتعدت عن أحضانه، وهي تكفكف دموعها بطرف يدها وتضربه في كتفه بالأخرى، ترد مستسلمة:

- حسنًا سأحاول ألا أبكي، ولكن إذا لم تحدثنا كل يوم بالصوت والصورة، سأخذها ونسافر نجلس معك هناك حتي تعود، لن أذهب إلي الجامعة وأمي المسكينة ستترك أبي وكل هذا بسببك.

احتضن رأسها بيد واحدة يميلها علي أحد كتفيه يداعبها وهو يضحك:



- حتى وأنتِ تبكين... فأنا من سيُرحم منك، لقد جاءت هذه السفيرة لتنقذني.

ركضت وراءه، تحاول الشبع منه بقدر الإمكان، استعدادًا لغيبته التي لا تعرف إلي متي ستطول؟

\*\*\*\*\*

- حسنًا، سنخرج لك حالًا.

- هيا يا بشر، فـ "آدم" ينتظرنا بالخارج هو من سيقلنا إلى البيت.

- هل وقع أخيرًا؟... أظنه لم يستطع البعد طويلًا، المسكين...

ردت "ندى" بسخرية، وهي تمثل الحزن.

- لا يا مشاغبة، قال أنه كان قريب من النادي وفي طريقه إلي البيت، فاقترح إيصالنا... هيا لكي لا يتذمر كالمعتاد... سأبيعك وأقول أنك السبب في تأخيرنا.

لكزتها "ندى"، وهما تقومان مع "هند" و"هيثم" استعدادًا للذهاب.

وصلوا إلي البوابة، فهاتفت "آدم"، الذي كان يقف أمامها من الداخل، ثم اتجهوا إليه، جلس الطفلين و"ندى" بالمقعد الخلفي، فيما اتجهت "همسة" إلي الخلف لتعطي



الحقائب إلى "آدم" كي يضعها بصندوق السيارة، كادت تعود لتستقل مكانها، ولكنه أمسك بيدها، التفتت إليه متعجبة، فسألها وهو يتسّم:

- هل قرأتِ المظروف؟، أنا أحب الرسائل القديمة للتعبير عما أشعر أكثر من الحديثة.

نظرت إليه بخجل، ثم أعادت نظرها إلي الأرض وهي تجيب:

- لم أتمكن من فضه..، كدت أفتحه في النادي فور وصولي، ولكن "ندى" جاءت فلم أستطع، كنت... كنت أريد قراءته وحدي.

رفع ذقنها بيده، وهو ينظر في عينيها بشوق، قائلاً وقد استبد به الهيام:

- عيناك في الشمس أجمل وأجمل...، اللهم بارك...، سبحان من أبدع خلقها، يتأرجح لونها بين العسلي الفاتح ولون....

صمت لحظات يحاول تجميع ما يراه في عينيها، ولكن فمه أغلق، وكأنه كالغطاس تحت الماء غرق في بؤبؤ عينيها.

التفتت "ندى" للاطمئنان علي سبب تأخرهما، فسرحت معهما وابتسمت، سعيدة بتقدم "آدم"، حتي لمحت "هند" تهم بالالتفات، فانتبهت تشغلها:

- ألم أقل لكما؟...، كدت أنسي، لقد رأيت.....



أشاحت "همسة" بوجهها، وقد وصل خجلها ذروته، حتى ارتوى سائر جسدها من لونه المفضل الأحمر الخوي.

- كدت أنسي... ما دمتِ لم تقرأ مظروفي بعد، فهذا أفضل... سأقول أنا لك إذا ما كتبتة بداخله :

**- فلتتحمل كسر سور الألم بداخلي...  
إني نذرت هدمه مهما بلغت نوازلي  
عاقبني قلبي لجزرك بنغز جدرانه...  
ورجفة، وقد غفل متناسياً شداذي**

- لقد تقمصت دور الشاعر، وكتبت لكِ هذه الخاطرة  
مخصوص من أجلكِ، فهل تقبلين اعتذاري بشأن  
تسرعي أمس في الحديث معكِ وتهوري؟

ومع نهاية حديثه أمسك بيدها متناسياً، أنهم يقفون في  
النادي، فسحبته علي الفور، وهي تنظر حولها... حاولت  
إخراج صوتها لترد علي سؤاله، ولكن صوتها انكمش في  
حلقها وخجل مثلها، فأومات برأسها دليل موافقتها.

لم ينتبها إلي تلك العينان التي تراقبهما بغل وحقد وجز  
علي الأسنان من سيارة علي الجانب الآخر تتوعدهما،  
فركبا السيارة وتقاربا على المقعدان الأماميان بجسدهما  
يبدو أن قلبهما قد قفزا كلُّ اتجاه الآخر.

\*\*\*\*\*



وصلت "سهام" إلي المشفى، تقترب من حجرة العناية المركزية المحجوز بها "محسن" للاطمئنان عليه، كما هو الاتفاق مع مدير المشفى، مسموح لها بـ 10 دقائق فقط يوميا، ولكنها تطيل هذا الوقت إلي ما يقرب من ربع الساعة وتكررها علي مدار اليوم، بإكرامية تضعها في يد الممرضة المسؤولة في كل دوام.

توقفت فزعة عندما وجدت الممرضة المسؤولة، تخرج مهرولة من الحجرة، فأخبرتها بحماس فرحة:

- لقد استفاق المريض، فتح عينيه..، سأذهب لأخبر الطبيب "هلال" في الحال.

انتفضت "سهام" وهرولت إلي الحجرة، وجدت جسده ممدد دون حراك، دنت منه فوجدت عيناه مغلقة كما السابق ولكن شفاهه تتحرك، فانحنت عليه تحته علي فتح عينيه:

- حمداً لله علي سلامتكَ يا حاج..، حمداً لله.

سمعته يردد كلام غير مفهوم بصعوبة بصوت هامس، دون أن يفتح عيناه، حاولت تقريب أذنها من فمه لسماعه، وهي تسأله:

- لم أسمع..، ارفع صوتك قليلاً يا حاج لأسمعك.



كرر ما قاله مرات بحشرجة، يبذل مجهودًا شديدًا في الكلام، فخيّل إليها أنه ينادي علي "همسة"، حاولت تفسير كلامه مع تكراره المستمر، فتأكدت من سؤاله عن "همسة".

- ماذا تريد منها يا حاج؟... فهي في بيتها أين ستكون؟ حاول فتح عينيه، وهو يتكلم هذه المرة بصوت أعلى قليلًا، يأخذ نفسه بصعوبة بين كل كلمة وأخرى:

- أريد... هم... "همسة"... في... في الحال... اتصل بها... لتأ... لتأتي.

- استرح يا حاج... فأنت مريض والكلام يرهقك، أرح نفسك، وأنا سأتصل بها.

زمت "سهام" شفيتها بغضب، وربتت علي صدره بحنو ليستريح، سعل بضعف، وبدأ يغلق عينيه مرة أخرى وقد بدأت معدلات الأجهزة تنخفض، فقال وهو يغيب عن العالم مرة أخرى:

- أبلغوها... أن تحذر من...

ازدادت وتيرة أنفاسه إثر مجهوده في الكلام والتركيز، فيما اقتربت "سهام" بعين محدقة... وأنفاس متقطعة وخوف... وهي تسأله :



- مِنْ مَنْ؟...، ولماذا تحذر؟... حسنًا حسنًا... لا تتحدث حتى لا ترهق نفسك، فقط اصمد قليلاً الطبيب قادم حالاً؟

ولكن "محسن" أصر علي إكمال حديثه، وقال لها الاسم وسبب حذر "همسة" من هذه الشخصية، انتهى مع دخول الطبيب والممرضة، فانتصب جزع "سهام" تحديق في الشرفة التي أمامها ولكنها لا تراها، لقد شرد عقلها وهرب تركيزها، لم تفق إلا علي صوت الطبيب، وهو يحاول إسعاف "محسن"، الذي غاب عنهم مرة أخرى، يطلبون منها الخروج من الغرفة.

خرجت فزعة ظلت علي حالها لدقائق، ثم قامت بعدة اتصالات، وبعد مدة خرج الطبيب ليطمئنها:

- حمدًا لله، هو بخير ولكن يبدو أنه أجهد نفسه، لقد عادت المعدلات والمؤشرات طبيعية إلي حد ما، ولكن لا دخول له اليوم ولا زيارات، حتي ما أمر بها مدير المشفى... بعد إذنك.

أنهي الطبيب حديثه وغادرها، فاتصلت "سهام" بناتها لتبشرهن أن والدهن فاق من غيبوبته، ولكنه عاد إليها مرة أخرى، والطبيب منع عنه زيارات اليوم، فأمرتهن ألا يحضرن، وهي ستقوم بعدة مهام مؤجلة، ثم ستأتي إلى البيت، لن تمكث في المشفى اليوم.



أجزلت العطاء للممرضة المسؤولة وكبيرة التمريض للاعتناء به، وغادرت المشفى تنهي مهامها المؤجلة، لقد تطورت الأمور والحظ في صفها هذه المرة.

\*\*\*\*\*

- لا خروج إلا بإذني، ولا أما.....
- ولا أماكن مزدحمة... ولا اختلاط بأناس جديدة... إلى آخره... حفظت كل قائمة الممنوعات يا "آدم" لا تقلق... لقد ألقيتها علي آذاننا أنا وأمي صباح اليوم مرتين، وعندما ركبت معك الآن، وأيضاً وأنا أنزل من السيارة للدخول إلي الفيلا، سنلتزم بكل ما قلته كله، ولكن يكفي أنا أخشى أن أحلم بترديد هذه القائمة في منامي.
- الأمر جاد يا "ندى"، يكفي أنني سأكتفي بـ "محمد" حارسنا القديم فقط، بخلاف من يراقبون الفيلا من بعيد، ولكن احتمال سهوهم وارد، فلتحذروا.
- حسنا لا تقلق، ربنا يحفظنا ويحفظكم، ولكن لا تنسوا خطبة "سهيلة" ابنة عمك اليوم، لقد ذكّرتك مرتين، ذكره في البيت مرة أخرى يا "همسة"، لكي لا يتحجج.

كاد "آدم" يعلق، فاستبقته:



- قبل أن تعيد حديثك مرة أخرى، سأنتظر أنا وأمي  
مجيئكم ونتحرك جميعاً من هنا بسائقنا خلفكم،  
سأدخل الآن قبل أن تعيد قوائمك، لقد تعبت.

قالت جملتها الأخيرة، وهر تركض إلي الداخل، يضحك عليها  
الجميع، غادر "آدم" عائداً إلي الفيلا، من حين إلي آخر  
يختلس نظرة إلي "همسة"، ولكنه يجدها شاردة تنظر من  
النافذة، فتساءل "فيما تُفكر يا تُرى؟"، أراد أن يحدثها أكثر  
من مرة، ولكنه كان يتراجع في كل مرة حتي وصل.

نزلوا جميعاً من السيارة وأخذوا حقائبهم، فاتجه الطفلين  
إلي غرفهم للتحمم، فيما وقفت "همسة" قليلاً تنتظر "آدم"  
ليدخلها سوياً، شعرت أنه يريد قول شيء ما يتردد فيه،  
فاستبقت الحديث لتهرب بعد صمته الذي طال.

- سأذهب لأغير ثيابي، ثم أنزل لتحضير طعام الغداء،  
بعد إذنك.

- لا ترهق نفسك... لقد طلبت من "يسرية" أن تأتي  
كل يوم من الثامنة صباحاً، وحتى العاشرة مساءً،  
لتهتم بشؤون المنزل جميعها حتي طهي الطعام.

احمرت وجنتاها خجلاً وغضباً، لقد شعرت بالإحراج عندما  
تذكرت كيف بدأت أيامها معه وإصراره علي مزاوله عملها  
القديم كخادمة، وكيف عاملها يوم زفافها، فتدخل قلبها  
ليذكرها باهتمامه الحالي وتغيره معها، فلا فائدة من تذكر  
الماضي سوى إعادة الألم، ردت بعد صمت قصير:



- ومن قال أن طهي الطعام يرهقني؟.. أنا أحب أن أطهو لعائلي بنفسي، أم أنك لم تحب طعامي؟

تقدم منها بسرعة ولهفة، منتهزا فرصة وصفها له بعائلتها، وأمسك بكلتا يديها، وهو يجيب:

- لم أذق في جمال طعامك؟..، إلا في قليل من الأماكن، وكنت أتمنى استمرار تناوله من يدك، ولكنني أخشي إرهاقك وتكدير هاتين الكفين الرقيقتين.

أنهى حديثه برفع يديها ليُقبلها، ولكنها سحبتهما منه بسرعة بخجل، تحدثت وهي تبتعد عنه تسير بظهرها إلي الدرج:

- سيسعدني أن أظل أطهو لكم...، فأنا أستمتع بذلك...، وأشكرك علي هذه الكلمات الرقيقة، لقد أثلجت صدري وأشجنتني، سأذهب إل....

قطعت كلامها بعد أن تعثرت في بداية الدرج وكادت تقع، فأمسكت بسوره، ولكنها لم تتزن بتشبهتها بالسور فقط، لقد أمسكت يده بخصرها بعد أن قفز إلي مكانها بسرعة البرق ليحميها من الوقوع.

ازدرت ريقها بصعوبة، وهمهمت بكلام غير مفهوم، وهي تتخلص من ساعديه، وتصعد بساقين مرتعشتين، وأقدام لا تشعر بأطرافها، وذهن مشوش وعقل مغيب، كأنه في حالة سُكر ليس بالمحرمات من الخمر والمخدرات، بل بكلام



وأفعال زوج أخيراً راعى المولى في بيته وزوجته، والأكثر من ذلك زوج سكن قلبها وملاؤه، توقفت بعد أن سمعت صوته يناديها، والتفتت له وكأنها إنسان آلي يسير بالأوامر:

- إذا أردتِ تجهيز ثيابكِ لحفلة اليوم، فاختاري زي جميل مثلكِ ولكن محتشم.

أومأت برأسها بالإيجاب دون أن تجيب، ومازال اللون الأحمر يصاحب وجنتيها يبدو أن الدم أثر البقاء بهما، بدلاً من نزوله وصعوده كثيراً، ثم هرولت إلى الأعلى.

ظلت الابتسامة علي وجهه ينظر إلي مكانها الفارغ، كأنه يراها أمامه، حتي قطع تأمله جرس هاتفه، ففتحه وهو ينقم علي المتصل:

- السلام عليكم، خيراً يا "صهيب"؟

تشنج جانب فمه بغيظ وغضب عندما سمع ما يقوله محدثه، وكور قبضته، ثم أنهى اتصاله سريعاً معه، معلقاً:

- أنا قادم في الحال، أجمع كافة المعلومات وملابسات الحادثة، حتي آتي إليك... أريد جميعها وصحيحها فقط... هل كلامي واضح؟

\*\*\*\*\*



أنهت "سهام" جولتها لإتمام مهامها المؤجلة سعيدة  
بالنتائج التي وصلت إليها، وصلت إلي الفيلا مبتسمة  
ابتسامة غل وشماتة تزهو بنفسها، لتجد ضابط شرطة  
بانتظارها، فسقط قلبها رعبًا، وارتجفت يداها وجف ريقها،  
تقدمت بخطى مهتزة بطيئة مرتعبة، تسأل عن سبب  
وجوده بمنزلها.

- هل أنتِ "سهام عاطف الخطيب"، زوجة "محسن جاد  
البشبيشي"؟

- نعم أنا... ماذا حدث؟

- مطلوب حضورك فورًا إلي قسم شرطة "الجيزة"، أنتِ  
والمدعوة "همسة شهاب الدين"، للإدلاء بأقوالكما في  
قضية مقتل المدعو "متولي" وزوجته "هنا".

جلست "سهام" علي أقرب مقعد بعد انهيار ساقها تمامًا،  
فهرول إليها بناتها يسندونها، ولكنها لم تمكث علي حالها  
طويلاً، سألت الضابط:

- متي حدث هذا؟

- ليس من سلطتي إجابتك علي أي شيء، ستعرفين  
كل شيء بالقسم، فلتفضلي معنا أنتِ والمدعوة  
"همسة".

- "همسة" ليست موجودة...، لم تعد تعمل لدينا...، لقد  
تركت العمل بمنزلنا منذ فترة طويلة.



نظر إليها بناتها بذهول، كيف تحمي "همسة" وهم يعلمون تمام العلم مدى كرهها لها؟، ولكن نظرة "سهام" كانت مختلفة عنهما نظرة يغلفها الحقد والانتقام.

- أنا مستعدة للقدوم معك، ولكنني لن أركب سيارة الشرطة بالطبع... سنسير خلفكم يُقلني سائقنا .

خرج الضابط أولاً، فتصنعت "سهام" الطيبة، محدثة بناتها:

- لا تخبروا أحد بمكان "همسة"، لكي لا نصيبها بأذى...، فإذا وصلوا لها يكون بمعرفتهم فهو نصيبها، ولكننا لن نُقبل علي أذية أحد.

- سنأتي معك يا أمي، لن نتركك تذهب وحدك.

- لا يا "دنيا"، امكثوا في البيت، ولا تقلقوا علي، يبدو أنها شهادة عادية لكوننا نعرفهما ليس أكثر، سأطمئنكم فور خروجي.

حاول البنات إقناعها بالذهاب معها، ولكنها أصرت عليهم عدم الحضور، استقلت سيارتهم واتصلت بمحامي العائلة تستشيريه فيما حدث، ثم قامت بعدة اتصالات أخرى، انتهت بوصولها إلى القسم.

- مرحبًا سيده "سهام"..، نحن آسفين لإزعاجك.

- شكرًا لك سيدي الضابط...، فأنتم تقومون بعملكم، جزاكم الله خيرًا.



قالتها "سهام" وهي تدير عينيها حولها بين رئيس المباحث  
وآخران أحدهما يجلس أمامها والآخر علي مقعد بجانبه،  
توقعت أنهما ضابطين بثياب مدنية من نظرتهما وهيئتهما،  
فلا أحد سيحضر استجواب شاهد، إلا إذا كانت لديه  
السلطة.

- ما علاقتك ب المدعو "متولي" وزوجته "هنا".
- كانت تعمل عندي بنت صديقه، الذي كان يربها
- ما اسمها؟
- "همسة" ..
- وأين هي الآن؟
- لقد تركت العمل عندي منذ مدة...، غادرت منزلنا حيث  
كانت تقيم.
- هل ذهبت للعمل عند أناس آخرين؟
- عندما تعثرون عليها اسألها بنفسك، أنا لم أحبها  
مطلقاً... فلم أهتم بأخبارها.
- لماذا؟
- لأنني كنت أستشعر خبثها.
- متي تركت العمل عندك؟
- منذ حوالي ثلاثة أشهر .
- ما السبب؟
- بحجة الزواج، لقد كان يعطف عليها زوجي، فأبقاها  
عندنا، حتي طلبت الرحيل بنفسها.
- هل انقطعت علاقتكم بالقتيلين فور تركها للعمل.



- نعم ذهبنا لمساعدتهما ببعض المال فقط مرات معدودة من فترة طويلة، ولكن عندما وجدنا أنهما غير محتاجين قطعنا هذه المساعدة.
- هل اعتراضا بأي طريقة علي قطع هذه المساعدة؟، وهل كنتم تعلمون أنهم يعملان مساعدان لأحد القوادين بملهى ليلي؟
- ماذا؟... لا طبعاً لم نعلم... علمنا مؤخراً فقط بسمعتهما السيئة، فتركنا مساعدتهما، ولكنهما لم يبديا أي اعتراض، يبدو أن مهنتهما جلبت لهم الكثير من المال مؤخراً.
- وهل انقطعت علاقة زوجك بهما أيضاً... أم استمر في زيارتهما؟
- لا... علي حد علمي انقطعت صلته بهما تماماً.
- أين كان زوجك من الخامسة مساءً إلي التاسعة مساءً يوم الاثنين الماضي؟
- كان معنا بالمنزل، ثم خرج في السابعة.
- أين ذهب؟
- لم أعتاد سؤال زوجي إذا لم يقل لي أين سيذهب... فأنا أثق فيه ثقة عمياء.
- ولكنه شوهد يوم الحادث، بل وقريباً من وقت ارتكابه، يخرج من البناية التي يقطن بها المجني عليهما بـ"المنيب"؟



- لا علم لي بذلك...، فزوجي بين الحياة والموت في المشفى منذ أربعة أيام، بسبب حادث أليم...، لقد انقلبت سيارته، وهو عائد إلي البيت.
- نعم نعلم بذلك...، لقد تم الحادث فور خروجه من منزلهما علي الطريق الدائري...، لقد شاهده شاهدان هناك حوالي الساعة التاسعة، وحفظا رقم لوحة سيارته أيضًا.
- هل شاهدنا وجهه وتعرفنا عليه؟
- أُجم رئيس النيابة، وبُهِت من سؤالها، فبادر الجالس أمامها بالرد عليها، وهو يتقدم إلي الأمام قليلاً:
- سيدتي، السيارة نفسها هي التي كان يستقلها زوجك أثناء الحادث الذي تحدث عنه منذ قليل، ورقمها مُسجل في المحضر، فليس من الطبيعي أن يسرقها أحد ينفذ بها جريمة، ثم يعيدها لزوجك في وقتها ليستقلها.
- رمقته "سهام" بتحفظ وحذر، قبل أن تجيبه:
- حسنًا ولكنه ليس دليل علي ارتكابه للجريمة أيضًا.
- وجدنا بصمات زوجك علي منطقتين في درج البناية مخضين بالدماء.
- بُهِتت "سهام"، ولكنها نظرت إليه بتحدي وكأنها تبارزه في حرب نظرات صامتة، ثم أكدت علي قولها الأول:



- حتي تظهر أداة الجريمة وبصماته في موقعها، ومن ثمَّ اعترافه، فهو بريء علي حد علمي الضئيل بالقانون، وعموما زوجي بين يدي الله الآن إن شاء أعاده إلينا وإن شاء قبضه...، فندعو الله أن يعيده إلينا لكي يُبرئ نفسه في المقام الأول، فاسم الحاج "محسن" يُضرب به المثل في الأخلاق وأعمال الخير...، وحتى لا تضيّعوا وقتكم ريثما يفيق ابحثوا عن القاتل الحقيقي.

نظر إليها "سالم" بعمق وكأنه يُسبر أغوارها، فيما نظر إليها "حسام" بحنق، فقطع حرب النظرات، وكيل النيابة بعدة أسئلة روتينية، ثم أنهى استجوابها، وقّعت علي المحضر، ثم استأذنت للخروج.

- لم أحب هذه المرأة مطلقًا.  
- لا تتسرع يا "حسام" يبدو عليها الذكاء، تعود أن تؤجّل حكمك بعد جمع المعلومات...، ما رأيك يا "صفت" باشا؟

حك رئيس النيابة ذقنه بتفكير وهو يرد:

- لا يوجد حولها أي شائبة، ولكن.....

\*\*\*\*\*

- هل جمعت كل المعلومات، كما طلبت منك؟



- نعم يا سيد "آدم"، لقد دفعت لبعض مخبري القسم وجلبوا لي كافة المعلومات، ولكنني كتبتها في ورقة لم يسعفني الوقت لتسجيلها بتقرير لتقديمه لسيادتك.
- لا بأس، هات ما عندك.

دار "آدم" بمقعده نصف دورة، مُصدّرًا أذنه لمساعدته، وهو يستند بجسده إلي ظهر المقعد، لم يبرح الغضب عينيه بعد.

- الاسم "سامر مصطفى طاهر"، قُبض عليه متلبسًا بقضية رشوة، وهو الآن بأحد أقسام شرطة "الإسكندرية"، حيث عرض الرشوة علي مساعد مدير الجمرك هناك، لخفض سعر إحدى شحنات مصنع الورق الذي يديره..، لقد تعيّن الرجل حديثًا، فظنه كمن قبله الذي خرج من وظيفته لوصوله سن المعاش.

جز "آدم" على أسنانه، ثم سأله:

- وأين أبيه؟
- لقد سافر إليه والده منذ ساعات، ومعه لغير من المحامين، ويشاع أن القضية ستُلق لأحد رجاله، نظير مبلغ كبير من المال...، والمحامون سيقومون بدورهم لتخفيف العقوبة.



استدار "آدم" بمقعده، متقدماً إليّ الأمام، وقد شبّك يديه  
يستند بساعديه علي مكتبه، معلقاً:

- حسنًا...، أبلت بلاءً حسنًا يا "صهيب"...

صمت قليلاً، وهو يزم شفّتيه باشمئزاز، قبل أن يضيف:

- سأغادر الآن، وغداً صباحاً، أريد ملف شراكة "مصطفى  
طاهر" علي مكّتي، ونسّق مع محامي الشركة لكي  
يرتب مواعيده...، أريده في الصباح الباكر، وأنت جهّز  
دفّتك.. سألقن هذا الفاسد درساً هو ووالده.

\*\*\*\*\*

- ما رأيك عمّة "همسة"؟

التفتت "همسة" وهي تضع آخر دبوس بحجابها، فطلت  
محدّقة فيها لثواني، ثم احتضنتها بسعادة وحب وهي  
تعلق:

- مبارك يا قلبي، لقد أسعدتني أيما إسعاد.

ثم أبعدها عنها تتأملها في حجابها الكشمير المضبوط  
بشكل جيد، علي فستانها "الأوف وايت" المزين أسفله  
بتطريز بنفس لون الحجاب، غير مجسد لمعالم أنوثتها التي  
بدأت تظهر، ثم تداخل القلق في ابتسامتها وهي تسألها:



- اللهم بارك يا "هند"... أنتِ كالبدن في حجابكِ  
وفستانكِ البديع المحتشم هذا... ولكن طمأنِ قلبي...  
هل هو ارتداء نهائي لا رجوع فيه؟... لأنه لا يجوز خلعه  
بعد ذلك في أي وقت أو أي مناسبة.

رسمت علي وجهها ابتسامة زادت من جمال وجهها  
بالحجاب، وردت بحماس:

- نعم، بالطبع هو ارتداء نهائي، لقد رأيتكِ كيف يبدو  
وجهك مريح بالحجاب، وليس كما يقولون أنه يزيد في  
العمر ويسيء إلي الوجه، وعندما رأيتك علي وجهي  
مع الفستان، أدركت أنه زادني وزاد الفستان جمالاً.  
- اللهم بارك عليكِ يا "هند" حفظك الله ورعاك، فرحتي  
بك ليست مقتصرة علي ارتداءك للحجاب فقط، بل  
وبسبب وقت ارتداءك له، فالكثير يلجأ لخلعه في  
المناسبات وليس ارتدائه للأسف... أحسنتِ يا "هند"  
بارك الله فيك.

طلبت منها "همسة" أن تبقى بالأعلى، حتي يقومون  
بمفاجئة "هيثم" و"آدم"، وبالفعل تقدمت "همسة" تنزل  
الدرج لتمهّد لنزول "هند"، فقاما "هيثم" و"آدم" يستقبلانها،  
وكل منهما يرسم معالم مختلفة على وجهه كان العامل  
المشترك فيها هي الابتسامة فقط.

تقدم "هيثم" ليبيدي إعجابه بها، فلكزه عمه وأبعده، ثم  
تقدم هو عند نهاية الدرج الذي اقتربت منه، وانحنى نصف

انحناءة محيياً إياها، ثم مد يده ليأخذ بيدها، كما كان يفعل  
الأمراء في الماضي مع الأميرات.

وقفت مترددة في البداية، ثم أعطته يدها التي تلقفها  
بحفاوة يُقبلها وينحني مرة أخرى، وبعدها ابتعد قليلاً  
يتأملها، مع احتفاظه بيدها تسكن كفه، لقد كانت ترتدي  
حجاب بدرجة من درجات اللون الأبيض علي فستان باللون  
الأرجواني المرصع بفصوص فضية بضئ أزرق قليلة متناثرة،  
يشبه الشاطئ المضيء بجزر المالديف<sup>36</sup>؛ حثه قلبه علي  
فك عقدة لسانه، فعلق أخيراً:

- تبدين كليلة قمراء، يقوم وجهك بدور القمر فيها  
وحجابك هالته..، أميرتي لا أود حضورك الحفل خوفاً  
من أن تخطفين الأنظار وتسلبين الألباب..، لن أتحمل  
أحد ينظر إليك غيري.

دارت الأرض بـ"همسة"، فأغمضت عينيها، ثم فتحتهما  
تحاول النظر إلي أي مكان إلا عينيها، تحدث نفسها "هذا  
ليس "آدم" بالتأكيد لقد تبدل، أصبحت موقنة بهذا حقاً".  
أخرجها من بئر حيرتها وخجلها صوت نحنة، فتذكرت "هند"  
التي تنتظر بالأعلى، سحبت يدها من كفه علي مضمض  
تشعر أنها سحبتها من موطنها، ولملمت بقايا عقلها

<sup>36</sup>- من أعجب شواطئ العالم، حيث تضيء رماله بلألئ زرقاء، متناثرة كما النجوم في السماء، وأرجع العلماء هذه الظاهرة بسبب وجود نوع من أنواع النباتات العالقة تضيء في الليل بهذا اللون بسبب حركة الموج عليها.

المبّعثر، ثم أشارت بكلتا يديها بحركة مسرحية كأنها وصيفة  
لملكة تُقدم حضورها:

- أقدم لكم مفاجأة الليلة..، وليست كأى مفاجأة..،  
ستطل علينا ملكة من عليائها وتشرفنا بحضورها  
جمعنا الموقر..، تغدق عليكما برؤية شكلها الجديد  
قبل الجميع..، أقدم لكم الملكة التي توجت حديثًا  
"هند".

ومع نهاية تقديمها أشارت بيدها أعلى الدرج، فطلّت "هند"  
تُمثل دور الملكة، تنزل درجاته رافعة فستانها بكلتا يديها  
من الأمام، ترفع رأسها للأعلى كما علمتها "همسة"،  
منتصبة الظهر.

بهت "هيثم" و"آدم" وسعدوا بها كثيرًا، قدموا لها التهاني،  
مما أشعرها بجمال ما فعلته وعظمتها، أخيرًا انتهوا من  
تهنئة الملكة وتمثيل دور الرعية، فاستقلوا سياراتهم  
متجهين إلى بيت "عايدة" ليذهبوا جميعًا إلى الحفل.

وصلوا وتكرر تهنئة "هند" والمباركة لها بحفاوة، ثم انطلقوا  
إلى الحفل، تتبعهم سيارة المراقبة التي أعدّها "آدم"،  
وسيارة أخرى لا يعلم بوجودها لا هو ولا فريق المراقبة.

وصلوا وجهتهم، فاستقبلهم أقارب والديه بحفاوة شديدة،  
تبادلوا التعارف والتهاني، فيما انفرد "آدم" بـ"ندى" بأحد  
الأركان الأقل ازدحامًا يسألها:



- اللهم بارك، تبدين قمر ليلة اكتماله يا "ندى"
- مطّت شفّيتها، وضيقّت عينيها كرئيس مباحث يحاول سبر أغوار متهم بقضية ما، وهي تعلق بعد صمت قصير، فيما يكتّم هو ضحكته بصعوبة :
- ماذا فعلت؟..، قل لي ما المصيبة التي فعلتها..، أو الخبر السيء الذي تريد قوله يا أخي العزيز بدون مقدمات.
- عادت ملامحه إليّ جدّيتها، يصحبها ابتسامة واهنة، وهو يؤيد توقعها:
- هل تواصلت مع "سامر" اليوم أو أمس؟
- تجهمّ وجهها قليلاً ونظرت إليّ شيء ما خلفه، لا تريد التركيز في عينيه لتستجمع شجاعته.
- لا..، لم أتحدث إليه.
- هل تشعرين من خلال جلساتك أو حديثك معه، أنه الزوج المثالي لك؟
- نظرت إليه بتعجب، وهي ترد:
- لماذا تسأل هذه الأسئلة؟..، هل هناك خطبٌ ما؟
- "سامر" قُبض عليه اليوم بتهمة الرشوة.



فغرت "ندى" فاهها ورفعت حاجبيها، ولكن وجهها لم يحزن  
كما توقع أو تستاء، ابتسمت ابتسامة اطمئنان وراحة، وهي  
تعلق:

- سبحان الله...، ناجيته طوال الأمس بدعاء التدبير،  
وصلاة الاستخارة بيقين، وليس تحصيل حاصل كما  
المرة السابقة، فأجابني اليوم ولم يمهلني أكثر، إنه  
أكرم الأكرمين.
- لا أفهم...، هل كنتِ ما زلتِ تصلين الاستخارة؟
- نعم فهناك ما اكتشفته فيه آثار ربيتي اتجاه أخلاقه  
وشخصه، شعرت أنه لن يعينني علي تكوين بيت  
مسلم يرضي الله ورسوله.
- كيف؟...، هل تعدى حدوده معكِ؟
- لا أبدًا...، فقط اختلاف في مفاهيم وأفكار وأخلاقيات  
ومبادئ.
- حسنًا...، لقد أرحتنِ، كنت قلق من صدمتكِ بالخبر،  
حمدًا لله...، أريد منكِ عندما يهاتفكِ ألا تبلغيه بإنهاء  
الخطبة اتركه يظن أنها مازالت قائمة، ولا تشعره أنكِ  
تعلمي شيء عن غيبته الفترة الماضية.
- لماذا؟...، فأنا أشعر ببعوض في قلبي وعدم راحة  
اتجاهه.
- لكي أنتقم منه بأريحية أكثر، لقد ماطلت والده في  
عقد الشراكة الذي كان قد عرضه عليّ لشكي ببعض  
الأمور...، واليوم تأكد شك...، سألقنهما درس



وأسقيهما من نفس الكأس الذي كانوا يريدون سقايتي منه.

- دعهم وشأنهم يا "آدم" لقد أخافني حديثك هذا كثيرًا، أنت لست بأخلاقهم، وما دُمنّا لم نتضرر منهم، فما المشكلة إذًا؟... أرجوك لا تدخل في عداوات مع أحد سواء كان شرير أو طيب، كن كما كان والدي وأخي دائمًا لا يفيح منهما سوى العطر، كما أن هذه العداوات لن تُجلب سوى الشرور، فلتخشى علي "همسة" وأبناء "حاتم" وعلينا أنا وأمي أيضًا، فبالكاد انتهينا من خطف "هند".
- لا تقلق يا "ندی" لن أقدم علي عمل إلا إذا أصابني الضرر، فأنا لن أتحمل تعدي أحد عليكم.

ثم ابتسم يداعبها بإضافته:

- لأول مرة أراك عاقلة تتفوهين بالحكم .

لكمته في كتفه بخفة لوجودهم وسط الحضور، فتذكرت "همسة" والباقيين، فأرادت أن ترد مداعبته بطريقة أخرى، نظرت حولها، وكأنها تبحث عنهم مفتعلة الجدية، وهي تسأله؟

- أين "همسة" والباقيون أخشى أن يضايقهم أحد ف "همسة" اللهم بارك، هي من تستحق أن نشبهها بالبدر حقًا في ليلة اكتماله... ملامحها تبدو عليها البراءة بعدم وجود مساحيق تُزيّف وجهها... أنا أتوقع



تقدم أغلب رجال الحفلة اليوم لخطبتها..، عندما يسرحون بملامحها الرقيقة وقدها الممشوق..، سيغفلون عن خاتم زواجها بالتأكيد.

لم تتوقع أن تصيب هدفها إلي هذه الدرجة، لقد انتقلت حمى القلق إلي وجهه، تبحث عينيه بين وجوه الحاضرين عنها، وقد ارتعش جانب فمه وعلت وتيرة أنفاسه، لن ينسى تقدم أحدهم لخطبتها منه بالفعل في حفلة الحاج "محسن" ظنًا منه أنها "ندى" أخته أو إحدى قريباته، وكانت ترتدي خاتم الزواج أيضًا.

أخيرًا عثرت عليها عيناه، تقف مع "عايدة" وسط جمع من السيدات، فزفر براحة واطمئن قلبه نسبيًا، وفي هذه الأثناء انتقلت "ندى" إلي تجمع "همسة" و"عايدة" وهي مبتسمة، تريد إضحاك "همسة" وإسعادها بما حدث.

- أهلا "آدم" لم نتقابل منذ زمن، لقد أوحشتني..، سعيدة جدًا برؤيتك من جديد..، رغم أننا لم نر بعض منذ حوالي عام ونصف، ولكن بعد لقيانا الآن أشعر أنه لم يمر سوى أيام فقط، وخاصة أنني كنت خارج مصر لإكمال دراسة الماجستير طوال هذه الفترة، ما زلت كما أنت مع بروز بعض العضلات زيادة عن الماضي..، وتبدلت هيئتك قليلًا كهيئة رجال الأعمال المحنكين.



التفت "آدم" لمخاطبته، فكوّر يديه بدلاً من مدها ليُسلم علي يدها الممدودة إليه، وقبل أن يجيبها، وجد من يقف بجانبه ويمد يده ليُسلم عليها بدلاً منه.

- أهلا بك آنستي...، عفوا فزوجي لا يسلم علي أجنيات، امثالاً لأوامر ديننا...، أظنك مسلمة أيضاً...، أولست كذلك؟

تجهم وجه الواقفة أمامهما، فمطت شفيتها بغضب، ثم سحبت يدها من يد "همسة" التي شدت عليها وهي تقلب فيها بنظرها لترى خاتم خطبة أو زواج، معارضة القواعد الأرستقراطية في السلام بالأيدي بأطراف الأصابع، ثم رفعت إحدى شفيتها بضحكة استهزاء حائقة وهي ترد علي "همسة":

- أنتِ زوجته التي قالوا عنها إذًا...، لم استغرب ما سمعته عنك.

اقتربت "همسة" من "آدم" وتأبطت ذراعه بيد وبالأخرى تمسك نفس الذراع المتأبطة فيه لتزداد قرباً منه، وهي ترد بقوة وعلى شفيتها ابتسامة ثقة:

- نعم أنا "همسة" زوجته الحبيبة...، لم أتعرّف بك.

رَبّعت المرأة ساعديها أمام صدرها، وهي ترد بشماتة تحاول أن تغطي بها غيظها:

- أنا "أروى" خطيبته.



صمتت لحظات لترى أثر كلامها علي وجه "همسة"، ثم  
أكملت بكره:

- آه عذراً، السابقة... خطيئته السابقة وزميلة دراسته  
الوحيدة.

ثم نظرت إلى "آدم" بحنين وعينيها تلمع، مضيئة:

- كم أشتاق إلي هذه الأيام، لقد كانت أجمل أيام

حياتي حقاً، هل تتذكر عندما كنا.....

- عذراً حبيبتي، سنتذكر جميعاً ذكرياتك في وقت

لاحق، لأنني أريد زوجي في أمر هام.

ثم رفعت وجهها إلي "آدم" الذي كان يتسمم، وقد زال  
غضبه تماماً، الذي استبد به عند رؤيته لـ "أروى"، لقد ظن

أنه لن يستطيع رؤيتها بعد ما حدث إلا والألم يأكل صدره،

ولكن يبدو أن "همسة" قلبت موازين حياته رأساً علي

عقب، وجدها تسحبه من يده التي تأبطتها، وهي تضيف:

- هناك مفاجأة من أجلك حبيبي، لقد كنت أحبسها

لأخبرك بها تحت نجوم شرفة حجرتنا، ولكنني لا أطيق

الانتظار... تعال معي.

سحبته "همسة" وسط نظرات "أروى" الحاقدة، التي

خرجت من عينيها كالسهم، تحاول أن تصيب بها "همسة"

في مقتل كم تكرهها؟، لقد ندمت علي تركها "آدم" وتود



استرجاعاه بكافة الطرق، فهي لم تسمع رده عليها، كانت تتوقع أنه سيثور في البداية لكنها تعرف كيف تعالجه.

أفلتت "همسة" يدها أخيراً عنه في أحد أركان الفيلا بعد غيابها عن أنظار "أروى"، حولهم القليل من المدعوين، فاستعادها "آدم" كما كانت وسحبها إلي مخرج يطل علي حمام السباحة، ووقف يستند علي سور الشرفة الموصلة إلي الحمام، بعدما ترك يدها يتطلع إلي النجوم، ثم عاد بنظره إليها، وهو يبتسم ابتسامة عذبة قائلاً:

- ها هي النجوم التي أعشقها أنا وأنتِ، وهي منصتة بشغف كما هو حالي، أين مفاجأتي؟
- مفاجأة؟!...، أي مفاجأة؟!..، هل تسأل عن مفاجأة بعدما فعلت؟!..، لولا "ندى" هي من أخبرتني أن الواقعة معك خطيبتك السابقة، ما كنت التفت ورأيتك تقف معها وحدكما..، بل وعلي وشك السلام عليها أيضاً.

تحدثت "همسة" بغضب وضيق، ثم ربت يديها أمام صدرها.

- الله أكبر أخيراً...، كنت سأعنف "ندى" لأنني أدركت المكيدة التي صنعتها لي قبل مغادرتها والذهاب إليكن...، ولكني الآن سأشكرها بدلاً من تعنيفها، لقد أعادت إليك روح المناكفة من جديد، حاولت إخراجها بشتي السُّبل ولكني لم أستطع، ثم جاءت هي



أخرجتها في لمح البصر...، والجميل في الأمر أنها ليست روح المناكفة فقط.

أدركت صنيعها وجرأتها منذ لحظات، ففكت يديها وبدى التوتر علي وجهها...، لقد تسرعت بسبب غيرتها.

صمت يتأملها بحنين، ثم سألها:

- كيف تسامحين في لحظة هكذا؟، وتتغاضين عن كل إساءة، دون حقد أو ضغينة؟...، أفشي لي بهذا السر ولك الأجر والثواب؟

- قرأت ذات مرة أن "أقصر طرق الجنة سلامة الصدر"<sup>37</sup>

، أي سلامته من الحقد والضغينة والغل والحسد والكره، نحاول بقدر الإمكان تصفيته من هذه الشوائب، فهي كالرماد الذي يغطي القلب، تنتج من كثرة

الغضب وقلة الذكر تغبّر النفس، كما قرأت أيضًا مقولة

اعتبرها علامة لمعرفة نقاء القلب من تلوثه، وشرح

للآية الكريمة "وأن تعفو أقرب للتقوى"، ألا وهي: "أكثر

الناس عفواً وصفحاً أشدهم تقوى لله، وأقلهم عفواً

أقساهم قلباً وأضعفهم إيماناً"<sup>38</sup>.

- أحسنت، بارك الله لي فيك...، هل أخبرتك كم أنت

جميلة في زي ظاهرة التبعر<sup>39</sup> هذا، لون فستانك

<sup>37</sup> - مقولة للقاضي ابن الأكفاني - رحمه الله- في كتابه "تاريخ دمشق".

<sup>38</sup> - مقولة للشيخ عبد العزيز الطريفي.

<sup>39</sup> - ظاهرة غريبة تحدث في السماء قبل الأعاصير، تخضب السماء باللون الأرجواني والوردي، وهو تبعر الجزينات والجسيمات الصغيرة في الجو باتجاه الضوء مما يؤدي إلى تشتته، فتميل العواصف والأمطار الغزيرة إلى التخلص من

يشبه سماء هذه الظاهرة كثيرًا، مما يجعلني أود  
إعادتك إلي البيت فورًا، وإخفاءك عن العيون جميعًا إلا  
عيني.

سيطرت علي توترها وخجلها، ولكنها لم تسيطر علي لون  
وجنتيها الحمراء، فتحدثت بصوت أقل عدائية:

- لا أريد أن تخبرني عن لون فستاني، أريد أن أسمع  
حول خطيبتك السابقة هذه، يبدو لي أنها ليست  
بالمرأة السهلة إطلاقًا ولا تشبهك... أعتقد أنها لا  
تشبه في فعلها زوجة أخيك رحمه الله أيضًا، كيف  
أحببتها ولماذا تركتها؟

أخذ نفسًا عميقًا، والتفت يمسك الشرفة بكفيه وهو يتطلع  
إلي السماء، كأن الأرض ضاقت به رحبًا، كاد يخبرها فدخلت  
"هند" لتقطع حديثه قبل أن يبدأ:

- لقد بحثت عنكما طويلًا، جدتي تسأل عنكما بالداخل،  
لأن أهل جدي يريدونكما.

نظر "آدم" إلي "همسة" وهو يرفع كتفيه بقلة حيلة:

- لنا تكملة لحديثنا، رغم أنها ليست بالذكرى الجيدة  
لنحرص عليها... بالمناسبة لم أكن لأمد يدي بالسلام  
عليها، فضلًا عن كونها خطيبتي السابقة، هي

الجزئيات الكبيرة في الجو التي تمتص المزيد من الضوء، وبالتالي تنخفض درجة الحرارة، فيبقى السماء لتظهر ألوانها  
الحقيقية.

بالفعل امرأة أجنبية عني، وأنا لا أصافح النساء  
الأجنبيات.

ابتسم قلب "همسة" قبل وجهها، ثم دلفا إلي الداخل  
سويًا، قضا أمسيتهما سعداء، من حين لآخر ترمقهما  
"أروى" بنظرات الحقد والكراهة، فتردها إليها "همسة"  
بابتسامات ظفر.

انتهت سهرتهم علي خير، سار "آدم" خلف سيارة والدته  
وأخته حتي بيتهما، اطمئن إلي دخولهما سالمين، ثم عاد  
إلي بيته، تجاوزت فيلتهم سيارة زرقاء اللون، توقفت بعدها  
على مسافة ليست بالقليلة، أخرج سائقها الهاتف، وهو  
يزم شفغتيه بترفع، ثم يبتسم بسخرية، قبل أن يأتيه رد  
الطرف الآخر، فأمره بحزم:

- سننغد غدًا..، كن علي استعداد وجهز المكان..، لقد  
رتبت كل شيء..، فلتكن في انتظار إشارتي.

أغلق السائق الهاتف، ثم نظر في مرآة السيارة يضبط  
تسريحة الشعر ومساحيق زينة الوجه، علي ثغره ابتسامة  
غل سيحاول الشيطان تعلمها منه فيما بعد، ثم انطلق في  
طريقه.

\*\*\*\*\*



- أنا ذاهبة إلي النادي يا "ندى"، لقد كثفوا التمرينات  
لاقترب موعد دوري النادي والمسابقات الخارجية.

.....

- حسنًا، لا مشكلة سأنتظركِ هناك حتي تأتي، انه ما  
عندكِ من مهام والحقي بنا.

أغلقت الهاتف تهم بالنهوض عن مقعدها، فجاءها صوت  
"هيثم":

- لقد انتهينا، هيا بنا نذهب، يا عمة.

- فلنذهب إذا.

وقبل أن تغادر رن هاتفها، تُضيء شاشته باسم الحاجة  
"سهام"، فردت متعجبة:

- السلام عليكم حاجة "سهام"،، كيف حالكم وحال  
الحاج "محسن"؟

- الحمد لله بخير يا "همسة" جزاكِ الله خيرًا.

- لقد فاق من غيبوبته أمس، ظل ينادي عليكِ كثيرًا..،

هناك ما أود إخبارك به، هل أنتِ في البيت؟

- حمدًا لله هذا يبشر بالخير، بإذن الله يستعيد كامل

وعيه عن قريب ويعود إلينا معافى..، لا لست بالبيت..،

أنا ذاهبة إلى النادي، ولكن إن أردتِ أوصل الأولاد إلي

النادي ثم أمر عليكِ.

- لا يا ابنتي، لا ترهقي نفسك أنا سأمر عليكِ، عندي

مشوار بالقرب من النادي، وعندما أصل سأتصل عليكِ.



- حسنًا كما تريدن، أنا في انتظاركِ إداً.

انطلقوا إلي النادي، فدخل "هيثم" و"هند" إلي تربيهما،  
وجلست "همسة" علي أحد الطاوات تقرأ رواية، فقطع  
تركيزها أحد رجال الأمن:

- عذراً سيدة "همسة"، هناك امرأة تقف علي باب  
النادي تدعى "يسرية"، تقول أنها تعمل مديرة  
منزلكم... طلبت منها ترك بطاقتها والدخول معي  
إليك، ولكنها قالت أنها علي عجل من أمرها، وأن  
السيارة الأجرة تنتظرها... طلبت منا إبلاغك أنها  
تنتظرك بالخارج لأمر هام.

سارت "همسة" مع رجل الأمن إلى البوابة، وقد استبد بها  
القلق، متسائلة "لماذا لم تتصل بالهاتف؟، ما الأمر الهام  
الذي دعاها إلى المجيء علي عجلة هكذا، دون الاتصال؟".

- ما الأمر يا "يسرية"، هل حدث شيء؟

- عذراً سيدتي... بعدما غادرتم سمعت رنين هاتف في  
المطبخ، فبحثت عن الصوت حتى وجدته، واكتشفت  
أنه هاتفك.

- ماذا؟.. هاتفني؟... لقد وضعته بحقيبتني بعدما تحدثت  
فيه!... هل أخطأت وضعه؟... حسنًا ولكن هل لحقت  
بي فقط من أجل إعادته؟!

- لا... لقد وجدت الهاتف يُضيء باسم الحاجة "سهام"،  
فتركته كما هو، ولكنها كلما انتهى الرنين أعادت



- الاتصال بالحاج، وكنت أعلم أنك ستقابلينها، فقلقت ورددت عليها... سألت عنك وعندما أخبرتها أنكم غادرتم إلي النادي تأففت، وقالت أنها لن تستطيع المرور عليك في النادي، كانت تريد منك الحضور حالا إلي المشفى لأن الحاج "محسن" فاق مرة أخرى ويريدك بشدة، فقلت لها أنني سأحاول الوصول إليك من خلال "هند" أو "هيثم"، اتصلت علي هاتفهما كثيرا ولكنه يعطيني جرس دون رد، فجننت إليك مسرعة، لقد نبهت علي أن أصل إليك ضروري جدا.
- يا الله... لعله خير...، "هند" و"هيثم" يضعون هاتفهما علي وضع الصامت فور دخول التدریب، حسنا سأذهب إليهم واتصل بـ"ندى" لأعرف متى ستأتي، لن أستطيع تركهما وحدهما، ولا بد من استئذان "آدم" أيضا قبل الذهاب.
- لا تقلقي سأنتظر أنا السيدة "ندى" بدلًا منك، والسيد "آدم" نستطيع الاتصال به من هاتفني إذا أردت.
- اتصل به وأعطيني الهاتف إذا.

اتصلت "يسرية" ورن الجرس مرة واثنان وثلاثة دون رد، فتململت "همسة" وقد استبد بها القلق، متسائلة "لماذا يريدنا الحاج "محسن" فور إفاقته من غيبوبته بهذا الإلحاح؟"، قطعت "يسرية" تفكيرها، تحثها علي اتخاذ قرار، وهي تشير إلي الجانب الآخر:



- السيارة الأجرة التي جئت بها مازالت تنتظر في الجانب الآخر، إذا أردتِ فإذهبِ بها وأنا سأحاول مع السيد "آدم"، حتي يرد وأعلمه بذهابك، كما سأنتظر السيدة "ندى"، ونعيد سويا "هند" و"هيثم" إلي البيت.

فكرت "همسة" في اقتراح "يسرية"، تخاف أن تترك الطفلين في عهدها هي و"ندى"، كما تخشي أن يغضب "آدم" من ذهابها دون إذن منه، ولكنه أمر ضروري ولا يحتمل الانتظار، لقد طلبها الحاج "محسن" مرتين الأولى عاد بعدها لغيوبته، والثانية يريد منها الحضور علي وجه السرعة.

حسنت أمرها أخيراً، وأخرجت بطاقة دخولها إلي النادي لتعطيها إلي "يسرية" وهي تُنبه عليها:

- سأذهب إلي الحاج "محسن" ولكن انتهبِ إلي "هند" و"هيثم" ولا تتحركِ إلا بعد مجيء "ندى"، سيعلمك رجل الأمن بالمكان الذي كنت أجلس فيه هو قريب من مكان تدريبهما، سيأتون عليه بعد انتهاء التمرين واستمري في الاتصال بـ "آدم" حتي أصل إلي هاتف أستطيع الاتصال به منه.

- أوامرِكِ... لا تقلقِ سأنفذ ما أمرتِ به بالحرف.

- شكراً لكِ يا "يسرية"... تركتكم في رعاية الله وأمانه.

عبرت الطريق وركبت السيارة الأجرة، فتردد رجل داخل سيارة رمادي اللون تقف أمام النادي في اللحاق بها، ثم

حسم أمره ومكث في مكانه، لن يستطع اللحاق بها بالسيارة، فأول ملف سيقابله بعيد، ولا يمر الكثير من سيارات الأجرة بهذا المكان حتى يعبر ويستقل واحدة لينطلق خلفها، ولكنه حفظ رقم سيارة الأجرة واتصل بمرؤوسيه فوراً.

دخلت "يسرية" بعد اطمئنانها من ركوب "همسة" السيارة إلي النادي وضغطت أزرار هاتفها، فرد الطرف الآخر من أول جرس، فبادرته:

- الفأر في المصيدة..، هل من أوامر أخرى؟

سمعت الطرف الآخر يستحسن فعلها ويثني عليها، ثم أغلقت الهاتف، مستفسرة من أحد العاملين بالنادي عن باب آخر للخروج.

\*\*\*\*\*

- حقا؟... لم يدق الفرع بابي منذ مدة طويلة، ربي يعافي زوجي ويعيده إلينا، كي تكمل فرحتي ويقر عيني بوجوده وسطنا.

..... -

- علي اتفاقنا بالطبع، مع السلامة .

- ربي يبشرك بالخير دوما يا أمي، فوجهك سعيد مبتسم من هاتفك؟، وماذا قال لك لكي تسكن وجهك كل هذه



البشاشة؟... فلتغدق علينا بفرح مماثل، فالفرح لم يزرنا منذ حادثة أبي، وكأنه كان مصدره.

- كل خير يا "منال"، كنت أجامل إحدى صديقاتي، وهي أنستني بمزاحها، ما يهم الآن هو أنني أريد استشارة أستاذ استشاري غير الطبيب المعالج لوالدك لكي أكون ملمة بالأمر جيدًا عندما أحدثه بحزم، لأفهم منه الوضع على حقيقته، فوالدك لم تعد معدلات جسده، التي تشير إليها الأجهزة إلي المعدل الطبيعي منذ إفاقته وعودته مرة أخرى إلي غيبوبته، وكان حاله تدهور.

- ربي يحفظه يا أمي...، ولكن هذا الطبيب أستاذ استشاري، وهو الأفضل كما علمنا، أرجو ألا نتسرع حتي لا نغضبه، فيترك الحالة في المنتصف.

- بعض الأطباء اسم فقط يا ابنتي، ولكني سأحاول التريث، قبل أن أمسك بتلابيب ياقة معطفه امتثالاً لرأيك.

\*\*\*\*\*

- حسنا يا حاج "مصطفى"، الجلسة القادمة سنمضي العقود إذًا، ولكن لا تنساني من الخدمة التي طلبتها منك لتوفير السيولة الكافية لبدء المشروع.

- وهل ينسى الأب طلب ابنه، لا تقل عليها خدمة يا "آدم"، فأنت أصبحت في مقام "سامر" و"سهيل"



عندي بالضبط... كما أصبحت "ندى" في مقام "فدوى"  
ابنتي، بل ستكون أغلى وأغلى، ستكون قُرة عيني.  
- هذا شرف لي ولـ "ندى" يا حاج، مبارك مرة أخرى  
خروج "سامر" من هذه التهمة التي أحيكت له، ربنا  
يحفظه لك، لم أصدق بالطبع عندما سمعت بها،  
فسمعتكم تسبقكم.  
- بارك الله فيك يا "آدم"، سأنصرف أنا الآن لكي أتركك  
تقوم بعملك، وسعيد باتفاقنا أخيراً علي توقيع عقد  
الشراكة.

قالها "مصطفى" وهو يقوم عن مقعده بغرفة الاجتماعات،  
فأوصله "آدم" إلي الباب يتبادلون السلام والوعد باللقاء  
القريب.

صفق "صهيب" بيديه وقام لينحني بطريقة مسرحية، وهو  
يحيي "آدم":

- لقد أوقعته في المصيدة بسهولة دون أن يشعر، وكأنك  
معتاد علي ذلك، حقيقة أرفع لك القبعة.  
- لا تتعجل الفرح، فمن الجائز أن يكون قد انتبه إلي  
الفخ ويسايرني فقط، لن اطمئن إلا بالنتيجة الأخيرة،  
هكذا تعلمت، هيا إلي رأس عملك الآن، لقد ألقينا  
بخيطة السنارة وفي انتظار تناول الصيد للطعم.

أنهى "آدم" جملمته وهو يخرج من الباب، متجهاً إلي مكتبه،  
جلس علي المقعد، يفكر في الخطوات القادمة، يخشى أن

تكون "ندى" صائبة في أن دخوله في عداوات مع رجال الأعمال يعتبر تضحية بهم، بأهل بيته قبل أن يكون به، رن جرس استدعاء مسئولة مكتبه، فسمعها تدق بابه، أذن لها بالدخول:

- احضري لي هاتفي يا "ياسمين" .
- أوامر سيادتك... لحظة واحدة.

غابت لحظات، ثم دخلت وفي يدها الهاتف.

- لم يتصل أحد من من حددت لي، فقط مكالمات أخرى عادية.

- حسنًا شكرًا لك، تستطيعي الانصراف... واطلبي لي فنجان من القهوة.

أمسك بهاتفه ليفحص المكالمات الصادرة، فوجده مغلق... فتحه وهو يضغط جرس استدعاء "ياسمين" مرة أخرى بغضب، فدلقت:

- كيف لم تنتبه إلي انتهاء شحنه، قلت لك هناك احتمال ورود مكالمات هامة في أية لحظة، ما هذا الإهمال؟
- لقد فحص....

أشار لها "آدم" بالتوقف، لقد ورد رسائل تدل علي اتصال أحد مراقبي "همسة" وأبناء أخيه، أكثر من مرة، فضغط الأزرار ليتصل بهم، ولكن هاتفه رن برقم آخر.



- انصرفي الآن، وادعي ربك ألا يكون قد حدث مكروه...،  
وإلا ستتكلفين وظيفتك ثمناً لإهمالكِ.
- سيد "آدم"، أقسم لك لقد فحصته و....
- قلت تستطيعين الانصراف..، اذهبي إلي مكتبك الآن.

خرجت من مكتبه، فلعن هذا الوضع، لقد كان في الماضي يتركه بالمكتب، ولكنه وبعد ما حدث لـ "هند" تركه معها مؤكداً عليها الرد علي عدة أرقام كان قد حددهم لها، زفر بضيق ثم رد على الاتصال:

- السلام عليكم يا "ندى"، كيف حالك حبيبتي؟
- عليكم السلام ورحمة الله وبركاته، بخير يا "آدم" حمداً لله، أين أنت؟
- أنا في المكتب، لماذا؟
- كنت أحسب "همسة" معك، هل تعرف أين هي؟
- في النادي مع "هند" و"هيثم"، لماذا لم تتصلين علي هاتفها؟
- اتصلت ولكنه يرن إلي النهاية دون رد، أنا في النادي يا "آدم"، "هند" و"هيثم" وحدهم وقد انتهوا من التمرين ولكن "همسة" غير موجودة، بحثنا عنها كثيراً، ولكنها غير موجودة .
- كيف هذا؟...، أين ستذهب دون إخباري؟...، أغلقي الآن يا "ندى" وسأعاود الاتصال بكِ، ولكن لا تتحركِ من مكانكِ.



أغلق الخط دون سماع ردها، واتصل بمن وظفهم للمراقبة،  
فأتاه الرد سريعًا:

- أهلاً يا "فادي"...، لقد اتصلت بي ما الأمر؟

أخبره محدثه بما حدث أمام عين أحد رجاله، الذي خرج وراء  
"همسة" إلي البوابة الخارجية، ومقابلتها لـ "يسرية"، ثم  
ذهابها في سيارة أجرة كانت تنتظر علي الجانب الآخر،  
فيما مكث هو ورجاله موزعين كل في مواقعه لمراقبة  
الطفلين ومكان طاولة "همسة"، لأنه لم يتوقع مغادرتها، بل  
توقع عودتها مرة أخرى للطفلين.

قام "آدم" عن مقعده، تنفر عروق رقبتة، الغضب يرسم  
ملامح وجهه بدقة، يصرخ فيه بصوت بته جام قلقه وغضبه:

- هل أنت مبتدأ؟، كيف لم يلحق بها أحد رجالك، إذا  
كنت استأجرت أحد الهواة كان تصرف بعقلانية أفضل  
منكم.

- اهدأ يا سيد "آدم"، فنحن نعلم أن جميع أفراد أسرتك  
لن تنتقل إلي أي مكان قبل إخبارك، وبالرغم من ذلك،  
لقد أخذ رجلي رقم لوحة السيارة، نستطيع البحث  
عنه بسهولة.

- ابدأ إجراءات البحث عنه فورًا، فزوجتي مفقودة بالفعل،  
تشير المعطيات أنها... أنها أُختطفت.

\*\*\*\*\*



هناك أمراض القلوب وهناك أوجاع القلوب..  
الأولى دوائها إما وصفة طبيب أو عملية جراحية.. أما  
الثانية فدوائها لم يُكتشف بعد.



تصبر يا فؤادُ فإنَّ ربِّي  
بكلِّ مواجعِ البلوى عليمٌ  
أتحزنُ و الدُّعاءُ لديك كنزٌ  
إذا ما أظلمَ الليلُ البهيمُ  
إذا ما أنتَ ترفعُ كفَّ بوحٍ  
فهل يبقى انكساركُ أو يقيمُ؟



## الفصل العاشر

- ادخل.. تعال يبدو أن حماك المستقبلية ستحبك..،  
كل مرة تأتي علي طعام..، حقًا لماذا لم تتزوج حتي  
اليوم يا "حسام"، لقد تجاوزت الخامسة والثلاثين؟

جلس "حسام" مسترخيًا في مقعده، قبل أن يجيب:

- لست من هواة محبي تعذيب أنفسهم..، لماذا أجلب  
امرأة تثقل رأسي بـ أين كنت، ولماذا فعلت، وأموال  
تُصرف، وتحجيم لحرיתי يُكبلني؟..، هكذا أفعل ما  
يحلو لي، وعندما أتقدم في العُمر أتزوج إحداهن  
لتخدمني..، علي كل دعنا من هذه السيرة التي  
تثقل الرأس..، عندي أخبار هامة.  
- فلتنهي الطعام أولًا يا رجل، هل أترك الطعام يبرد من  
أجل أي قضية مهما كانت؟!، هذا هو العشق  
الحقيقي.

قال "سالم" جملته الأخيرة وهو يقضم ربع شطيرة كانت  
في يده دفعة واحدة، فنظر إليه "حسام" متعجبًا، من يرى  
جسده الأقرب إلي النحافة لا يتوقع كمية الأكل التي يأكلها،  
ولا نهمة في الطعام عمومًا.



- أنا شبع..، سأبلغك بآخر التطورات وأنت تكمل طعامك..

- ما دمت مُصر ألا تأكل هات ما عندك.

- لقد عثرت علي "همسة شهاب الدين" التي كان يراها القتيلان "متولي" و"هنا".

تحدث "سالم" وفمه مملوء بالطعام:

- جيد.. ولماذا لم تحضرها إلي هنا، فهي ليست ذو

منصب أو حتى أهل ومال، لكي ننتظر أمر النيابة

لاستدعائها، فلتحضرها وبعد ذلك نستخرج القرار.

- أختطفت ظهيرة اليوم.

سعل "سالم"، وهو يبتلع إحدى قضماته، فناوله "حسام"

الماء سريعًا رشف القليل وهدأ سعاله، فأكمل "حسام":

- لقد تزوجت رجل الأعمال "آدم الشامي"، وأختطفت

اليوم لسبب مجهول، يتولى قضيتها بالتوصية الضابط

"خالد صادق" ضابط بقسم "قصر النيل"، انتدب إلى

قسم "ثالث أكتوبر" شكليا لموافقة الأمور القانونية

فقط، لأن الجريمة تابعة له، ولكنه لا يذهب إليه كثيرًا،

انتدب بالتوصية بناء علي طلبه، لأنه صديق لزوج

"همسة".

- "خالد صادق"..، ومن لا يعرفه؟..، لي معه صولات

وجولات..، وأخيرًا تقابلنا مرة أخرى، يبدو أنني سأحب

هذه القضية وأوليها اهتمامي.



قال جملته وعينه شاخصة تنظر إلي اللا شيء، يكسوها نظرات الغل والكراهة، زاهدًا في طعامه، فعلق "حسام"، وقد توجس من ملامحه التي تحولت فجأة:

- يبدو أنك تُكن له معزة خاصة.
- نعم.. بالطبع...، ستذهب إليه لتخبره أن قضايانا تلاقى، ولا بد من التعاون معنا وإبلاغنا بكل جديد أول بأول، ونحن كذلك...، لا تكسب عداوته الصريحة، فنحن سنلاعبه من تحت الطاولة.

\*\*\*\*\*

فتحت عيونها وأغلقتها بإرهاق مرات، حتى استعادت وعيها وإدراكها، دارت بها في الغرفة، لا تزال ممددة غير مستوعبة لما هي هنا؟، لا تتذكر ماذا حدث قبل فقدانها للوعي؟، فصدما عقلها فجأة بالحقيقة دفعة واحدة، انبثقت ومضات غير مفهومة تنير وتخبو في عقلها لأحداث متداخلة، فهمت منها أنها اختطففت، ولكن لماذا يتداخل الماضي مع الحاضر؟، يبدو أنها مرت بأمر مشابه في أيامها الخوالي قبل فقدانها للذاكرة، فبعض المشاهد كانت وهي أصغر من وقتها هذا؟.

اعتدلت جالسة عن هذا الفراش الأرضي، يؤلمها جسدها، يبدو أن خاطفيها استكثروا عليها نومة كريمة.



أغمضت عينيها واعتصرتها، تحاول التذكر غير عابئة بآلام ظهرها، فبدأت دوائر الضوء التي تضيئ وتنطفئ تتسع رويدًا رويدًا، استدعت كامل تركيزها، تحاول النظر عبر المنطقة المظلمة بعقلها والتي يمنعها من دخولها، وكأن مشاعرها ترأف بها من هول هذه الذكريات، وتقف حارس علي بابها.

رأت رجل وامرأة يقفان بعيدا عنها لم تتبين ملامحهما، بالكاد تبينت هئيتهما، نغزها قلبها بحنين دامي، فجال بخاطرها أنها تقترب من والديها، فهي لم تر صورهما مطلقًا بعد فقدانها للذاكرة، لقد أخبرتها "هنا" أن الصور احترقت في المنزل ولم يتبقَ منها شيء، حينها استعاضت عن الصور الملموسة بأخرى في خيالها لهما، رفعت يدها وكأنها تحاول مناداتهما.

- ماذا تفعلين؟... أتستدعين الساحرة الطيبة، أم أرواح شريرة للقضاء علينا؟

قطع محاولات تأملها صوت رجل يعلق ساخرًا، ثم أرجع رأسه إلي الخلف، يقهقه ضاحكًا.

فتحت عينيها بغضب، لترى جسد نحيل، ووجه منحوت كالمومياء يكمل هئيته المزرية اسوداد تحت العينان يبدو من شدته وكأنه خُط بالقلم، يعلوه شعر مجعد مهمل يطول إلى ما بعد أذنيه، فنظرت إليه باشمئزاز غير عابئة بضحكاته المقززة تسأله:



- أين أنا؟...، ولماذا أحضرتموني إلي هنا؟

توقف ذو الجسد النحيل عن ضحكاته، ونظر إليها برغبة، فتجلى جحوظ عينيه أكثر، ليعث المزيد من الرعب في قلبها، يجيبها وهو يقترب منها :

- أنتِ هنا ضيف شرف، أحضرتناكِ لأجلكِ، ولكن هذا القدر الجميل لا بد أن يحظى ببعض التقدير، قبل أن يواريه التراب أو معدة حيوان جائع.

لم يتبدل اشمئزازها منه، بل زاد عليه خوفها وهلعها، ولكنها أبت إظهار رعبها له، قامت عن الفراش الأرضي تستدعي بديعتها، يبتهل قلبها ولسانها بالدعاء، ثم أمسكت بتلابيب صوتها الهارب وتحدثت أخيراً بنبرة تحاول ألا تظهر فيها ضعفها:

- وهل تتوقع مسامحة مرؤوسيك علي تصرفك هذا...، أم أنهم سيلقونك معي كما قلت لإطعام معدة حيوان مفترس فارغة؟

- لا تلقي بالا لغضبهم، فيبدو أنهم يكرهونك كثيراً...، أما بالنسبة للحيوان الجائع، فلن يهمه ما حدث في وليمته قبل افتراسها بالطبع.

ازدرت ريقها وهي تلتصق بالحائط، ثم ناجت المولي بقلب يحسن الظن في خالقه، يعرف أنه لن يصيبه إلا ما كُتب له، ودعمت توكلها بمحاولات تعطيله، ربما تنزل معجزة لنجدتها:



- أنا واثقة أنك لن تصيبنني بأذى، طالما أن الله معي،  
فأنا لا أخافك، بل أشفق عليك.

قهقهه ضاحكًا، وقد اقترب منها كثيرًا، ثم تحدث وهو يلحق  
شفتيه مررًا لسانه عليها مرات، يمسح أنفه بكفه، كمدمن  
قديم في تعاطي المخدرات، ليزيد من أنفتها منه:

- هذا ما يسمى حلاوة الروح.

ثم انقض عليها ولكن بنيتها الضعيفة سهّلت لها الدفاع عن  
نفسها جيدًا، فتمكن أخيرًا من تكبيل يديها خلف ظهرها  
بيديه في غفلة منها، ولكنه توقف مع صوت جمده مكانه:

- "رامي" !!

انتهزت الفرصة لدفعه بعيدًا عنها، فالتفت "رامي" إلي  
محدثه متذمرًا بخوف، فرئيسه عندما يغضب لا يرحم، تحدث  
بتلعثم:

- ماذا.. ماذا حدث؟.. لقد كنت أسلي وقتها قليلًا..، ما  
الأمر ألن نقتلها؟..، فما المانع من التمتع بها قبل  
قتلها؟

برقت عين رئيسه واشتعلت غضبًا، ثم أخرج سلاحه من  
غمده يداعبه، يعلق وهو ينظر للسلاح:

- هفواتك كثرت يا "رامي"، وأنت تعلم ثمن الأخطاء في  
مجالنا..، لولا مهارتك في القنص لما بقيت وسطنا.



صمت قليلا، ثم رفع عينه إليه، يرميه بنظرات جمدت أطرافه وأردف:

- علي قيد الحياة بالطبع منذ مدة طويلة... انتبه لنفسك، ولا تجعل ما تتعاطاه يكون سبب في إنهاء مسيرتك، بل وعمرك كله، أنت صديق للأسلحة، ولكنها غدارة لا تأمن لها، فلتحذر من رصاصة غاضبة طائشة قد تودي بحياتك.

ارتجف "رامي"، وهو يرجع إلي الخلف يعلم ماهية هذا التحذير جيدا، ثم رد متلعثما:

- أوامرك يا زعيم... نحن جميعا نأتمر بأمرتك، أعذرنى إن جودت من عندي قليلا.

كاد رئيسه يرد ولكن أوقفه صوتا بالخارج، فأمر "رامي" بالخروج، ثم نظر إلي سجينته نظرة شامته تتسع حدقته بحماسة، ورمأها بسهام كلامه التي أصابت هدفها جيدا:

- استعدٍ لحتفك... لقد اقترب موعد رحيلك عن هذا العالم، ليس برصاصة رحيمة أو سكين بارد، بل بأصعب مما يصل إليه خيالك... فأنا دائما مميز ومبدع في طرق قتل ضحاياي، كلٌ بحسب قيمته.

أغلق الباب خلفه بإحكام، بينما لم تتحرك هي من مكانها قيد أنملة، ملتصقة بالحائط تحافظ علي غنيمتها التي سرقتها من "رامي" دون علمه عندما انقض عليها.



أسرعت تخرجها علي الفور، وهي تبتهل بالحمد علي تيسير ربها وإتاحة الفرصة لسرقة هاتفه، حولته علي الصامت، ثم ضغطت أزراره بسرعة منتظرة الرد بفارغ الصبر قبل اكتشاف أمرها ولكن لا مجيب، همت بالمحاولة مرة أخرى، ولكن قبل أن تضغط زر الاتصال، فُتِح الباب فجأة، ودخل عليها مجموعة رجال سرقوا النفس من الغرفة.

زادت سرعة تنفسها كأن رثيها تستغيث، بالرغم من أن الغرفة خالية تماما من كل شيء إلا من نافذة صغيرة تقترب من سقف الغرفة عليها سياج، أو يبدو أن أنفاسها هي التي حُبست خوفاً، تزامنا مع ارتعاش يديها.

\*\*\*\*\*

- كيف حالك يا "ندى"؟  
 - لا أعرف ماذا أقول لك... الحمد لله على كل حال.  
 - ماذا حدث؟... لماذا هذا الرد؟... خيراً؟  
 حاولت ألا تخونها دموعها، ولكنها لم تمتثل لها وهبطت مرة أخرى وهي ترد:

- لقد أختطفت "همسة" يا "ملك".  
 - ماذا؟!... متى حدث هذا؟... وكيف؟  
 - ظهر اليوم... أي في وقت الذروة... اختطفت أمام الجميع ولم ينتبه أحد.



- يا الله... لقد كنت أتصل للاطمئنان على موضوع خاطبك، واعتذر منك لانشغالي عنك...، لقد سافر أخي صباح اليوم، فأثرت الاتصال بك فوراً.
- وهذا له قصة أخرى...، ملخصها أنني يُعتبر فسخت الخِطبة، لكننا لم نخبرهم بعد.
- ماذا؟!...، ما كل هذه الأخبار؟...، كلي آذان صاغية، فلتسردي لي ما حدث بالتفصيل.
- ليس بي أي عقل يا "ملك"، أنا قلقة على "همسة"، لماذا اختطفت؟، وماذا يريد منها خاطفوها؟، فهي ليس لها أعداء مطلقاً، وأخي كذلك، فلماذا هي إذا لا أفهم؟
- حسنا هوني علي نفسك يا "ندى"، سأمر عليك صباح الغد لأفهم منك ما حدث، لعلي أستطيع إفادتك بشيء...، فلندعو لها جميعاً تعود سالمة.
- جزاك الله خيراً يا "ملك" في انتظارك، فأنا بالفعل احتاجك بجانبني.

أغلقت "ملك" مع "ندى"، وطلبت رقم أخيها في "إيطاليا" في الحال، فلم يرد إلا قرب انتهاء الجرس:

- السلام عليكم...، خيراً يا "ملك"، فأنا لم أكمل وضع ملابسي بالخزانة حتى...، ما الأمر يا قدرتي؟، كنت انتظرت للغد حتي تكوني قد أوحشتني.
- عليكم السلام، ما كل هذا الترحاب؟!، الحق علي أنا التي اتصلت لأبشرك بأمر سيجعلك تبقي ملابسك

بحقائبك، وتأتي علي أول طائرة، عذراً يبدو أنني طلبت رقم خطأ... سأغلق الآن.

- انتظري يا أميرتي.. يا جميلتي..، أنا أقصد قدري الجميل بالطبع، ما الأمر يا خلوتي؟

- أصبحت أميرة جميلة.. وحلوة أيضاً، أين لقب "دبدوبي" و"قدري" و"طفيليتي" و"ثرثارة"؟!، تبدلوا في لحظة!.. آه منك، ماذا أفعل قدري أن أكون مستشارتك وحكيמתك التي ترعاك رغم أنني الأخت الصغرى، فنادرًا ما تجد امرأة بقلب وعقل كبيرين... مهذور حقي دائماً فليكن... أحب أن أزف إليك خبر سعيد.

صمتت قليلاً، لتزيد شوقه وتضفي جو الإثارة علي كلامها، فتحدث مفتعل نفاذ الصبر:

- يا صبر أيوب... انتظرت كل هذه الثرثرة لتختتمي بهذه المعلومة الدسمة... انجزني يا "قدري".

- مهلاً.. مهلاً... انتظر سأقول لك حالا، لما العجلة؟.

صمتت هنيهة، ثم أضافت بمرح تداعبه:

- لقد ولدوا شباب هذه الأيام، وقد وسموا علي جباههم بالعجلة...، الله يكون في عون حبيبة القلب، ستعاني معك كثيراً.

تغير صوته وتحولت نبرته من المداعبة للحزن وهو يعلق:



- لا أظنها ستأتي علي الأقل في الوقت الحالي، فأنا ليس لدي نية للارتباط في المستقبل القريب.  
 - مسكينة "ندى" إذًا... لا نصيب لها معك... كنت سأمهد لها أثناء زيارتي لها اليوم، بعدما فسخت خطبتها... ولكن يبدو أنك صرفت نظر، مع السلامة إذا لا داعي للمكالمة.

بهت "جاسر" وصمت يستوعب الخبر بهدوء، ثم سألها بلهفة وعينيه تلمع بالفرح:

- ماذا؟... كيف حدث هذا؟... ولماذا؟  
 - ألم تقل أنك لن ترتبط في المستقبل القريب، ما لزوم معرفة التفاصيل؟  
 - تحدثي يا مزعجة وكفاك ثرثرة، هات ما عندك من تفاصيل؟  
 - لا أعلم تفاصيل حول الأمر، سأذهب إليها صباح الغد لأفهم منها، وأحاول مؤازرتها بسبب خطف زوجة أخيها.  
 - ماذا؟... لا حول ولا قوة إلا بالله، ربنا يعيدها إليهم سالمة غانمة.  
 - اللهم آمين.. فحالة "ندى" صعبة جدًا بسبب اختفاءها، ولكن نأمل أن تعود في القريب العاجل بإذن الله، أنت ستعود إذا في الحال، صحيح؟  
 - لا يا "ملك" ما دمت جئت فلا بد من إنهاء الاتفاقية مع الشركة الإيطالية، لن أهول إلى "مصر" لمجرد



سماعي خبر انفصالها، لست بهذا الضعف، يسيرني  
قلبي ومشاعري، لست هوائي لن تهون علي نفسي  
أهبط بها إلي هذا الدنو، سأنهي مهمتي هنا وأرى  
متي سأعود.

قالت بحزن وخذلان:

- كنت أظنك ستبادر بالحجز علي أول طائرة.
- أنسييتي أخاك؟!...، لا أنكر أني فرحت لفسخ الخطبة،  
ولكني جئت إلي هنا للعمل...، لن أطيرو وأترك كل  
شيء خلفي لمجرد تعلقي بامرأة أي كان هذا  
التعلق...، سأنهي ما جئت من أجله أولاً، لا بد أن  
أتحمل مسئوليتي حتي النهاية، ثم إن زوجة أخيها  
مخطوفة، فهذا ليس وقت الكلام في هذه الأمور،  
كوني بجانبها يا "ملك" ولا تتركها.

\*\*\*\*\*

- يا لحظك العاثر؟!...، فعندما تتخلص من هذا الخاطب،  
يظهر لك اختطاف زوجة أخيها؟، ثم إن ما حكاية حالات  
الاختطاف العجيب في هذه العائلة؟!...، وكأنها لعبة!.
- لا أعلم السر يا "شادي"...، فهي بالفعل حالات غريبة،  
في كل مرة يتم الاختطاف دون ترك آثار تقفي، و لا



يتصل الخاطفون لعرض مطالبهم، ثم يعود المختطف ولا نفهم سبب اختطافه حتى.

صمت قليلا يتنهد، ثم أكمل:

- أما بخصوص "ندى" ليس أمامي سوى الانتظار، ومحاولة الوصول إلي الجاني بأسرع وقت، ولكن صدقاً ليس من أجل التقدم لخطبتها فقط، بل من أجل صديقي وزوجته دمثة الخلق أيضاً، فأنا لم أنم منذ الأمس سوى ثلاث ساعات تقريباً، أحاول الوصول إلي الخادمة "يسرية"، وربط الأحداث ببعضها..، هناك حلقة مفقودة لا أفهمها.
- أما أنا سأبذل قصاري جهدي في هذه القضية، ليس من أجل هذا المتعجرف "آدم"، ولكن لأنه عملي، ومن أجل "همسة" أيضاً، صراحة لقد انبهرت بها منذ زيارتنا الأولى لهم، فإذا كانت خالية الوفاض كنت طلبتها علي الفور.
- اصمت يا "شادي" لأنني سأطبق علي رقبتك، بسبب هذا التبجح، ما قلة التهذيب هذه؟، ألا تستحي أنها امرأة متزوجة وزوجها صديقي؟
- لا يستطيع المرء أن يفضض معك قليلا يا أستاذ الفضيلة..، تُدخلنا في الدين والعادات والتقاليد وما يصح وما لا يصح، سأتركك وأذهب لتنفيذ ما اتفقنا عليه، لا طاقة لي لمجاهتك الآن.



قام "شادي" من مجلسه، وقبل خروجه دق جرس هاتف "خالد"، فاستوقفه :

- انتظر إنه "آدم"...، لعله جد جديد في الأمر.

- عليك السلام يا "آدم"، خيرًا؟

- .....

- حسنا أعطني الرقم وسأبحث لك عنه بطريقتي.

أغلق "خالد" الهاتف وهو يدون آخر رقم، فسأله "شادي":

- ماذا حدث؟

- لا جديد يذكر...، مجرد تخمين منه، لقلقه علي زوجه

فقط...، قال أن هناك رقم اتصل به، ولكنه وصل إلي

الهاتف مع آخر رنين له، اتصل بالرقم بعدها فأغلق

صاحبه من أول جرس، عاود الاتصال مرات أخرى وجده

في كل مرة مغلق...، أمر عادي يحدث كثيرًا، ولكني

سأبحث له عنه، لعله يكون مصيبًا، لن نترك أي طرف

خيطة، اذهب أنت الآن لتمشيط جميع المناطق الجديدة

التي توصلنا أن لها علاقة بـ"يسرية"، فهي طرف

الخيطة الوحيد المعروف لنا الآن.

\*\*\*\*\*



- أهلا بكن...، أبشركن أنه سيفيق في أية لحظة لقد عادت مؤشرات الأجهزة إلى المعدلات الطبيعية بفضل الله.

- حمدا لله يا دكتور، شكراً لك.. شكرا لك كثيراً.  
- الشكر والفضل كله يعود إلي الله آنسة "دنيا"، نأمل أن يفيق الساعات القادمة بإذن الله.  
- السلام عليكم.

رد الجميع تحية القادم إلا واحدة فقط...، ظلت تحملق في القادم بغیظ، وهي تجز علي أسنانها، لم تنس وجهه المتعجرف ولا صوته الساخر أبداً.

- أعرفكن بابني، الدكتور "نور الدين هلال"، طيب جراح هنا بالمشفى، وهو ابني الأوسط.  
- تشرفنا بك يا دكتور، لنا الشرف بمعرفتك، فلا بد أن يكون هذا الشبل من ذاك الأسد، لقد بشرنا أبیک بكل طيب عن زوجي الحمد لله... هؤلاء بناتي "منال" بكالوريوس "آثار"، و"هاجر" ليسانس "السن"، و"دنيا" في السنة الثالثة من كلية العلوم.

قدمت "سهام" بناتها بابتسامة لطيفة، وهي تشير إلي كل منهن علي حدة، فعلقت عينيه بعين "هاجر" وهو يبتسم بزهو، ثم ردها إلي "سهام" وهو يحني رأسه احتراماً، قبل أن يرد:



- الشرف لي بمعرفتكم سيدة "سهام"، أتمني شفاء زوجك وعودته إليكم في أسرع وقت بإذن الله.
- إن شاء الله بني، سيسعدنا رؤيتك دوماً..، لا بد من استقبالكم في بيتنا بعد عودة الحاج بإذن الله.
- سيسعدنا ذلك سيدة "سهام"، والآن لا داعي لوجودكن إذا أحببتم المغادرة، بعد إذنكن.

قالها الطبيب "هلال" وهو يغادر مع ابنه، تشيعهما "سهام" بنظرات مقيّمة، فقطعت "هاجر" تركيزها، وهي تتحدث بغضب وغضب:

- هذا المتعجرف الذي دعوتيه إلي بيتنا، هو الذي أهانني أول أمس هنا، ولولا وجود والده الذي يعالج أبي وبشارته منذ قليل، لكنت كيّلت له مما يستحق.
- حمدًا لله أنك لم تتهور، كل البنات يحيكن للرجال إلا بناتي..، واحدة عقلها لا يعمل منذ انتهت من كليتها، وواحدة لسانها طولها، لا تهتم بكونها أنثى ترشق بالحجارة كل من تراه.. سليطة اللسان، والأخيرة تظن نفسها مازالت صغيرة زاهدة عن الزواج وأساليب بنات هذه الأيام، بهذه الحالة ستظلون بجانبني إلي أبد الأبدين .

- أنتِ الخير والبركة يا "سوسو"، ننتظر تعليماتك لننفذها، فلم يرث منك العقل والحكمة أي واحدة منا.



قالتها "منال"، وهي تداعب أمها مبتسمة، ثم خلفتها "دنيا" تلتف مزاج أمها:

- الزواج رزق يا "سماسم"، وكل ما تفعله البنات إن كان صحيح، فهو مجرد أسباب وإن كان خطأ، فهو نقمة وليس بنعمة.
- وأنتِ ألا تودين إلقاء كلمة أنتِ الأخرى؟
- كلمتي لن تعجبك، فما زال رأسي يعج بالأفكار
- ولساني يعد السباب، وضميري يؤنبني علي عدم أخذ حقي منه.
- ربي يصبرني عليكم، هيا نعود إلي البيت لأن لدي بعض المشاوير التي أود إنهاءها، حتي إذا تمّ المولي إفاقة أبيكن علي خير نكون مُهيئين ومُتفرغين له.
- سأمكت أنا يا أمي بدلا منك مع أبي، ولتذهب أنتِ لقضاء حوائجك .
- كما تشائين يا "دنيا"، ولكن إذا جد جديد اتصلي بنا فوراً... هيا يا بنات .

غادرن جميعاً...، استقلتا "هاجر" و"منال" سيارتهما التي قادها "رمضان"، فيما ذهبت "سهام" بسيارتها التي جلبتها معها لقضاء مشاويرها بها.

\*\*\*\*\*



- أعتذر منك كثيرًا يا حاج "راغب"، رأسي يضج بالكثير من الأفكار وقلبي مُثقل بالهموم، فتأجيل عملية "مصطفى طاهر" وابنه "سامر" خارج إرادتي.
- لا بأس يا بني، فعذرك معك بالطبع...، ربي يعيد إليك زوجتك سالمة غانمة بإذن الله، إذا أردت إنهاء ما اتفقنا عليه وحدي مع "مصطفى" بحجة انشغالك، فأنا لها.
- بارك الله فيك يا حاج، ولكنني أريد أن أضرب الضربتين في وقت واحد لكي لا يستطيعا النهوض...، ولا أريدهم يعلمون بصلتنا لكي لا يشكون في الأمر.
- حسنا يا بني كما تريد...، أنت أدري بالتعامل مع هؤلاء الملاحين، ربنا يخلصنا منهم علي خير، وإذا احتجتني في أي شيء أنا موجود بالطبع لا تتردد في الاتصال بي.
- جزاك الله خيرًا يا حاج، فهذا ما أرجوه فيك بالطبع، تركتك في رعاية الله وحفظه.
- من كان معك يا "آدم" ؟
- هذا أمر خاص بالعمل يا أمي، لم يردن أي اتصال من أحد بعد.

جلست "عايدة" أمامه بقلة حيلة، لقد أنهكتها الهموم التي تحل عليهم واحدة تلو الأخرى، فبدى وجهها أكبر من ذي قبل، وتهدل كاهلها بعد أن أثقلته الهموم، نظرت إلي ولدها بإشفاق وهو يمسح علي رأسه ثم وجهه، ويستند برأسه علي ظهر مقعده بإرهاق، حدثته بنبرة مكلومة حانية:



- اذهب واسترح يا "آدم" قليلا لكي تستطيع تجديد البحث والتفكير بعمق، فأرهاقك البدني والذهني لن يفيد بأي شيء يا بني.
- لا أستطع إغماض جفن قبل أن أجدها يا أمي.
- صمت هنيهة ثم رفع رأسه ينظر إليها بعين زائغة، وكأنه لا يراها مرأى العين كما عقله الهائم، وأردف:
- أختطفت قبل أن أعوضها عن جفائي اتجاهها وظلمي إياها يا أمي، وكان همي باشتياقي إليها ليس بكافي، ليخرج لي ضميري فيؤنبنني هو أيضا علي معاملتي القديمة لها، قدرتي هو الألم دوماً، ولكنه هذه المرة ألم ناتج عن نصل سكين بارد لا يصيبني في مقتل بل يُشرح قلبي بجروح متناثرة كأنه يخط عليه، دون الوصول إلي العمق.
- لقد أصبت نياط قلبي يا "آدم" رفقا بي وبك يا حبيبي..، احمد الله واسترجعه<sup>40</sup>، لعله خير..، فقد الله خير دائما، وأنا علي يقين أنها ستعود لنا سالمة غانمة بإذن الله، لن يفجعنا فيها..، لا أعرف ماذا حل علي هذا البيت فجأة؟..، هل كونت عداوات مع أحد يا "آدم" أصدقني القول يا ولدي.

<sup>40</sup> - استرجاع الله في المصائب سنة وعبادة: وهو قول إنا لله وإنا إليه راجعون، كما جاء في الحديث الشريف >> ما من مسلم تصيبه مصيبة، فيقول ما أمره الله: إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم أجرني في مصيبتى، واخلف لي خيرا منها، إلا أجره الله في مصيبتى، وأخلف الله خيرا منها >> .. رواه مسلم.

أعاد رأسه إلي ظهر المقعد مستندًا عليه، وقد استلم عقله من قلبه الدفة، فعادت طواحينه إلي العمل دفعة واحدة، لقد فكر كثيرًا في أعداءه ولكنه لم يتوصل إلي شيء.

تنهد ثم أجاب بنبرة يائسة مجروحة بسكين الاشتياق:

- ليس لي أعداء كثر يا أمي... لا أعادي أحد في المعتاد إلي الحد الذي يجعله يختطف أحد أفراد عائلتي.

صمت برهة يضيق حدقتا عينيه أكثر وهي مغلقة معتصرًا إياها، كمن يحاول سبر أغوار الزمن لعله يخبره بما يحدث، أو يتنصت إلي الهواء لعله ينقل إليه خبرها، فكيف لقلبه العجز علي أن يصبح بوصلته إليها؟.

مسح علي رأسه، ثم أردف:

- أنا واثق أن هناك أمر ما بعيد عن عملي يا أمي، وسأصل إليه بإذن الله لن أخذلها.

أكمل بصوت كأنه يصدر من أعماقه وليس من فمه، مصدره قلبه وليس صدره، وقد تناسى وجود والدته:

- وكيف لي بالتهاون في البحث عن الروح التي أعادتني إلي الحياة مجددًا، بعد أن كنت جسد هربت منه روحه فارة من جروح قلبه المثخنة، خالي الوفاض من كل الألوان مختزلًا إياها في الأسود فقط، فأحاله إلى



جسد معتم وأرض بور جدباء...، ثم دخلت هي كالشمس علي الجسد المظلم البارد لتنيره بضياؤها وتسكن ارتجاف غضبه بدفئها، كالماء والظمي فتزهر أرضه بعد الجذب بثمار حبها.

قام عن مقعده وسحب مفاتيحه ودفتر "همسة" الذي جلبه من غرفتها يستعد للخروج، يتحدث بنبرة غاضبة، لا تعلم أمه إذا كان يحدثها هي أم يحدث ضميره وقلبه اللذان خرجا عن سيطرته:

- لن أفرط في هذه النعمة أبدًا، طالما فيّ قلب ينبض ونفس بصدري يتردد.

قامت عن مقعدها متجهة نحوه، وقد استبد بها القلق عليه، كم تمنى أن تعود إليه روحه القديمة، ويشع جسده من جديد بمختلف ألوان الحياة ولكنها خائفة عليه من هذه العودة الملبدة بزحام العقد والمصاعب بعد سبات، ندمت علي أنها دعت بعودته فقط، ولم تدع أن يعود إليها عودًا جميلًا<sup>41</sup>، تخشى عليه من جماح غضبه المغلف بالاشتياق.

لم يعد لديها غيره هو و"ندى"، لقد اعتبرت "همسة" ابنتها وقلبها مكلوم عليها، ولكنها ليست بين يديها الآن، لا تريد التفريط بأحد آخر من عائلتها، أمسكت مرفقه برفق وحاولت تهدئته، وهي تمسد ظهره بحنية:

<sup>41</sup> - تيمنا بالدعوة المستحب الدعاء بها لما تحوي من فوائد كثيرة، "اللهم ردني إليك ردا جميلا"، أي أن يردك الله بلطف دون أن يتللك بمصيبة، أن تعود دون أن تجرك المصائب والأزمات إليه جرا، كأن تستيقظ من غفلتك بسماع آية أو موعظة ما أو رؤية ما يثلج صدرك ويثخن نياطه بدون أوجاع وابتلاءات.

- لا تجزع يا "آدم".. اعلم أن الجزع يشمّت عدوك..،  
ويسوء صديقك..، ويغضب ربك..، ويسر شيطانك..،  
ويحبط أجرك..، ويضعف نفسك..، فإذا صبرت واحتسبت،  
رضي ربك..، وسر صديقك..، وساء عدوك..، فأياك  
والسخط علي المقدور.

- لا أقصد السخط أبدا يا أمي، استغفر الله، ولا الجزع..  
لم أصل إلي هذا الأمر، فالأساس الذي بُني عليه ديني  
وإيماني متين الحمد لله لا تقلق، لقد فضفت إليك بما  
يعتمل في صدري دون شعور مني لا أكثر.

- أحسنت يا بني وهذا عهدي بك، ولتكن من المؤمنين  
الذين شبههم الرسول صلى الله عليه وسلم في  
الحديث الشريف<sup>42</sup> بـ"الخامة" أي الغصن اللين الرطب  
من النبات يتحرك مع الرياح يمناً ويسرة لا تكسره،  
فكن حكيمًا كعهدي بك ولا تتصرف تصرف أهوج، أنت  
بمنأى عن هذه التصرفات.

- اطمأن يا أمي.. أنا سأمر علي "خالد"، لعل عنده  
جديد، أو لعلني أساعده في أمر ما.

قبّل يدها وجبينها، ثم اختلس بسمه علي وجهه ليطمئنها،  
وغادر مع نزول "ندى" الدرج، فشيخته بعينيها الدامعة.

<sup>42</sup> - عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "مثل المؤمن كمثل الخامة من الزرع، من حيث أنتها الريح كفاتها، فإذا اعتدلت تكفأ بالبلاء، والفاجر كالأرزة صماء معتدلة حتى يقصمها الله إذا شاء"، فشبّه الفاجر بالشجرة العظيمة التي لا تحركها الرياح ولا تزعزعا حتى يرسل الله عليها ريحا عاصفا فتقلعها من الأرض دفعة واحدة.

أقبلت علي والدتها تُقبل رأسها، ثم جلست قبالتها، تتحدث  
بنبرة مُنكسرة:

- كيف حاله يا أمي؟، مسكين "آدم" عندما فاق من  
شتاته ووجد أخيرًا العوض الجميل، سُلِب منه قبل أن  
ينعم به...، وكعادته عندما يحب يعشق حتى النخاع،  
فهو صادق في حبه مخلص له دومًا.
- سُلِب منه لحكمة يا بنيتي، لن أكرر درس الجزع  
والسخط مرة أخرى، فانتبه لآين يأخذك عقلك يا  
"ندى"، وما يتفوه به لسانك.

صمتت "عايدة" ثوانٍ، ثم أعقبت نصيحتها باعتذار:

- اعذريني لعدم جلوسنا مؤخرًا كثيرًا لنتسامر ونفسي  
ما في جُعبتنا كما في الماضي، كنت أعلم أن  
"همسة" معك ترشدك ومطمئنة لوجودها، موقنة  
أنكما ستُدخلنني إذا لزم الأمر، تركتكما لعلمي أنكِ  
كنتِ تتمنين أخت لكِ منذ صغركِ، فأحببت أن تعيشي  
معها كأخت دون تدخل الأم.

قامت "ندى" عن مقعدها واتخذت حافة مقعد والدتها  
مجلسًا لها كعادتها، وضمت رأس والدتها إلي صدرها، ثم  
قالت وهي تبتسم بحنين:

- لا غنى عنكِ كأم وكأخت وكصديقة في حياتي، لقد  
عوضتني عن كل هؤلاء طوال عمري، ولم تشعرينني



بأي تقصير من هذه الناحية، فعذرًا علي تقصيري أنا معك في الفترة الماضية..، لقد شعرت أن الأحداث طفقت تزحم رأسي بالأفكار والقرارات مشوشة الذهن، فلم أرد أن أثقل رأسك بثرثرتي كالعادة.

- لا عليك حبيبتي..، فأنا رغم اشتياقي لجلساتك وثرثرتك، ولكنني أقدر أن الفتيات في بداية خطبتها، تلجأ إلي من هن في مثل عمرهن ليتفهموا مشاعر بعضهن، ظنًا منكن أن الحب يختلف باختلاف الأزمان، وأنا لا أريد أن أحجر عليك، فلتجربي ما بدى لك طالما في حدود ديننا وأخلاقنا، وأنا أثق بك وأثق بصحبتك سواء إذا كانت "همسة" أو أصدقاءك، كما أنني موجودة دائمًا وقتما تحتاجين إليّ.

- سبحان الله..، وها هي أصدقائي قد جاءوا إليّ، وكأنهن استنشقا ذكر أسماءهن.

قامت "ندى" عن مجلسها، تستقبل صديقتها "ملك"، التي أدخلتها "رضا" إلي مجلسهما.

- السلام عليكم، كيف حالك يا خالة "عايدة"، كنت أتمنى زيارتكم في ظرف أفضل من هذا، ولكنني ذهبت بعد الامتحانات مباشرة إلي رحلة عمرة أنا وعائلتي، ورجعنا منذ فترة قصيرة، بعدها انشغلنا بسفر أخي.

- عليكم السلام ورحمة الله وبركاته يا "ملك"، لقد اشتقت إليك يا بنيتي، عمرة مقبولة بإذن الله، بيتك



في أي وقت بالطبع، دعواتك أن تمر هذه الأزمة علي خير.

- فلنستبشر خيرًا...، بإذن الله يكافئنا الله بحسن ظننا فيه، وتعود "همسة" إلي بيتها سالمة غانمة.

أمّن الاثنتان علي دعاءها، ثم أخذتها "ندى" إلي غرفتها، بعد استئذان "عايدة" للذهاب إلي حجرتها لقراءة وردها من القرآن.

\*\*\*\*\*

خرج هائما علي وجهه، استقل سيارته قادها بذهن غير واع لما حوله شارد، وقلب عن ملذات الحياة زاهد، وصل إلي قسم "قصر النيل"، حيث يعمل صديقه "خالد"، فاستكمل طريقه دون توقف إلى أن وصل إلى النيل.

أخذ دفتر "همسة" ونزل، وقف يتأمل النيل يخاطبه بلغة العيون، يشكو له حاله، فالنجوم لم تستيقظ من سباتها النهاري بعد، ثم شرع يفتح الدفتر علي صفحات متفرقة.

لاحظ أنها تنتهج نهج جديد في كتابة المذكرات، لم يره من قبل، تبدأ بسرد ملخص ما ألم بها من أفراح أو أحزان معنونة إياها بـ"العقدة"، ويليهما صفحات يرأسها عنوانان إما "العلاج" وإما "الجزاء" ثم "الفائدة"، يعقبهم عنوان جذبه كثيرا وهو



"ذكريات"، فابتسم مشتاقًا لها يمتدح عقلها "كم هي مبدعة في كل شيء".

كاد يقرأ "العقد" ولكنه وجد بها آلام ومعاناة فأثر أن لا يزيد عبء آخر علي أعباءه، وانتقل إلي عنواني "العلاج" و"ذكريات"، متخيرًا بعض الفقرات منهما، لا يريد أن يعرف كم عانت قبله، سيقراه معها عندما تعود، ليخفض لها جناحه ويحتويها بساعديه ويعوضها عما عانت.

## العلاج 1

- { قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- : "عجبًا لأمر المؤمن إن أمره كله خير، وليس ذاك لأحد، إلا للمؤمن إن أصابته سراء شكر، فكان خيرًا له، وإن أصابته ضراء صبر، فكان خيرًا له" <sup>43</sup>}.
- { لا تكرهوا البلياء الواقعة والنقمات الحادثة فلب أمر تكرهه فيه نجاتك ولرب أمر تؤثره فيه عطبك" <sup>44</sup> }

"الشكر لله شكرًا ليس ينصرم ..

وشكرا يوافق ما يجري به القلم

يأتي البلاء لتمحيص وتذكرة ..

كأن كل بلاء نازل نعم"

<sup>43</sup> - في الصحيحين

<sup>44</sup> - قول للحسن البصري، و "عطبك": أي هلاكك.

## ذكريات

"تذكرت اليوم أنني كنت عاشقة لألعاب إعادة تجميع الأشكال "البازل"، تلوح في ذاكرتي أن هناك من كان يلعبها معي نتسابق من سينهي الشكل أولاً، فمن كان هذا الشخص المحبوب؟!".

## العلاج 2

- { إن عظم الجزاء من عظم البلاء، وإن الله عز وجل إذا أحب قوما ابتلاهم، فمن رضي، فله الرضا، ومن سخط فله السخط <sup>45</sup> }
- { قال بعض السلف "لولا مصائب الدنيا، لوردنا يوم القيامة مفايس" }

"فارض المقادير في ضر وعافية.."

فليس يثبت إلا بالرضا قدم

استغفر الله لا أشكو البلاء ولا..

أراه إلا احتفاء ساقه كرم"

## ذكريات

فرحت اليوم بتذكري لذكري، انبثقت في عقلي دون سابق إنذار، كانت لإحدى الحداثق ألعب فيها وألهو وسط الأزهار أتنسم رحيقها حيناً وأحدثها أحيان أخرى، ثم وكما ظهرت

<sup>45</sup> - رواه الترمذي وابن ماجه

فجأة اختفت خلف سحب من الضباب وكأن هناك من انتزعها من عقلي عنوة، فأني من كنت.. يا من سلبتني ذكرياتي، هيهات لك ثم هيهات أن تنتزع حب الأزهار من قلبي، ورُغماً عنك ذكرني قلبي بأحب الأنواع إلي قلبي".

## العلاج 3

- { قال رسول الله-صلى الله عليه وسلم- "من يرد الله به خيراً يُصب منه <sup>46</sup> }
- لا بد أن يعلم المُبتلى أن ما يعقبه الصبر والاحتساب من اللذة والمسرة، أضعاف ما كان يحصل له ببقاء ما أصيب به لو بقي عليه، ويكفيه من ذلك "بيت الحمد"، الذي بيني له في الجنة علي حمده لربه واسترجاعه <sup>47</sup> .

"فرب أجحف ضر عين عافية ..

ورب عافية في طيها سقم

وأسأل الله حسن اللطف بي وبكم ..

في كل نازلة تهمني لها ديم"

## ذكريات

<sup>46</sup> - رواه البخاري عن أبي هريرة.  
<sup>47</sup> - من كتاب "زاد المعاد" لابن القيم



سعيدة لأبعد حد...، لم أكتب هذه الذكرى مع ما مرتت به في يومي، لأنني أعتبرها إحدى مخلفات ذاكرتي الضائعة، فبعد هذه الأزمة التي التفت حول عنقي كالأغلال وأغمّت قلبي كثيراً، رأيت في منامي أمي، أو لأكون دقيقة هو طيف أمي، هكذا وقع في قلبي وفي نفسي في الحلم.

كانت تُطَيّب خاطري وتطعمني، ثم وضعتني في فراشي كالطفل ودرثرتني جيداً واستلقت بجانبني، ثم فعلت أحب الأعمال إليّ قبل نومي، وهي تمسيد رأسي ومسح شعري برقة حتي أغط في نوم عميق.

فاستيقظت وكأن قلبي قد مُسح عليه، استوطنته الطمأنينة والسكينة، حتي أنني لم أترك البسمة والمزاح طوال يومي".

ابتسم "آدم"، وكأنه يعيش معها كل شعور تشعر به، يتغضن وجهه عند حزنها وتجد البشاشة طريقها إلى ملامحه مع فرحها، فتحدث بحنين لطيفها الذي لاح أمام ناظريه علي صفحة النيل:

- تحبين الأزهار وتمسيد الشعر إذا...، لم يتبق سوى معرفة أي أنواع الأزهار تحبين، وبعدها أعدك أنك ستجدين كل موطأ قدم لكٍ مُفترش بها، لن تخلدي إلى النوم إلا وقد مسدتُ شعركِ حتي تغطين في النوم العميق، فتحلمين بي أنا وأنتِ فقط، لن أتركك



حتي في أحلامك، سأحتلها بجيوش حبي، ويحرسك  
في منامك جنود حنيني من سائر الكوابيس بإذن الله.

انقشع طيفها من على صفحة الماء دفعة واحدة، فلعن  
جرس الهاتف الذي انتزعه من خلوته معها، من هذا الأحمق  
الذي اقتحم علي قلبه استرساله في أحلامه، زفر بضيق  
وهو يخرج هاتفه، ثم رد بحنق ولهفة في آن واحد، يرد علي  
المتصل سلامه:

- لولا لهفتي وأملي أن يكون هناك جديد في الأمر لما  
رددت، ولكن عندما رأيت الشاشة تضيء باسمك،  
رددت علي الفور، أثلج صدري وقل لي أنكم  
وجدتموها، أو توصلتم إلي مكانها علي الأقل؟
- لم أرك بهذه الלהفة علي أحد مهما كان حتى...، حتى  
خطيبتك السابقة...، لم أرك بهذه الحالة سوى بعد  
وفاة أخيك، كنت قد نسيت أنك تشعر مثلنا تتألم  
وترق، تحزن وتفرح، لقد كنت في الفترة الأخيرة،  
كالإنسان الآلي أو كالحجر الذي بُث فيه الروح، يتحرك  
ويعمل، يمارس حياته برتابة وروتين جاف، وكان  
مشاعرك قد تجمدت.
- وها قد عدت للسابق وتهشم السور الذي بنيته حول  
قلبي ونفسي، ومن هشمته بصدقها وأسقطت  
دفاعاتي واحدًا تلو الآخر بأحاسيسها العطوفة المحبة  
قد اختفت، فهل من جديد؟...، أجنبي دون ثرثرة أو  
شفقة، أنت تعلم كرهني لهذين الأمرين؟



- نعم أعلم، ولكن للأسف لا جديد يُذكر، لوحة السيارة التي اختطفتها، لم نجد لها أثر في بيانات المرور كانت مزورة، و"يسرية" لا أثر لها، وكأنها فص ملح وقد ذاب.
- كيف لا أثر لها؟!...، فهي لها بنتان ولها أهل أيضا، كيف اختفت دون أثر؟

تحدث "آدم" بغضب ثائرا.

- هذا ما حدث...، فجيرانها عند سكنها بمنطقة "فيصل" بمحافظة "الجيزة"، و أهلها في "الفيوم" لا يعلمون عنها شيء، وبناتها أيضا لم تطف أقالهما شيء عن الأهل ولكن لا تقلق، نحن نراقب كل الأماكن التي كانت تتردد عليها 24 ساعة.
- أين يقطن بنتاها؟!...، أنا أعلم أن الصغرى قد تزوجت منذ شهر تقريبا.
- لماذا تسأل عنهما؟، لا تقل لي أنك ستذهب إليهما، دعنا نتصرف نحن يا "آدم"، صدقا أنا لم أتوان عن بذل أي مجهود في القضية.
- لا تقلق يا "خالد"، أنت تعلم صديقك جيدا، لن أذهب لأهددهم مثلا، أنا لست بمجرم أو أحقق، ماذا دهالك؟!...، أنا لم أفقد أخلاقي وعقلي ما زالت أحتفظ بهما.
- لماذا تريد الذهاب إذا؟
- أعلم أن حالتها فقيرة، ووالدتها كانت تُجهز واحدة براتبها وترسل إلي الأخرى جزء مما تبقى منه، وبعد

زواج الثانية من أول يوم كانت تساعدنا لأن زوجها قد  
تداين للكثير لإتمام الزواج، الذي دامت خطبته ست  
سنوات، وهم لا ذنب بما فعلته والدتهما بالتأكيد.  
- هل تظنني أبله يا "آدم"، أتريد إقناعي أنك تريد  
مساعدة بنتنا من ساعدت في خطف زوجتك بالمال؟

زفر "آدم" بضيق، فصديقه يعلمه جيدًا، ثم أجابه بنبرة هادئة  
في ظاهرها، وباطنها العصبية:

- حسنا، أريد أن أزورهما لاكتشف من منهما تشبه  
والدتها، لأجزل لها في العطاء ما ينتشلها من فقرها،  
مقابل مساعدتي في الوصول إلى والدتها، مجرد  
محاولة..، هل ارتحت الآن؟
- نعم ارتحت ورُغم إعجابي بالاقترح، ولكنني أراه تصرف  
خاطئ ودنيء.
- لن أدفع لها لأمر سيء يا "خالد" أنا فقط أريد استعادة  
زوجتي.
- فليكن يا "آدم"، بالرغم من عدم اقتناعي بهذا المبرر،  
ولكن طالما اطمأنت أنك لن تفعل تصرف يدينك  
قانونيًا ولا دينيًا، سأرسل لك عنوانهما في رسالة.
- أحسنت.. لقد أرهقتني أيها المحقق، قل لي رؤوس  
العنوانين لأنني استقل سيارتي الآن، لأري أي الطرق  
سأسلك، حتي ترسلهما لي.
- حسنا أيها الـ"سوبر مان"، الكبرى "سها" تسكن في  
منطقة "كرداسة"، والصغرى "إيمان" وعنوانها بمنطقة

"كفرة هرمس"، أي الاثنان بمحافظة "الجيزة"، وهما يقولان أن آخر مرة تواصلن مع والدتهما كان منذ أسبوع، كدت أنسى فاستجوابك المخبراتي هذا أسقط مني معلومة هامة.

- ما هي؟

- وجدنا فائدة واحدة لعادة مراقبة الجيران لبعضهم

البعض وتدخلهم في شئون قاطني حيهم بتطفل...

فإحدى جيرانها التي يبدو أنها تحقد عليها وتكرهها،

قد أفشت لنا بحصيلة مراقبتها لها، حتى عدد مرات

أكلها ونفسها كانت تعده عليها، فاستخلصت بصعوبة

من أحداث آخر فترة أمر مريب.

- هل ستحدثني بالقطارة يا "خالد" ما هو؟، يبدو أن

عملك في الشرطة قد أكسبك بالإجبار لمسات

التشويق، التي أصبحت تضيفها في كل جملة، ما هذا

الأمر الذي أثار ريبتك؟

- إذا كنت طفل مذنب يقف أمام والده أو معلمه، لن

أنول كل هذا التوبيخ واللوم مثلما تفعل أنت الآن..، أنا

اقترح أن تتوصل أنت بمعرفتك، يبدو أن لا فائدة مني؟

قالها "خالد" بمرح يداعب صديقه، ليخرجه من بئر الحزن

والغضب المظلم، الذي سقط فيه مرة أخرى.

ابتسم "آدم" وأثنى علي صديقه رادا له مداعبته، بعدما

شعر بتماديه معه كثيراً:



- ومن غيرك لي بعد أخي أتذمر عليه ويتحملني؟...  
 استسلم للأمر الواقع، فأنا قدرك ولا مفر مني.  
 - وهل لي خيار سوى الاستسلام، أمري لله فليعينني  
 على ما ابتلاني به، اسمع يا سيدي قبل أن تتذمر  
 مرة أخرى... لقد قالت هذه الجارة أن منذ حوالي ثلاثة  
 أشهر زارت "يسرية" سيارة فارهة، نزل منها رجل  
 صعد إلي شقتها، فنزلت معه واستقلت السيارة،  
 التي انطلقت إلي وجهتها... بعد ساعات من انتظار  
 الجارة لعودة "يسرية" جندت فيها جميع أفراد عائلتها  
 لمراقبة الشرفة يتناوبون عليها، عادت "يسرية" بنفس  
 السيارة وكانت فرحة، ومنذ ذلك الوقت تبدل حالها  
 وأكملت جهاز بنتها "إيمان" وزوجتها، وعندما سألتها  
 نساء الحي، قالت أنها ورثت مبلغ من أحد أقاربها في  
 "الفيوم".

ابتلع ريقه ثم أكمل مسرعًا قبل أن يتذمر صديقه:

- ولكن "شارلوك هولمز" خاصتنا وباقي نساء الحي، لم  
 يقتنعن بهذا التبرير، وخاصة أن السيارة قد زارتها  
 مرتان بعد ذلك، مرة أخذتها من أمام بيتها ومرة أخرى  
 منذ أسبوعين شاهدتها جارة أخرى تهول إلي نفس  
 السيارة، التي انتظرتها علي مدخل الحي، وبالطبع  
 اجتمع مجلس النميمة وانتشر الخبر، إذا زرنا نسوة  
 مثل هؤلاء وسط "الكيان الصهيوني" أعتقد أنه سيصلنا



نوع الملابس الداخلية التي يرتديها "نتنياهو" <sup>48</sup> دون  
عناء، فهم جهاز استخباراتي من الدرجة الأولى.

ضحك "آدم" أخيراً بعد يومين من تجهم الوجه، مؤمناً علي  
كلام صديقه، ثم أغلق الهاتف لكي يبدأ خطته، أمسك دفتر  
"همسة" وهو يجلس أمام عجلة القيادة، أراد أن يبدأ جولته  
بفقرة منه لعلها تكون رسالة له، كما أثلج صدره حديثها عن  
الصبر في الصفحات التي قرأها.

فتح علي صفحة بيضاء خالية إلا من جملة ختت في  
منتصفها "العوض الجميل"، قلب الصفحة ليجد أنها بداية  
معرفتها باختيار والدته لها كزوجة له، أغلق الدفتر وقد  
دمعت عيناه، فسأل طيفها المتمثل أمامه:

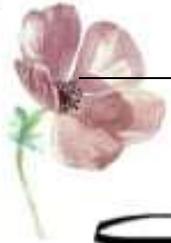
- أين أنتِ؟...، فلترسلي إلي مع نسيمات الهواء زفيرك  
أهتدي به، سيتقفى قلبي آثارك وسيعينني الله على  
الوصول إليك يا ... يا متربعة عرش قلبي.

زفر بضيق ثم تنفس بعمق مرة تلو الأخرى لتهدئة نفسه،  
وضغط علي دواسة الوقود منطلقاً إلي وجهته.

\*\*\*\*\*

- هل أفزعناكِ؟...، يا لنا من حمقي.

<sup>48</sup> - رئيس وزراء عصابة الكيان الصهيوني المحتلة لدولة فلسطين.



ضحك زعيمهم بسخرية، بعد ترديده لهذا الاستهزاء، ثم أردف:

- فزعتِ من مجرد دخولنا عليكِ فجأة!...، فماذا أنتِ فاعلة في القادم إذا؟...، يبدو أننا سنستمتع كثيراً.
- لا تُرهبها هكذا يا "داغر"، كم أنت شخص شرير عديم القلب.

تردد الصوت النسائي في أذن "همسة"، حاولت اختراق الحاجز الجسدي لأفراد التنظيم والذي تمثل في مجموعتين مصطفىين أمامها قُرب الباب، الأولى رجل ذو جسد ضخم أقرع والنحيف "رامي" وآخر يقف بلا مبالاة ينفث دخان سجائره، والثانية تتألف من زعيمهم "داغر" بجانبه اثنان آخران، ولكنها لم تر جسد الصوت النسائي بعد، فضيقت عينيهما تحاول البحث عن هذا الصوت في ذاكرتها لعلها تعرفه.

بدأ شبح امرأة يبزغ من خلف الحاجز الجسدي ببطء، لم تتبين "همسة" ملامحها مع ضوء مصباح السقف الضعيف، ولكنها حمدت ربها علي هذا الضوء الضعيف، لقد مكنتها من إلقاء الهاتف تحت الفراش الجالسة عليه عند دخولهم فلم يروه، وظنوا أنها تحركت فزعة منهم.

كان جسد المرأة ممشوق القوام، طولها فوق المتوسط مقارب لطول "همسة" بل أطول منها قليلاً، ينسدل شعرها



علي ظهرها وكتفيتها دون ربطات، إلا من مشبك شعر يرفع جانب شعرها علي شكل "فراشة".

اقتربت من "همسة" بخطوات متباهية في دلال، وما لبث أن وقع الضوء علي وجهها المبتسم بشماتة وزهو، تتلعب بشفتيها بطريقة مستفزة كأنها تختبر صبرها.

ضيق "همسة" عينيها وتجعد جبينها وأطبقت شفتيها، كأنها عطلت سائر حواسها، لتعطي عقلها فرصة كي يجمع شتات تركيزه، بل يركز كل نشاطه في منطقة "الصدغين"<sup>49</sup> أو حتي الفص الجبهي، فملاح هذه المرأة مألوفة لها، لقد رأتها من قبل ولكن أين؟، واثقة أنها تعرفها!

- هل تعرفتِ علي، أم أعرفكِ بنفسي؟

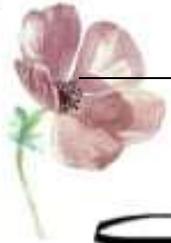
قالتها المرأة بغل واضح، فخرجت من فمها الكلمات كسهام أطرافها المدببة مُسمّمة.

\*\*\*\*\*

- "محسن" حالته في تقدم، وسيفيق في أي لحظة الفترة القادمة، فلا بد من التخلص من كل الأدلة والعراقيل.

- .....

<sup>49</sup> - وهو المكان الذي يحوي مخازن الذاكرة أجمع "البصرية والحسية والسمعية" في المخ.



- حسنا، أنا فقط أردت التنبيه وإخباركم بالمستجدات، سأغلق الآن أحدهم قادم، في انتظار جديدكم لا تبخلوا علي بالمستجدات.
- أمي لقد اتصلت "دنيا" تقول أن والدي حرك يديه، وتحركت رأسه يبدو أنه يفيق.

قامت "سهام" من مجلسها بسرعة لا تتناسب مع سنها، ثم اتجهت ناحية خزانة ثيابها تخرج ملابسها، وهي تأمر "منال":

- إذا سنذهب إلي هناك علي الفور، هيا ارتدي ثيابكن، وأبلغني "رمضان" يستعد لكي يقلنا إلي المشفى.

\*\*\*\*\*

- السلام عليكم، هل السيدة "سها" ابنة السيدة "يسرية" موجودة؟
- من أنت؟..، وماذا تريد منها؟
- أنا "آدم الشامى"، رُب عمل السيدة "يسرية"، فهل لي بمقابلة السيدة "سها" لأمر ضروري.

نظر إليه الرجل النابتة لحيته بشكل عشوائي المتروكة إهمالا بريية وحذر، كأنه يقيمه بعينه من رأسه إلى أخمص قدميه، ثم قال له بجفاء:

- انتظر هنا.



رد الباب ثم اختفى بالداخل، فتأفف آدم " من أسلوبه وهيئته، لم يرَ أحد لا يبالي بفتح الباب بينطال داخلي يعلوه ملبس تحتي متسخ من قبل بهذا المنظر.

فتح الباب مرة أخرى، ولكن هذه المرة بجانبه امرأة عشرينية بجلباب الصلاة، غير عابئة بتغطية شعرها بالكامل، ولكنه لا يتذكر شكلها فالمرّة الوحيدة التي رآها فيها عندما جاء ليبارك في زواج "إيمان"، كانت ملامحها مختفية تماما خلف أطنان من المساحيق التجميلية، دعتة إلي الدخول بابتسامة مُرحبة :

- تفضل يا سيد "آدم" عذراً فزوجي لا يعرفك.

- لا عليك، شكراً لك.

دخل وجلس علي أحد المقاعد، يجلس بجانبه زوجها يتأمله بتبجح وجرأة وتطفل، فيما اختفت "سها" بالداخل لدقائق، فدار بعينه في المكان بتبجح دون أن يعباً بزوجها كما يفعل هو معه.

وجد بعض الصناديق المتناثرة في غرفة الجلوس بعدم اعتناء، وكأنها عزال مجمعة، قطع تأمله وشروده ولدان لا يختلفان في نظافتهم عن أبيهما يعدوان خلف بعضهما البعض، ثم اشتبك في مشاجرة عنيفة، وأبيهما يتأملهما بلا مبالة، فجاءت والدتهما تنهرهما ليس علي المشاجرة في حد ذاتها، بل لأنها أمام ضيف مهم.



وبعد دخولهما إلي الداخل، ليكملا مشاجراتهما، قدمت "سها" مشروب مياه غازية، قبله وانحنى ليضعه أمامه على طاولة مشروخة بطولها مترددًا في ترك الكأس عليها، متعجبًا كيف لم تنفلق حتى الآن، ثم تنحنح وهو يسألها عن حالهم بابتسامة ودودة وعن أبنائها.

- الحمد لله رضا، كل ما يعطينا الله خير لن نعترض ضيق اليد، ف"تامر" و"عدلي" ليسا وحدهما، عندي ثلاثة بنات غيرهما أيضًا إحداهن رضية.
- اللهم بارك، ربنا يرزقكم برهم وتروهم في أحسن حال في المستقبل بإذن الله.
- ربنا يرفع قدرك سيدي، هذا هو الله وهذه حكمته.
- أدخل "آدم" يده في جيبه وأخرج دفتر شيكاته، وضعه على ساقه مغلقًا واضعًا كفه فوقه، ثم تحدث:
- هذا هو عين الرضى.. أحسنت، كيف حال والدتك؟، أرجو أن تكون بخير.

لم ترفع "سها" نظرها عن دفتر الشيكات إلا بسؤاله، فرفعته علي مضمض، تعود إليه من حين إلى آخر، حتى زوجها الذي كان يتأمل "آدم" بوقاحة تبذلت ملامحه، ووجهه تأمله إلي دفتر "آدم"، فأجابت عليه بعد تردد:

- نأمل جميعًا أن تكون بخير، ادعو معنا كي يردّها إلينا سالمة.



- يا رب.. هل عاد زوجك إلي العمل بالمقهى أم مازال صاحب المقهى متعنتا؟
- لا لم أعد... فصاحب العمل ظالم يريد مني العمل ليل نهار بأجر رمزي، وليس لي الحق في أخذ أي شيء من المقهى، ولو قدح شاي... فهو بخيل شحيح اليد إلي أبعد درجة، يُكنز علي قلبه أموال كثيرة.

رد زوجها بسرعة هذه المرة، وهو يوزع نظره بين الدفتر و"آدم"، مختتمًا كلامه بفتح يديه فوق بعضهما متواجهًا الكف، مشيرًا إلي حجم المال المكتنز بحقد.

- آسف لسماع ذلك، السيدة "يسرية" خدمتني لأشهر، وأنا واثق أنها في أزمة كما زوجتي تمامًا، أنا علي استعداد أن أرد جزء من خدماتها ومساعدتكما بمبلغ من المال تستطيعون به فتح مشروع خاص بكم، ليرحمكما من تعنت أصحاب العمل وإجحافهم لحقوق عاملهم.
- شكرًا لك، سيد "آدم" فهذا من شيم الرجال الفضلاء، نحن لا نريد أن نثقل عليك.

نظر إليها زوجها بلوم وغضب بعد تصريحها هذا، ثم أعاد نظره إلي "آدم" ولكن هذه المرة بمسكنة وتذلل وتودد، فطرق "آدم" علي الحديد وهو ساخن وأعاد القلم إلي جيبه، تاركا دفتر الشيكات علي ساقه، قائلا:



- لا تقولي هذا يا سيدة "سها" فلتعتبريني أخ لكم، ولكن إذا كان مساعدتي لكم ستضايقكم، لا بأس سأسحبها فورًا.

لحق زوجها شفثيه بجشع، وظل يمسح علي ساقه بتوتر وهو يتقلب في مجلسه كأنه يجلس علي جمر مشتعل مبتسمًا ليظهر صفيين من الأسنان الصفراء المحاطة بهالة سوداء من أثر السجائر، وهو يرد عليه قاطعًا الطريق علي زوجته:

- بالطبع نعتبرك أخ لنا، فهذا شرف لنا نفتخر به، "سها" لا تقصد إغضابك، و"النبي" قبل الهدية.

رفع "آدم" يده التي علي الدفتر وخبط علي ساق الزوج باستحسان، وهو يرد:

- وهذا ظني فيكم.

أخرج "آدم" القلم، ثم فتح الدفتر ليكتب الرقم، ولكنه ضرب جبينه وهو يقول:

- يا الله، هذا ليس دفترتي، لقد تبدل مع رجل الأعمال الذي التقيته قبلكم.

بدي خيبة الأمل علي وجه "سها" وزوجها، وتململوا في جلستهم، فاستعد "آدم" للقيام، وهو يعيد دفتره مرة أخرى إلي جيبه، قائلاً:



- لا تقلقا... فأنا لن أعود في كلامي، ولعل المرة القادمة تكون باتصال لي تبليغيني أن والدتك بخير وتعرفين مكانها... هذه المرة لن أسمح بوجود أخطاء سأتي محملا بحقيبة المال مباشرة، لكي لا أكلفكم عناء سحبهم من البنك.

عادة ثنائي الزوجان إلي ظهر مقعدهما، يتلعان ريقهما الذي جف، لقد فهما ما يرمي إليه "آدم"، لن يحصل علي المال إلا بالبوح عن مكان والدة "سها"، هذا هو الاتفاق إذا. قام "آدم" بعدما تأكد أنه أوصل رسالته وتأكد أنهما يعرفان طريقها، خاتما جلستهم:

- في انتظار مقابلتنا القادمة علي أحر من الجمر، والتي تليها بإذن الله عندما أبارك لكما علي مشروعكما الخاص، لتضمنا حياة كريمة لكما ولأبنائكم.

لم ينتظر ردهم بل اتخذ طريقه إلي الباب، فقام الزوج ليفتح له الباب وهو يحيه بلباقة وحفاوة هذه المرة، أغلق الباب خلفه وعاد إلي زوجته التي ما لبثت أن ضغطت أزرار هاتفها، منتظرة الرد من الطرف الآخر بفارغ الصبر:

- لقد جاء السيد "آدم" يحاول معرفة المكان.

- .....

- حسنا.. حسنا، سألتزم بكل حرف.

- .....



- لا لا لما يترك لنا مال إطلاقاً  
- .....  
- حسناً.. حسناً، سأنفذ كل كلمة بالحرف، لن أخالف  
أي أمر.

\*\*\*\*\*

- أين أنت يا "آدم"؟  
- أنا نزلت للتو من منزل "سها" ابنة "يسرية"، ومتأكد  
أنها وزوجها يعلمان مكانها، وثبت ظني يبدو أنهما  
جشعا أموال، لقد ألقيت بشباكي لا أعلم هل  
سيقعان في الفخ ويقبلان علي الطعم أم لا.  
- أنا عندي لك خبر جيد جداً.  
وقف "آدم" فاتحاً باب سيارته، منتظراً أن ينتهي "خالد" من  
عرض التشويق الخاص به، فأدرك "خالد" سريعاً أن الأمر لا  
يحتاج إلي التشويق، فأعصاب صديقه لا تتحمل فيه ما  
يكفيه، فأردف مكملاً:  
- لقد عثرنا علي مكان "يسرية"...  
توقف "آدم" عن التنفس لثوانٍ فرحاً، هذه بداية الخيط الذي  
سيوصلهم إلي "همسة"، فعاد "خالد" ليتمم جملته:  
- أرسلت فرقة للقبض عليها الآن.



\*\*\*\*\*

- يبدو من ملامحك أنك تُشبّهين عليّ، ولكنك لم تتعرف عليّ بعد.

- فلتتكرمي باطلاعي علي هويتك إذا..، غلب عقلي.

قالتها "همسة" بثقة وثبات غير عابئة بموقفها وحالتها، لن تشمتهم فيها بإظهار الخوف أو الرهبة، لقد دثرت قلبها بإيمانها بأن الله معها، ولن يصيبها إلا ما كتب لها، فحبست خوفها في صدرها جيداً وتصنعت القوة واللامبالاة.

نزلت المرأة لمستوى "همسة" علي الأرض وهي تقترب من أذنّها ببطء لتضفي علي حديثها الإثارة، ثم أجابتها بنبرة كفحيح الأفعى بل أبشع، وكأن تلبسها أحد الشياطين لتتحدث بصوته:

- أنا "أسيل فاضل الشرابي"، أم للطفلين اللذين ترعيانهما، وزوجة أخو زوجك "حاتم الشامي" عليه رحمة الله.

\*\*\*\*\*



تفرّعت الخيوط..

تضافت العُقد..

استحكمت دوامات حياتك حلقاتها..،

لا تنسَ أن مع العسر يسر، "مع" وليس "بعد"..،

ثق بأن كل ابتلاء لحكمة وكل ألم، اختبار نتيجه الثواب  
والفرج و"العوض الجميل"... "فاصبر".



ولرب نازلة يضيق بها الفتى ذرعًا  
وعند الله منها المخرج  
ضاقت فلما استحكمت حلقاتها  
فُرجت وكنت أظنها لا تفرج



## الفصل الحادي عشر

- أنت أيضًا أوحشتني، كنت أشعر بفراغ كبير في غيابك.  
..... -
- أنا أحبك أكثر، متى سيجمعنا بيت واحد لكي لا نفترق بسفر أو غياب أي كان العذر.  
..... -
- أنا أرتدي منامة "كشمير"<sup>50</sup> في سماوي "بيبي بلو" و....  
..... -
- لا.. قلت لك لن أرسل صور بملابس البيت، يكفي أنني أصفها لك.  
..... -
- أعرف أنك تشتاق إلي يا حبيبي ولكن.....  
- "منال"؟! -
- سأغلق الآن يا "كريم"، وسأعاود الاتصال بك لاحقًا، سلام.

<sup>50</sup> - الكشمير يتكون من "الأبيض والأسود والنيبي والبفسجي" بنسب مختلفة حسب درجة الغمقان، الاسم أصله نوع من أنواع الصوف ذو الملمس الناعم يدخل الكشمير في تصميم الكثير من الملابس، يتم استخراجها من الماعز الكشميرية التي يتم تربيتها في أماكن مختلفة من العالم منها جبال الهيمالايا، ويمتاز بالنعومة كما أنه من الأقمشة التي لا تسبب حساسية للبشرة بسبب طبيعة القماش وطريقة تصنيعه، قدرته على الحماية من البرد الشديد تعادل 6 مرات ضعف الأقمشة الأخرى.



أغلقت "منال" الهاتف بارتباك،، وحاولت قلب الموقف لصالحها، بالمهاجمة أولاً، فبادرت باندفاع ونبرة مهتزة :  
- ما الأمر يا "دنيا" كيف تدخلين الحجرة بدون استئذان هكذا، وبأي حق تتنصتي علي؟

ربعت "دنيا" ساعديها أمام صدرها، والغضب مازال متجليًا في عينيها ووجهها، ومن ثمّ صوتها الذي تحدثت به:

- سأصد الهجمات التي لجأت إليها للهروب، امثالًا لمنهج "خير وسيلة للدفاع الهجوم" أولاً، وبعد ذلك نتحدث في هذا الذي سمعته.

تنفست بصوت مسموع وكأن نفسها يزفر غضبًا مثلها، ثم أردفت:

- أنا لم أدخل غرفتك دون استئذان، لقد كان باب الغرفة مفتوح عن آخره، ولم أقصد التنصت عليك، لقد كنت ذاهبة إلي غرفتي وعندما وجدت باب غرفتك مفتوح، أقبلت عليك علي أطراف أصابعي لكي أفاجئك مزاحًا، ثم سمعت وصفك لملابسك ومناداتك لرجل بـ"حبيبي"، هل هذا يصح يا أختي الكبيرة ؟

ابتلعت "منال" ريقها بصعوبة وتشنج جانب فمها، قبل أن تدافع عن نفسها متكبرة عن الاعتراف بالخطأ:

- لقد قلت أختي الكبيرة، كيف تتكلمين مع أختك الكبيرة بهذا الأسلوب، من أنت لتحاسبينني؟، ثم أنك

كلّك أخطاء، لا ترتدي زي الملاك معي، فهو لا يليق بك...، أنا تركت الباب مفتوحًا، ظنًا مني أنكم ستأخرون في المشفى، لا أعلم أن أحد سيتجسس علي، ألم تتصلي وتبلغينا أن أبي حرك يديه وهو في طور الإفاقة؟

- أختي الكبيرة لا بد أن أتعلم منك وتكوني قدوة لي، لا أن تهربي من أخطاءك دون الاعتراف بها، والمجادلة في الخطأ، كلنا نخطأ منّا من يعترف بالخطأ ولا يجادل أو يتمادى فيه، ومنا من يصر علي خطاه ظنًا منه أن الاعتراف به جرم وإساءة له..، وللأسف التماذي في الخطأ والإصرار عليه أكبر من الخطأ المرتكب نفسه، لأن الجدل كان فعل الأقوام السابقة التي أهلكها الله دومًا.

حل الصمت دقيقة مرت كأنها دهر بلغة العقول، قبل أن تكمل "دنيا":

- أبي بالفعل يبدو أنه في طور الإفاقة، ولكن عندما لم يفق بعد جلوسي أنا وأمي و"هاجر"، فأثرت العودة إلي المنزل جميعًا، ولكنني عائدة إليه مرة أخرى، جئت كي أتحمم وأبدل ملابسني.

حاولت ترقيق نبرة صوتها، وتغليظها بالحنية الأخوية، وهي تضيف:



- أنا لا أحاسبك يا "منال" أنا دوري أنبهك فقط، كلنا نخطأ ونضعف، ولكن الفائز هو من يعود منيب من ذنبه، لن أتناقش معك فيما سمعته الآن، أنا سأتركك تقييمه هل هو خطأ أم صواب وتقرري بنفسك، لقد تربينا تربية قويمة فأتمنى أن تحكميها.

غادرت الغرفة وهي حزينة، لن يخرجها من هذا المأزق إلا "همسة"، لقد رددت ما تذكرته من كلامها عندما كانت توجهها وقت خطأها.

- يا لذاكراتي كيف لم أتصل بها للاطمئنان عليها عقب استدعاء الشرطة لها من بيتنا، كيف غفلت عن هذا؟، أتمنى أن تكون بخير.

\*\*\*\*\*

- كيف؟!... أنا .. أنا لا أفهم .. كيف تكونين زوجة "حاتم" المتوفية؟.... ألم يلقى حتفك معه؟

قهقهت "أسيل" وهي تنهض، ثم سارت حتى "داغر" وأسندت بساعدها علي كتفه، قبل أن تتحدث بفخر وتكبر:

- لقد جعلت الجميع يعتقدون ذلك..

صمتت لحظات، ثم أردفت وهي تمط شفطيها:



- حقيقة في البداية كان بدون قصد، كنت أنوي الرجوع لمكاني الطبيعي وسط ابناي ومع حبيبي "آدم"، ولكنني بعد أن تعافيت اكتشفت أنهم غير مؤهلين لاستقبالي وسطهم، فبعدت فترة لكي تلتأم جروحهم وتتعافى، ومن ثم أعود مرة أخرى، كنت قد أعددت حيلي، وشرعت في تجهيز دموعي التي سأذرفها لهم، عندئذ صُدمت باحتلاك لمكاني.

أنزلت مرفقها عن كتف "داغر" وأمرته أن ينتظرها بالخارج هو وباقي رجاله، بعد أن يجلب لها أحدهم مقعدًا، وبعد إغلاق الباب التفتت مرة أخرى وفي عينيها يسكن عالم من الكره والحقد المستعر، تقابلها نظرات تائهة من "همسة"، فرؤية عقلها مازالت مشوشة لم تفهم بعد، زمت "أسيل" شفيتها، ثم أكملت:

- لم أعرف بوجودك ولا بترتيبات العجوز الخبيثة "عايدة"، إلا بعد انتقالك إلي بيتها ومكوئك فيه فترة.

بدأت "همسة" تفيق من صدمتها وتقيم حصون دفاعاتها ورماح هجومها، ربّعت ساعديها أمام صدرها واستقام ظهرها، ثم رسمت علي جانب شفيتها ابتسامة زهو لا تعلم من أين حصلت عليها، ولكنها زينت ثغرها وألبسته دعامات مزيفة، ساعدت في رفع قلاعها، وأضفت عليه ثقة وقوة زادت من اشتعال نيران "أسيل"، ثم تفوهت أخيرًا لتكمل هيئتها الواثقة من نفسها:



- أكملني كلي آذان صاغية، يبدو أنكِ تعبتِ كثيرًا حتي وصلتِ إلي، أحب الروايات الشيقة ولكن لا أظن أن روايتكِ قد كُتبت نهايتها بعد، مازالت الأقلام منتصبه والحبر لم يجف.

قهقهت "أسيل" بصوت مرتفع وهي تعود برأسها إلي الخلف، فطمأنت "همسة" أنها أصابت وتر ثققتها، فهذه الضحكة العالية دليل علي ضعفها ومحاولة طمأنة نفسها، وإمهال داخلها ليهدأ.

أمسكت بظهر المقعد بدلًا من الجلوس عليه، وهذا دليل أكبر أنها تحاول استمداد القوة من عناصر خارجية، ثم تحدثت بصوت أجش:

- لا تصطنعي الشجاعة، فأنتِ كنتِ ولازلتِ ورقة شجر في موسم الخريف، لم تسقط بعد ولكنها كانت وستظل ضعيفة إلي أن تسقط.

التفت حول المقعد وجلست أخيرًا بعد أن طمأنت نفسها بأنها من تملك زمام الأمور، هي الخاطف وليس المختطف، ووضعت ساق فوق الأخرى، قبل أن تكمل:

- كنت مدللة والديك، لا أخفي عليكِ لقد تعجبت من القوة التي اكتسبتها حديثًا، فلطالما كنتِ هشة، ولكنني تنبأت لكِ بشخصية قوية بعدما تكبرين، عقلك



وذكائك أهداني إلي هذا التنبؤ، وها قد مر ما يقرب  
من الأربع سنوات، وبالفعل صدقت نبوءتي.

تنهدت وهي ترى الحيرة التي لم تستطع "همسة"  
إخفاءها عن وجهها، لقد كانت تروس عقلها تعمل دون توقف  
متسائلة، "كيف علمت ماضيها التي هي نفسها لا تذكره؟،  
وكيف علمت بدواخلها إلي هذا الحد؟، والذي ألمها أكثر هو  
عجزها عن تذكر أي شيء؟".

ضيقت عينيها كأنها تضغط بها علي عقلها، و سطر فيها ألف  
سؤال وسؤال، التقطهم "أسيل" ببراعة وخبرة وذكاء،  
فداعبت خصلات شعرها وزادت من حركة ساقها الموضوع  
فوق الأخرى، ثم نظرت إلي ما فوق "همسة"، قبل أن  
تستانف حديثها مرة أخرى:

- نظرا لقلبي الطيب، لن أكتب آخر سطر في الرواية  
بدمك إلا قبل أن أنير لك زوايا عقلك، وأشرح لك كيف  
تغلبت بذكائي علي الجميع.

تنفست "همسة" بغضب تحاول تهدئة عقلها الذي كاد  
يقتحم غرفة ذاكرتها بالقوة، حتى أصابها الصداع والاختناق،  
فحركت يديها ورأسها بقلّة حيلة لتخفي توترها تدعوها  
لتبدأ، فيما لعقت "أسيل" شفيتها وبدأت تقص السطور  
التي سقطت من "همسة" في رواياتها الشخصية.

\*\*\*\*\*



- الموضوع معقد يا "ندى" عقلي تائه؟
- هكذا عقولنا جميعًا هنا، لا نفهم أي شيء.
- أعتقد أن "همسة" هي المقصودة بالخطف منذ البداية، أي بدلًا من "هند" .

اندهشت "ندى" وبدى علي وجهها التفكير والحيرة، ثم استفسرت:

- لماذا؟

قامت "ملك" عن مجلسها وسارت جيئة وذهابًا بغرفة "ندى"، وكأنها محقق محترف يُدلي باستنتاجاته لحل اللغز، تشرح وجهة نظرها:

- "هند" جسدها قد اقترب من "همسة" وبناء على طريقة اختطافها كما قصت أظن أنهم أخطأوا الهدف، ولذلك أطلقوا سراحها سريعًا، ثم خططوا لاختطاف مبتغاهم، وخاصة أننا لا نعرف شيء عن ماضي "همسة" كما تقولين"، يبدو أنها مشاكل قديمة، فأنت أكدت بناء علي كلام أخيك، أنه لم يكتسب عداوات تصل إلي اختطاف أهل بيته.

- يا "شارلوك هولمز" نحن نعرف ماضي "همسة" إلى حد كبير، فوالديها توفيا في حادثة احتراق منزلهم، ورباها أصدقائهما حياتهم كانت فقيرة لا تستدعي كل هذا، ثم إن ....



قطع حديثها رنين هاتفها الجوال، فالتقطته، واستأذنت "ملك" لترد بحفاوة بعد السلام:

- كيف حالك يا "دنيا" لقد أوحشتني كثيرا أنتِ و"منال" و"هاجر".
- الحمد لله بخير حال، أنت أيضا أوحشتني حبيبتي.
- كيف حال العم "محسن"؟
- الحمد لله حالته في تحسن، أنا ذاهبة إليه الآن.
- الحمد لله إنه بخير، ربنا يعيده إلينا سالمًا معافى.
- اللهم آمين...، أين "همسة" اتصلت عليها كثيرا ولكن تليفونها مغلق؟

نظرت "ندى" بقلق إلي "ملك"، فمطت الأخيرة شفيتها لا تفهم لما حيرة صديقتها، ثم تحدثت متلعثمة:

- "همسة".."همس.." هي بخير إن شاء الله، بخير لا تقلق
- ماذا بها "همسة" يا "ندى" لماذا تلعثمت وترددت قبل الإجابة، طمأنيني؟
- لا شيء يا "دنيا" هي.. أعذريني يا "دنيا" لم أود أن أثقل عليكِ همكِ بهم آخر، وأنا أعرف مقدار حبكِ لـ"همسة"، ولكن يبدو أنه لا مفر سأقول لكِ الحقيقة.

صمتت هنيهة تنظم نفسها، قبل أن تخبرها:



- للأسف "همسة" مختطفة منذ ظهر أمس، ولا نعلم عنها أي شيء.
- ماذا؟...، كيف حدث هذا؟...، ومن اختطفها؟...، وكيف لم تبلغينا بهذا يا "ندى"؟
- اهدأ يا "دنيا"...، أنا فقط لم أرد إزعاجكم وأملنا في الله أن تعود صباح الغد، كما حدث مع "هند"، لقد أبلغنا الشرطة هي تحقق في الحادثة.
- فلتخبريني بما حدث بالتفصيل...، هناك أمر أريد إخباركم به أيضاً.

\*\*\*\*\*

- جيد، هذه هي الأخبار، أين مكانها؟
- لماذا يا "آدم"، دعنا نباشر عملنا، ولا تقلق سأبلغك بكل جديد.
- لا تقلق لن أذهب إلي أي مكان أنا قادم إليك، فلن يهدأ لي بال وأنا جالس أفكر ماذا قالت؟، ولماذا فعلت ما فعلته؟...، ومن حرضها؟...، لن أتأخر مسافة الطريق فقط.. السلام عليكم.

أغلق الهاتف دون أن يعطيه فرصة للاعتراض، فزم "خالد" شفتيه وهو يحدث نفسه بقلة حيلة:

- أنا من جلبت هذا لنفسني، كيف لم أفطن إلي لهفته الزائدة علي زوجته، ما كان علي أن أبلغه بكل تطور

فور حدوثه، كنت أظنه "آدم" الرزين الهادئ، ولكن يبدو أن "همسة" قلبت كيانه وأبدلت مكان الحجر قلب ينبض .

قطع شروده طرقات علي الباب، أذن بالدخول، فأعطاه العسكري بطاقة مدون عليها اسم ضابط مباحث بقسم "المنيب" يطلب مقابلته، قرأ الاسم ولكنه لم يعرفه، فوافق علي دخوله.

وبعد دقيقة، دلف شاب بنيته متوسطة، ملامحه مألوفة ولكنه مازال لا يعرفه، فتحدث الضابط أولاً:  
- "خالد باشا".

نظر "خالد" إلي البطاقة الموضوعه أمامه، ثم قام يصافح اليد الممدودة إليه مرحباً به:

- أهلاً وسهلاً سيد "حسام"، تفضل بالجلوس.

طلب له مشروبه، ثم انتظر منه المبادرة، فأخرج "حسام" علبة سجائره يقدم منها إليه.

- لا أدخن، شكرًا لك.

تقبل رفضه بلا مبالاة، ثم أشعل لنفسه واحدة، والتف ناحيته ليبدأ في تبليغ الرسالة التي جاء بها:

- أنا الضابط "حسام شُهدي" ضابط بقسم "المنيب".  
- أهلاً بك مرة أخرى، تشرفت بمعرفتك، كيف أخدمك؟

- أنا أحقق في قضية مقتل "متولي شفيق" وزوجته.

لم يرتح "خالد" لهذا الضابط، ولكنه حاول تقبله، سأله:

- لا أفهم... من هذا؟... وما علاقتي به؟

- أعذرني يا "خالد" باشا يبدو أنك لا تحقق في قضاياك

جيدًا، كيف تكون مسئول عن قضية اختفاء امرأة ولا

تعرف أهلها، أو بالأدق من كان يرعاها؟

قارب صبر "خالد" علي النفاذ، فتمالك أعصابه وهو يعود

بظهره إلي المقعد معلقًا:

- هل تركت مكتبك يا سيد "حسام" وكلفت نفسك

مشقة المجيء إلي هنا لكي تعلمني كيف أعمل!...

وتبدي رأيك في قضاياي؟

- حاشا لله يا "خالد"، دعنا نرفع الألقاب، أظن لا لزوم لها

إلا إذا كان هذا يضايقك؟

- لا.. لا يضايقني، أنا أسمعك يا "حسام".

- حسنًا... جيد جدًا يبدو أننا سنتفق ونكون فريق ناجح.

كتم "خالد" غيظه بداخله، وهو يجز علي أسنانه، عن أي

فريق يتحدث هذا؟!، فأمهله دخول العسكري يقدم

المشروب لكي يهدأ.

ارتشف "حسام" من قهوته ببرود وصوت مسموع، ثم قص

عليه علاقة "همسة" بـ"متولي" و"هناء"، فتناسى "خالد"

غضبه وغيظه واستمع بتركيز يحاول ربط القضيتين ببعضهما.

- أظن الآن فهمت لماذا جئت إليك...، وقبل أن أنسي...،  
المقدم "سالم الرفاعي" أرسل معي السلام إليك،  
فهو أيضا مسئول عن القضية، ومتشوق للعمل معك  
في هذه القضية كالأيام الخوالي.

كور "خالد" يده ضاغطا بكفه علي باطنها بقوة، حتي ابيضت  
وانحبس الدم عنها، الآن علم لما لم يرتح لهذا الضابط، لولا  
أن القضية متعلقة بصديقه، كان اعتذر عنها، فهو لن يعمل  
مع هذا الـ"سالم" مرة أخرى، هو يراه أسوأ ضابط عمل معه  
منذ تسلمه لوظيفته، حتى أنه كاد يستقيل بسببه.

- أين ذهبت يا "خالد"، فأنت لم تعلق...، هل فرحتك  
بالعمل مع "سالم" باشا لها كل هذا التأثير؟...، علي  
كل نحن شركاء في قضية واحدة الآن، فالباشا يود أن  
تبلغنا بكل جديد يطرأ في القضية.

قاطع "حسام" شروده وهو يضحك بتشفي، فتقدم "خالد"  
إلي الأمام وهو يشبك كفيه علي المكتب، متحدثاً بقوة وهو  
يثبت عينيه في عيني ضيفه، فالعين أكثر مكان يظهر فيه  
قوة الشخص من ضعفه، وخوفه من شجاعته، وصدقه من  
كذبه:

- سأنتظر منكم كل جديد أنتم أيضاً، وإذا جد جديد من  
ناحيتي سيبلغكم به صديقي "شادي" وزميلي في  
القضية، فلا داعي للعب من تحت الطاولة، أبلغ  
"سالم" أنني ما زلت كما أنا أمقت اللف والدوران،



سنتعاون في حدود القضية إلي أن نتأكد، هل هما متصلتان بالفعل أم غير ذلك، فأنا لن أحل قضايا غيري، ثم يأخذ نتائجهما هو علي الجاهز، تشرفت بوجودك يا "حسام" .. أقصد يا "حسام" باشا، أعذرني علي قصر المقابلة فعندي أشغالي وقضايا مكومة فوق رأسي.

قال "خالد" آخر كلامه وهو يمسك بهاتفه، ويلتف بالمقعد ليصدر له جانبه ويهم بالاتصال، فقام الأخير وعينه ت برق بالغضب، ثم قال قبل أن يخرج:

- الشرف لي يا "خالد" باشا، لنا مقابلات قادمة نعوض فيها هذه المقابلة بالتأكيد، فنحن في الأول والآخر فريق.

ضرب "خالد" مكتبه بقبضته، فور خروجه، فطرق العسكري الباب مرة أخرى ليطلب الإذن بدخول "آدم".

- هل من جديد؟..، قبضوا عليها؟

زفر "خالد" بضيق ومسح على وجهه، كأنه يمسح غضبه، ثم حرك رأسه بالنفي وهو يزم شفتيه.

- ما بك يا "خالد"؟

- لا شيء..، هناك أمر يخص زوجتك، الزوجان اللذان كانا يرعانها في الماضي، قد قت...

قطع حديثه رنين هاتفه، فالتقطه يرد علي المتصل:



- لماذا كل هذا التأخير يا "شادي"، أين أنتم؟
- .....
- ماذا؟...، يبدو أن الأمر أصبح معقدًا، نحن لسنا أمام حالة خطف عادية.
- .....
- حسنا...، فلتكمل ما عندك وأنا في انتظار أي جديد يظهر.
- أغلق الهاتف وهو ينظر إلي "آدم" الذي بلغ منه القلق مبلغه، راسمًا علي وجهه علامات استفهام لا تعد ولا تُحصى، تردد "خالد" قليلًا قبل أن يلقي قبلته:
- يسرية قُلت...، وجدها "شادي" في شقتها التي استأجرتها حديثًا في منطقة شعبية بالجيزة مقتولة.
- ماذا؟...، لماذا قُلت؟
- لا أعلم يا "آدم"، ولكن هناك ما أود إخبارك به عندما قطعنا الهاتف.

عاد بظهره إلي الخلف، يقول بصوت تقريرى:

- الزوجان اللذان كانا يرعيان زوجتك قبل ذهابها إلي بيت "محسن البشبيشي"، هما أيضًا قتلا منذ أربعة أيام وهناك مشتبه به واحد حتى الآن شوهد عندهما يوم الحادث.



صمت قليلا ليعطي عقل "آدم" فرصة ليستوعب، في حين أن "آدم" نفسه لم يتضايق كعادته من التشويق، فهو يحتاج هذا الوقت بالفعل ليتقبل عقله هذه الأخبار المعقدة، ثم أكمل "خالد" دون مبادرة استفسار:

- هو الحاج "محسن" ..، و صدر قرار صباح اليوم بوضع حراسة علي غرفته، لحين إفاقة من الغيبوبة، كما أن زوجتك قد استدعيت للإدلاء بأقوالها، وبسبب خطفها تضافرت القضيتان، كل هذا يوصلنا أنه يبدو أن زوجتك كانت هي المقصودة بالخطف من البداية..، علي كلٍ هو مازال مجرد توقع.

ساد صمت طويل علي الطرفين، كلا منهما يفكر بطريقته، يحاول ربط الأحداث ببعضها كأنها لعبة التجميع "البازل"، ولكن لم توضع أي قطعة في مكانها سوى قتل ثلاثة واختطاف واحدة، قام "آدم" وهم بالخروج فبادره "خالد" بالسؤال:

- إلي أين؟  
 - بالتأكيد إلي "سها"، عندما أبلغها بصدمة قتل والدتها، من الجائز أن تتكلم وتفضي بما تعرفه.  
 - انتظر يا "آدم"، دعني أقوم أنا بهذه البادرة، فاحتمال إذا علمت بقتل والدتها سيزيد هذا من خوفها أن تكون هي التالية..، سأقدم أنا لها الحماية في مقابل أن تفضي إلينا بما تعرفه.



وقف "آدم" مترددًا، إلى أن استسلم عقله أخيرًا، فقال:

- هيا بنا إِذَا.
- لا انتظر...، أنا أريد منك مهمة أخرى، اذهب إلى الحاجة "سهام"، وحاول تستخرج منها أكبر قدر من المعلومات عن حياة "همسة" عندهم وقبل أن تأتي لهم، وعلاقتها بالوصيين "متولي" و"هنا"، وهناك أمر آخر، لماذا لم تبلغكم الحاجة "سهام" باستدعاء النيابة لها ونفت معرفة مكانها للشرطة؟
- هذا سؤال مهم، وخاصة أنها لم تحبها من الأساس، لماذا حمتها؟، ولم تحذرها؟... حسنا سأذهب إليها وأحاول استيضاح الأمر.

صمت قليلاً يفكر، ثم أضاف:

- أنا متعجب من ذهاب الحاج "محسن" إلي هذين المستغلين، لقد علمت من أمي بعد أن واجهتها بمعرفتي بأصل "همسة" قبل الزواج، أنهما كانا سيئين، وهي بنفسها أنهت علاقة "همسة" بهم وحذرتهم ألا يتصلوا بها أو يتعاملوا معها، كان هذا بمعرفة الحاج "محسن" ومساعدته، آه كدت أنسى... هل بحثت عن الرقم الذي أملكته لك؟
- لا.. لقد تطورت الأمور بسرعة ونسيت، سأرسله إلى صديق يبحث لي عنه قبل أن أذهب إلى "سها".

\*\*\*\*\*



- واختصار لكل هذا، أني أحببت "آدم" في بداية عملي بشركتهم، ولكن عندما لم يعيرني بالا اتجهت إلى "حاتم" ..، فحبي لـ"آدم" لم يكن قويًا، ولكن رفضه لي ألمني وجرح كبريائي، أنا التي لم يرفضني أي رجل كان.

ضحكت بتفاخر، وكأنها تداوي تذكرها رفض "آدم"، ثم اعترفت:

- ولكن للإنصاف أنا لم أحب أحد أكثر من نفسي إطلاقًا، بعدما أيقنت من تجاربي أن لا أحد يستحق...، فلنعد إلى "حاتم" الذي لم يكن الإيقاع به صعب، رغم استقامته...، أنا أشهد له في مجال الأعمال بالخبرة والذكاء، ولكن في سوق النساء صفر علي الشمال، خام لا خبرة لديه تمامًا.

ضحكت بزهو وهي تضيف كمعلة تشرح لتلميذة:

- وهذا النوع يحتاج للإيقاع به أن يشعر بأنك صعب المنال، لا تظهري مشاعركِ بتبجح ولكن بأدب وخجل، يجب أن يراكِ ضعيفة أمامه، لأنه يحب تمثيل دور الرجولة والاحتواء والعناية، لا أنكر أنه كان عنده وفرة من الحنان والحب والصبر، ناتجة عن رعايته لأسرته بعد وفاة والده.



- وهل قلبك طاوعك خيانة رجل بمثل هذه الصفات، لماذا؟.. لماذا لم تكوني معه بيت مستقر دون مشاكل وعقبات وأحزان، تكوني له خير زوجة، كان سيضعك فوق رأسه، ويلبي كل طلباتك؟

ضحكت "أسيل" مرة أخرة باستهزاء، ثم تحدثت وهي تمط شفيتها إلي الأمام كمن يدلل طفلاً:

- يا لقلبك الحنون الإصلاحى...، لقد ظننت أنكِ كبرت ونضجت خبرتكِ مع عقلك...، مثل هؤلاء لم يتعبوا في المال، ولذلك هو ليس من حقهم، واحدة مثلي أنا بجمالي وعقلي أستحق أموالهم، هذا هو العدل.

نفخت أنفها بغل وحققد وهي تضيف:

- كان لابد أن يحمد ربه ويقبل يده وجهها وظهرها على قبولي الزواج منه، ولكنه كان غبي يجري وراء أخلاقيات مثالية وعادات وتقاليد، أثبتت فشلها في دول العالم الغربي...، عندما تخلوا عنها تقدموا.

- المولى هو من يوزع الأرزاق، وليس شرط أن تكون أموال فقط، فهو العادل، يوزع لكل عبد من عباده ما يستحقه، فمننا من رزق الصحة دون المال الوفير فعاش دون توجع وآلام، ومننا من رزق المال دون الصحة فعاش يصرف ماله علي صحته أو أبناء عاقين أو يستثمرها في الخير، ومننا من رزق العقل فاستغله واخترع وتقدم بنا جميعاً، وكان فضله أكبر من فضل

العابد والشيخ، ومنا من رزق الحكمة، فعاش وحيها  
يُكَبِّرُه الناس والمجتمع باستشارته، ويجلوناه.

هذه المرة ضحكة الاستهزاء كانت من نصيب ثغر "همسة"،  
بثتها كرهها ونفورها من هذه المريضة نفسيًا، وهي تكمل:

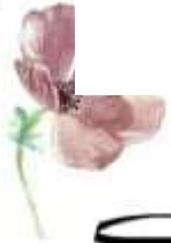
- وهذه الأخلاقيات والعادات والتقاليد التي تستهزئين  
بها، تقدم بها من هم قبلنا ولكننا لا نحسن استغلالها  
في زمننا، بل والغرب نفسه يحاول الاحتفاظ بالكثير  
منها ويمتثل لها، وعلي سبيل المثال يحاولون عدم  
الإسراف ويشترون بالثمرة الواحدة بحسب احتياجاتهم  
لا يخشون علي شكلهم أمام الناس، بل وهناك  
منظمات غربية وهيئات تدعو إلي الامتثال لتعاليم  
الدين الإسلامي في الزواج والطلاق بسبب ازدياد  
الجرائم والعنوسة، كما في بعض المدن الصينية  
وغيرها الكثير، وهناك من يتغالون كما في أريتريا<sup>51</sup>  
و السنغال ونيجيريا، ومن المفارقات في تمسك الغرب  
بتعاليم ديننا...

- كفى...، أتظنين أنني جاهلة!، أنا استمعت كثيرًا إلي  
هذه الأسطوانة، التي ترددونها كحجة فاشلة، أنا

<sup>51</sup>- إريتريا تقع في شرق إفريقيا، أجبرت الحكومة هناك الرجال علي الارتباط بزوجتين علي الأقل، علي أن

تتكفل الدولة بكل مصاريف الزواج والسكن، ومن يرفض الزواج من الأزواج أو الزوجات أكثر من مرة

يتعرض لعقوبة السجن مدى الحياة.



تخرجت من كلية الحاسبات والمعلومات، لم أتوقف عند الثانوية مثلك .

- أعتقد أنك تعلمين عني أكثر ما أعرف عن نفسي.
- أعرف عن الجميع وليس عنك أنتِ فقط، والآن فلنكمل روايتنا..، وبعدها أوقعت بـ "حاتم"، لم يتقبلنِ لا أخيه، ولا أمه، فحاولت السير مع تيارهم قليلا في البداية، رغم أنني كنت ممسكة بتلابيب قلب "حاتم" جيّدًا، ولكن الاحتراس واجب، فقوة العلاقة بينهم لا يُستهان بها، والدته فقط هي التي فطنت إلي نواياي، فحاولت تجنبها والحديث عنها مع ابنها بكل خير، حتى يدافع عني أمامها بهذه النقطة، ولا يصدق تحذيرهم.
- لقد أخذتِ حذرِكِ جيّدًا.
- ألم أقل لكِ أنا أذكى من الجميع، شعاري في مخططاتي هو أخذ الحيلة والحذر، حتى ممن هم في صفّي، ويعملون تحت إمرتي، أشك في الجميع بلا استثناء، كلهم عندي مدانين، مهما تفانوا في خدمتي.

صفت كمعلم يشيد بتلميذه، وهي تستأنف حديثها بتعالى:

- أحب هذا التفاعل، يشعرني بالاهتمام والتركيز أنت تلميذة نجية.. سأكمل لكِ..، وبعد الزواج تمكنت منه أكثر وصار هو أضعف، مما جعلني أشمئز منه وأنفر، فزادت وتنامت عصبيتي وملي مني، اتجهت إلي "آدم"

مرة أخرى، وعندما لم أنجح، حاولت التفريق بينهما ولكن الرابط بينهما كان قوي لأبعد حد، لم أستطع زحزحته حتى.

تحول وجهها للغضب مرة أخرى، ثم استأنفت:

- أنجبت "هند" و"هيثم"، وصرت لا أطيق زوجي، مهما فعل لي لأنه ضعيف، فالبعض يهوي الضعف في الحب ولكنني أهوى القوي الذي لا تطغى عليه مشاعره، تعرفت علي رجل وجدت فيه القوة والنفوذ والمال الوفير والذكاء، جذبني إليه بمحاولات تحديه لي في كل شيء، لعبنا كثيرًا لعبة القط والفأر، استطاع أن يدخل لي من النقطة التي أحبها وأهواها، ظلت علاقتنا ببعض تتنامى سنوات، حتي هذا اليوم المشئوم.

مطت شفتيها باستهتار، ثم أكملت:

- عندما اكتشف "حاتم" علاقتي به، لا أعرف كيف؟، ولكنه قال لي وسط كلامه أنه كلّف أحدهم بمراقبتي بعد إنارة بصيرته ورؤيته لي علي حقيقتي...، وهذا كلام فارغ بالطبع، لن يصلي شخص ويتقرب إلي الله ويدعوه فيكشف عنه الحجاب فجأة ويرى ما لم يكن يراه في يوم وليلة.

- بل هذا وارد، عندما يرد الله لشخص الإفاقة يلهمه الدعاء والاستغفار ويوفقه للعمل الصالح الذي يفرج

قربته به، ومن الجائز أنها دعوة أم أو أخ أو أخت أو حتى شخص يساعده له، فعمل الخير لا ينفذ منابهه أبدًا، تظل بركاته تلاحقك وتثقل مصارع السوء.

- إذا هذه دعوة الشمطاء أمه، وسم النبيء "محسن"، لقد كان يتدخل ويحشر أنفه فيما لا يخصه وينفث سمه في عقل "حاتم"، حذره مني كثيرًا، بل وشجعه علي طلاقي، وها هو أخذ جزاءه، أو دعينا نقول جزء من جزاءه كنت أحسبه مات، عندما قمت بدفعه إلى هذه الحادثة، ولكنه مثل القطط بسبع أرواح، الأيام بيننا، يبدو أنه عاش لأعذبه أكثر قبل قتله.

ثقل نفس "همسة" اشمنزازًا منها، لقد تأكدت أنها مريضة نفسيًا طمس على قلبها السواد، وسكنه الغل والكره، تعجبت من وجود مثل هذه النفوس!، هل ولدت كالغلام الذي قتله "الخضر" مع النبي "موسى" شقية، أم أنها ضحية مجتمع وبشر صبغوا قلبها باللون الأسود.

قطع شرودها صوت "أسيل" بنبرة الاستهزاء، التي يبدو أنها ألصقت به وكأنها أصبحت نعمة مصاحبة له:

- أين ذهبت؟.. لا أحب الإعادة فوفري عقلك الصغير هذا لمحاولة استيعاب ما أقوله، أين توقفنا؟.. حسنًا تذكرت، ضبطني "حاتم" في هذا اليوم، كان صديقي النذل قد هرب من سلّم المطبخ، عندما سمع صوته بالخارج، فأنا فتحت له دون أخذ احتياطي، لم أتوقع

مجيئه، لقد كانت شقة استأجرتها بمال صديقي، فلم أتوقع معرفته بها.

- هاج وسب وحاول أن يضربني ولكنه كان يقبض على يده كي لا يفعل، في كل مرة كنت أضحك بداخلي أي رجل يتحمل في غضبه ويتحكم في شيطانه مثله، حاولت تهدئته والاعتذار له والتدلل عليه، ولكن لا فائدة، فألقى علي يمين الطلاق ثلاث مرات ونزل، دخلت مسرعة ارتديت تنورة وقميص لم أغلق بعد زرّه، أغلقتها وأنا متجهة إلي المصعد لألحق به، فمن حسن حظي، أنه وجد المصعد مشغول، فنزل على قدميه من الدور الخامس.

جلست على المقعد تأرجحه إلى الأمام والخلف باستمتاع، ثم أكملت:

- وهذا أعطاني الوقت لألحق به وهو يفتح باب سيارته، قفزت بجانبه علي المقعد المجاور، رفض بقائي بشتى الطرق، حتي أنه نزل من مقعده وذهب لينزلي بالقوة، فوجد أن الناس بدأت في الالتفات إلى مصدر الصوت، ذهب إلي مقعده مرة أخرى، وقال لي مهما "حاولت لقد بصقتك وانتهى الأمر"، كنت في كل مرة أترجاه فيها أقسم مقابلها أني سأجعله يدفع ثمن رجائي وذلي له آلاف المرات، ولكن لم يمهله القدر لانتقم منه ومات ميتة رحيمة عما كنت أتوعده بها.



ظهر الألم علي وجه "همسة"، وفرت دمعة هاربة لم تستطع ردعها، لم تعبأ "أسيل" بل شعرت بالنشوة، وهي تسألها :

- ما كل هذا الألم الذي تلبّس وجهك، هذه مجرد مقتطفات عن الماضي، الألم الذي ينتظرك لم يأتي بعد، لا فيما سأقصد ولا فيما سيحدث لك، فأنتِ لكِ عندي مفاجأة تكسب "الجوكر" وحدها، متشوقة لأرى وجهك بعدها.

ظلت "همسة" تنظر إليها بجزع، حتي توتر فم معدتها، فأمسكت عن التقيؤ بصعوبة، محدّثة نفسها بأن هذه المرأة ليست من بني الإنسان بل شيطان في جسد إنسان، فكم الكره والغل الذي بداخلها لا يسع قلب إنسان طبيعي أبداً، تماسكت لكي تفسد نشوتها، وعلقت بعد طول صمت:

- وأنا أنتظرها بشوق أكثر منك، فلتكلمي إذا لنصل إلى النهاية بسرعة.

- قلت لك، ثوب الشجاعة لا يليق بك، ليس مقاسك، أنت صغيرة جداً وضييلة عليه، ولكن ما الضير أن تحاولي، وأنا سأحاول أيضاً إقناع نفسي بشجاعتك، وتكون هذه أمنية موتك، لا بأس.

- شكراً لكرمك وسعة صدرك .

- بعد ذلك انطلق بالسيارة بسرعة جنونية، حاولت تهدئته لم أرد أن أموت، لم أتمتع بالكثير بعد، ما زلت



في ريعان شبابي وأوجه، لم يستمع إلي، واتصل علي أخيه يبلغه أنه سيطلقني، كان يقصد علي الورق، لم يبلغه أنه طلقني شفاهة...، وأخبره أنه عاد إلي صوابه..، لم أستمع إلي حديث أخيه ولكن المكالمة كانت عبارة عن سب وقذف في، وكأنه بذلك ينفث عن غضبه، وصلنا عند جزء من الطريق الدائري كان به إصلاحات فجعلوه طريق واحد تسير فيه سيارات بالاتجاهين، حتى فوجئت بعربة نقل كبيرة أمامنا صرخت فيه.

\*\*\*\*\*

- هذا يدل علي أنه ازداد قوة منذ آخر لقاء لنا، فهو لم يكن بهذا التبجح وهذا الأسلوب من قبل، إذا ستكون جولتنا شيقة يا "خالد صادق".
- يبدو أنه ليس بالسهل أبدًا يا "سالم" باشا، فأنا لم أرتح في التعامل معه، لقد أهانني، لولا توصيتك بعدم كسب عداوته كنت لقتته درسًا، أنساه هذا التعجرف إلي الأبد.
- لا تتسرع يا "حسام" فهو له "طار" قديم عندي، ويبدو أن موعد الأخذ به قد حان.
- أنا سأقوم باتصالاتي حتى يأتي له الأمر من رؤساءه لكي نلجمه قليلا، وأنت اذهب وتقصي عن آخر التطورات في قضيته، سنفسد له الأدلة ونعرقله، مدام

- لم يستقيل في الماضي بإرادته، سأجعله يفصل عن الخدمة هذه المرة رُغماً عنه.
- علم وينفذ...، على أمل أن أتعلم من ذكائك، فأنت حقاً قدوتي يا باشا.
- سوف تتعلم، فقط اترك عدوك يأمن لك، حتى لو اضطررت لنفاقه وخداعه، ثم اقفز عليه كالضبع، مخترقاً قواعد اللعبة دون ضوابط حاكمة، فالقواعد لا مكان لها في زمن القوة.

\*\*\*\*\*

- يا الله، لماذا تفعل "يسرية" أمر كهذا، أنا لم أقابلها إلا مرات معدودة ولا أعرفها ولكن بالتأكيد "آدم" كان يغدق عليها، فهل هذا جزاءه؟
- الطمع يا "دنيا"، ربنا يعافينا، يا رب تمر على خير وتعود إلينا سريعاً مثل "هند".
- أتمنى ذلك.. كنت سأغلق للذهاب إلى أبي وكدت أنسي، العم "متولي" الوصي علي "همسة" قُتل هو وزوجته، حتي أنهم طلبوا شهادة أمي وأبي، ولكن أمي أخفت عن الشرطة معرفتها بسكن "همسة" عندما سألوا عنها.



صمتت "ندى" برهة، فظنت "دنيا" أنها تريد التعليق على موقف والدتها، فالكل يعلم بكره "سهام" لـ "همسة"، فحثتها علي الحديث، ولكن "ندى" فاجأتها بأمر آخر:

- من خلال هذه المعلومات، يبدو أن توقع "ملك" صديقتي صحيح، وأن "همسة" المقصودة من البداية، اللهم سلّم يا رب.
- لقد أقلقنتني يا "ندى"، ما توقع "ملك" كاملاً؟
- هي معي هنا، سأفتح مكبر الصوت تشرح لك هي بنفسها.

\*\*\*\*\*

- أهلا بك يا "آدم"، كيف حال "عايدة" و"ندى"؟
- الحمد لله بخير حال، كيف حالكم جميعاً، أنا أتابع حالة الحاج من الطبيب مباشرة، والحمد لله أنه في تحسن.
- الحمد لله، نتمنى ربنا يعافيه ويخرج لنا من جديد.
- يا رب..، لقد وصلني أن "متولي" الوصي على "همسة" توفي هو وزوجته في حادث، هل اكتشفوا من الجاني أم مازالوا يبحثون عنه؟

جف فم "سهام" فجأة وارتعشت شفتاها، رسمت ابتسامة باهتة عليها، وهي تجيب:



- لم أتابع، هما ليسا من باقي العائلة أو...، من أين عرفت بهما؟..، أنا آخر ما وصلني أنك تعلم أن "همسة" إحدى قريباتي!، وكيف علمت بقتلهما؟
- أمي أخبرتني بكل شيء حول أصل "همسة" قبل الزواج، بعدما عدت من السفر، وأما معلومة قتلها، فمن صديق لي بالشرطة، ألا تعلمين أن "همسة" زوجتي قد أختطفت؟

تظاهرت بالدهشة، ثم تحدثت بأسف:

- متى وكيف حدث هذا؟..، وكيف لم تبلغونا بهذه الفاجعة؟
- لقد أختطفت ظهر أمس، فانشغلنا بالبحث عنها، لأن "يسرية" مدبرة منزلنا هي التي ساعدت في اختفاءها، ثم اختفت بعدها ولم نجدها.
- يا الله.. ربنا يعيدها إلي بيتها سالمة، من يا تري الذي أقدم علي هذا الجرم؟، فعلى حد علمي "همسة" ليس لها أعداء..، أم أن الأمر له علاقة بعملك يا "آدم" صارحني؟
- لا ليس له علاقة، ولذلك كنت أود معرفة تفاصيل أكثر عن "متولي" وزوجته، ولماذا قُتلا في نفس التوقيت؟
- لا أعلم شيء يا بني، كل علاقتي بهما أننا كنا نساعدهما أنا والحاج، وفجأة بلغني أنهما قد توفيا..، أقصد قُتلا.
- من أبلغكم؟



أخذت رشفة من العصير الذي قُدم لهما، لتدرس كل كلمة تتلفظ بها قبل خروجها من فمها، ثم أجابت بحزن:

- الشرطة استدعتني بدلا من الحاج "محسن"، فهو الذي زارهما في نفس يوم الحادث، أدليت بأقوالي ولم أعتني بالسؤال عن القضية حتى الآن، لقد انشغلت مع الحاج كما تعلم.
- نعم...، نسأل الله العافية له، هل كانا يتحدثان عن "همسة" أو أي أمر يخصها بعد زواجها معكما، أنا أعرف أن أمي طلبت منهما الابتعاد عنها.
- لا...، معي أنا لا لم يتحدثا.

أمسك "آدم" جبهته بكفه يدلكه، لم يخرج بأي معلومة مفيدة منها، شعرت "سهام" لوهلة بالذنب، هي لم تعتد علي كل هذا الشر، كيف تتستر علي جريمتا قتل وخطف لمجرد كرهها لفرد؟، قطع استرسال تأنيب ضميرها صوت "آدم"، وهو يهيم بالقيام:

- ادعي لنا يا حاجة، فأنتِ كنتِ آخر أمل لي، لأن "يسرية" قُتلت هي أيضاً.

فزعت "سهام" وقفزت في مكانها، فانسكب القليل من كأس العصير علي ثيابها، فمسحته بعدم تركيز، تحاول التأكد مما سمعت:

- ماذا قلت؟... متى.. متى حدث هذا؟... وكيف؟



- اكتشفت الشرطة جثتها قبل مجيئي إليك بلحظات،  
أنا أعتذر على كم الأخبار السيئة التي أبلغتك بها،  
سأغادر أنا الآن.

أجاب "آدم" بيأس، وقد قام بالفعل متجهًا إلي الباب، ولكنه  
توقف واستدار ليسألها آخر سؤال:

- لماذا لم يستدعوا "همسة" للشهادة مثلكما أنتِ  
والحاج، وكانت هي الأولى؟

تحدث كأنها منومة مغناطيسيًا:

- لقد ادعيت أنني لا أعرف مكانها أو أين ذهبت بعد  
رحيلها من عندنا.  
- لماذا فعلتِ هذا؟

نظرت إليه وعقلها يأنّ وخُلدها قد ازدحم بالهموم، ثم أجابته  
باستكانة وضعف صادقين هذه المرة:

- أخطأت...، لو كانت ذهبت إلى القسم كان قد فُتح  
الكثير من الدفاتر، وكانت لاتزال وسطنا الآن، ولكنني  
معترفة أنني أخطأت.

قضب جبينه واستدار بجسده كله يتطلع إلي وجهها،  
متعجبًا من حالتها يسألها:

- أي دفاتر؟.. أنا لم أفهم شيء مما قلتِ.

تداركت سهوها سريعًا، وهي تجيبه:



- أقصد دفاتر قتل "متولي" و"هنا"، فكان من الممكن أن تظل في هذه الدوامة فيخشى خاطفوها أن يقتربوا منها، وهي في استجواب مفتوح مع النيابة، وتحت أعين الشرطة.

- هذا يتوقف علي السبب الذي خُطفت من أجله، فإن كان أمر هام كانوا سينتظرونها، هوني علي نفسك، لقد أردت حمايتها ليس أكثر، جزاك الله خيراً.

شكرها، ثم غادر، لم يسترح لما سمعه كله، ولكن لا سبيل غير تصديقها مؤقتًا حتى يثبت العكس.

وضعت الكأس علي الطاولة، ثم أمسكت رأسها، ماذا فعلت؟، وكيف ورطت نفسها مع أناس مثل هؤلاء؟، كيف وصل بها الحال إلي هذا الانحدار؟

قامت عن مقعدها وصعدت إلي غرفتها بخطوات واسعة أقرب إلي الهرولة، أغلقت الباب جيدًا، ثم طلبت رقم وهي تغلي وتنفور، لن تسمح بحدوث جرائم أخرى يكفيها ما ساعدت فيه، جاءها رد محدثها:

- كيف حالكِ يا حاجة "سهام"، وما الأخبار عندكِ؟

- لست بخير...، ما حدث وما يحدث أصبح خارج طاقة تحملي، لم أتوقع أنا يصل الأمر إلي كل هذا!، ثلاث جرائم قتل، وجريمة اختطاف؟

- وما شأنكِ بهذا؟...، لقد انتهى دوركِ، وليس لكِ علاقة بالأمر بعد ذلك.

- كيف ما شأنني بهذا؟، لي علاقة بالأمر بالطبع، لماذا إراقة كل هذه الدماء؟
- قلت لا شأن لكِ بالأمر بعد ذلك... انسيه إذا كنت تريدين العيش بسلام أنتِ وأسرتكِ.
- هل هذه هي نهاية صمتي ومساعدتي لكم...، أتهددونني؟
- هذا آخر تحذير.. نحن لا نمزح، وأظنكِ قد تأكدت من ذلك بالفعل...، اقتطعي ما حدث برمته من ذاكرتكِ، وألقه خارج رأسكِ، هذا هو الأفضل لكِ.

سمعت صوت إغلاق الخط، ولكنها ظلت ممسكة بالهاتف علي أذنها، لا تستوعب ما حدث؟، ثم تذكرت سندها الحاج "محسن" لم يجرؤ أحد علي التحدث إليها بمثل هذا الأسلوب في وجوده، كانت تنعم بالحماية والاطمئنان وهو معها.

أنزلت يدها الممسكة بالهاتف بجانبها، ولم تكن يدها وحدها التي نزلت، لحق بها دمعة وراء أخرى وكأن الدمعة الأولى كانت إيذانًا بفتح باب السد ليندفع سيول دموعها تجرف ما تبقى من كرامتها واطمئنانها وهدوءها، وحتى كبرياءها.

فهي لم تفقد زوجها رُكنها فقط، بل فقدت احترامها لنفسها وصلتها بربها، بعد الانجراف في المعاصي معصية وراء الأخرى، كل هذا تطور منذ نقط قلبها بنقطة سوداء وهي



الغيرة من "همسة"، تنامت هذه النقطة دون رادع زادها وقود التحدي والكبرياء، لم تتوقع أن خطيئة واحدة تساهلت فيها تطور إلي سيل من الذنوب.

بزغت نقطة ضوء في قلبها وعقلها، ذكّرتها "إن الحسنات يذهبن السيئات"، وأن الوضوء تطهير للنفس قبل البدن من الأدران، وأن الصلاة هي إعادة صلتها بربها.

قامت وركنت إلي الصلاة فكل أمر الله خير، لو كان زوجها هنا كانت من الممكن أن تركز إليه لا إلى الخالق وتظل علي تكبرها، لقد سلب منها عبده، لكي تلجأ إليه هو الخالق، فطنت لتدابير المولى وقامت تصلي وتبكي كما لم تبك من قبل.

\*\*\*\*\*

- البقاء لله يا "سها"، لقد آثرت القدوم وإبلاغك بالأمر بنفسي.

ظلت "سها" علي صمتها، تنتفخ فتحتي أنفها وتغلق مرات بغضب وحزن، فتدخل زوجها ليرد عنها:

- البقاء لله وحده يا باشا، لا يقولها لك أحد.

نظر إليه "خالد"، فرأى اللامبالاة علي وجهه، فوجّه كلامه مرة أخرى إلي زوجته، التي لمس فيها الغضب والحزن علي والدتها:



- هل عندك ما تذكرتيه وتريدين إخباري به، بخصوص من قتل والدتكِ واختطاف زوجة السيد "آدم"؟ .

ظلت علي صمتها تنظر أمامها، وكأنها لم تستمع إليه، كاد زوجها يتدخل مرة أخرى، فنظر إليه "خالد" نظرة ألجمته، و تحدث بحزم يضع حدًا لتدخله:

- هي ليست بكماء يا "وليد"، وأظن واضح من حديثي أنني أوجه لها هي الكلام وليس لك.

عاد بنظره إليها، ليتحدث بنبرة أهدأ:

- إذا أردت الحماية من الشرطة لكِ هذا يا "سها"، إذا كان عندك ما تخبريني به فهذا هو وقته، ولا تقلقِ أنا كفيل بحمايتكِ.

وجهت نظرها إليه وكأنها تسمعه لأول مرة، فرأى في عينيها الدموع التي تحبسها، وعندما فتحت فمها لتتحدث امتثلت عينيها لأمر الفتح هي الأخرى وسالت دموعها على وجنتيها بالتتابع، لم تعبأ بمسحها، ولم يرف لها جفن، ثم خرج صوتها مازال قويًا غير مهتز أو مرتجف:

- لا يعزبك أحد يا "خالد" باشا..، أنا.. أنا...

لعلت شفيتها وضمتمهم بغضب، تحاول التحكم في أعصابها، ثم أردفت:

- إذا تذكرت شيء سأتي إليك يا باشا.



زفر بضيق، ثم ضرب علي ساقيه بكفيه وأوماً برأسه، هو واثق أنها اهتزت وتحتاج إلي دفعة صغيرة للكلام، ولكنه لن يضغط عليها الآن، فأختها الأخرى عندما تعلم، بالتأكيد ستقوم بهذه الدفعة الأخيرة.

سحب بطاقة من حافظة نقوده وأعطائها إليها، وهو يؤكد لها للمرة الأخيرة:

- هذه البطاقة تحوي أرقام هواتفني، فإذا تذكرت أي شيء في أي وقت اتصلني علي ولا تقلق، كما وعدتك ستكونين شاهد ملك وفي حماية الداخلية، أنت وجميع أفراد أسرتك..

قام من مجلسه متجهاً إلي الباب، فقفز "وليد" ليوصله وهو يردد عبارات الترحاب والشكر علي مجيئه، ويعدده أن يتجهوا إليه فور تذكرهم أي شيء يخص القضية.

عاد إلي زوجته ليدعمها كي لا تضعف:

- أحسنت يا "سها"، لقد خفت للحظات أن يؤثر عليك بكلامه المسموم هذا، كنت ستكتبين شهادة وفاتنا إذا ضعفت عندئذ.

نظرت إليه وقد استدعت كل غضبها المكنون بداخلها، لتفرغه في وجهه:



- شهادة وفاتنا!...، ومن قال لك أنهم لن يتخلصوا منا نحن أيضا؟، يبدو أن لا عزيز عندهم ولا يهتمون لأحد، لقد قتلوا أمي بعد كل ما قدمته لهم، قتلوها بدم بارد.

تسارعت دمعاتها تؤازرها، وظهر بصوتها بحة وهي تضيف:

- من لي أنا وأختي بعد موتها الآن؟.. حتى أنت كانت بمثابة طوق النجاة لك دائمًا، اعتبرتك كابنها الذي لم تلده، ظلت تعمل وتشقى وتنحت في الصخر كي تطعمنا جميعًا، وكلنا نجلس متربعين هائنين غير عابئين بتعبها، حملت همي أنا وأختي قبل وبعد زواجنا، وبعد كل هذا تريد مني أن أصمت علي قتلها بهذه السهولة؟

- أهدأ يا حبيبتي.. أنا لا أق.. لا أقصد ذلك بالطبع... أهدأ وكل شيء سيُحل ولكن بالعقل، هي تعبت من أجلنا جميعًا، ولكن الحي أبقى من الميت، ماذا سنستفيد إذا غامرنا بالإفشاء بما لدينا، هل ستعود لنا؟..، بالطبع لا إذا فلنترث ولا نتسرع في التصرف فنقع فيما لا يحمد عقباه، تذكري أبناءنا.

نظرت إليه بقلة حيلة كلامه منطقي، فهي لن تستفيد شيء من الاعتراف بكل شيء، بل ستعرض حياتها وحياتهم كلهم للخطر، لا مفر من الصمت وكتمان الحزن والألم في صدرها.

\*\*\*\*\*



- صرخت فيه بقوة لكي ينتبه، ولما أيقنت أن لا مفر من الاصطدام، فتحت الباب الذي بجانبني وقفزت في نفس اللحظة التي حدث فيها الاصطدام، فكنت محظوظة أننا بجانب حافة طريق خالي من السياج بل ينحدر للأسفل إلي أرض زراعية، فتدحرجت إلي الأسفل ثم قذفني الانفجار إلي وسط الأرض تقريباً، وحجبت عني الأشجار، الأجزاء المشتعلة التي تناثرت من الاصطدام، وفور سقوطي فقدت الوعي، فلم أع أي شيء حدث، لم أفق إلا بعدها بيومين في مستوصف قريب من المكان الذي سقطت فيه.

لم تنتش "أسيل" بدموع "همسة" المسابة هذه المرة، لقد كانت حاضرة معها بجسدها غائبة بوعيها وعقلها، ترى أمامها ما حدث، تتذكره بتفاصيله كأنه يحدث الآن، لقد مرت بفترة عصيبة، لو كان أحد غيرها كان قد انكسر ولكنها ليست كغيرها.

لقد زادت هذه الحادثة قوة فوق قوتها، وكان الحادثه قتلت قلبها وليس جسدها، قضت على ما تبقى من بقايا الروح في قلبها، فأصبحت بلا قلب لينبض يحب ويكره، فقط وعاء يضح دم مسمم بالغل والحقد لباقي أنحاء الجسد، وكأنه مصنع ينتج دم بجينات الكره فقط.



تنهدت وهي تزفر بقوة، يبدو أن عمرها طويل، ستعيش حتى تستمتع بكل ملذات الحياة، ولن تتنازل عن ذلك، نظرت إلي "همسة" وعلى شفيتها الوردية المكتنزة الجميلة بسمه، لطالما كانت تسلب بها لب أثقل رجل دون عناء، عادت لتكمل:

- لقد وجدني أصحاب الأرض بعدما سمعوا صوت الانفجار وخرجوا ليستكشفوا ما حدث، فوجئوا باندلاع النيران في أرضهم، وعندما هموا بإطفائها وجدوني، فأخذوني إلي المستوصف، وهناك منع نقلي إلي مشفى كبير لأنني كنت مصابة بجروح وكسور وبعض الحرق، ونقلي سيكون خطر علي حياتي.

ضمت شفيتها ثم مطتها بازدياء قبل أن تضيف:

- مكثت بهذا المستوصف لفترة، ثم اتصلت بأفضل صديقة عندي، كنت قد زرعتها في شركة "حاتم"، منذ بدء محاولاتي للإيقاع به، وبعدما قويت شوكتي وضعتها في منصب حساس، لكي تجلب لي كل الأخبار، وقد كانت خير عون لي بالفعل، جاءت وظلت بجانبني طوال هذه المدة.

- وأين أبيك وأمك؟، أين عائلتك؟

نظرت إليها "أسيل" نظرة مطولة، كأنها تسبر أغوارها... كأنها تتجول داخلها لتقرأ دوافع سؤالها، ثم ردت بلامبالاة:



- لم يكن لي إلا أُمي في هذا الوقت، وتوفيت أثناء فترة مكوثي بالمشفى، كانت تحتاج إلي علاجها ولمّا لم تجد أدويتها ومن يراعاها، وجدتها صديقتي متوفية بالشقة التي كنت قد استأجرتها لها، كنت قد أرسلت صديقتي إلي الشقة لتجلب لي مال قد خبأته بها، حتى أُمي لا تعلم عنه شيء، لكي أدفع مصاريف علاجي.

نظرت إلى عين "همسة" بلامبالاة، ثم أردفت:

- وبالنسبة لأُمي لم يسأل عنها أي أحد رغم معرفتهم بأنها مريضة، وأن ابنتها غائبة عنها، هؤلاء هم البشر الذين نعيش وسطهم.. وعلي كلِّ هي أراحت واستراحت، لقد كانت عبء علي، ولم أكن لأستطيع التفرغ لها ولا لأمراضها الكثيرة وأنا أعد لما وصلت إليه الآن.

قطع حديثها رنين هاتفها، فغادرت الغرفة لترد عليه، كان هذا بمثابة نجدة لـ"همسة"، التي ضاق تنفسها وشعرت بانقباض في صدرها، لاشمئزازها من كلام "أسيل"، فهي لم ترَ في مثل جبروتها، حتى أنها كدّبت أذنها وعينيها وجميع حواسها.

حاولت إقناع عقلها أنها في أسوأ كوابيسها، وستستيقظ منه الآن، أغمضت عينيها وأمسكت رأسها تدلك جوانب



جبهتها، مع محاولات تنظيم النفس، وابتهاال لسانها بالذكر، فهو أكسجين رثتها ووقود قلبها.

تذكرت الهاتف الذي معها، فأخرجته من تحت فراشها بسرعة، ولكنها وجدته فصل شحن، كادت تلقه بقوة إلى الأرض لتحطمه من غيظها، ولكنها خشيت أن يكتشفوا وجوده معها، فيعاقبونها.

استغفرت، وكادت تقوم لتسير قليلاً فقدمها تيبست، كانت تخشى التحرك في وجودهم كي لا تفضح أمر الهاتف، فلم تنعم بهذا أيضاً.

عادت "أسيل" مرة أخرى، وعلى شفيتها ابتسامة براءة، تعجبت لها "همسة"، فكيف تبدل ملامحها في لحظة، وكيف لهذا الجمال الرقيق أن ينبع منه كل هذا الشر، فوجهها يخدع خبير بالفراسة<sup>52</sup>.

- أين وصلنا؟.. نعم لقد تذكرت، ظلت صديقتي معي، حتى انتقلت إلي مشفى ب"القاهرة" لاستكمال علاجي، قمت بعمل عمليتا تجميل، مكثت 6 أشهر فوق شهر علاجي الأول، وبعد أن اطمأنتت على شكلي، اتصلت بالصديق الذي ضبطني "حاتم" معه، ولم يكن علي علم بوجودي علي قيد الحياة، ظن هو أيضاً أنني مت معه، في البداية تهربّ مني، ولكن بعد

<sup>52</sup>- علم الفراسة: هو عبارة عن نظرية نفسية تستخدم لوصف شخصية الإنسان من خلال ملامحه وتم تعريفها بواسطة معلم القرن العشرين البلجيكي بول بوتس.

إلحاح وتحايل وعرض بعض المصالح عليه وتبادل  
 المنفعة معه، قِيلَ مساندتي وإمدادي بالمال والرجال.  
 - لماذا لم تعودي إلي أطفالك مباشرة؟  
 - أردت توطيد علاقتي بهذا الصديق أولاً، لشك في قبول  
 "آدم" لي، فإن رضخت والدته بسبب الأطفال، فرضوخ  
 "آدم" كان أصعب، فأمنت ظهري أولاً، وكنت قد تجهزت  
 للذهاب إليهم، ففوجئت بوجودك.

اقتربت من "همسة" بوجه ممتعض، ثم قالت بغل:

- لقد أخذت ما لا تستحقين...، أخذت ما هو ملكي...،  
 وأنا لا أغفر ولا أسامح مطلقاً، ففي الوقت الذي نُبذت  
 أنا فيه دخلتي أنتِ واستوطنتِ، كان من المفترض أن  
 أكون أنا مكانك.

تراجعت إلي مقعدها، وهي تداعب خصلات شعرها، بغنج  
 ودلال، ثم أكملت:

- ولكنني أصلحت الوضع، وقريبا سأسترد كل ما هو  
 ملكي، فقتلك سيكون بداية لحياتي الجديدة، اقتربنا  
 من النهاية.

- لا نعلم نهاية من ستكون؟

ضحكت "أسيل" حتي دمعت عيناها، تحدثت وسط  
 ضحكاتها:



- هل مازال عندك شك أنني سأقضي عليك هنا، أنت تحت يدي ولن يرحمك مني أحد، أنت متفائلة بزيادة، دعينا ننهي فصول الرواية لكي أكتب نهايتها بدمك كما وعدتك...، لقد كان يصلني أخبار البيت و الشركة وأعلم معاملة "آدم" لك، أعلم أنها تطورت مؤخرًا قليلًا، ولكن بالتأكيد سينسأك سريعًا معي.
- متي جندت "يسرية"؟
- منذ أول يوم، عندما علمت بتكليف "آدم" لسكرتيرته بالبحث عن مدبرة منزل بعد مجيئه من السفر قبل زواجكما، أرسلتها إليه لتعمل عنده.
- ولماذا اختطفت "هند" ابنتك؟
- قالتها "همسة" بلوم دون قصد، فأمثال "أسيل" لا يعاتب، ولا يؤخذ علي أفعاله.
- لم تكن هي المقصودة بل أنت، ولكن الأغبياء أخطأوا...، كانت ستقتل فصديقي حريص جدًا على ألا يترك خلفه دلائل، يخشي أن تسبب له المتاعب عندما يتركها تعود، ولكنني أقنعتة أن بتركها سينسون الأمر سريعًا ويتهاوى حذرهم، فنستطيع خطفك بعدها مباشرة، وبقتلها سيمكثون طويلًا يبحثون عنها ويأخذون حذرهم أكثر.
- ولماذا أنقذتها؟.. هل فجأة استيقظت مشاعر الأمومة بداخلك؟



وضعت يدها علي وجنتها باستكانة، ومثلت بابتدال وهي  
تجيب:

- لا تنسي، فأنا مهما حدث أمهما..، وصراحة سأحتاج  
ابنائي عندما أعود إلي بيتي وسط عائلة "الشامي"،  
فمن سيربي أبنائي سواي، وبدون الأولاد لن يكون لي  
مكان وسطهم.

- أنا لا أستطيع تخيل وجود امرأة مثلك، بل بشري..  
إنسان.. حي يرزق.. مثلك.

أصدرت صوت الرفض بمعاتبه، وكأنها تعاتب صديقة، وليست  
عدوة لها، ثم علقت:

- أنا نادرة.. طبيعي ألا يتكرر شخصية مثلي، أنا فريدة  
من نوعي..، قبل أن أعلن عن المفاجأة التي في  
انتظارك، تبقى أمر واحد.

- أنا المتفائلة دائماً، معك أصبحت أتوقع الشر، فلا  
أدري، هل أقول خيراً؟، أم القول الصائب هو ربي  
يسترها؟، سيكون الخير معك أمر مستعصي يحتاج  
معجزة من الخالق، هاتِ ما لديكِ.

- ها أنتِ بدأتِ تفهميني..، بعدما قتلا "متولي" و"هنا"  
صادف أن....

- ماذا؟!

- من قتلهما..، ولماذا؟



- هذا السؤال ضمن المفاجأة الأخيرة التي أعددتها لك،  
ولا أنصحك باستعمالها.

شعرت "همسة" بالدوار، وسالت دموعها دون شعور منها،  
تنظر إلي عينا "أسيل" بكره، لم يجرؤ جفنها ولا رموشها أن  
تغلقا الباب علي دموعها، قطعت "أسيل" صمت النظرات  
وأكملت:

- كنت أعلم برجوع "محسن" إلى "متولي" و"هنا" بعد  
ذهابه خلف "سهام"، فأمرت بتأخير قتلها، حتى  
يُتهم فيها، كنت أريد إذلاله قبل قتله، ولما هرب قبل  
أن يكشفه أحد، ذهبت خلفه أنا ورجالي وضيعنا عليه،  
ثم تعمدت السير بجانبه بسيارتي، لكي يراني قبل أن  
يلقى حتفه، وبالفعل رأني واندهش، ففقد السيطرة  
علي مقود السيارة وانقلبت، أرسلت خلفه من يتأكد  
من موته، كنت أحسبه مات، ولكن حظي حلو لكي  
أنتقم منه أكثر وأسلب منه فرد فرد من أسرته وأمواله  
قبل أن أقتله.

\*\*\*\*\*

- لقد صُدمت يا أمي!، كيف يضعون حراسة علي غرفة  
أبي، ماذا فعل أنت تقولين أنه للإدلاء بشهادته فقط  
وهو ليس بمتهم، فلماذا يضعون الحراسة علي حجرته  
إذا؟...، هذا المنظر قبض قلبي.



- لا تقلق يا "دنيا"، سيفيق أبوك قريبًا، وينتهي كل هذا.
- ولكن يا أمي أص...، ماذا تقولين؟... هل أنت متأكدة؟
- ماذا حدث يا "دنيا" مع من تتحدثين؟
- لقد فاق أبي يا أمي وحالته مستقرة، كنت أتحدث في الهاتف بعيدًا عن الغرفة، وأثناء رجوعي فوجئت بالمرضة تنتظرن خارج الغرفة لتبلغني أن الطبيب عنده الآن وحالته مستقرة.
- حمدًا لله.. حمدًا لله.. سأرسل إليك "منال" و"هاجر"، وأنا سأذهب في مشوار سريع ثم أمر عليكم.

\*\*\*\*\*

- لا جديد يا "خالد"، لم أخرج منها بمعلومة، ولكني شعرت بأنها نادمة وحزينة، لا أعرف من ماذا؟... شعرت أنها مصدومة حقًا من كل الأخبار، وكأن ضميرها يؤنبها، لكن لم أفهم لماذا؟
- وأنا أيضا لم أحرز الكثير مع "سها"، أنا أنتظر شيء ما يحركها، لم أرد أن أضغط عليها، تركتها تفكر وإذا لم أنجح ستذهب أنت إليها مرة أخرى.
- كيف تسير الأمور مع "شادي" هل من جديد في حادثة "يسرية"؟
- لقد مررت عليه بعد "سها"، ومكثت معه لأطلع على المستجدات، ولكن الحادثة مازالت حديثة فأمامنا وقت لتشريح الجثة وسماع الشهود ورصد تحركات من



حولها، والبحث في الأرقام المسجلة علي هاتفها، ومعرفة من اتصل بها مؤخرا، فهناك مكالمات حديثة حتي موعد قتلها، الذي حدده الطبيب الشرعي بالتقريب، ولكن لن نعتمد علي نتيجة هذه الحادثة، للأسف لقد فقدنا خيط "يسرية" برمته حالياً، حتى نكتشف الجاني أو رؤية أحد له، أو يقودنا هاتفها إلى أي خيط، لا فائدة من قضيتها.

زفر "آدم" بضيق وهو يمسك رأسه التي تكاد تنفجر، لقد مر علي والدته وأخته ومكث معهما ومر علي الشركة، أنهى بعض الأوراق الهامة بنصف تركيز، ثم جاء علي "خالد" مباشرة، لم ينم أو يأكل منذ اختطافها، والمجهود الذي يبذله ليس بالهين.

رفع رأسه إلي "خالد"، الذي تحدث فجأة:

- هؤلاء المجرمين ليسوا بهواة، بل يعرفون ماذا يفعلون جيداً، ولا يهتمون لأي شخص، من ينتهون من خدماته أو يكتشفون أنه مصدر خطر يقتلونه في الحال، من قتل "يسرية" بعثر محتويات الشقة، ليوهمنا أنها بدافع السرقة، الأبواب والنوافذ بحالتها لم يصبها كسر أو خدش، يبدو أنها فتحت للجاني بإرادتها، لم يسمع الجيران صراخ أو حركة غير طبيعية، يبدو أنها قُتلت علي حين غرة.



تحدث "خالد" دون أن ينظر إلي "آدم" وكأنه يحلل الأمر مع نفسه، كاد يرد عليه، لولا طرقات علي الباب جعلتهما يتجهان بالأنظار إليه، كأنهما كانا في سُبَات، فأذن "خالد" بالدخول للعسكري، الذي أبلغه بوجود امرأتين يريدان مقابلته.

\*\*\*\*\*

- لقد حان وقت المفاجأة..

قطع حديثها طرقات علي الباب، دخل "داغر" وحدث "أسيل" في أذنها، ففوجئت "همسة" باندفاع "أسيل" صوبها، جرتها من شعرها الذي مازال تحت حجابها بعيدًا عن فراشها، وهي تأمر "داغر":

- ابحث جيدًا...، إذا وجدناه معك لن أرحمك.

لم تحتاج "همسة" أن تعرف عما تتحدث "أسيل"، فأثرت الصمت إلا من بعض التأوهات، تحاول تخليص شعرها من يدها.

وجد "داغر" الهاتف فرفعه بغضب، عندئذ لطمت "أسيل" "همسة" لكمة من قوتها خُدرت وجنتها، حتى ظنت أن فكها قد تحرك من مكانه.

- اتركها لي، أعلمها أننا لا نمزح هنا، أريها جزء من الجحيم الذي ستراه معنا.



قالها "داغر" وهو يتحرك إليهما، يمسح كفيه في بعضهما بحماس يمرن يده، لقد اشتاق إلي تعذيب أحدهم، فابتسمت "أسيل" بغل، وهي تسلمه الدفة، تلقي إليه برأس "همسة" بعنف، عاقدة ذراعيها أمام صدرها.

ثم تحدثت برقة لا تتناسب مع فعلها منذ برهة:

- هذا أفضل لكى لا أفسد أنوثتي، سأحتاجها لاحقًا..  
كدت أنسى عندي خبر سيفرحك بالتأكيد.

نظرت إليها "همسة" بكره، وهي تمسك يد "داغر" الممسكة بشعرها، أول مرة تكره شخص إلى هذا الحد، وعندما لم ترد، استأنفت "أسيل":

- سنخلصك من غريمتك التي طالما كرهتك، وتعمدت  
إذائك.

نظرت "همسة" بخوف وقلق، حتى على صوت تنفسها، وأصبحت رثيها مختنقة كاختناق شعرها في يد "داغر".

- سنقتل "سهام"

\*\*\*\*\*



يأتي الفرج بانقطاع الرجاء عن الخلق.. وتُمحى  
الهموم بدعاء الموقن بالإجابة.



إذا ما أتاك من الدهر يومًا بنكبة  
فافرغ لها صبرًا ووسع لها صدرًا  
فإن تصاريف الزمان عجيبة  
فيوما ترى يسرًا ويوما ترى عسرًا



## الفصل الثاني عشر

- قصة عجيبة بالفعل يا "ملك"، ربنا ينجيهم منها على خير.
- اللهم آمين.. حوادث قتل واختطاف ومشاحنات.. إنه حقًا ابتلاء صعب..، لقد سمعت فقط الأحداث وكاد قلبي يتوقف من فرط سرعته وتوتري..، ولكن وسط هذا تشوقت لمقابلة "همسة"، فالكل يحبها ويدعو لها، هذا هو الأثر الطيب.
- أول مرة أسمع هذه النبذة الحزينة جدًّا في صوتك..، يبدو أنكِ تداخلتِ معهم كثيرًا في هذه الأزمة..، حتى أنكِ لم تسأليني لم اتصلتِ، وأنتِ من كنتِ تصدعين رأسي اتصالات.

قالها "جاسر" بمرح، محاولا إخراج أخته من هذا الحزن الجاثم فوق صدرها، فهي رغم مشاكستها ومشاغبتها، إلا أنها رقيقة جدًّا تتأثر سريعًا وتتداخل في مشاكل من حولها كأنها مشاكلها، بسبب إخلاصها الزائد لمن تحب.

- نعم.. عندك حق.. هل افتقدتني في هذه السويكات التي لم اتصل بك فيهم؟..، أم أنكِ أردت سماع ما حدث مع حبيبة القلب.



ردت مداعبته بأخرى، تحاول ألا تظهر في صوتها حزنها،  
لكي لا يقلق عليها.

- ماذا تقولي يا "ملك"؟، ما هذا الهراء..؟، هل  
سأشتاق لسماع أخبار إحداهن ولا أشتاق إلى  
الحديث مع أختي حبيبتي، والنوم علي صوتها وهي  
تثرثر كعادتها!!...

أصدر صوت النفى بغمه لصدمته من قولها، ثم عاد ليكمل:

- لقد اتصلت بك بالطبع لأسألك..، هل فاتحتها في  
موضوعنا..، هل قصصت عليها مغامراتي وأثنت علي  
وعلى أخلاقي؟  
- ماذا؟..، لا يبدو أنني سأت..

قالتها "ملك" بعنفوان وعصبية طفلة.

- اهدأ.. اهدأ، لا داعي للسب والقذف.. كنت أمزح، لقد  
اتصلت لأمر آخر ولكني تراجعته، لن أخبرك.  
- أخي الوحيد الأوحد الغالي، كنت أعلم أن قلبك الحنون  
لن يترك أخته تنام حزينة دون مفاجآت..، لقد كان يوم  
عصيب مع "ندى"، ففرج عني.  
- لا.. لقد اتخذت قرارى، لن أخبرك بشيء، سأغلق الآن  
لأنهى ما في يدي، وأعاود الاتصال بك لاحقاً.  
- لا تتركني للحيرة تأكل ما تبقى من أعصابي هكذا.



- وعد سأتصل بك اليوم، لا تنامي قبل اتصالي، ولكني مضطر للإغلاق الآن...، أحبك يا أجمل أخت، دمت لي بهجة حياتي، السلام عليكم.

لم يمهلها وقت للاعتراض، لقد حيرها بكلامه وأغلق سريعاً، أغلقت الهاتف ووضعت أمامها علي المكتب، ظلت تسيير في غرفتها جيئة وذهاباً، تفكر في مفاجأته، ثم اتسعت ابتسامتها مع رنين كلماته في أذنها، كم هي محظوظة بنعمة الأخ الحنون في حياتها، فهذه من أجمل نعم الله عليها.

\*\*\*\*\*

- أحلى باشا في الدنيا كلها، تلميذك النجيب فعل ما أمرته به، معي الآن الدليل الوحيد في قضية مقتل "يسرية"...، بدونه لن تحل القضية، ستظل مثل "البيت الوقف".

- "حسام".. هل قلت لك سابقاً أنك أنجب تلاميذي؟  
- شرف لي يا "سالم" باشا، نحن نتعلم منك، ونتمنى أن نصل إلي ربع ذكائك.

عاد "سالم" بظهره إلي الخلف وهو يحرك كرسيه الدوار يميناً وشمالاً ممسكاً مكتبه بكفيه

- أبهرني... هات ما عندك.



أخرج "حسام" هاتف بطريقة مسرحية كأنه ساحر يقدم عرضًا، ثم وضعه علي المكتب.

نظر إليه "سالم" وضيع ما بين عينيه، ثم مط شفثيه معلقًا:

- هذا إما هاتف "يسرية" أو هاتف أحد قاتليها، وقع منه أثناء الحادث، هل تخميني في محله؟
- بالضبط يا "سالم" باشا...، هذا هاتف "يسرية".
- وما الدليل القوي الذي يحويه، وكيف حصلت عليه؟

جلس "حسام" أولاً، ثم قال بزهو:

- دعنا نطلب القهوة تُعدل رؤوسنا، وأثناء مجيئها أخبرك بالتفاصيل.

\*\*\*\*\*

- أهلا بكما.. مدام "سهام" ومام "سها"، تفضلا بالجلوس.

قام "آدم" ليفسح لهما المقعدان اللذان بجانب المكتب، وجلس هو علي الأريكة.

- هل يمكن التحدث علي انفراد؟

نظر "آدم" إلي "سها" التي صرحت بخجل نظرة ريبة، فيما نظر "خالد" إليه نظرة رجاء، لم يستجب "آدم" مباشرة وظل



جالس ينقل نظره بينهم جميعًا، ثم استسلم وقام دون أن يتفوه بأي كلمة، خرج صافقًا الباب خلفه بعنف.

ابتسم "خالد" ابتسامة هادئة مطمئنة، وهو يعرض عليهما:

- ماذا تودان أن تشربا؟

- شكرًا لك سيادة المقدم..، "سها" تريد أن تُدلي ببعض المعلومات التي تتوقع أن تفيدكم في ثلاث قضايا، وليست قضية اختطاف "همسة" فقط.

اعتدل "خالد" في مقعده، وأولاهما جُل اهتمامه، يشجعهما علي الحديث:

- كلي آذان صاغية.. وعندي وعدي بحمايتها من أي خطر يتربص بها.

\*\*\*\*\*

- لماذا لا ترد يا "خالد"؟، أكاد أجن...، أين ذهب هذا الهاتف اللعين؟...، كيف اختفى دون أثر؟...، فهو السبيل الوحيد لنا.

- "شادي" باشا، لقد بحثنا في أغراض مسئول المعمل الجنائي واستجوبناه مرارًا، لم نصل إلي شيء يبدو أنه سُرق من بين أدواته في مسرح الجريمة، لقد أكد أنه عند وصوله إلي المعمل أول شيء يفعله يُخرج



الأدلة ويعددها علي الطاولة ليقرر بما سيبدأ، وكيف سيوزع كل دليل على مكانه الصحيح بالمعمل.

- يبدو أن السارق، كان يعلم بمكانه وأراد هذا الدليل دون غيره، ولكن من هو؟..، لم يدخل مسرح الجريمة غرباء..، فقط القليل من الشهود وكان يحاوطنا العساكر والضباط؟!..، وكان هذا بالخارج فقط، لم يصلوا إلي مكان الجثة وأدوات البحث الجنائي؟

حاول "شادي" تنحية غضبه جانبًا، ليحاول إنقاذ ما يمكن إنقاذه، والتصرف في حدود ما علمه من الهاتف، لعله توفيق الله يعاونه و يسبق هذا السارق، أو هؤلاء الجناة إن كان يتبعهم، وهذا الأقرب إلي ظنه.

سمح لمعاونه بالخروج، ثم اتصل علي صديق له، وبعد الترحاب وتبادل بعض الأوضاع الحالية، قفز "شادي" إلى مبتغاه من الاتصال مباشرة:

- أريد منك طلب صغير يا "سهل"، عندي رقم هاتف محمول، أريد بيانات صاحبه علي وجه السرعة..، أريدها في هذه اللحظة..، ولكن دون تصريحات نيابة أو تدخل قانوني.

- لهذا اتصلت يا نذل.. على كل أرسله لي الآن في رسالة، ولكن لا أحتاج أن أذكرك لا تذكر مصدر حصولك على بياناته، لا تنسى يا "شادي"، ولا تدخله في سجلات القضية.



اصطنع "شادي" الدهشة والغضب، ورد علي صديقه وجاره مداعبًا:

- لا تحتاج أن تذكرني يا "سهل"...، وهل من الممكن نسيان أمر كهذا...، لقد سجلت لك المكالمة وسأذيعها...، أو هناك فكرة أكثر استغلالية سآبقيه معي لكي لا تُقصر في إمدادي بأية معلومة بعد ذلك...، حبيبي لا تحتاج أن توصيني أنت تعلم قدر نذالتي.

تبادلا الضحك، ثم أنهى "شادي" المكالمة، وأعاد الاتصال بـ "خالد" مرة أخرى، فرد عليه هذه المرة.

- أين أنت يا "خالد" أحاول الاتصال بك منذ ساعات، لقد شرعت في لملت أغراضي وكنت سأذهب إليك.  
- أنا في مكتبي في "قصر النيل"، هناك تطورات جديدة مهمة جدًّا، أريدك أن تأتي إلي في الحال.  
- أنا أيضا عندي ما أريد إخبارك به، حسنًا سأستقل سيارتي إليك.

\*\*\*\*\*

- السلام عليكم، كيف حالكم يا "ندی"؟  
- الحمد لله يا "آدم"، هل من جديد؟



- الله المستعان.. جدّ أمر لا أعرف هل هو خير أم شر حتى الآن..، ربنا يقدر الخير.
- يا رب يا "آدم"..، بإذن الله ربنا سوف يجبرنا برجوعها في أقرب وقت سالمة معافه.
- يا رب.. اللهم آمين، أين أمي؟..، لقد اتصلت عليها لم ترد؟
- زارها صديقتان يجلسان معها الآن، يشتكين إليها بعض مشاكلهما ويستشيرونها في فعل الصواب، لقد كنت جالسة معهم في بداية الجلسة..، وعندما بدءا في السرد استأذنت وخرجت.
- وهل هي مؤهلة لذلك الآن، فهي بها ما بها..، يكفيها ضغط علي أعصابها، تستطيع سماعهن في وقت آخر.
- أنت تعلم أمي..، لا ترد أحد..، موقنة أن فك الكُربات والتفريج عن الناس وجبر الخواطر من العبادات التي تجعلها سعيدة، وإذا سعت فيها يتكفل الله بكُربها في الدنيا والآخرة.
- ربي يجعل هذه المعاناة في ميزان حسناتها..، كدت أنسى هل اتصل عليكِ "سامر"؟
- مرت ثوانٍ من الصمت، سمع "آدم" فيهم صوت ترددها، كأنه يري صفحة وجهها، فحثها علي الحديث:
- لست مشغول البال يا "ندى" وأنتِ أختي وأمركِ يهمني مثل أمر "همسة"، فلا تترددي في إبلاغي



بأي أمر يُعْمَكِ أو يضايقكِ، سأحزن كثيرًا إذا علمت  
بأنكِ تخفين عني شيء.

- لم أرد زيادة همك يا "آدم" يكفيك ما أنت فيه... أمر  
"سامر" سهل ونستطيع تأجيله، لكن أمر "همسة"  
فلا.

- ماذا فعل يا "ندی"؟...، آخر مرة تُخفين عني أمر أي  
كان الأسباب.. مفهوم؟

- عُلْم وينفذ يا فندم... يبدو أنك افتقدت "همسة" كثيرًا،  
وكلمة "مفهوم" خير دليل.

حاولت "ندی" مداعبته بالقاء مزحتها لكي تُهدأ من جو  
التوتر قليلًا.

- صدقًا.. افتقدها... بل وأشتاق إلى مناكفتها

ومشاكستها... أوحشني شكلها وطفولتها

وعفويتها... أتألم لعدم وجود ذكريات حُلوة تُصبرني

علي غيابها... كل ما أتذكره هو معاناتها معي، وكيف

كنت قاسي إلى حد أنا نفسي تعجبت منه، فيزداد

تأنيب ضميري وقلبي معًا.

- ستعود إلينا وتعوضها عن كل هذا بإذن الله.

- إن شاء الله.. حسنا.. والآن أخبريني ماذا فعل

"سامر"؟

- لا شيء يستحق... اتصل علي كثيرًا الفترة الماضية

ولم أرد عليه، رددت اليوم لأنتهي من مطاردته... كان

صوته عصبي جدًّا ومتذمرًا بسبب عدم ردي عليه...

وعندما رددت ببرود استنشاق غضبًا، لم أستطع تحمله.. فقامت بإخباره أننا لا نصلح لبعض، وأن الأمر منتهي، فثار سب وهاج بكلام مريض... ومن أنا لأرفضه؟.. وأنه كان مغضوب علي في بادئ الأمر؟...، وأنتي سأندم علي هذا الرفض...، وما إلي ذلك...، ولكن ما حيرني، أن.. أنه....

- أنه ماذا يا "ندى"؟...، وهل هناك ما هو أكثر مما قاله؟...، أخبريني بكل شيء، فحسابه ثقل هو ووالده، ويبدو أنني أخطأت بتأخري في عقابهم.

- لا شيء قوي يا "آدم"..، مجرد كلام مبالغ فيه كبقية تهديده التافه بسبب غضبه بعدما رفضته...، فهو متكبر وغروره لم يتقبل هذا الرفض ليس إلا...، لقد هدد في وسط ثورته بمصير "همسة"، مشيرًا إلي أن مصيري سينتهي كمصيرها؟

- ماذا؟.. حقًا لقد تجاوز كل الحدود، كان ينبغي أن تغلقي الخط في وجهه منذ بدء تهجمه وتتصلي بي لتبلغيني...، علي كلٍ سأبلغ "خالد" ليقوم بتحريات عنه قبل أن ألقنه ما يستحقه، لعل يكون له صلة بخطفها ولو من بعيد.

حاول "آدم" تمالك أعصابه، فبداخله بركان ثائر يحبسه بصعوبة لينفجر في من يستحقه.



- أظنه أضعف من ذلك، ولكن لن نخسر شيء إذا تأكدت منه... أرجوك يا "آدم" لا تُعرض نفسك إلى الخطر أو المسائلة القانونية بسببه هو لا يستحق .
- لا تقلقِ يا "ندى" .. أنا سأ..، سأغلق الآن يا "ندى" واتصل بكِ في وقت لاحق، أبلغني أُمي سلامي واعتذاري لها بسبب انشغالي عنكما، سأُنهي هذه المقابلة ثم أعود إلي البيت قبل منتصف الليل بإذن الله.
- استودعتك الله الذي لا تضيع ودائعه، في حفظ الله.
- أغلق "آدم" وانتظر حتي ركبت "سها" سيارة "سهام" وغادرا، فقفز من سيارته، متجهاً إلي مكتب "خالد".
- خيرا يا "خالد"، ماذا قالوا؟
- أنهى المكالمة التي كانت معه، ورد وهو يرن جرس مكتبه ليستدعي حارسه:
- خيراً.. ماذا تشرب أولاً؟..، أنا رأسي دار بي من كثرة التفكير وربط الأحداث ببعضها ومحاولة كشف ما وراء الستار.
- قهوة..، اطلب لي قهوة.. أقلقتنني؟.. ماذا قالوا؟
- "شادي" قادم في الطريق، انتظر سأقوم بعدة اتصالات ضرورية، ومن ثمَّ أقص على كليكما، يبدو أن جميع القضايا متصلة ببعضها، ومن نحن بصدد كشف هويتهم ليسوا هواة أو حتي مبتدئين.



\*\*\*\*\*

- حمدًا لله علي سلامتك يا حاج، لا تتصور فرحتي وأنا  
أدخل الغرفة فأتفاجأ بعودتك لوعيك، لا تتخيل.. لا  
تتخيل كيف مرت علينا هذه المدة.. لا تغيب عنا مرة  
أخرى، حافظ على نفسك بكل السبل، فنحن لا شيء  
بدونك.

خرج الكلام عفويا من فم "سهام" فور دخولها إلى الغرفة  
ورؤيتها لزوجها، قد عاد إليه وعيه، بل ويبدو أنه تحدث  
وتجاوب مع بناتها، فسقطت دمعاتها دون شعور منها، هي  
التي لم تبكي أمام أحد سوى زوجها مرات تعد على  
الأصابع... لم تتخيل أنها ستفتقده مع أول أزمة تمر عليها  
بهذا الشكل.

ناولتها "دنيا" محارم ورقية، فيما تأثرا كلا من "منال"  
و"هاجر" ففرت بعض الدمعات من عينيهما، انتبهت "سهام"  
أخيرا لدمعاتها، التي حفرت أكبر دروس حياتها على  
وجنتيها، مسحتهم بترقب وقلق، وهي تنظر إلي "محسن"  
تحاول التنبؤ، هل مازال يذكر شجارهما الأخير؟، هل يتذكر  
فعلها المشين؟، لكنها لم تستشف أي شيء من وجهه  
الهزيل المتعب.



جاهد "محسن" للحديث، وقد أزال قناع الأكسجين كي  
يستطع التحدث:

- ربي يحف..ظكم لي..، ويبارك.. لي.. فيكم، لا تقلقن..  
أنا.. الحمد لله.. بخير.

وضع "القناع" وهو يأخذ نفسه بصعوبة، فازدادت سرعة  
تنفسه، تقدمت "سهام" تمسح علي كتفه ورأسه، وهي  
تدعو الله بصوت مسموع أن يتم شفاءه علي خير، فيما  
التف حوله باقي بناته، يترقبون أي تطور، فقطع تركيزهم  
دخول الطبيب المعالج:

- السلام عليكم.. حمدًا لله علي سلامتكم يا حاج  
"محسن"، هيا فلتقم سريعًا.. أنت تعافيت والله الحمد،  
فقط مجرد آثار للحادث، وفور علاجها ستقوم وتسابق  
فهد إن أحببت.

ابتسم "محسن" وهو يشير له بيده، وهمّ بنزع قناع  
الأكسجين ليرد عليه، فيما سلطت "هاجر" عينيها على  
الباب تنتظر قدوم أحدهم، لماذا لم يأتي ليطمئن على  
والدها؟، ألم يتدخل في شئونهم من قبل وادعى أنه متابع  
لحالته من والده، تريد أن ترد له إهاناته.

- حمدًا لله.. شكرًا لك يا دكتور..، ربي يبارك.. فيك،  
عندما أسترده.. صحتي كاملة.. سنتسابق أنا.. وأنت..،  
لا يغرنك.. رقدتي هذه، فأنا.. أسرع.. من.. الفهد.



رفع القناع مرة أخرى ليمد رثتيه بالأكسجين، مفكرًا في نعم الله علي عباده، فهذا النفس الذي نأخذه بسهولة، بمعدل 12 إلى 20<sup>53</sup> نفس في الدقيقة الواحدة دون عناء أو جهد أو دعوة إلي الله أو شكر له... البعض محروم منه ويدعو الله مع كل نفس أن يتم ما بعده، بل ويعاني في خروج هذا النفس ودخوله.

- أبي.. أبي.. أين ذهبت؟... دكتور "هلال" ينسحب من الآن ويخشى منافستك.

ابتسم "محسن" بوهن، وقد بدى عليه التعب والإرهاق، فطلب منهم الطبيب المغادرة، غادروا جميعًا إلا "سهام" التي أصرت علي الجلوس معه، مؤكدة علي خدمته وعدم إرهاقه.

بعد خروجهم أقبلت "سهام" عليه تمسد رأسه وتربت على كتفه بحنو، فنظر إليها نظرة لم تفهم كنهها، وهمّ برفع القناع مرة أخرى، فترددت أصابعها في إكمال ما تفعل، وقد علت دقات قلبها حتى كادت تصم أذنيها.

- أين "همسة"؟

<sup>53</sup> يتراوح معدل التنفس المعتاد لدى الشخص البالغ من 12 إلى 16 نفسًا في الدقيقة أثناء الراحة، وغالبًا ما تؤثر بعض الأمراض عليه.

ويختلف عند الرضع والأطفال، حيث يتنفس الأطفال حديثي الولادة حتى عمر 6 أشهر في المتوسط من 30 إلى 60 مرة في الدقيقة، وللذين تتراوح أعمارهم بين 6 أشهر و1 سنة هو من 24 إلى 30 نفسًا. وللأطفال من عمر 1 إلى 5 سنوات من 20 إلى 30 مرة في الدقيقة.



ابتلعت ريقها بصعوبة وكان حلقها قد ضاق حتى على ريقها، لقد بدأت شكوكها تتأكد، يبدو أنه يتذكر كل شيء، تلعثت وهي تحيد وجهها عنه متحججة ببحثها عن مقعد لتجلس عليه بجانب فراشه:

- هي بخير يا حاج..، إن شاء الله تكون بخير..، لماذا تسأل عنها؟

- عندما عدت إلى وعيي، لم أتذكر شيء إطلاقاً، حتى بعدما جلست مع البنات كل هذه المدة كان عقلي يستعيد نشاطه ببطء، ولكن ذاكرتي شبه مفقودة<sup>54</sup>، فعذرًا إن قابلتك بشيء من الفتور.

تنفست الصعداء، وهي تقترب أكثر منه تربت علي كتفه، ثم قبلت جبينه، غير مدركة للدمعة التي فرت من عينيها، وهي تطمئنه:

- لا عليك يا حاج..، يكفي أنك عدت إلينا..، حفظك الله لنا..، إن شاء الله تستعيد ذاكرتك وصحتك عاجلاً غير آجل..، تخرج من هنا وأنت في كامل صحتك وعافيتك، تنير بيتك وتحيطنا بذراعيك كما كنت تفعل دائماً.

ربت علي يديها، لاحظت ابتسامة خفيفة من تحت القناع، فألمها قلبها أكثر، ترددت قبل أن تقول:

<sup>54</sup>- الإصابة في الرأس التي ينتج عنها غيبوبة، قد تؤدي إلى فقدان مؤقت في الذاكرة، يعود تدريجياً بحسب عمر المريض ومكان الإصابة، وتقبله للعلاج، والمساعدات الخارجية.

- سأقص عليك بعض المواقف لعلها تساعدك في التذكر، لقد مررت علي دكتور "هلال" قبل الدخول إلى الغرفة ونصحتني بذلك، أعلمني أنها حالة طبيعية بسبب الغيبوبة والحادث، ولكن شرط ألا تبذل مجهود أو نزهقك حاليًا، اسمعني فقط دون أن تتدخل في الحديث.

نزع قناع الأكسجين، وهو يسألها بلهفة لا تتناسب مع قدرته الحالية ومرضه:

- نعم.. الحادثة..، أرو لي سبب الحادثة وكيف تمت..، فأنا لا أتذكر أي شيء بخصوصها.

توترت مرة أخرى، حاولت رسم ابتسامة حانية، وهي تجيبه:

- الحادثة يعني توتر وقلق..، دعنا منها الآن سأروي لك وقائعها فيما بعد، الآن.. سأقص عليك مواقف من حياتنا، فأنت كنت دومًا نعم الزوج والأب.

\*\*\*\*\*

سالت الدماء من شفاه "همسة" و تلتخ وجهها بالكدمات، إثر لطمات "داغر" وركلاته، لكنها كانت أهون عليها من صندوق الجحيم، الذي طلبه من رجاله، فدخل به "سمير"



"حامد"، وأصر "رامي" علي اصطحابهما، فيما يحرس  
الباقيان المكان، ليتابعا أي مستجد.

تكومت "همسة" علي نفسها، فهي تشعر بآثار ركلاته قد  
وصلت إلي العظام، لن تستطيع الصمود أمام هذه الأدوات  
التي بدءا مساعديه في صفها واحدة تلو الأخرى على  
طاولة جلباها من الخارج خصيصًا لها.

فقلبها يكاد يقفز خارج صدرها رعبًا وألمًا، كيف لأناس مهما  
بلغ درجة إجرامهم وجحودهم أن يصلون إلى هذه القسوة!.

ظلت تبتهل وتردد الأذكار بغم جاف، ولسان مرتعش، وعين  
حجبتها الغمامة، وأيدي وأرجل هربت منها الدماء، وأنت  
فيها الأعصاب، فيما تجلس "أسيل" على مقعدها واضعة  
قدم فوق الأخرى، مستمتعة بالعرض.

- لهذا اختارتك يا "داغر" ..، "الغرف الحمراء" أضافت لك  
الكثير<sup>55</sup>.

- شكرًا لك، عزيزتي "أسيل"، أتمنى أن تستمتعي  
بالعرض.

التفت إلى "همسة"، وبدأ يقترب منها بعيون زائغة متسعة،  
وجفن لا يرف، وأنف تقبض وتتسع، وفم متحمس يلهث

<sup>55</sup>- غرف ذاع سيطها علي الإنترنت الخفي انتشرت في الآونة الأخيرة، يتم فيها الدفع مقدما كتذاكر السينما من خلال حسابات  
بنكية وغير ذلك، وتفتح برابط خاص، حيث يكون مجموعة من الساديين المرضي النفسيين قد اختطفوا ضحية، يقومون فيها  
بمختلف ألوان التعذيب حتي الموت، من فصل الجلد عن اللحم وتقطيع أجزاء من الجسم لا تعرض الضحية للموت حتي  
يستمتعوا بتعذيبه أطول فترة ممكنة وغيرها، وأحيانًا ينفذون فيها بعض اقتراحات المشاهدين، ثم يقتلون ضحيتهم حسب رأي  
من يدفع أكثر، يتم كل هذا في أماكن خاصة غير معلنة لكي لا تداهمهم الشرطة، "لن أطيل في الشرح لكي لا أثير فضول  
إحداكن".

كحيوان مفترس كاد يصرعه الجوع مقبل علي فريسته، رأت وجهه كأن شيطان قد تلبسه للتو، شعرت بدوار عنيف يجتاح رأسها وثقل في نفسها، حتى ضاق صدرها كأنه يصعد في السماء.

- هيا بنا نبدأ عرضنا صغيرتي، لقد مر وقت طويل، منذ مارست هوايتي المفضلة.

\*\*\*\*\*

- هذا خطأ الحذق "شادي"، لقد تجاهلني وأبعدني عن كل شيء فانشغل عني، يبدو أن "خالد" قد أوصاه جيداً، انتهزت الفرصة وساعدني حظي وجود أحد العساكر الذي خدم معي لفترة، فأمرته هو بجلب الهاتف، وأن يأخذ حذره ألا يلمس أي شيء آخر، بعد أن فهمت أنه الأمل الوحيد.

- جيد... ولكنك نسيت أمر...، إذا كان خطها متداول وحدثت منه أي شخص في المنطقة، فمن السهل يبحثون عن الرقم والمكالمات التي تمت عليه من شركة الاتصالات التابع لها.

- هذا لم يفوتن أيضاً...، لقد علمت أن خطها كانت لا تُحدث منه سوى ثلاث أرقام فقط، غير مسجلة بأسماء، وبالتأكيد هؤلاء الثلاث أرقام هما الخلاصة، إذا أردت سابدأ في التحري عن هؤلاء الأرقام... ونحل



القضية ونستخدمها كورقة ضدهما أو نقدمها  
لمسئوليهما، فنظهر فشلهم.

أخذ "سالم" نفس طويل من سيجارته، وهو يستدير بمقعده  
يتأمل السيارات تغدو وتروح تنافس في سرعتها تروس  
عقله، ثم تحدث بنبرة مهمة:

- لا.. اترك أمر الثلاث أرقام لي... أنا سأتوصل  
لأصحابها.. أما أنت فتابع أي تطور يقع تحت أيديهم،  
وتعرف إلى أين وصلوا.. نحن لا نعرف كل الخيوط التي  
تحت أيديهم بعد.. أنت لا تعرف.. "خالد" هو ليس  
بالسهل أبداً، أشهد له بأنه ضابط حذق وعقله يعمل  
لا يهدأ أو يستريح حق الراحة إلا بعد أن يصل إلى حل  
لغز القضية التي يتولاها، لا ييأس ولا يتكاسل.  
- ولكن أنا واثق أنه لا يوجد دل....

استدار إليه مرة أخرى، وهو ينفذ سيجارته ليس في  
مكانها المخصص بل بجانب المكتب بعدم مبالاة، غير أنه  
للمنفضة التي تقبع علي المكتب يغطيها التراب لا رماد  
السجائر، حتي نسيت وظيفتها الأساسية، وأخرج نبرته  
حازمة غير قابلة للنقاش:

- سأثبت لك فيما بعد.. الآن ضع عيونك لتخبرك  
بتحركاتهم وآخر ما توصلوا إليه باستمرار.  
- اعتبره تم يا باشا.



\*\*\*\*\*

- السلام عليكم... أهلا بمن شوقني وتركني دون اتصال وأغلق هاتفه.
- عليكم السلام ورحمة الله وبركاته، حبيبتي "ملوكة"، أنت تعلمين انشغالي، لا تغضبي حبيبتي.
- سأفكر في أمر الغضب هذا بعد أن أرى المفاجأة أو علي الأقل تعلمني بها.
- أي مفاجأة؟
- نعم.. هل نسيت؟!، لقد قلت لي ألا أنام إلا بعد أن تتصل بي، وعدتني بمفاجأة رائعة، وهذا ما صبرني.
- يا الله سامحيني يا "ملوكة"، كنت أفكر في "ندى" وفي عملي ونسيتك تمامًا.
- ماذا؟...، "جاسر" لا تمزح...، فأنت تعلم أنني أصدق الكلام سريعًا.

قالتها "ملك"، بحزن بدي في نبرة صوتها.

- وما المشكلة يا "ملك" أنتِ تعلمي أن الحياة مشاغل، تتطور دائمًا، لن نظل على علاقتنا في صغرنا طوال العمر، هناك أشغال وزوجة وبيت وما إلى ذلك، تقبلي الأمر الواقع.



- "جاسر"، لقد سقطت دمعاتي بالفعل، لا تمزح أكثر من هذا..، أنا لا أتخيلك تنساني إلي هذه الدرجة.. ثم.. ثم أنت لم تتزوج بعد..، هل بعدك عننا هو..

توقفت "ملك" تتنفس ببطء لتهدأ نفسها، ومسحت دمعاتها بطرف كمها، قبل أن تسمح بالدخول لمن طرق بابها.

- أين ذهبتِ يا "ملك" هل ما زلتِ معي علي الهاتف؟  
- نعم.. لقد طرق "جاسر" باب غرفتي وكنت أفتح له، ما زلت غير مصدقة يا "جاسر"، لآخر مرة سأسألك..، هل نسيتني بالفعل و.. أت

توقفت "ملك" عن الكلام"، أنزلت الهاتف عن أذنها وقد فغرت فاهها، ثم بدلت نظراتها بين الهاتف وبين "جاسر" الواقف أمامها كالبلهاء، فتجددت دمعاتها دون أن تشعر.

فيما ظل "جاسر" واقفًا بالباب، وعلي أذنه الهاتف، ينظر إليها وهو يكتم ضحكاته بصعوبة، ثم قال لها عبر الهاتف:

- "ملك" أين ذهب عقلك، لا بل أين ذهب ما تبقى من عقلك، كنا راضيين بربع عقل، هل فقدناه هو أيضًا أم ماذا؟

رفعت "ملك" الهاتف علي أذنها لترد عليه:

- أنا لا أفهم.. كيف..



في هذه اللحظة سقط "جاسر" علي رجبتيه من كثرة الضحك، وخرج من خلفه بجانب الباب والديهما وقد انفجر في الضحك هم أيضاً، فأخيراً أدركت الخدعة التي تعرضت لها، وضعت يدها في خصرها وزمت شفيتها، وضيق عينيها، ثم انقضت عليه.

خلصوه من أيديها بصعوبة ومازال الجميع يضحك حتى هي، لا تعرف كيف تسمرت هكذا؟، وكيف رفعت الهاتف لترد عليه وهو يقف أمامها؟

- لن نستطيع تزويجها يا أمي الآن، يبدو أنها ستؤنسك هنا، لقد ضاع ربع العقل الذي كنا سنضحك به على الخاطب.

قال "جاسر" جملته واختبأ خلف والدته، ليتفادى لكلمات "ملك".

- اترك أمر الخاطب فهم مصطفىين أمام الباب لعلي وأوافق علي أحدهم..، قل لي متى وكيف جئت؟

اتجه والديها إلي الأريكة، فيما جلس "جاسر" علي مقعد مكتبها، فاضطرت أن تذهب هي للجلوس علي الفراش، وهي تحثه علي البدء سريعاً في الحديث.

- حسناً... حسناً، سأجيب.. لقد كنت أحدثك أول مرة وأنا في المطار، كنت قد اتفقت مع أبي وأمي ألا يخبرونك.



نظرت "ملك" إليهما وهما يحاولان ألا يضحكا، وأطبقت شفتيها كطفل يمثل الغضب، ثم أعادت نظرها إليه، تشير بيديها أن أكمل.

- وكنت قبلها قد أتممت الصفقة التي ذهبت إليها بنجاح بفضل الله، بل وعلى سمعتها توالت علينا العروض، فجنّت كي أساعد أبي ونفاضل بينهم.  
- هل جنّت من أجل ذلك فقط؟

نظر الأم والأب إلي بعضهما، ثم أعادا النظر إليهما وعلى وجههما التساؤل، فتداركت "ملك" خطأها، فوالديها لا يعلمان بشأن "ندی"، حاولت إصلاح الخطأ، بأن قامت عن الفراش واتجهت إليه تقول له:

- هديتي بالطبع، أنسيت مرة أخرى؟، لا تقل لي أن مجرد رجوعك إلينا هو هذه الهدية الرائعة التي حدثتني عنها.

تنفس "جاسر" الصعداء، قائلاً في نفسه، هؤلاء هم النساء سيدو الالتفاف والتحوير و المراوغة، ثم قام عن مقعده، وهو يلف ساعده حول عنقها، متوجّهاً بها إلي الباب:

- هيا تعالِ يا قدرتي، ألم تصدعي رأسي منذ أن سافرت بأن عد...، الآن عودتي ليست بهدية...، هديتكِ بالأسفل...، ليست هدية واحدة بل ثلاث.

رفعت "ملك" يده وتوقفت فجأة، وقد تجرّمت وجهها تسأله:



- "جاسر" أجبني أولاً، هل ستنساني إذا انشغلت وإذا تزوجت؟... هل سيقبل حبي في قلبك؟  
أنهت كلامها وهي تشير إلي قلبه بتأثر شديد.  
وقف "جاسر" فاغراً فاهه وكانت النظرة البلهاء من نصيبه هذه المرة.

تدخل والده واضعاً يده في يد ابنه، متجهاً به إلى الخارج، فيما وقفت والدته تضحك، و"ملك" علي وضعها تنتظر الإجابة:

- هيا بنا يا "جاسر" قبل أن تفقد عقلك، لا أريد أن يكون ابناي فاقد عقلهما، يكفي واحدة... هؤلاء هن النساء.. لا عليك، فـ"ملك" تدربك لكي لا تتفاجأ عندما تتزوج.

نظر إليه "جاسر" وما زال علي حالته يسأله:

- هل "ملك" كانت جادة في سؤالها؟... لقد تعطل رأسي لبرهة..، ولكن عندك حق يا أبي، هؤلاء هن النساء يدققون في كل شيء وأي شيء، أقوىاء الملاحظة.. سريعو البديهة.. أذكاء، ورغم كل ذلك، يظل عقلهن كعقل الأطفال مهما كبرن، ترضيهم وتشعلهم كلمة، وكابوسهن الأساسي التجاهل.



ضحكا الاثنان وهما ينزلان الدرج، تشيعهما نظرات "ملك" المغتظة، فأقبلت عليها والدتها تضمها إليها ومازالت تضحك عليها، وهي تداعبها:

- هل ارتضيتِ الآن؟..، سيستلموننا الأيام القادمة  
استهزاء ونكات، لن نسلم منهما .

\*\*\*\*\*

- ما دمت مُصر علي الحديث في حضور "شادي" حتى  
لا تقص علينا مرتين، فهناك أمر لا أعتقد أن له أهمية  
كبيرة، ولكننا لن نخسر شيء بطرحه أمام نظرنا.  
- خيرًا... ما هو؟  
- لقد أبلغتني "ندى"، بأمر يخص "جاسر".  
- ماذا فعل؟..، هل تعرض لها بسوء؟

مط "آدم" شفثيه متعجبًا من تبدل وجه "خالد"، حتى ظن  
أنه رأى عليه الغضب والقلق أكثر من اللازم، ثم أجاب:

- لا لم يتعرض لها بسوء الحمد لله، ولكن عندما أبلغته  
بفسخ الخطبة، تطرق إلي اختطاف "همسة"،  
وهدها بأنه سيؤول مصيرها إلي نفس المصير!  
- هذا المتعجرف الفاشل، لا تحمل همه لقد كان في  
قائمتي، ممن سأتفرغ لهم بعد انتهائي من قضية  
زوجتك، ولكن يبدو أنه يُعجل بالتفاتي إليه.



- أظن أنه هو ووالده أجبن وأضعف من أن يكونا خلف ما حدث مع "همسة"، هل تشاركني الرأي؟
- نعم اتفق معك...، ولكن لا مانع من وضعه تحت المجهر من بعيد...، سأقوم باللازم.. لا تقلق.

تردد قليلاً، قبل أن يضيف:

- وإن أردت وضع حراسة لحماية أختك، من الممكن أن استخرج لها قرار، إذا كنت قلق عليها.
- لا.. لا تشغل بالك، فالأمن الخاص الذي وضعته بإذن الله كافياً، لقد كثفته بعد اختطاف "همسة"، ثم إنني أنا والأولاد قد انتقلنا للعيش معهما بفيلا أبي.
- جيد.. هذا أفضل...، أخيراً.. وصلت يا "شادي".
- كنت أقود وأنا نائم تقريباً، لم أنم منذ يومين تقريباً.
- واضح من شكلك ومن لغتك، فأنت تكرر الكلام، ولكن ما المشكلة.. أنا لم أنم سوى سويجات معدودة منذ معرفتي بالحادثة تقريباً..، سأطلب لك القهوة.. ودعنا نبدأ حتى لا تنام منا، فأنت وقت النوم تتحول إلى "زومبي".
- أنا أيضاً اقترب صبري على النفاذ بالفعل، وسأتحول إلي "زومبي" من الغضب هيا يا "خالد".. انجز وهات ما عندك.
- حسناً.. حسناً.. أعلم يا سيد "آدم".. لقد جاءني اليوم، الحاجة "سهام" و"سها" ابنة "يسرية"، بدأت "سها" حديثها بتأكيدها علي عدم المساس بعائلتها

واعتبارهم "شاهد ملك"، من أقنعتها بعد تردها في  
المجيء هي الحاجة "سهام"، وهي من أوصلتها إلي  
هنا.

- حقا؟!.. هذا غريب!.. قلت لك أن الحاجة "سهام"  
تخفي شيء فتردها وتأنب ضميرها كان غير  
طبيعي.. أكمل.

- هذا ما شعرت به، كان يبدو عليها أنها تريد الاعتراف  
بشيء ولكنها مترددة..، مفاجأة الجلسة كانت  
"سها"، فزوجها اشترك في خطف زوجته.

تقدم "آدم" بجزعه إلي الأمام، وقد اشتعلت عينيه ببركان  
من الغضب، تكاد ترى بؤبؤ عينيه رغم اتساع حدقتيه، ضم  
قبضتيه حتى ابيض باطنهما وزم شفتيه، وهو يردد:

- الخسيس.. لقد جلست معهما وسألتهما عن أي  
معلومة يبدو أن "يسرية" اختارت لابنتها من يشبههما،  
كيف اشترك في الاختطاف؟

- سمعت "يسرية" مكالمة بين "سهام" و"همسة"،  
تفيد أنهما اتفقا علي المقابلة، فأخذت هاتف  
"همسة" من حقيبتها التي تركتها بالمطبخ مفتوحة  
وأخفته ثم أغلقته، وكانت قد اتفقت مع زوج "سها"  
أنه سيستعير سيارة صديقه الأجرة، وينزع لوحاتها  
ويضع أخرى مزيفة.

- انتظر لحظة.. من جند "يسرية" من الأساس؟



- سأقص عليكما كما روت "سها"، ولكن في المجمل هي لا تعلم الخاطفين، فوالدتها هي التي كانت تتواصل معم فقط، وفي يوم الحادث أرسلت "يسرية" رقم أحدهم ويدعى "رامي"، ليتواصل معه "وليد" زوج "سها"، دعوني أكمل دون مقاطعة.

ارتشف من زجاجة المياه التي أمامه، فيما ظل "آدم" و"شادي" ينظران إليه، كل منهما قد نفذ عنه النوم والتعب، يسمعان القصة بانتباه شديد ويحاولان ربطها ببعضها.

أخذ "خالد" نفس عميق كأنه مقبل علي الغطس تحت الماء، ثم عاد ليكمل:

- وبالفعل استعار "وليد" السيارة، ونفذ ما أمرته به "يسرية"، التي ذهبت بدورها إلي النادي، وطلبت من الأمن مقابلة "همسة"، فخرجت لها ودار بينهما حديث مفاده أن الحاجة "سهام" اتصلت عليها كثيراً وتريدها في الحال عند المشفى القانت بها الحاج "محسن"، كما أخبرتها أن زوج ابنتها من أوصلها إلى هنا وكان في انتظار إرجاعها مرة أخرى، فعرضت عليها أن تستقل سيارته، وهي ستجلس مع الأولاد بالنادي وستعود معهما.



توقف "خالد" لالتقاط أنفاسه لا ليشوقهم هذه المرة، فذهنه أيضا كان يعيد الأحداث ويتخيلها أمامه لعله يفهم ما حدث، ثم استطرد:

- وبعدهما ركبت "همسة" السيارة وهي مطمئنة، وقبل أن تعتدل في جلستها، رش "وليد" في وجهها مخدر، أعطاه إياه "رامي"، ثم ذهب بها إلي مكان على الطريق الصحراوي، قابل "رامي" ومعه ثلاث رجال لم يتبين ملامحهم كثيرا، لأن "رامي" أخذه بعيدا ريثما ينقلونها إلى سيارتهم، نبه عليه وهدده أنه لم ير أو يسمع أي شيء، ثم أعطاه المال المتفق عليه، كان الاثنان الآخريان قد نقلتا الفتاة وينتظرونه بسيارتهم، فلحق بهما "رامي"، وغادروا في الحال.

ضرب "آدم" المكتب بقبضته، وأغمض عينيه لحظات يردد فيها بعض الأذكار ليهدأ، فاحترم "خالد" شعور صديقه، وتوقف عن الحديث، تقدم إلي الأمام وربت علي يده، وهو يواسيه:

- هون علي نفسك يا "آدم"، نحن قطعنا مسافة كبيرة، واقتربنا من الجنة، أنا علي يقين أننا علي الطريق الصحيح، فنحن نعرف أحدهم الآن، بل ومعنا رقم هاتفه، سأبدأ في التحري عنه في الحال، بالإضافة للأرقام التي علي هاتف "يسرية"، ستساعدنا كثيرا،



وسنصل إليهم من هاذين الخيطين في أقرب وقت،  
ربنا لن يخذلنا يا صديقي، لا تحزن إن الله معنا.  
- لماذا؟.. لماذا؟ اختطفوها؟، فهي مسالمة جدًّا، طيبة  
تساعد الجميع، ما الجُرم الذي ارتكبته في حقهم؟..،  
لم أر عليها أي شائبة طوال معرفتي بها، لماذا هي  
بالذات يا "خالد" أكاد أجن؟

تنفس بعمق، حاول يتمالك أعصابه، ثم أردف:

- أكمل يا "خالد"..، أعذرني فأحساسك وأنت تسمع  
قصة اختطاف زوجتك، وأنت تجلس لا تستطيع فعل  
شيء كالذبح بسكين بارد.  
- ستعود قريبًا أنا واثق من هذا بإذن الله ثقة الضابط  
والعابد...، لقد أنهت "سها" حديثها بأنهما لم يتوصلا  
مع الرقم إلا بعدما زرتهم، اتصلت عليهم وأبلغتهم،  
فغاب "رامي" قليلًا معلقًا المكالمة، ثم عاد صوت آخر  
يهددهم تهديد شديد بصوت يبدو واثق من نفسه  
عتيد.

تنحج "شادي" وهو يعتدل في جلسته مستندًا على  
مقعده، مترددًا في قول شيء ما، ثم حسم تردده قائلاً:

- يا شباب هاتف "يسرية"....  
- ما به؟

بادر بها "آدم"، وهو ينظر إليه بقلق.



- سُرق...

- كيف حدث هذا يا "شادي"؟

- لا أعلم يا "خالد" ولكن لا أحد دخل موقع الجريمة، سوى "حسام"،، هذا المتطفل الذي أرسله "سالم"، كنت محققًا عندما نبّهت علي ألا أجعله يتدخل في أي شيء يخص القضية، لم أرتح له مطلقًا أنا أيضًا، لقد أبعدته عن كل معلومة بقدر الإمكان... بعد إبلاغي باختفاء الهاتف حققنا مع كل من تواجد، لم نصل إلى أي نتيجة، لقد سُرق من أدوات رجال البحث الجنائي وهم في موقع الجريمة.

زم "خالد" شفتيه بغضب، وقضب جبينه، وضيق عينيه، ثم تقدم إلي الأمام مشبكًا كفيه أمام وجهه مستندًا على المكتب، ثم تنفس بعمق قبل أن يفصح عما توصل إليه:

- أشعر أن "سالم" له يد في هذا الأمر وليس الجناة هذه المرة، أعلم أنه سيحاول مرارًا لإفساد القضية، فأنا تسببت له في نقطة سوداء باقية في ملفه حتى الآن، بعدما تسبب في تأخير القبض علي بعض الجناة بأحد القضايا التي كنا نعمل بها سويًا، تم تسجيل هذا في ملفه كأنه تقاعس وتهاون في القضية، ولكنني واثق أنه كان يقصد ذلك، فهو ضابط غير شريف.

صمت كلا من "آدم" و"شادي"، ينتظرون "خالد"، يعلمون أن هذه أفكار تدور في رأس "خالد" يشاركهما إياها، فتركوه



يفكر بصوت عالٍ حتى لا يقطعون عليه حبل أفكاره،  
ويشتتون تركيزه، فأردف :

- لم يُسجل رقم "يسرية" باسمها بالتأكيد...، أظن أنه رقم حديث لم يسجل بعد في الشركة، لن نستطيع تقفي أثره من خلال اسمها... سأ..
- لا أريد قطع استرسال أفكارك يا "خالد"، ولكن مادامت كانت تتصل على بناتها من هاتفها، فلا بد أن يكونا قد سجلا الرقم.
- هذا صحيح.. يا "آدم" ولكننا لن نحتاج لطلبه منهما..، لقد قمت بالاتصال من هاتفها علي هاتفني، وسجلت رقمها لكي نسير في طريقنا، حتى ينتهي البحث الجنائي من فحصه، ثم مسحت الاتصال.
- "شادي" أنت عبقرى، دعني أقبلك.

قام "خالد" بالفعل عن مقعده واتجه إلي "شادي"، الذي وضع قدم فوق الأخرى باعتزاز مازحًا، فقبله "خالد" ثم ركل قدمه لينزلها عن الأخرى يشاكسه.

فوضعها "شادي" مرة أخرى، وهو يقول برفعة وتكبر:

- أنا لم أسجله فقط...، بعدما تعسر رجوع الهاتف، اتصلت علي صديق لي ليبحث عن سجل مكالمات الرقم بالفعل، وفي انتظار رده في الصباح.

ربت "خالد" علي قدمه التي ركلها منذ برة، وهو يقول:



- ماذا تشرب يا "شادي" باشا؟  
 - يا زوج الضباط المرحين أنتما، ابحثا عن رقم "رامي"  
 أيضاً، لنعرف عنوانه وإذا صادفنا الحظ وكان يُشغَل  
 خاصية تحديد المواقع، نتوصل إلي مكانه من خلال  
 تتبع المكالمات.

استدار "خالد" وجلس خلف مكتبه، ثم رد عليه وهو يرفع  
 هاتفه:

- أنت لا تصلح أن تكون ضابطاً يا "آدم".....

صمت وهو يبحث عن اسم ما ويضغط زر الاتصال، ثم عاد  
 ليكمل:

- أنت لا تصلح إلا أن تكون لواء أو وزير، تأمر وتخطط لا  
 تستطيع أن تعمل تحت إمرة أحد أبداً، أنا بدأت أخشاك  
 أكثر من رؤسائي يا رجل.

ابتسم "آدم" أخيراً ليفرج عن صفا أسنانه بحذر، كأنه قد  
 نسي كيف يبتسم، وقبل أن يرد سمع "خالد" يرحب  
 بمحدثه، ويتبادل معه تطورات سريعة بحياة كل منهما، ثم  
 طلب منه التحري عن رقم من أجله.

- حسنا يا "أكمل" جزاك الله خيراً، أريد تفاصيل الرقم،  
 فكل ما أعرفه عن صاحبه، هو مواصفاته واسمه الأول  
 فقط.

- .....



- تمام..، اكتب الرقم عندك.

أملاه الرقم، فانتبه "آدم"، وأخرج هاتفه بسرعة يبحث فيه عن رقم سجله من قبل.

- "خالد" انتظر لحظة..

\*\*\*\*\*

رن هاتف "أسيل"، فأخرجته بضيق، لا تريد ما يفسد عليها متعتها، ستغلقه كي لا يزعجها أحد، وعندما رأت الرقم، اضطرت إلي الرد عليه:

..... -

- هل هناك جديد؟

..... -

- حسنًا.. سأخبره ونأتي إليكم في الحال.

أغلقت الهاتف متأففة، ثم قامت عن مقعدها، تخاطب "داغر" وهي تهندم ثيابها:

- عندنا ميعاد الآن..، أجل هذه الحفلة للصباح، ولكن اترك لها ماء وطعام، فهي لم تأكل منذ يومين.

ثم نظرت إلى "همسة"، التي خارت قواها تمامًا، حتى عينيها خانتها فاستترت وراء غشاوة، جعلت رؤيتها ضبابية



ترى أجسادهم أشباحًا، نظرت "أسيل" إليها بتشفي يزين  
ثغرها ابتسامة يملأها ضدان الفرحة والغل، واستطردت:

- لا نريد لها موة سهلة، كالموت جوعًا.

مط "داغر" شفتيه متأفمًا من هذا الاجتماع المفاجئ لقد  
تحمس كثيرًا لممارسة هوايته المفضل، يريد الرفض ولكنه  
آثر الانصياع وراء قرار أصحاب المال مؤقتًا، فأين ستذهب؟  
ستكون بانتظاره بالتأكيد، مدعمًا رأيه بأن تكون قد أخذت  
هدنة واستعادت قواها بالطعام والماء، لتتحمل أطول فترة  
ممكنة، خاصة أنه لن يمارس أساليب خطيرة، فهم يريدونها  
علي قيد الحياة هذه الفترة.

- حسنًا هي بنا، وغدًا نبدأ الاحتفال.

أصدر أوامره لرجاله بتقييدها بالسلاسل المثبتة بالحائط، و  
التي بالكاد تستطيع إيصالها إلى منتصف الغرفة، وترك  
طاولة الأدوات أمامها، عند الباب حتى لا تستطيع الوصول  
إليها، كما أمرهم بوضع طعام وماء لها.

راقب تنفيذ أوامره قبل أن يغادر مع "أسيل"، ثم أغلق  
الغرفة بالمفتاح وأخذه معه.

استسلمت "همسة" لكل شيء، حتى وضع السلاسل  
في يديها، لم تقاوم بحركة واحدة، ليس فقط من أجل  
قدميها التي لا تحملها، فهي تحتاج إلي هدنة تتنفس فيها،  
وها هي قد أرسلها الله لها، لعله يحدث بعد ذلك أمرًا، هي



تثق بفرج الله، بأن مع العسر ينزل اليسر، تظن بالله الخير وواثقة أنها ستحصد النجاة في النهاية، تعلم أن من ركن إلي الله لن يضيعه، وحاشاه أن يرد أكف رفعت إليه تناجيه تضرعا، وألسن رطبة بذكره ابتهالا، رددت بصوت هامس بقدر ما ساعدتها قوتها على إخراجها:

- ما ضاقت واستحكمت حلقاتها إلا وفرجها الله.. لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين.

ظلت تردد أذكار الكرب والهم<sup>56</sup> ، تلح في الدعاء، وهي علي يقين من الإجابة، حتى سكنت قليلا، ثم أقدمت على الطعام، تحاول ابتلاع أي شيء، فهي لن تقتل نفسها جوعًا، لعلمها بأن هذا سيغضب ربها.

الخبیثة "أسيل" تعلم هذا ولذلك أمرت بوضع الطعام، لكن معدتها رفضته، وفي الحال لفظت اللقمة الوحيدة التي دخلت جوفها، فشربت الماء وتيممت، ثم صلت جالسة لعدم قدرتها على الحركة، فجادت عيناها في السجود بما تبقى في مقلتيها من دموع، وناجت المولى بكل ما تذكرته من أدعية ثبت عنها الاستجابة، وخاصة دعاء اسم الله الأعظم<sup>57</sup>.

<sup>56</sup> - أمثال: "الله الله ربي لا شريك له"، "لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله رب العرش العظيم، لا إله إلا الله رب السموات والأرض ورب العرش الكريم"، "لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين"، "رب إني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين"، "اللهم إني عبد وابن.. إلى آخر الدعاء".

<sup>57</sup> - سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم- رجلاً يقول في تشهده: (اللهم إني أسألك يا الله الواحد الأحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد أن تغفر لي ذنوبي، إنك أنت الغفور الرحيم فقال صلى الله عليه وسلم قد غفر له قد غفر له). كما سمع النبي صلى الله عليه وسلم رجلاً آخر يدعو وهو يقول: (اللهم إني أسألك بأني أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت الأحد

وبعد أن أنهت صلاتها، حاولت الخلود إلى النوم، ولكن الطاولة التي أمامها وما عليها من أدوات كانا بمثابة النار التي اشتعلت تحت عقلها، فبخرت آخر ما تبقى من طمأنينة ونُعاس، فظلت تحدّق بها.

\*\*\*\*\*

تركت "سهام"، زوجها وقد غط في نوم عميق، واستقبلت القبلة تدعو الله وتتوسل إليه المغفرة، فعلى صوتها وتنهداتها قليلاً، استيقظ علي إثرها "محسن"، ظل يستمع إلي دعائها وبعض اعترافاتها، فكانت الصدمة التي جعلت ذاكرته تستعيد بعض المواقف الأخيرة معها، ولكنه عجز عن تذكر كل شيء، فانتظر إلى أن فرغت من دعائها قبيل الفجر.

التفتت إليه لتطمئن عليه وجدته مستيقظاً، فاعتلت الصدمة وجهها، هل سمع اعترافاتها؟، هل تذكر ما قاله له عندما أفاق من قبل؟

- أقبلي يا "سهام" .. لقد تذكرت الكثير، أريد منك أن تقص علي ما حدث في الأيام التي سبقت الحادثة، لعل ذاكرتي تعود إلي كاملة.

الصمّد الذي لم يلدْ ولم يولدْ ولم يكن له كُفُوًا أحدٌ)، قال، فقال: والذي نفسي بيده لقد سألَ اللهُ باسمه الأعظم الذي إذا دُعِيَ به أجابَ وإذا سُئِلَ به أعطى.

توقف قليلا، ثم أردف:

- أريدها بكل صدق كل موقف وكلمة ولو كان عابر أو صغير.

\*\*\*\*\*

- لا مزيد من التأخير... اليوم سننهي حياة هذه اللعينة، لقد تدخلت الشرطة وتقدمت كثيراً... لا نريد أن يتطور الأمر معهم أكثر من ذلك، نريد أن يقيد كل شيء ضد مجهول وتنام القضايا في سُبُبات عميق، كما اللاتي سبقنها.

- مع هذه التطورات أو افقك الرأي، وما مصير "سهام"، أخشى أن تفشي بأي شيء، بعدما علمت بموت "يسرية".

- لا أظن.. فمثلها يخشى على نفسه أكثر من أي شخص، ضميرها ليس أهل للتضحية، و"سها" و"وليد" لا بد من مراقبتهم، حتى تنتهي هذه الزوبعة، ثم تنتهي منهما في حادثة طبيعية ليس فيها شبهات، كحادثة سير سيارة مسرعة تهرب بعد الاصطدام بهما... أي شيء لا يثير الشبهات، فقط السر الإلهي خرج لأن هذا عمرهما.

- فور خروجي من هنا نعتبره تم، كنت أنتظر وصول خبر موت والدتها إليها، ولكن لا بأس بالتعجيل بالمراقبة.



- غادر أنت يا "داغر"، ولكن لا تبدأ مع "همسة" إلا بوجودي، لقد كنت دومًا أتشوق لحضور جلسة من جلسات "الغرف الحمراء"، ولم يحالفني الحظ، سأتصل بك في الصباح، لكي تمر علي ونذهب سويًا.
- أوامرك أميرتي "أسيل"، لن يتم إلا بوجودك.

\*\*\*\*\*

- ماذا حدث يا "آدم"؟
- هذا هو الرقم الذي طلبت منك البحث عنه، ثاني يوم اختطاف "همسة"، ذاك الرقم الذي اتصل علي مرتين، وكنت بعيد عن الهاتف، ثم عاودت الاتصال به كان قد أغلق، لا بد أن "همسة" حصلت عليه بطريقة ما، وهي من كانت تتصل.
- يا الله..، لقد أهملته كثيرًا..، أنا آسف يا "آدم"..، ابحث عن الرقم يا "أكمل" بالله عليك وأبلغني بما توصلت به بأسرع وقت.

..... -

- حسنا في حفظ الله.
- لماذا أغلق؟.. ثري هل اكتشفه أحد معها؟..، وإذا حدث هذا ماذا فعلوا بها؟



- لا تقلق يا "آدم" بإذن الله، نصل إليها وهي سليمة  
معافة في أقرب وقت، أنا أعتذر منك كثيرًا علي  
تقصيري هذا.

تمتم "آدم" بكلمات منكسرة، ثم استأذنه بالانصراف  
للذهاب إلي البيت، علي أن يجتمعاً صباح الغد، فاستوقفه  
"خالد":

- "آدم" تبقي آخر معلومة، لقد أكدت لنا "سها" أن  
الثلاث قضايا الجناة فيهم واحد بالفعل، وهذا ما علمته  
من والدتها، ولكن لا تعرف سبب قتل "متولي"  
و"هناء".

- جيد هذا على الأقل سيخرج الحاج "محسن" من  
تهمة قتل "متولي" و"هناء" مؤقتًا.

غادر ورأسه مطأطأ، منكسر الفؤاد، لقد استنجدت به،  
حاولت أن تفعل ما بوسعها، وهو من قصر، لقد مدت إليه  
بالحبل لينقذها وهو أفلته.

استغفر الله كثيرًا على هذه الهواجس الشيطانية التي  
ثبّطت عزيمته، ووادت الأمل في قلبه، فدخل ذكر الله ليحيي  
القلب ويجدد الأمل في شرايينه من جديد.

قاد سيارته إلي البيت، مر علي والدته التي كانت تغط في  
النوم، لم يشأ أن يقلق أخته فدخل غرفة مكتبه، يحاول  
تجميع المعلومات التي حصدها كلها في أوراق يرسم



بعضها ويكتب الأخرى، لم يشعر بالوقت حتى أدنّ الفجر، فقام للصلاة يدعو الله بكل ما يأتي على لسانه دعاء غير منمق أو مرتب أو مأثور، فقط... طرق مختلفة لنجاة "همسة" وصلاح الحال.

أنهى الصلاة والأذكار وذهب إلي شرفة مكتبه، يحاور النجوم والسماء كما اعتاد، حتى شروق الشمس، فاستبشر بالشروق خيرًا، قائلاً يخاطبها بصوت مسموع:

- سيشرق يومنا كشروقك ياذن الله، ستعود شمسنا إلي بيتها اليوم، أنا على يقين أن الله سيجبرنا.  
\*\*\*\*\*

- يا آنسات.. أهلا بكن..، مبارك عودة أبيكم إلي وعيه، لقد آثرت إبلاغكم بالأمر لأنني لم أستطع مقابلة الوالدة، لم تخرج من غرفة أبيكم منذ الأمس.  
- خيرًا يا دكتور "هلال".

قالتها "هاجر" بقلق وتوتر لم تعتاد عليهما:

- النيابة طلبت أخذ أقوال الوالد بشأن القضية التي كان مطلوب فيها، بعد علمهم بعودته إلي وعيه، ولكنني قدمت تقرير يفيد بأن حالته الصحية لا تسمح، وشرحت وضعه مشيرًا إلى نقطة فقد الذاكرة



المؤقت... فأرجو أي تطور في حالته أو ذاكرته لا تبلغوا به أحد.. أنا فقط.

- جزاك الله خيرًا يا دكتور... بإذن الله تظهر الحقيقة قريبًا ولا يحتاج إلي الإدلاء بأقواله أو الذهاب هناك مطلقًا... هل سيظل هذا العسكري أمام باب أبي؟
- نعم يا أنسة "دنيا"، للأسف سيظل واقفًا هناك... أستأذنكن عندي مرور الآن.
- لا تبلغوا أمي بأي شيء، اتركوا الأمور تسير كما سيدبرها لنا الله.
- أوافقك الرأي يا "هاجر" ربنا يخرجنا علي خير من هذا الابتلاء لقد تعبنا.

قالتها "منال" بإرهاق وقلة حيلة.

\*\*\*\*\*

- السلام عليكم.. سيد "آدم"، الحاج "راغب" ينتظر سيادتك في المكتب لأمر هام، حاول الاتصال بك كثيرًا ولكن يبدو أن التليفون العام مغلق، أنا أدخلته إلي قاعة الاجتماعات، حتى أبلغ سيادتك على التليفون الشخصي... هل من أوامر أخرى؟
- لماذا يريدني؟!.. اعتذري له بطريقة لائقة، وأبلغيه أنني الآن مشغول جدًا، وعندما أنتهي سأتصل به؟



- يبدو أن الأمر هام جدًّا، فعندما اتصلت على سيادتك علي التليفون العام ووجدته مغلق أدركت أنك لا تريد اتصالات، فأبلغته بذلك ولكنه طلب مني محاولة الوصول إليك، لإخبارك بأمر هام.
- عجباً!.. ما هذا الأمر الضروري المُلح، الذي جعله يأتي بنفسه، بل ويحثك على الوصول إلي بهذا الإلحاح؟! صمت قليلاً يُمسد جبهته، ثم نظر إلي السماء من نافذة السيارة التي كان يقودها في طريقه إلي "قصر النيل"، حيث يقبع مكتب "خالد"، كأنه يستأذنها في الذهاب، لقد وعدنا هي والنيل، مسبقًا ألا يُقصر في البحث عن "همسة"، وكانت مكافآته رؤية وجهها علي صفحاتهما.
- حسنا يا "ياسمين" أنا قادم...، قدمي له مشروب، وأخبريه أنني في الطريق.
- استدار بالسيارة عند أقرب ملف، وهو يرسل رسالة " إلى "خالد" يخبره فيها باضطراره للذهاب إلى الشركة، ويؤكد عليه الاتصال به عندما يصله معلومات عن تحريات الرقمين، وأي مستجد يحدث فور حدوثه.
- وصل الشركة وذهنه مشغول، لقد استسلم للنوم قليلا بعد صلاة الفجر، ولكنه مازال مرهقًا.
- السلام عليكم يا "ياسمين"، ابعث لي قهوتي ثم أدخلني الحاج "راغب".



- قبل الحاج "راغب" هناك من يرغب في مقابلتك.

استدار "آدم" ليووجه محدثه، التي فاح عطرها في الغرفة كانتشار النار في الهشيم، كأنها قد غلفت نفسها به لا مجرد نثرات بسيطة كما هو المعتاد في استخدام العطور، الصوت ليس غريبًا عليه، ولكنه لم يتعرف عليه..، فتركيزه مشئت.

- هذا ما كان ينقصني..، ماذا جاء بك يا "أروى".  
- هل هذا هو الترحيب اللائق بي بعد كل هذه الغيبة؟  
اقتربت منه، وأردفت بغنج ودلال:

- لقد حاولت الوصول إليك كثيرًا منذ آخر لقاء في حفلة خطبة قريبتك، ولكن في كل مرة تبلغني مساعدتك هذه بأنك غير موجود، ولا تسطيع إعطائي رقم آخر للتواصل معك، فقلت لا مفر من القدوم إليك بنفسي.

مسح "آدم" وجهه بنفاذ صبر، وقد تأفف بصره من النظر إليها بهذا الثوب الكاشف الواصف لجسدها، متعجبًا فهي لم تكن بهذه الوقاحة والجرأة من قبل، ثم تركها واتجه إلى مكتبه، يحدث مساعدته:

- انتظري خمس دقائق فقط يا "ياسمين"، وبعدها أدخلني الحاج "راغب".. ولا تنسي قهوتي.

دخلت خلفه "أروى" وهي تميز من الغيظ، كيف يعاملها هكذا؟، أقسمت أن تردها له بعدما تتمكن منه من جديد.



- لقد قلت لك مرارًا يا "آدم" أنني أخطأت بتركي لك بهذه الطريقة، ماذا يرضيك لكي تنسى ما مضى؟...، فأنا وأنت مازلنا نحب بعضنا البعض لا تكابر.
- كيف أشرحها لك...، أنا الآن رجل متزوج يحب زوجته حبًا جمًّا، ويعشق كل تفاصيلها، لن يفرقني عنها سوى الموت... هل ارتحتِ الآن.

انتفخت أنفها واحمرت عينيها، فزادها قبحا على قبح تبرجها، وارتعش فمها من شدة الغضب، قبل أن تبتسم بتشفي، ثم ترد عليه بنبرة لا تتناسب مع شدة غضبها، وكأن بسمتها امتصت جزء من غضبها قبل خروج كلماتها:

- ألم تُختطف حبيبة القلب؟...، كما أنني سمعت بأنها تصفيات حساب قديمة وأنها لن تعود.

قام "آدم" عن مقعده، فرأت وجهًا له لم تره من قبل، وقبل أن يخطو خطوة واحدة، رن هاتفه باسم "خالد"، فتلقفه بسرعة ورد عليه:

- "آدم" أبشرك.. نحن توصلنا إلى الهاتف الذي ثبت أنه للمدعو "رامي" بالفعل، الرقم الذي أرسلته لي من قبل ليس هذا فقط، بل وخرجت بقوة إلى مكان الهاتف، لأنني أتوقع وجود "همسة" بنفس المكان.
- ماذا؟.. ماذا تقول؟.. ربي يبشرك بالخير كله، أنا قادم إليك... لحظة لماذا لم تخبرني قبل خروج الحملة لأذهب معك.



- لهذا أخبرتك بعد خروجها، سأغلق الآن... سأعاود الاتصال بك لاحقًا، فقط نسألك الدعاء.

أنزل "آدم" الهاتف عن أذنه، وقد أشرق وجهه أيما إشراق، فنظر إلى "أروى"، التي ظلت محدّقة فيه دون التفوه بكلمة، فاتجه إلي الباب، وهو يحدثها:

- "أروى" عزيزتي.. لقد اقتربت من حبيبتي كثيرًا، وقریبًا سنكون سويًا ننجب أبناءنا، وأعدك أن أدعوك إلى حفل مولدهم... هذا إذا تذكرتك بالطبع.

دخل الحاج "راغب" في هذا الوقت ومعه "ياسمين"، ليجد وجه "آدم" السعيد، فسأله بابتسامة:

- يبدو أن الخبر قد وصل إليك، وأنا الذي صممت على ترك كل شيء والقدوم لإبلاغك بنفسي.

- ماذا؟.. أي خبر؟

عادت تقضية "آدم" ولكن دون عبس هذه المرة وهو يسأل.

- خبر القبض على "مصطفى" وابنه... لقد عملت على الإيقاع بهما وحدي بنفس خطتك... أنت رغبت في الانتظار ولكنني أثرت عدم الانتظار، فمثلهما كل دقيقة لهما خارج السجن، كفيلة بتدمير شخص أو أكثر، هؤلاء الأفاقين المجرمين، لقد كانا يتاجران بالسلاح أيضًا، وما خُفيّ كان أعظم.



- ماذا؟.. إنه ثاني خبر سعيد اليوم، يا الله.. فعلا ما ضاقت واستحمت حلقاتها إلا وفرَّجها الله.

احتضن الحاج "راغب" دون وعي منه، فضحك الحاج وربت عليه يسأله عن الخبر الثاني:

- يبدو أننا توصلنا أخيراً لمكان زوجتي، أعتذر منك يا صاحب الأخبار السعيدة، سأطمئنك بالهاتف.. السلام عليكم.

تركهما وغادر مسرعاً، فانتظرت "ياسمين" مغادرتهم لتغلق الغرفة، ثم توجهت إلي مكتبها لتكمل عملها.

\*\*\*\*\*

- أين أنتِ الآن؟
- أنا وصلت للتو أنا و"داغر" إلي الاحتفال.
- غادري الآن بأقصى سرعة، وخذي معك الهدية بالطبع، يبدو أن الشرطة علمت بمكانكم.
- ماذا.. كيف ع..
- لا وقت للاستفسار، لقد علمت لتوي.
- حسناً.. حسناً.. سأتصل بعد الخروج لمكان آمن.

أغلقت "أسيل" الهاتف وهي تستدعي "داغر" بصوت غاضب، فقدم إليها مسرعاً يلهث:



- كارثة لقد حاصرتنا الشرطة.

\*\*\*\*\*

روايات  
روايات



أخطأ من ظن أن المجرم يحافظ على عهده..  
من أجرم في حق أناس أبرياء، لا مانع لديه من النكوث  
بعهده معك وخيانتك في أي وقت كان..  
فلا تتفاجأ...



بداية النهاية لهذه الحكاية .. فكل إنسان بحياته رواية  
منّا الصابر على مُر الزمانِ .. فعوض جميل ينسي البداية  
ومنّا من يقنط على مصابه .. وهذا أصابته الدنيا بالغواية  
فلا تظن أن الشر سينتصر .. إنّ مصيره وإن طال النفاية  
فوعد الله بعد الأخذ الوبيل .. ذلك ومهانة وأمر بدفع جباية  
حرّم الله الظلم على نفسه .. فاحذر سهام صائبة الرماية  
الحق دومًا وإن بَعُد وقته .. لصاحبه مهد طريق الهداية  
لم يكن العفو يومًا إجباري .. فكلّ منا لمقدرته على دراية  
هذه كلماتي لقراء الرواية .. أدعو الله أن تشملكم الرعاية  
فصبر جميل<sup>19</sup> يطيب عيشك .. ودع لدينك وفطرتك الوصاية



الفصل الثالث عشر

- "سالم" باشا.. "خالد" خرج على رأس حملة سرية..  
يبدو أنه اكتشف مكان البنت المُختطفة!

قفز "سالم" عن مكتبه، يضربه بكفيه بغضب:

- ماذا؟!.. كيف حدث هذا؟!.. ألم أكلفك بتتبع كل مستجد  
يصلون إليه؟!.. ألم أنه عليك ألا تغفل عن أي دليل  
يصلون إليه؟!.. فهم لم يتوصلوا لأدلة ونجحوا في  
إخفاءها فقط، بل وتوصلوا إلي حل القضية برؤمتها وأنت  
نائم في العسل.

نظر "حسام" إلي الأرض خجلًا من فشله، يضم قبضته  
ويفتحها بغضب، لم يكن يعلم أن "خالد" بهذا الذكاء والخبث،  
لقد كَرّث مجهوده بالفعل في تتبع خطواته هو و"شادي"  
ولكنهما ضلّوه، فتوعدهم عزم على الانتباه لهم أكثر في  
المرة القادمة ليوقع بهما.

بينما يسير "سالم" جيئةً وذهابًا بالغرفة غاضبًا، يضرب قبضته  
في باطن يده الأخرى، ثم توقف عند تلميذه وتحدث بجُل  
غيظه:



- يبدو أنني قد تسرعت في الحكم عليك أيها الرائد...،  
أنت مجرد ضابط مبتدأ لا تصلح بأن تكون عيني أو  
ساعدي الأيمن...، فإن كان ساعدي بهذا الغباء وهذا  
التكاسل سأقطعه.

رفع "حسام" وجهه ينظر إلى "سالم" بغضب، كل ما فعله  
طوال هذه السنة معه، قد محاه بممحاة بسبب خطأ واحد؟!،  
بل وأهانته أشد الإهانة، وما زاد من غيظه أنه لم يستطع الرد  
عليه، "ف" سالم "ضابط كبير وله مسانديه في "الداخلية"، لا  
يستطيع معاداته، فأثر الصمت كبركان خامل، يتأجج من  
الداخل، ومن خارجه مجرد فُوْهة يتصاعد منها الأدخنة.

ذهب "سالم" إلي مكتبه، وهو ينفث من فهمه نفسه ذو  
الرائحة الكريهة...، ثم قال له وهو ينظر من نافذته ويوليه  
ظهره:

- اذهب إلي مكتبك يا سيادة الضابط الهُمام...، لا أريد  
مساعدين فاقدى الأهلية.

تسمر "حسام" مكانه بعد سماعه للكلمة الأخيرة، ينظر إليه  
بغضب ويجز على أسنانه مكشراً أنفه، يحرك شفثيه بغیظ،  
يحاول تمالك أعصابه، الذي فقدتها مع كرامته المبعثرة، ثم  
خرج من الغرفة، ضاربا الباب خلفه، متجهاً إلى مكتبه، كي  
ينفث غضبه ويطفئ النار التي أوقدت بصدرة.



- هذا الغبي...، لقد جاءت الفرصة إليّ على طبق من فضة، وأضاعها هذا المعتوه.

استدار إلى مكتبه، وأشعل سيجاره ببطء، يبدو أن سبّه لـ"حسام" قد ساهم قليلاً في تهدئة أعصابه، ثم اكتملت التهدئة بالفكرة التي لاحت في عقله، فابتسم وهو يمرر لسانه علي أنيابه بتلذذ، ثم قال بصوت كأنه يهدد عقله:

- وبهذه الفكرة نضرب عصفورين بحجر واحد، أستفيد أنا مادياً وأنتقم من "خالد" في نفس الوقت، صحيح أنه لن يكون بقوة الانتقام الأول ولكنه سيكون البداية للانتقام الأكبر...، لن يبقى كلانا بـ"الداخلية" يا "خالد" فهي لا تسعنا...، إذا فلترحل أنت بمبادئك الفاشلة.

\*\*\*\*\*

- ماذا؟.. اعترفت بكل شيء؟.. لا أفهم.. بماذا اعترفت؟  
- كل شيء.. كل شيء..، قلت أنك من أوصلت "همسة" إليهم، وقلت ما أعرفه عن "رامي" رجلهم..، وقلت أنهم هم من قتلوا "متولي" و"هنا" أيضاً، كما علمت من أمي.. وقلت.. قلت كل شيء.. كل شيء.

قام "وليد" وجذبها من يدها ليووقفها عن الفراش، يردد بصوت هستيري:



- هل جننتِ؟... كيف.. كيف تفعلِ هذا بي؟، لماذا تستمعين إلى هذه الأفعى "سهام"، وتذهبين معها بقدميكِ إلي الشرطة؟...، فنحن سنُداس بالأقدام، لن يُقبض علينا فقط...، بل سيكون مصيرنا كمصير أمكِ ومن قبلها... هؤلاء لا يتفاهمون...، لا يؤمنون بالسماح والرحمة.

- لن يُقبض علينا...، لقد أخذت وعد من الضابط أن نكون "شاهد ملك"...، وهو من سيحمينا منهم أيضاً.

قذفها "وليد" على الأرض بعنف، يشتعل غضباً مردداً:

- أيتها المعتوهة الغبية...، ستتسببين في مقتلنا...، ولكني لن أموت...، لا أريد أن أموت...، سأقتلكِ وأذهب لأتوسل إليهم بجثتكِ...، قبل أن يأتوا هم لقتلنا معاً...، لن أتحمل غباءكِ وتهوركِ.

وقبل أن ينتهي من كلامه، كان قد هجم علي رقبتها يحاول خنقها...، حاولت منعه.. خدشت وجهه بأظافرهما...، رفصت برجليها...، حاولت الصراخ ولكنها لم تستطع...، فاستسلمت.

وعندما وجد مقاومتها قد خارت، تركها تسقط على الأرض، وذهب إلي هاتفه، كتب رسالة إلى "رامي"، يعلمه فيها بذهاب زوجته مع "سهام" إلى الشرطة، وأنه قتلها من أجلهم، يريد أن يسبقهم قبل أن يصل الأمر إليهم ويصدروا الأوامر بقتله، ثم قام بمسح الرسالة.



ذهب إليها يجرها إلى شرفة الغرفة التي تطل على أحد الأزقة الضيقة، أمامها ظهر عمارة أخرى بدأ البناء فيها حديثًا، بعدما هدم أصحابها البيت القديم الذي كان يسبقها.

تدلى بنصف جسده حتى خصره، ليتأكد من عدم وجود أي شخص يمر، ليُلقي بها فتكون حادثة كالحوادث المماثلة التي كثرت هذه الأيام، فلا يحاسب عليها، ولكنه وجد نفسه هو من يطير في الهواء.

\*\*\*\*\*

- يبدو أننا جئنا في وقت غير مناسب...، فصوت ضحكاتكم قد سمعناها ونحن بالخارج.
- وما دمتم قد سمعتموها من الخارج، لماذا دخلتم وقطعتم خلوتنا.

قالتها "سهام" ردًا علي مزاح "منال"، فضحكا الجميع.

- كنتم أخبرتمونا...، كنا قد أعددنا طاولة عليها ورد وكتبنا لوحة علي الباب "ممنوع الإزعاج".
- رد عليهم أنت يا حاج، لن أستطيع مجاراتهن.
- ستحسدونهما يا "هاجر" أنتِ و"منال"...، لا عليكما والدي...، هل نحجز شهر عسل جديد؟



تخضبت الغرفة بروح ضحكاتهم، فيما وقف ثلاثي البنات يخبطون أكفهم بأكف بعضهم على شكل دائرة يغلقونها بتقريب رؤوسهن من بعض، كما اعتدن في صغرهن، كم افتقدن هذه الحركة، لم يفعلنها منذ بدأت "هاجر" ومنال" يدخلن في مرحلة المراهقة وبعدا كثيراً عن "دنيا".

ابتسما كلا من "محسن" و"سهام"، وقد سعدوا بعودة روحهن الطيبة مع بعض، ثم جلسوا جميعاً يتبادلون أطراف الحديث، يتذكرون ذكريات سعيدة يساعدن والدهن على تحسن نفسيته وحالته، ومن ثم يتذكر كل شيء.

قطع حديثهم رنين هاتف "سهام"، فامتقع وجهها، ووضعته علي الصامت كأنها فتحت المكالمة، تمثل عدم سماع الطرف الآخر، ثم استأذنت منهم لكي تتحدث بالخارج، فشيء "محسن" بنظرات شك، وقد تغصن وجهه، إلى أن تابع بناته الحديث معه، فاندمج معهن.

- خيراً لماذا تتصلين؟... قلت لك أنا لا أريد مشاكل في الفترة الحالية.

- لقد قتلته...

- ماذا؟... من؟... قتلت من؟

- زوجي..

- لا أفهم لماذا فعلت هذا وكيف..؟، وما هذه الأصوات التي عندك؟



- الجيران رأوا جثته تحت المنزل... فجاءوا يطرقون الباب الآن...، ومنهم من يصرخ باسمي من الأسفل لكي أنتبه...، ظنًا منهم أنني لم أنتبه للحادثة.

صمتت "سها" قليلًا لا لتسترد أنفاسها...، فصوتها كان هادئ تمامًا لا يتناسب مع فعلتها أبدًا، ولكن لتستجمع تركيزها، فعقلها لم يستوعب هذا التطور الذي آلت إليه الأمور، لم تتخيل أن تصل نذالة زوجها إلى هذا الحد، وأول من جاء على خاطرها لتتصل به كانت "سهام" لتستشيرها، فبعد توقف عقلها باتت كالمنومة مغناطيسيًا.

ثم أردفت بنفس النبرة الخالية من أي مشاعر.

- لم يرنِ أحد وأنا أسقطه من الشرفة.
- ماذا ألقيته من الشرفة.. هل جنت؟.. لماذا؟
- كاد يقتلني.. لقد كسر الجيران الباب...، ماذا أفعل الآن؟
- حسنًا حسنًا.. أنا لا أستطيع التفكير، فعقلي مازال يستوعب...، فضلًا على أنني لا أفهم أي شيء، ولا أعرف دوافعك...، أنكري معرفتكِ بالأمر حتى نستطيع التحدث بهدوء وأفهم منك أكثر.

أغلقت "سهام" وهي مشوشة، فهي خائفة من الذهاب إليها، وفي نفس الوقت تريد مساعدتها.



- يا الله هذا ما كان ينقصني.. ألا يكفي ما فوق رأسي...،  
عذراً يا "سها" لن أستطيع مساعدتك في الوقت  
الحالي...، فأقصى مساعدة ستكون إرسال محامي لك.  
وبالفعل اتصلت على محاميها لتستشيريه في الأمر كعادتها.

\*\*\*\*\*

- أين "سمير" و"حامد"؟  
- أرسلتهم لمراقبة "سها" و"وليد"، لكي يتدخلوا في أي أمر  
طارئ.

أجابها "داغر" وهو يمسح على شعره بعصبية، يقطع الغرفة  
ذهاباً وإياباً.

- أيها الغبي...، هل انعدم جميع رجالك، لكي تترك ثلاثة فقط  
في عملية مثل هذه؟!...، ألم تسمع أمس بتدخل أكثر من  
جهة في الداخلية؟

قبض "داغر" علي يدها بعنف، وهو يكشر أنفه يرد عليها  
بغضب:

- إذا كان هذا السبب قد صدر من فم أحد غيرك كان رأسه  
نام علي كتفه نومته الأبدية في الحال...، لقد تركت ثلاثة  
من رجالي المحنّكين يحرسون المكان، وليس في توقعي  
أبداً وصول الشرطة إلى هذا المكان...، لقد كنت أقوم فيه



بمعظم عملياتي، لتواجهه داخل الصحراء المحاطة ببعض نخيل "الواحات"، وبُعدّه عن الطريق الرئيسي.

أفلت يدها، وأولاها ظهره، وهو يضيف:

- هذا ليس وقت اللوم وتعليق الأخطاء على أكتافي...،  
فلنفكر في هذه الكارثة أولاً.

- المكان محاصر تماماً يا سيدي، ولا مفر للهروب.

قالها السائق "محروس" بصوت منخفض، خوفاً من رد فعل "داغر".

- لا تكررّها أمامي...، أين كنتم أيها الحمقى البلهاء.

مسح "داغر" وجهه بكفه، يزيح عنه الغضب ليفكر بعقلانية، ثم التقط هاتفه على الفور، وقام بالضغط على أزراره بأرقام يحفظها غير مسجلة عليه، جاءه الرد سريعاً فتحدث بنبرة هادئة مشوبة بالقلق:

- أنا عند النقطة 60، هناك دخلاء ولا سبيل لدحضهم أو الوصول للبيت الآمن، أريد المساعدة على الطريق.

.....

- إذا متى؟

.....

- حسنًا.. اتفقنا .

- مع من كنت تتحدث؟



مسح "داغر" الرقم من سجل مكالمات هاتفه، ثم اتجه إلى أقرب مقعد بجوار "رامي"، الذي يقف مبهوئًا من رئيسه، جلس واضعًا قدم فوق الأخرى متحدثًا ببرود اكتسبه من المكالمات:

- الشرطة تحاصر المكان..، ليس أمامنا سوى المقاومة حتى الموت، لأنهم يفوقنا عددًا أو.. أو الاستسلام وتسليم أنفسنا..، وأنا مع الرأي الثاني.

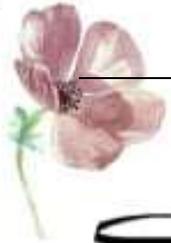
سمعت "أسيل" نداءات الشرطة بتسليم أنفسهم دون عنف، فسارت إلى مقعد "داغر"، ثم توقفت بالقرب منه، وانحنت تُقرب وجهها من وجهه، تكاد عروق وجهها تنقض عليه كتحابين حية تميز غيظًا من شدة بروزها، ثم ردت بنبرة أقرب إلي الصراخ:

- لا أفهمك..، مع من كنت تتحدث؟..، من الذي طمأنك وجعلك تجلس بهذا البرود؟..، هل تنوي خيانتنا؟..، لن أسمح لك..، سأقضي عليك وعلي هذه الساقطة التي تقبع بالداخل قبل القبض علي.

وقبل أن تنتهي من كلماتها، مدت يدها إلي نطاق <sup>58</sup> "رامي"، واختطفت سلاحه بسرعة الأفعى، ثم وجهته إلي رأس "داغر" وأطلقت رصاصة...

\*\*\*\*\*

<sup>58</sup> - النطاق: حزام يُشد به الوسط



- "وليد" زوج "سهام" أرسل رسالة، تفيد بأن "سهام" ذهبت مع "سهام"، واعترفت بكل ما تعرفه..، وأنه قتلها كفدية بسبب فعلتها، يريد منا الأمان..، هذا ما أبلغني إياه "رامي"، ولكننا نقف بالقرب من جثة "وليد" الآن، يبدو أنها لم تمت وبطريقة ما، هي من تخلصت منه بإلقائه من شرفة غرفة نومهما، دون شهود.
- بلاغ من مجهول يكشف تفاصيل الحادث، أنه نشبت مشاجرة بين الزوجين، والدليل يتواجد على جسد الزوجة، ومن ثم قامت الزوجة بإلقاء زوجها من الشرفة، بعد التأكد من عدم وجود شهود.
- حسنًا.. سيدلي المجهول بما في جعبته بعد دقائق.. ولكن.. ولكن هناك خبر آخر.
- ما هو؟
- الشرطة حاصرت مقر الرجال أثناء إخبار "رامي" لي بالرسالة..، ولا أعلم شيء عنهم الآن.
- أغبياء يتحركون كالسلحفاة..، ذهاب "سهام" إلى الشرطة يعني أنها قد تجرأت..، وهذا ليس في صالحنا..، اليوم أريد فتح المقابر وغدًا قراءة النعي.
- حسنًا.. وبخصوص المحاصرين؟..، لقد أبلغت "رامي" بأن يمسح كل ما يوجد على هاتفه، ولكنني أعرف مدى إهماله واستهتاره..، فهذا المعتوه كان يتصور بجانب من



يقتلهم إذا سنحت الفرصة، فأنت تعلم شرهه للقتل والأجساد.

- كنت قد نبّهت عليكم أكثر من مرة أن تحذروه، وفي حالة عدم رجوعه عن هذه السقطات، تنتهوا منه في أقرب وقت..، لماذا تكاسلتم؟..، لقد أرسلتك أنت و"حامد" لكي تكونا عيني على "داغر"، وتوقعت منكم ألا تخذلونني.
- وهذا ما حدث بالفعل.. نبهنا وحذرنا، ولكن "داغر" هو من أصر علي بقاءه، فهو يعمل معه منذ زمن، ولا يوجد برجاله أحد بكفاءته في القنص..، ولكن الجيد في الأمر أنه لا يعلم الكثير..، فالمخدرات والنساء أذهبوا عقله بالكامل إلا قدرته علي التصويب.
- حسنًا.. أنا سأتولى أمر هذا الـ"رامي"، إذا بقي على قيد الحياة أثناء مواجهتهم مع الشرطة..، لا أريد اتصالات في الوقت الحالي..، اختفوا في مكان آمن..، وانتظروا مني الأوامر الجديدة.

\*\*\*\*\*

- أريد التكفل بإحضار طعام أطفال الميتم لمدة أسبوع.
- هذا يشرفنا يا سيد "آدم"، رُغم أنك لا تتأخر أبدًا عن الأطفال هنا..، فهذا كرم منك..، ربنا يجعله في ميزان حسناتك.
- اللهم آمين.. الطعام سيأتي جاهز من أحد الطهارة الكبار، لقد اتفقت معه..، سيأتي مطهو ومُغلف لن يكلفكم أي



عناء... فضلا أريد التوقيع على أي إجراءات قانونية أو إدارية سريعا، لأنني على عجلة من أمري.  
- حالا ستكون جاهزة..، المعذرة.

بعد أن غادرت مكتبها لتعد له ما طلب، أمسك "آدم" هاتفه يقلبه بقلق ينتظر اتصال من "خالد" بفارغ الصبر، لقد بلغ منه التوتر والقلق مبلغهما، تساءل كثيرا.. هل سيراهما مجدداً؟، هل ستعود إلي بيتهما لكي تعمره بحبها وتزينه بجمالها وتُطليه ببهجتها و..

خطفه من خياليه رنين هاتفه، نظر إلي الاسم المسجل على الشاشة وهو يطم شفتيه، مردداً بصوت مسموع:

- يا ترى...، ماذا تريدان؟.. لست في مزاج يسمح ولكني مضطر للرد عليك.

- السلام عليكم.. كيف حالك يا "آدم".. وكيف هي تطورات قضية "همسة" هل توصلتم إلى شيء؟

- عليكم السلام حاجة "سهام"، الحمد لله بخير.. دعواتك ربنا يبشرنا بالخير..، كيف هو الحاج "محسن" لم أتصل بالطبيب منذ يومين، لقد انشغلت قليلا.

- الحمد لله بخير.. لقد فاق من غيبوبته صباح أمس، ولكن ذاكرته ليست بخير قليلا.

- حمداً لله.. سأحاول المرور عليه غداً بإذن الله.

- أنا أتصل بك لأنني أريد مقابلتك في الحال..، لأمر لن يتأخر.. كما أنه.. أنه..



- أنه ماذا؟
- كما أنه سيساعد في العثور علي "همسة"، وسيجنبها  
الخطر المحدق بها.
- أنا لا أفهم شيء...، ولكن حسنًا.. أين مكانك وأنا آتي في  
الحال؟
- أنا في البيت...، ولكنني سأذهب الآن إلى المشفى...،  
هناك مقهى قريب منه يدعى "أزهار".. سألاقيك هناك  
قبل الصعود إلى "محسن"...، ولكن لا تتأخر.. فالأمر جلل  
ولا يحتمل التأخير.
- أغلقت "سهام" الهاتف، وطوت الأوراق التي في يدها جيدًا  
ثم وضعتها في مكانها الآمن بحجرة مكتب "محسن"، خرجت  
من بيتها تستقل سيارتها، لم تنتبه إلى تلك السيارة الزرقاء  
التي انطلقت خلفها.
- وصلت إلى وجهتها، وجدت "آدم" يترجل من سيارته متجهًا  
إليها:
- يبدو أنه لا مكان لإيقاف السيارة هنا، لقد أوقفت سيارتي  
بعيدًا عن المكان بسبب الازدحام، ترجلي من السيارة  
واتركيها لي، سأبحث لها عن مكان.
- فتحت الباب لتنزل، فتوقفت سيارة وأطلقت وابل من النيران  
بشكل عشوائي لإصابة كل من تطاله أيديهم.

\*\*\*\*\*



فبالرغم من أن "داغر" مجرم محترف وليس بمبتدأ ولكنه أقصى ما فعله ليتفادى الرصاص هي القفز جانبًا، وهذا لم يكن كفيلا ليتفادى جميع الرصاصات التي خرجت من فوهة سلاح "أسيل"، فما أنقذه هي رصاصة "رامي" التي خرجت لتطيح بسلاحها.

أمسكت "أسيل" بيدها بقوة إزاحة المسدس منها جعلت يدها تلتوي بشدة، فيما اتجه "داغر" إليها، يمسكها من يدها المصابة بعنف ليزيد من ألمها، فتأوهت بصوت مسموع، ثم وجه نظره إلى "رامي" قائلا له بزهو:

- لهذا لم أرد التفريط بك أبدًا..، لقد أثرت أخذ سلاحك بدلا من سلاحها الذي تحمله في حقيبتها لتعرقلك، لم تعرف هذه الغيبة أنك محترف قنص، ولا تمشي بسلاح واحد فقط.

ثم التفت للباقيين وقال بنبرة حازمة:

- لا تقاوموا سنستسلم..، فالمقاومة ليست في صالحنا. وقفوا مبهورتين وبأعينهم نظرات الشك وعدم الاقتناع، فتدخل لينهي ترددهم مضيغًا:

- ثقوا بي..، أنتم تعرفون زعيمكم.. لا يهزم أبدًا..، فقط جولات قصيرة أخسرها..، ثم أضحك في نهاية المطاف دائما.



أنهي حديثه وجر "أسيل" خلفه، وهي تحاول التخلص من قبضته وتسبه وتتوعده، حتى وصل إلى الغرفة المسجونة بها "همسة"، والتي انكشيت على نفسها فور سماعها لأصوات المشاجرات بالخارج.

وبعد أن سمعت أبواق الشرطة وهي تحذرهم انتعش قلبها ونسيت آلامها، ولكن بسماع صوت المفتاح يدور في الباب توقف قلبها ونفسها لثواني، تخشى أن يكون كل ما سمعته خيالات، بسبب شدة تعبها كسراب الظمان.

فوجئت بـ"داغر" يلقي بـ"أسيل" أرضًا بعنف، ظلت تحدق بهم لا تفهم ما يدور، هل هي غفت وتحلم؟

لم تهتم "أسيل" بآلامها، فهي اعتادت على قوة التحمل، وقفت تنظر إليه، تبرق عينيها من شدة الغضب، وتنبض عروق وجهها ورقبتها، تحدثه وهي تشير بإصبعها بتحذير:

- هل أنت في وعيك؟.. هل تعلم ماذا تفعل؟.. أنت تعلم جيدًا من خلفي وتعلم قدرتهم على سحقك.

ضحك "داغر" بصوت عالي، ظلت ضحكاته يتردد صداها لفترة، فكومت "أسيل" شفيتها للأمام بغضب، تنتظر رد فعله بفارغ الصبر، هي تعلم أن قلبه قد مات منذ زمن، ولكن عقله باقي في أوج نشاطه دائمًا، صمت فجأة وقال وهو يتجه إليها:



- الشرطة حاصرت المكان، و يا لأسفي الشديد...، لقت مدام "أسيل" أميرتي الجذابة مصرعها في تبادل إطلاق النار الذي تم بيننا...، لقد حزنت عليها كثيرًا.

توقف أمام وجهها المحترق، حتى لفحتها أنفاسه، أخرج يده من جيب سرواله ولطمها لطمة أسقطتها أرضًا، وجرحت شفيتها فسالت منها الدماء، ظلت ملقاة على الأرض تنظر إليه بغضب تخلله قليل من الخوف، فبعد أن ألغت الخوف من قاموسها منذ زمن، نجح هو في إشعال هذا الإحساس من جديد.

أردف بتلذذ وهو ينظر إليها، مبتسمًا ابتسامة مختل فرح بهديته، وعينية يخبو وميضها رويدًا رويدًا:

- هل ستصدقيني إذا قلت لك أنني سأحزن إذا قتلتك بالفعل؟!

نظرت إليه "أسيل" نظرات استفهام، ووجهها مازال ممتعضًا فهذا الـ "داغر" لم يحب أحد ولو حتى امرأة من قبل على حد علمها، فهل جمالها أثر عليه بالفعل؟!، ولكنه لم يمهلها كثيرًا لتفكر، فأضاف:

- كنت أود إدخالك "الغرفة الحمراء"...، كم تشوقت لهذا منذ زمن...، يعز علي قتلك بهذه البساطة والسهولة، ولكن للأسف لا مفر...، فلا وقت لدينا.



أنهي كلماته عند سماعه ضجيج في الخارج، عرف منه أن الشرطة قد اقتحمت المكان، فأخرج سلاحه ووجهه إلى رأسها.

\*\*\*\*\*

- أنسة "هاجر".

التفت "هاجر" على الصوت، فكادت أن توقع كؤوس القهوة من يدها، وعندئذ لن تغفر له اتساح ملابسها، قضبت جبينها وهي تسأل نفسها.

"وما ذنبه هو فقط صدح باسمك؟"

أكملت حوارها مع نفسها، غير منتبهة لحركات وجهها وعينيها التي بدت ظاهرة للعيان.

"ذنبه بالطبع... فهو يعلم مقدار ضيقي منه، وعدم تقبلي

له... فلم ينادي علي؟... وماذا يريد مني من الأساس؟"

- يبدو أنني أوقفك في وقت غير مناسب... فوجهك يحكي تفاصيل مشاجرتك الطاحنة مع نفسك... أرجو ألا تكون بسببي.

نظرت له "هاجر" بتعجب، واتسعت حدقة عينيها، مكلمة

حديث مع نفسها وكأنها نسيت كيف تتحدث بلسانها.



" هل تلبّسه جن؟.. فهو يعرف ما تفكر فيه في كل مرة قبل أن تنطقه!..، وهذا لم يحدث مع أحد قط..، فحتى عائلاتها لا تتوقع ردود أفعالها ولا يفهمونها"

- لا تندهشي من توقعي الصحيح..، فأنا دائماً هكذا نبيه ومنتقد الذكاء ذو ذهن حاضر وبديهة.

قال كلماته الأخيرة، وهو يضع يديه في جيب سرواله بغرور مصطنع، فالتسعت حدقتا عينيها، ورفعت أحد حاجبيها استهزاء بغروره.

وقبل أن تلسعه بسوط لسانها، أخرج يده من جيبه يرفعها باستسلام، وهو يتحدث بأجمل ابتسامة رأتها له حتى الآن:

- لا داعي للتهور..، أدرك أنك كنت ستسلطين علي لسانك الآن.. أنا كنت أمزح معك..، فوجهك كان واضح عليه حربك الطاحنة مع نفسك حتى أن الجميع يستطيع رؤية أسنة السيوف المستخدمة في هذه الحرب، فضلا عن طبيب كان يحب مادة علم النفس جدًا بالكلية..، بل وقبل الكلية.

- لا أفهم.. هل سيادتك أوقفتني لتستعرض إنجازاتك وهواياتك؟!

- يا الله.. لماذا تهاجمين باستمرار..، فهناك أماكن أخرى في الفريق.. الدفاع وخط الوسط وحراس المرمى لتلقي الصدمات.

- هكذا أنا.. أرى المهاجم هو أهم واحد في الملعب..، فلولا لبقني الفريق وإن كان من أمهر اللاعبين دون



- تقدم... أقصاه هو المحافظة على عدم دخول أهداف  
والتمسك بالتعادل... وهذا بالنسبة إلي فشل.
- اسمحي لي.. هذه نظرية خاطئة... كل منهم له دوره في  
المباراة... فلو كان المهاجم وحده يلعب بدون حراس  
مرمى ودفاع لدخل فيه درزينة أهداف... فكل له دوره...  
هكذا الإنسان لا بد ألا يجعل حياته كلها يلعب كمهاجم..  
سيخسر الكثير... كالصحة والراحة النفسية والاتزان...  
ستظل حياته عبارة عن توترات... ما المانع أن نستخدم  
كل صفة في وقتها لا نستهلك واحدة عن الأخرى.
- هل أخبرك أحد أنني بحاجة إلي درس أخلاقي أو  
نفسي؟... لا أفهم سبب إيقافك لي حتى الآن.
- رفع "نور" يده إلى أعلى كأنه يستعد لخنق أحدهم، ثم أنزلها  
ببطء وتنفس وهو يبتسم:
- لا لم يقل لي أحد... فهذا واضح للعيان.
- مطت "هاجر" شفيتها بغضب وغيظ، قبل أن تتحدث وهي تجز  
علي أسنانها:
- هل أوقفتني لكي تهينني.. حقا أنت..
- لا داعي للتكملة... لقد أوقفك لأبلغك بما أخبرني به  
أبي... بدلا من التفوه به أمام والدك، لأنه لن يستطيع  
المرور عليكم مرة أخرى إلا في وقت متأخر اليوم... إذا لم  
يسافر إلى المؤتمر المدعو إليه، حمدت الله أنني قد وجدت

إحداكن بالخارج...، ولكن يبدو أنني لأول مرة أندم علي  
خطوة اتخذتها.

- عذرا.. أنت من أهنتني أولا.. ما الأمر الذي كنت تريد  
إخبارنا به؟

اعتذرت بنبرة سريعة حتى أن "نور" قد فهم حروف كلماتها  
بصعوبة، وعينيها تزوغ في أكثر من مكان حوله، يبدو أنها  
السابقة الأولى في الاعتذار.. وسيستغلها.

- قبلت اعتذارك مؤقتًا.

نظرت إليه بحنق وكادت ترد عليه، لولا أنه استبقها كالعادة،  
فعقلها كتاب مفتوح يصله ردود أفعالها قبل أن يرسلها مخها  
في إشارات عصبية إلى باقي جسدها.

- فلنتحدث عن الأمر الذي أرسلني من أجله أبي...، فأنا  
مشغول وعندي مرضى يحتاجونني بدلا من محادثة لا  
طائل منها...، لقد وجدوا بصمات والدك على باب شقة  
القتيلين المطلوب للشهادة في قضيتهم...، وهذا يضعف  
موقفه مرة أخرى في القضية بعد أن تحسنت بحدوث  
بعض الجرائم المتصلة بهذه الجريمة أثناء غيبوته.

تغضن وجهها وانقبض قلبها، فتألم لألمها ثم أكمل باقي  
حديثه بصوت أقل حدة :

- ولهذا سيبقى والدك في المشفى لفترة كما نصحه "آدم"  
قريبكم، دون الإفصاح عن حالته الصحية بالكامل.



شعر لأول مرة في عينيها بالخوف والقلق، مما جعله يُقبل على طمأننتها، لا يطيق نظرة الضعف هذه في عينيها إنها تؤلمه، يريد تغييرها ولكنه لا يريد أن يفقد قوتها.

ظلت علي حالها تنظر إليه شاردة، ثم وجهت نظرها إلى الأرض عندما شعرت أنها بدأت تغرغر بالدموع، كادت تستأذن منه لتغادر المكان لكنه استوقفها:

- لا تقلق.. لقد طمأن "آدم" والدي أن الأمر مسألة وقت..، وأن صديقه الضابط قد وصل إلى وسط الخيط، وليس طرفه فقط..، واليوم سيقرب من النهاية وسينتهي كل شيء.. اطمئن.. أنا ب.. كلنا بجانبكم.

رفعت عينيها الدامعة إليه، أول مرة تشعر بالضعف أمام أي شخص مهما كان حتى أمام نفسها، لم تسمح إطلاقاً بظهور ضعفها، لماذا هو بالذات الذي تشعر معه برغبتها أن تكون الأنثى.. الأنثى اللينة، التي تستند على ضلع أقوى منها، كيف لم تخجل من عينيها الدامعة وهي تقف قبالة، بل وتريد منه أن يمسح دموعاتها؟

- شكرًا لك.. سأذهب الآن لجلب قهوة بدلا من هذه التي بردت.

مد يده لياخذ حاملة القهوة عنها، وهو يحاول فك هذا الجو الملمغ، وإبطال مفعول المتفجرات، التي كادت تنفجر:



- لا داعي فأنا السبب في إيقافك حتى بردت، ولذلك علي إصلاح خطأي بجلب الكؤوس الساخنة إلى حجرتكم..، تفضلي أنتِ وأنا سأوصلها لكم.
- لا شكرًا.. أنت أوصلت الرسالة فقط..، لا داعي لتعبك.
- وأنا مصمم.
- ما دمت مصمم.. إذا سأذهب معك.
- وهو كذلك.. سيسرفني السير بجانب أكثر امرأة عني..
- ماذا؟.. أكثر امرأة ماذا؟

سألته وهي تضع يدها في خصرها بتحفز.

- يا ويلي.. لقد أشعلت القدر دون قصد.. أقصد أكثر امرأة عنيدة.. عنيدة في الحق بالطبع.

ضحكت "هاجر" لأول مرة له، فرأى فتاة غير التي تظهر تمامًا كأنها تبدلت، فشعر بقلبه قد انتقل من مكانه، لا يعرف إلى أين ذهب؟، لقد خرج لا يعرف وجهته، فأغمض عينيه يحجم نفسه، يجب عليه ألا ينجذب إلى إغواء الشيطان، لقد تجاوز الحد في هذه الوقفة كثيرًا، فتحدث قبل أن يخطوان في طريقهما إلي الكافيتريا:

- ما رأيك أن تذهب لكي لا يقلقن عليكِ بسبب التأخير، وأنا سأجلب القهوة إلى الحجرة..، أريد أن أطمئن على والدك..، أم أنك لا تريدني مني المجيء، لذلك تصرين على الذهاب معي؟



تلعثمت "هاجر" وهي ترد بابتسامة:

- حسنًا.. لك هذا حتى لا تقول أنني أمنعك أو أتضايق من زيارتك لوالدي.

وقبل أن تغادر جاءت إحدى الممرضات تهوول إليه، تسأله وهي تلهث:

- عذرًا يا دكتور.. أين الطبيب "هلال"، أنا ابحت عنه في كل مكان ولا أجده.

- لقد ذهب في مشوار خارج المشفى..، لماذا ما الأمر؟

- لقد وقعت حادثة بالمقهى، المتواجد خلف المشفى وأصيب فيها رجل وامرأة.

- لا حول ولا قوة إلا بالله.. هل إصابتهما خطيرة؟

- لا أعلم.. أنا طلب مني البحث عن الطبيب من خلال

الهاتف الداخلي..، لم أرَ الحالات ولكني سمعت أنهما في حالة خطيرة، وأن أحدهما قد توفي بالفعل.

- حسنًا.. أنا قادم معك.. هيا بنا.

- لا داعي يا دكتور لقد استقبل الأطباء الحاليتين بالفعل..، أنا

كنت أريد الطبيب لأننا أبلغنا الشرطة فالحادثة بطلق ناري.

- حسنًا.. قوموا بالإجراءات المعتادة في هذا الأمر..، وأنا سأتصل بالطبيب "هلال".

غادرت الممرضة تنفذ ما أمرها به، فتدخلت "هاجر" وقد انقبض قلبها:



- بالحديث عن الحادثة.. لقد اقشعر جسدي ما بالكم أنتم من تتعرضون لهذه الأمور..، وتجبروا على التعامل مع أهالي الضحايا، فهذه الحوادث كموت الفجأة..، بل أظع يفجع الأهالي في ذويهم..، ربي يصبر أهلهم.
- يا رب اللهم آمين.. مهنتنا بالفعل بها العديد من المفارقات ولكن إحقاقا للحق..، كما أنت مطالب بالتعامل مع أهالي مريض ما أو ضحية حادثة كما قلتِ، نتعامل أيضاً مع من نكون سبباً في رفع آلامهم وأوجاعهم بفضل الله..، فتكون فرحتهم بنجاة ذويهم لا تظاهي فرحة في الغالب، وقتها تشعرين براحة وطمأنينة وفرحة كأن هذا المريض يمت بالقرابة لك بالفعل.

أمّنت على كلامه، ثم استأذنت منه لتعود إلى الغرفة، فحدث نفسه وهو يراها تبتعد..

"النساء هم النساء مهما بلغ عنادهن وقوتهن وشراستهن..، نغلبهم بالكلمات الحانية..، رغم ذكائهن ودقة تركيزهن، إلا أنهن يستسلمن بالكلمات لا بالأسلحة، فمجرد ما أعلن أنه يود توصيل القهوة بنفسه..، ظنت أنه يريد أن يريحها وهو الذي أراد طرد الشيطان".

بعد غيابها عن نظره، ذهب إلى الكافيتريا لي جلب لهم القهوة، فيما ترك قلبه معها ليحميها في الوقت الذي يغيب هو فيه.

\*\*\*\*\*



- السلام عليكم يا "ندى" .. كيف حالكم؟.. هل من جديد بخصوص اختطاف "همسة".
- عليك السلام يا "ملك" .. لا جديد في الأفق.. ولكن "آدم" اتصل منذ ساعة تقريبًا أو أكثر وقال لنا نكثف الدعاء ولكنه لم يخبرنا بشيء..، أشعر أنا وأمي أن هناك أمر جيد يحدث، فصوته كان مختلف رغم محاولته لعدم إظهار ذلك.. ف"آدم" عندما يتحمس ولا يريد الإفصاح عن أمر يريد إخفاءه..، يتحدث بسرعة وبكلمات موجزة.
- ابتسمت وقد أصابها عدوى الحماسة التي كانت في صوته، ثم استطردت:
- يحاول التملص سريعًا لأنه لا يحب الكذب..، هذا إذا كان يعد مفاجأة..، هذه المرة صوته كان به نبرة فرحة أيضًا.
- ربي يبشركم بالخير..، فرجه قريب يا "ندى" أنا أعتذر عن عدم حضوري اليوم، فأخي فاجأني وجاء من السفر، وصديقتك نسخة منك في الغباء ما شاء الله.. اتفقوا علي جميعًا.
- أشجيني.. أنت في سرعة البديهة لا مثيل لك.
- قالتها "ندى" وقد أفرجت أخيرًا عن ابتسامة حقيقية حبيسة، فتحمست "ملك" أن تفرّج عن صديقتها، وروت لها ما حدث بالتفصيل الممل، حتى كادت "ندى" تسقط أرضًا من الضحك.



- هل أصبحت مزحة العائلة فقط..، فأنا اتفق مع أخيك كان لابد أن يحجز لك في العباسية على الفور.
- أها.. تتفقين معي أخي.. وأخي يتفق معك عندما أقص عليه أمر ما يخصك..، يبدو أنني "وعاء جوافة" بينكم.

ابتلعت "ندى" ريقها بخجل، فهي لم ترَ أخيها إلا مرات معدودة، ترى فيها أنه حازم ولا يمزح، بخلاف هذا الموقف الذي قصته عليها "ملك" بالطبع، يبدو أنها لم تستنبط شخصيته جيدًا، ثم تحدثت بنبرة خجلة:

- أولاً يُقال "كيس جوافة"..، ثانيًا في بماذا تحدثتِ عني مع أخيك؟

حركت "ملك" رأسها بحرفية، وقامت ترقص ومازالت تمسك بالهاتف، فخططتها بدأت تنجح، الصيد ينجذب للطعم، كادت تتحدث بعدم اهتمام لتقص عليها بعض المواقف، ولكن "ندى" سبقتها بحماسة أكبر:

- "ملك" سأغلق معك الآن..، ف "آدم" يتصل.
- حسنًا حسنًا.. طمئنيني بعد المحادثة يا "ندى" بالله عليك.. ربنا يطمنا جميعًا.

أغلقت مع "ملك" وردت على "آدم" بلهفة والابتسام لا تفارق وجهها، فتلاشت ابتسامتها تدريجيًا وكأن أعصاب وجهها لم تكن تحت طواعيتها كاملة، بل حكمتها الصدمة ببراعة.

\*\*\*\*\*



طاحت رصاصة "داغر" في الهواء، على غير عادته، فهناك سلاسل قد التفت حول عنقه وسحبته إلى الورا، تضغط بشدة على عنقه لتضعفه، حاول أن يقلب من يكبله بالسلاسل وحمله بالفعل ليلقيه أمامه، ولكن هناك قوة أكبر منه، لقد منعت أغلال أخرى مثبتة في قدمي "همسة" متصلة بالحائط عززت من قوتها.

نظرت "أسيل" بدهشة إلى "همسة" التي تدافع عنها بكل استماتة لا تخاف من العواقب، أقبلت على الخطر وهي التي تعرف مدي براءتها ورقتها.

ظلت تحدّق بها دون أن تساعد غير مدركة لسبب مساعدة "همسة" لها، لم تنتبه إلى استغاثاتها بأن تأخذ السلاح الذي وقع على الأرض قبل أن تخر قواها.

انتبهت "أسيل" أخيرًا والتقطت السلاح من تحت قدمي "داغر" الذي انشغل بمحاولة الوصول إليه ورفع به بقدمه إلى يديه بدلا من مقاومة "همسة"، وكان هذا هو خطأه الوحيد فإذا كان استمر في مقاومة "همسة" كان استطاع هزيمتها وفك قيد رقبته وأخذ السلاح في وقت ذهول "أسيل"، ولكن أعماه الله عن التصرف السليم.

وجهت "أسيل" السلاح إلى رأسه وهي تبتسم بغل، فاستوقفتها "همسة" راجية:



- لا تطلقني النار.. فالشرطة في الجوار.. لا تجعليني أندم على مساعدتك.. فأنا ساعدتك فقط لأنك في محنة.

نظرت إليها "أسيل" بابتسامة غرور ثم أجابتها:

- وهل خبر الشرطة في الجوار، يشجعني على ألا أقتله؟.. بالعكس فهذا ادعى لتعجيلي بقتله..، هذا الحشرة ظن أنه سيتخلص مني بسهولة، أنا التي مررت بأسوأ من ذلك ونجوت دون أن أموت، ظن أن رصاصة رخيصة ستنتهي أسطورتني، صدقني فحياتي أعلى من ذلك بكثير، ولن تنتهي بهذا اليسر والبخسة.

ما يميز المجرم المحترف عن المبتدأ هو العقلية والخبرة، ففي الوقت الذي استعرضت فيه قوتها وقللت مما فعلته "همسة" معها، كان يدخل يده بين السلاسل التي بدأت ترتخي رويدًا رويدًا دون شعور من "همسة".

أحكم قبضته عليها وجذبها بقوة جرحت رقبتة وألقت "همسة" أرضًا، حتى شعرت أن كلتا يديها قد كُسرا من الدفعة، ثم أجهز على "أسيل" التي قاومتها بكل ما أوتيت من قوة، ولكنها لم تصمد أمامه كثيرًا، وفي اللحظة التي أخذ منها السلاح كانت الشرطة تحاوطهم بالغرفة تأمره بإلقاء السلاح.

لم يستجب "داغر" للأمر وظل ينظر إلى "أسيل" بغضب، وقد لاحت ابتسامة على شفثيه، ففطن "خالد" لمراده، وأطلق



الرصاص على يده على الفور أطاحت السلاح بعيدًا، فهجموا عليه وكبلوه يقتادونه إلى السيارات بالخارج.

لم تقاوم "أسيل" الأصفاد التي وضعت في يدها، تعدهم أنها ستخرج من القسم دون العرض على النيابة أو حتى المحكمة، تحذرهم من معاملتها بسوء وتتوعد "همسة".

هرول "شادي" ومن خلفه "خالد" إلى "همسة" التي لم تستطع الوقوف على قدميها ليس فقط بسبب ألمها وتعبها، بل من شدة فرحتها بنجاتها أخيرًا من هذا الكابوس.

- هل أنت بخير؟

تنفست بعمق قبل أن ترد على "شادي" الذي بدى القلق علي وجهه:

- نعم أنا بخير.. ولكنني أشعر فقط بدوار يغلف رأسي.

- لا يبدو لي أن الدوار فقط ما تشعرين به... فوجهك ويدك ملى بالكدمات.. دعيني أساعدك.

همّ "شادي" بمد يده ليحملها لكنها انكمشت ورفعت يدها بالرفض، فيما جذبه "خالد" يلومه:

- احضر هذا الكرسي لتستند عليه واطلب سيارة إسعاف لتأتي في الحال.

نظر له "شادي" وهو يطم شفتيه لم تكن نيته سوء، فهو كان يريد مساعدتها بالفعل، ولكنه امتثل لما يقوله "خالد"، ففي

كل الأحوال هي رفضت المساعدة وهو احترام هذا فيها،  
فبالرغم من ألمها وما مرت به، لم تتنازل عن التمسك  
بأخلاقها، ولم تتهاون في دينها، تمنى أن يقابل فتاة مثلها  
سيرتبط بها في الحال ويضعها داخل عينيه.

استندت "همسة" على المقعد وقامت بصعوبة بالغة ترتعش  
قدمها، أين قوتها التي كانت معها منذ برهة وهي تقاوم  
"داغر"؟، جلست على المقعد بسرعة قبل أن تنهار فدوارها  
شديد.

استأذنها "خالد" ليُطمئن "آدم"، وقد توقع أن يكون الهاتف في  
يده لا يفارقه، ومع أول رنين بل مع أول إضاءة للشاشة سيرد  
على الفور، ولكنه تفاجئ أن الرنين امتد ولم يأتيه رد، فساوره  
القلق حتى جاءه الرد أخيراً مع آخر جرس.

- ماذا؟.. حادثة؟.. كيف؟

انتفض قلب وجسد "همسة"، حتى انتبعت كل شعيرة وكل  
عصب فيه، حاولت سؤال "خالد" عن أي حادثة يتكلم؟، ولكن  
لسانها انعقد، لم تخرج الكلمات من فمها أو حتى تعبر حلقها،  
لقد استكفت أعصابها من الصدمات، شعرت أنها فقدت القدرة  
علي الكلام، لم تجد سوى عينيها هي الوحيدة القادرة على  
توجيهها حالياً، فأذرتها بفيض من دموعها لعلها تهون عليها.

انتظرت صوت "خالد" بفارغ الصبر، ليطمئنها ويمحو قلقها،  
فخروجه من الغرفة لإكمال المكالمة لا يبشر بالخير، ولكنها



أغمضت عينيها وتنفست ببطء، وقلبها يردد كل دعاء وكل  
ابتهاال جاء علي خاطرها.

وأخيرًا عاد بعد أن أنهى مكالمته، فرأى شفاها ترتعش،  
تغلق وتفتح كأنها تحاول الاستفسار منه، وعينيها الزائغة تجود  
بكل ما لديها من دموع.

\*\*\*\*\*

- قلت لكِ أنا بخير...، لقد اتصلت بكِ لأنني لن أستطيع إخبار  
بناتها بما حدث...، ثم أنني في المشفى أضمد جرح  
صغير.
- ماذا.. قلت جرح...، لا تخفي عني شيء يا "آدم" بالله  
أخبرني مكان المشفى.
- يا "ندى" أرجوكِ استخدمي عقلك ولو مرة...، حبيبتي.. إذا  
كان بي أمر خطير هل كنت سأحدث إليكِ هكذا بكل  
سهولة.
- لماذا إذا.. لا تريد أن تخبرني في أي مشفى أنت؟
- لن أتخلص منكِ بسهولة.. أنا في المشفى الذي فيه  
الحاج "محسن"...، والآن أريدكِ أن تتصلي ببناته أنتِ وأمي  
وتذهبا إليهن في أي مكان كانوا قبل أن يصلهن الخبر من  
أي شخص.. لتكونا بجانبهن...، ولكن إياكما أن تتحركن  
بدون سيارة الحراسة يكفيني ما أنا فيه.



حاولت "ندى" التحدث مع هطول سيول دمعاتها:

- ربي يصبرهن يا "آدم" لا أعرف كيف سيجتازون هذا الخبر،  
فأنا نفسي لا أصدق.

سأغلق الآن يا "ندى" لأنهم يريدونني في بعض الإجراءات...،  
ولكن أبلغني أمي وحاولا الوصول إليهن في أسرع وقت بالله  
عليك.

انشغل "آدم" في إنهاء بعض الإجراءات مع وصول الشرطة،  
التي أبلغته أنه بعد تفريغ كاميرات المقهى، توصلوا فقط إلى  
رقم السيارة، فمفذي العملية كانوا ملثمين، ولكنهم يتوقعون  
أن تكون لوحة مسروقة أو مزورة، سيحاولون البحث في الجوار  
عن مواصفات السيارة، استاء "آدم" من تفكيرهم، وهل  
سينتظرهم المجرمين في الجوار.

لم ينتبه إلى هاتفه إلا في آخر جرس له، وعندما رأى الاسم  
رد بلهفة، ولكنه لم يستطع إخفاء نبرة صوته الحزينة المنهكة،  
فأجاب على استفسارات "خالد"، بشأن الحادثة بصدور ربح،  
بعد أن طمأنه أنه وجد "همسة" بالفعل وهي بخير:

- الحمد لله يا "خالد"...، لقد نجوت لوجودي في الجهة  
المقابلة لمكان السائق، وهم مروا من جانب الحاجة  
"سهام"، التي كانت قد فتحت باب السيارة استعدادًا  
للنزول، فاستقرت الرصاصات جميعها في جسدها، ولم



أصب سوى برصاصة واحدة في يدي..، لم تصبني بأذى  
جسيم.

هربت بضع دمعات من عينيه، فابتلع ريقه الوهمي، ثم  
استطرد:

- لقد مرت من خلال اللحم الجانبي قريبا من الكتف، ولم  
تخترق العظام..، ما أجزني أنني لم أستطع الزود عنها..،  
لقد قتلت أمامي، ولفظت أنفاسها الأخيرة سريعا.. لم  
تنطق سوى باسم "همسة".. وكأنها تنبهني أو توصيني  
لم أفهم.

توقف مرة أخرى يحاول التنفس بعمق، لقد شعر أن أنفاسه  
تقطع وكأنها تسحب منه سحبا، وبعد أن هدأت أنفاسه قليلا  
أكمل:

- لقد استدعتني في الأساس لتخبرني عن أمر يخصها..،  
قالت أنه سينقذها من الاختطاف ومن الخطر المحدق بها  
كله..، ارتقت روحها إلى بارئها على يدي، فعندما تشاهد  
اللحظات الأخيرة لشخص تعرفه، وخاصة بهذه الطريقة..،  
تتوقف أمامك الزمن وترى أمامك شريط لكل لحظاتك  
معه..، تفكر أنه انقطع عن العالم الذي نعيش فيه..، لن  
تراه ثانية.

- هون عليك يا "آدم" لم يكن بيدك شيء لتفعله، وهذا  
عمرها.



- بناتها وزوجها الذي يرقد بالمشفى الآن.. أمي التي بالتأكيد ستحزن على صديقة طفولتها كثيرًا..، شعرت أن الدنيا صغيرة جدًا في عيني..، بالرغم من أن الموت هو بوابة عبورنا إلى الدار الآخرة..، إلا أنني خفت منه جدا ليس على نفسي، فنحن نشتاق إلى لقاء الله الحكيم العدل.. ولكن على كل من حولي خفت الفقد..، فكل من حولي لا أقوى على فراقهم..، أعلم أن هذا ضعف وقلة إيمان، ولكن ما زلت أخشى فراق من أحبهم في حياتي وكأنه تحول إلى فوبيا.

حاول "خالد" أن يخفف عنه بالتحدث عن أمور إيجابية، هو يعلم هذا العيب في صديقه، ولكن لن يصلحه وينصحه في وقت أزمة، فشغل عقله كي يبعده عن هذا التفكير:

- رحمها الله يا "آدم"..، وبسبب ما قلته أتوقع أن من قتلها هم نفس الأشخاص..، يبدو أن أحد رجالهم طليق..، أو أننا قبضنا على بعضهم فقط، لا تحمل نفسك ما لا طاقة لك به..، كيف كنت ستنقذها والرصاص كان أمامها مباشرة..، عامة أنا عندي لك خبر سيفرج عنك.

لم يتلقَ رد منه فأكمل حديثه بحماسة:

- لقد تم القبض على أفراد العصابة دون جهد، لم يقاوموا لمفاجئتهم بوجودنا وعلمهم بأنه لا سبيل للهرب..، أعتقد أن أفراد بيتك في أمان الآن بإذن الله..، ولك عندي مفاجأة

أخرى، لن أقولها إلا عندما نتقابل...، لن تتخيل من اختطف زوجتك.

تنفس "آدم" الصعداء، إن كان في وقت آخر كان قد طار من الفرحة، حمد الله كثيراً، ثم عادت نبرته الحزينة في سؤاله:

- من؟

- قلت لن أخبرك الآن...، فهذه مفاجئة اليوم حقاً...، شخص كنت تريد الانتقام منه ويبدو أن الله قد جبرك ببقائه على قيد الحياة، لترى فيه انتقام الله في الدنيا قبل الآخرة.

- حسناً فعقلي سيطر مشغول بمحاولة معرفته حتى التقيك...، أنا أعلم أنك ترفض إخباري لتشغل عقلي...، وقد نجحت...، أريد منك أن تقم بإيصال "همسة" إلى البيت بنفسك، فحتى إن اطمأننا كما تقول الحذر واجب، ولا تخبرها بأي شيء بخصوص الحاجة "سهام"...، يكفيها ما مرت به الآن.

أغلق "آدم" معه الهاتف، وظل يردد أذكار الحمد بمختلف أشكالها، بعد أن نجى الله له زوجته.

انتهى من الإدلاء بأقواله أخيراً، فأخرج هاتفه كي يتصل بـ"ندى"، ليعلم مكانهم ويذهب إليهم للوقوف بجانبهم، ولكن لا مجيب، حاول مرة أخرى وثانية..، كاد يتصل على سيارة الحراسة ليطمئن ولكنه وجد أمه وأخته أمامه بعد بحث طويل عن مكان تواجده، فالمكان الذي كان يدلي بأقواله فيه لا يوجد به شبكة، فلم يستطيعا الاتصال به.

احتضناه ودموعهما تنساب دون توقف، أخذ يُربت على  
ظهريهما يطمئنهما:

- أنا بخير الحمد لله... رحم الله الحاجة "سهام"... ربنا يبذلها  
دار خير من دارها... أين حديثك عن الصبر يا أمي؟

خرجت من حضنه تمسح دموعها، فبالرغم من حزنها على  
صديقتها، إلا أن رؤية ابنها معافاة قد هدأها قليلا، فملا بسه  
الغارقة بالدماء أفزعته فور رؤيتها له فرددت أخيراً:

- حمداً لله على سلامتك يا حبيبي... أين هي "سهام"...  
هل يسمحون لي بزيارتها لإلقاء نظرة أخيرة عليها؟

امسك "آدم" يدها هي و"ندى" و أخذهما إلى أقرب مقعد،  
أجلسهما ثم اتخذ وضع القرفصاء أمام والدته، يمسك بكلتا  
يديها يقبلها بحنو، ثم أجاب:

- لن يسمحوا إلا لبناتها أو أي شخص من أهلها من الدرجة  
الأولى، لكي يتعرفوا عليها... ثم إنك لن تحبي رؤيتها  
هكذا... فلندعو لها هذا أهم من رؤيتها الآن... لقد صارت  
جسد بلا روح.

تجددت دموع "عايدة"... وهي تردد الأدعية لصديقتها، فأراد  
"آدم" أن يخفف عنها قليلا:

- أنا أعرف أن هذا ليس وقته.. ولكن عندي خبر حلو لكما...  
لقد عثرت الشرطة علي "همسة" وهي في طريقها إلى  
البيت الآن.



فرحت "ندى" وبالفعل انفرجت شفاتها عن ابتسامة تجسد فرحة مكتومة، فيما حاولت "عايدة" زحزحة شفاهها قليلا لترسم بسمة قصيرة صغيرة، وهي تردد بنبرة نجحت أن تكون فرحة قليلا:

- حمداً لله... فلفظ الله بنا عظيم.. حمداً لله يا "آدم"...
- ولكن حبيتي ستصدم بهذا الخبر كثيراً.
- لقد طلبت من "خالد" ألا يخبرها... أريد أن أوصل لها الخبر بنفسى وبطريقتي.
- حسنناً فعلت يا "آدم".
- هل تحدثتِ إلى بنات الحاجة "سهام" يا "ندى"؟
- يا الله لقد نسيت من الصدمة... فهم هنا بالمشفى، والدهم قد فاق الحمد لله منذ أمس، وهم يجلسون معه بغرفته.
- هل أبلغتهم بالخبر؟
- لا.. للأسف لم أستطع... لقد عرفت من "دنيا" فقط بمكانهم، وأعلمتها بزيارتي لهم أنا وأمي... أثرت أن أكون بجوارهن أنا وأمي عندما أبلغهن... كما أنني أغلقت الهاتف في وجهها وكأن الخط قد انقطع... لم أستطع تمالك نفسي عندما قالت لي.. "خبر سعيد سأصل بأمي لكي تأتي إلى هنا... فهي ذهبت إلى البيت وستعود سريعاً... ستفرح كثيراً بحضور الخالة "عايدة".

تسارع نفس "عايدة" وهي تحاول كتم دمعاتها وأناتها، فيما انفتحت صنابير دموع "ندى" من جديد.



- كيف ستساندان بناتها وأنتم تبكون بلا انقطاع... أرجوكم..
- توقفا قليلا وتماسكا... لكي نذهب إليهم.
- اذهب لاستقبال زوجتك أولا يا "آدم" ثم ألحق بنا... فهي
- كانت في محنة شديدة... هل عرفت سبب اختطافها؟
- قال لي "خالد" أنه شخص أعرفه وكنت أكرهه... ولكن
- رفض إخباري بالهاتف، سأذهب معكما إليهم أولا ثم أعود
- لـ"همسة"... لقد اطمئنان عليها وبقي أن نطمئن علي
- البنات... فهن تلقين صدمات عديدة وراء بعضها ولم يفيقن
- من صدمة والدهن بعد.
- كيف ستذهب إليهم بهذه الملابس المليئة بالدماء...،
- ودماء من إنها دماء والدتهن... لا يا "آدم" اذهب إلى
- البيت، بدل ثيابك واستقبل "همسة"، اتركها ترتاح وتعال.
- حسنا يا أمي... كنت أود أن أكون معكما فالحمل ثقيل...،
- أود أن أقول لكم انتظروني ولكن أخشى أن يصل إليهم
- الخبر بطريقة ما تسؤهم... وخاصة أنها في نفس
- المشفى.

وبعد تردد غادر "آدم"، وهو يتصل على "خالد" ليطمئن على وصول "همسة" لا يريد أن تراه بهذه الدماء، لن يفجعها يكفيها ما مرت به، ولكن دون رد.

\*\*\*\*\*



- دقائق وأريه من منا الذكي ومن المتحذلق الغبي...،  
فلست أنا من يُهان بهذه الطريقة...، لقد تحملته كثيرًا...،  
سأجعله هو من يحفي ورائي لأعود للعمل معه...، وليس  
تحت إمرته.

سمع "حسام" دقائق على الباب، فأذن بالدخول ليجد  
"شادي" ومعه ثلاث ضباط آخرين، وعلى وجه الأول ابتسامة  
شماتة واسعة.

نظر إليهم "حسام"، وعلامات الاستفهام تملأ حنايا ملامحه،  
تحمل عينيه نظرات غيظ واستهزاء، ثم تحدث وهو يضع قدم  
فوق الأخرى بتكبر:

- ما الأمر أيها النقيب...، آه لقد نسيت إخبارك...، صراحة لا  
يسعدني رؤيتك بأي مكان...، وأظن قضيتكم قد حُلت  
ووجدتم المختطفة...، الباب خلفك تمامًا...، فأنا مشغول  
كنت أفضل وجود صديقك الغبي معك كي أطردهما سويًا،  
ولكن أوصل له طلبي لا أريد رؤيتكما.. فأنا سريع التقزز.

تقدم "شادي" وقد علت ضحكاته إلى المقعد الجانبي لمكتب  
"حسام" الذي زالت منه نظرة الغيظ والتكبر وحل محلها نظرة  
البلاهة المعهودة.

جلس وأسند ساعده على المكتب ينظر أمامه بتنهد، ثم  
تحدث وهو يلتفت إلى "حسام" ببطء وعلى وجهه ابتسامة  
واسعة:



- للأسف الشعور متبادل أيها النقيب.. عفوًا دعنا نقول  
النقيب السابق.

أنزل "حسام" قدمه وهو يتقدم إلى المكتب، قائلاً بغضب:  
- ماذا تقول أيها المعتوه؟

خبط "شادي" بيده على المكتب بعنف وألقى "حسام" بنظرة  
غضب سمّرتة في مكانه وأجمته، ثم قام عن مقعده وأخرج  
إذن نيابة:

- أنت مطلوب القبض عليك وتفتيش مكتبك وبيتك أيها  
النقيب السابق بتهمة السرقة وعرقلة قضيتي اختطاف  
"همسة شهاب الدين" ومقتل "يسرية".

قام "حسام" عن مكتبه، هرع إلى الإذن واختطفه من يد  
"شادي"، الذي مط شفثيه بشماتة وهو يضحك ضحكة  
مكتومة.

لم يصدق عينيه، كيف اكتشفا سرقة للهاتف؟، من أفشى  
سره؟، هل وصلا إلي العسكري؟.

جلس على المقعد مكان "شادي" السابق وهو ينظر أمامه،  
هل يُعقل أن يكون "سالم"؟..

\*\*\*\*\*



حضرت الإسعاف ركبتها "همسة"، التي غفت أو لنقول غرقت في غيبوبة طويلة تعوض قلة نومها وإرهاقها وألمها، بعد أن طمأنها "خالد" أنها حادثة رأها "آدم" وهو يدلي بأقواله فقط بما حدث فيها أمام النيابة، ولذلك لن يلحق بهم.

لم تشعر بنقلها من سيارة الإسعاف إلى غرفة المشفى، لم تستيقظ إلا وهم ينظفون جروحها ويعالجونها، فأعطاهم الطبيب منوم، كي تنام بعمق دون قلق وغادر.

بعدها أوصلها "خالد" بنفسه، ووضع حراسة على غرفتها، لحق بـ"شادي" الذي ذهب مع الدورية المتهمين.

- ها قد جئت أخيراً.. كنت أريد عناك بعد هذا النجاح..، لا أصدق نفسي..، عندي لك مفاجئات وليست مفاجئة واحدة، سأغير مزاجك وأجعلك تبتسم لا بل تقفز فرحاً، بدلا من هذا الوجه الكئيب الذي تصدّره لي الآن.

جلس "خالد" بعد معانقة "شادي"، محاولاً ألا يضايق صديقه ويفسد عليه فرحته، ثم سأله:

- سأكون مدين لك بخدمة إذا فعلت..، فأنا بحاجة بالفعل لخبر سعيد الآن.

- لقد جردت كل المتهمين من الهواتف والأسلحة التي بحوزتهم..، غيظاً في "أسيل"، التي لم تفصل منذ أن ركبت السيارة، وحتى أدخلناها الحبس، فقلبت في هواتفهم أتسلى بها حتى تأتي..، وإذا بي أجد على



هاتف "رامي" صور لـ "متولى" و"هنا" بعد قتلها ولكن كان لا يزالان أحياء... الفيديو مقزز إلى حد كبير، ولكنه دليل على إدانتهم.

- ما أجمله من خبر... فهو يحوي أكثر من خير... منه يُخلص الحاج "محسن" ومنها أتخلص من "سالم"... وقد كشفنا لغز القضية الذي يتولاها وعجز عنها كما في الماضي.. أدفع مال الدنيا وأرى وجهه بعد أن يرى هذا الدليل... وخاصة بعد أن ضللنا مساعده، وقت خروج الدورية.

ضحك "شادي" بصوت عالي، ثم علق:

- أنت كارثة يا "خالد"، أشهد لك أنك ثعلب... لقد توقعت كل خطواته بحذافيرها، جاء وقت المفاجأة الثانية.

اعتدل "خالد" في مقعده والتف بجانبه اتجاه "شادي"، الذي ظل يتأرجح بكرسيه يمينًا ويسارًا بنشوة، فحته "خالد":

- أنا في الانتظار.. لقد شوقتني.. هيا لا تفعل بي ما أفعله بك الآن، هذا ليس وقته.

ضحك "شادي" وألتف بالمقعد ناحيته يرد بمرح:

- اعترفت أخيرًا بالمعاناة التي تجعلني أعاني منها، ولا تشفق علي إلا بعد أن يطير برجين أو ثلاثة من رأسي.  
- حسنًا اعترفت... واستسلم هيا.

قالها "خالد" وقد عادت الفرحة ترسم ملامحه من جديد.



- حسنًا .. سأسجلها لك لكي أعيدها عليك عندما تعود إلى هذا الفعل لأنني واثق أنك لن تتركه.

زمجر "خالد" وضيق عينيه ورفع قبضته دليل على استعداده للهجوم، فاستطرد "شادي" بسرعة:

- حسنًا حسنًا سأكمل...، المفاجئة الثانية.. لقد فتح الغبي "حسام" الهاتف كما توقعت أنت...، وأظنه بدون علم "سالم".

فغر "خالد" فاهه، لم يظن لو واحد بالمائة أن "سالم" لن ينبه على "حسام" ألا يفتح الهاتف مطلقًا، فهو واثق أن "سالم" محنك ويعرف أن فتح الهاتف سيوصلهم إليه بالفعل.

- فكرتك بجلب البيانات من شركة الاتصالات التابع لها الرقم ورصد مكانه فور فتحه.. كانت عبقرية<sup>59</sup> ، لقد ذهبت إليه وقد كان في غاية الإسفاق والغرور، وجدت الهاتف بدرج مكتبه...، هو بالفعل قمة في الغباء...، لقد فتح الهاتف وحاول يتصل على رقم "رامي" الذي معي جرس واحد وأغلق، أظن وقتها لاحت الفكرة برأسه...، حيث جلب الثلاث أرقام التي كانت عليه، وأرسلها لصديق له كي يبحث له عن بيناتهم...، على كل حال هو الآن ماثل أمام الجهات المختصة.

<sup>59</sup> - هاتفك الذكي مصدرًا لمعرفة كل شيء عنك ابتداءً من تتبع الموقع الجغرافي بدقة، والتواريخ، والأوقات، وماذا فعلت قبل وبعد فتح التطبيق أو موقع الويب، والشركات التي تقدم خدماتك المفضلة، وسلوكك وعاداتك، هذا كله رهن إشارة العديد من التطبيقات، التي إما تستخدم هذا لصالحها أو تبيعه. أما شركات الاتصالات فتتبع موقعك الجغرافي من خلال بحث هاتفك كل بضع ثوان عن أقوى إشارة من الأبراج الخلوية القريبة، كما أنهم يتبعونك لمحاولة الوصول إليك في حالة الطوارئ .

تنفس "خالد" الصعداء أخيرًا، ثم قام يشير إلى "شادي" يتحدث بابتسامة مرحة:

- أنت لا تستحق الحزن الذي بادلتك إياه فور دخولي.. أنت تستحق أعمق منه بكثير.

ضحك "شادي" وهو يحتضنه، ثم ابتعد عنه يقول بتحذير:

- وماذا سأستفاد من الحزن..، قل لي مكافأة مغرية فأنا أستحق بعد هذه الأخبار الرائعة.

- غداء وثلاث أيام غياب أحمل فيهم عنك عبء العمل..، هل هذا يكفي أيها المستغل.

فكر "شادي" قليلا، ثم أشار بيده أنه متردد في الاقتناع، جلس "خالد" وهو يقول :

- حسنا اعتبرني لم أقل شيئًا.

قالها ثم نظر بطرف عينيه إلى "شادي"، يحاول كتم ضحكته، فرفع "شادي" جانب طرف شفته العليا يمطها إلى الأمام بضيق، ثم اتجه إلى مقعده معلقًا:

- حسنًا يا شحيح..، كنت أريد أن تدفع لي ثمن سفريّة..،

ولكنني سأرضى بما قدمته قبل أن تتراجع فيه..، عندي سؤال.. هل سيعترف "حسام" على "سالم"؟

- جيد أنك حكمت عقلك أيها المستغل..، لا أعرف ولكن

أعتقد الإجابة لا..، وحتى إن اعترف ف "سالم" كان

ذكي..، جعل "حسام" هو من يتصدر في كل شيء..،



حتى الهاتف جعله يحتفظ به عنده... أتوقع أنه أخذ كافة احتياطاته ليكون خارج الموضوع برُمته.

تنهد "خالد" ثم التفت إلى "شادي" متحدثًا بحماسة:

- فلنعد إلي مفاجئتك الرائعة... أرسل لي الفيديو وتحفظ على هاتف "رامي" معك ليس مع أحد آخر.. تحافظ عليه بين أجفانك.. لا تسلمه لأحد.

أخذ الفيديو ثم اتجه إلى الباب بهمة ونشاط لا يتناسبان مع تعبهِ وإرهاقه في الأيام الماضية، فأوقفه "شادي":

- "خالد"... نسيت أن أخبرك... زوج "سها" ابنة "يسرية" قُتل... وألقى "سالم" القبض عليها، بناءً على بلاغ من مجهول يوصي بأن "سها" هي من قتلتها بعد مشاجرة دارت بينهما وألقته من الشرفة... والدليل الكدمات التي بجسدها... و أعتقد الدليل الثاني غالبًا بصماتها التي لن يجدوا غيرها على الجثة... كما أنها رفضت الحديث أو الإفصاح بأي أمر... وطلبت مقابلتك أنت بالأخص.

- حسنًا.. سأذهب إليها، أظنها ستلومني على جريمتها بحجة أنها لم ترد الاعتراف بالحقيقة... المهم لا تخبر أحد بفيديو "رامي"... سأخرج لأضرب ضربتي وأمر على "سها" ثم أعود إلى البيت أتذكر كيف كان يبدو النوم... عد لتستريح أنت أيضًا فأمامنا عدة مهام الفترة القادمة.

\*\*\*\*\*



- خالة "عايدة" ..، أوحشتني يا "ندى" ..، ما كان عليكم  
المجيء، أنتم أيضًا عندكم هم ربنا يعينكم عليه .. هل من  
جديد في اختطاف "همسة" ..، هل اتصل أحد من  
خاطفيها؟  
- الحمد لله يا "ندى" .. الشرطة عثرت على "همسة" وهي  
في طريقها إلى البيت الآن.

قفزت "دنيا" فرحًا كالأطفال ..، وهي تضم قبضتيها اللاتان  
تحملان الهاتف إلى صدرها، ثم احتضنت "ندى" تردد بفرح:  
- حمدا لله ..، لماذا أنتما هنا الآن؟ ..، لماذا لم تبقيا بالبيت  
لتستقبلننا؟ ..، اعذراني .. كان لابد أن تبقيا بالبيت وتخفوا  
عنها وتطمئنوها، فلا أحد يعلم كم عانت ..، ولكن من  
اختطفها ولماذا؟

تجدد الدمع في عينا "عايدة" و"ندى"، التي أدارت وجهها  
بعيدًا لكي لا تلاحظ، فاستبقت "عايدة" الحديث، وقد ازداد  
الثقل علي قلبها .. كيف ستخبرهم؟

- لم نعلم أنها في طريقها إلى البيت إلا بعد أن جئنا إلى  
هنا ..، ولم يخبرنا "آدم" بالتفاصيل بعد.  
- حمدًا لله على سلامتها ..، لقد أسعدتموني كثيرًا ..، يبدو  
أنه يوم سعيد ..، فالיום أبي قد تحسنت حالته كثيرًا و ..



- لقد لمحت "هاجر" تشير إلينا من الغرفة سأذهب إليها لكي لا تغضب.

أسرعت "ندى" في خطاها اتجاه الغرفة التي كان بابها في زاوية مما ساعدها على أن تذهب إليه وتقف أمامه دون الولوج مبتعدة عن أنظار "دنيا".

وقفت تحاول تجفيف دمعاتها، فكلمات "دنيا" أثقلت عليها كثيراً، بينما مطت الأخيرة شفاهاً وهي ترى "ندى" تغادر بهذه الطريقة، لقد لاحظت الدموع في عينيها، كما لاحظت ذبول وجهها، فسألت "عايدة":

- هل "ندى" بها شيء، فوجهها يبدو عليه الحزن وعينيها دامعة..، لقد ظننت في البداية أنه بسبب اختطاف "همسة"، ولكن بعد معرفتي بعودتها لما كل هذا الحزن يا خالة؟

ترددت "عايدة" لحظات، هل تخبرهم جميعاً سوياً، أم الأفضل فرادى، وأخيراً حسمت أمرها:

- لا عليك يا "دنيا"، هيا بنا لأطمئن على الحاج "محسن".  
- حسناً.. كدت أنسى..، لم أستطع الوصول لأمي، اتصلت بها كثيراً ولكن هاتفها مغلق.

وضعت "عايدة" يدها على حقيبتها، تتحسس هاتف "سهام" الذي أعطاه "آدم" لها بعد أن أغلقه، لقد أصبحت بلا مقتنيات الآن، فقط عملها الصالح هو كل ما تملك، أغمضت جفنيها



بيطاء، ثم ابتسمت ابتسامة خفيفة وهي تربت على كتفها  
مرددة:

- لا عليك.. هيا بنا.

اتجهت "عايدة" صوب الحجر، فيما تراقبها "دنيا" التي بدأت  
تقلق من حالهما واستوطن قلبها الشك، مؤكدة لنفسها  
"هناك أمر يخفونه.."

"أخشى أن يكون "همسة" قد حدث لها مكروه"

نفضت هذه الفكرة السيئة عن رأسها ورفعت هاتفها تتصل  
على والدتها لآخر مرة قبل الدخول.

رأتها الممرضة التي اعتادت "سهام" الجزل في العطاء إليها  
وقتما كان "محسن" في الرعاية من ظهرها، فأقبلت عليها  
تقدم لها العزاء بنبرة حزينة:

- البقاء لله أنسة "دنيا"..، لقد كانت والدتكِ معطاءة  
وكريمة..، ربي يجعل مثواها الجنة.

\*\*\*\*\*

- أهلا "خالد" باشا..، أوحشتني يا رجل..، ما كل هذه  
الغيبة؟..، ألم تشناق إلي طوال هذه الفترة فتسأل عني؟  
- نفس قدر اشتياقك لي "سالم" باشا..، كنت أنتظر سؤالك  
أنت عني..، فدائما الكبير هو الذي يحتوي الصغير..، أقصد

- الكبير سنًا بالطبع...، فأنا على وشك الترقية بعد آخر قضيتين...، الحمد لله سعدت كالصاروخ... يبدو أنني قد أوحشتك بالفعل والدليل أنك انتظرتني لأصعد إليك.
- حقًا؟!.. مبارك لك الترقية قبل أن تأتي.. عامة أنا أيضًا على وشك الترقية...، صحيح أنت تقدمت سريعًا ولكني سأظل أسبقك برتبة بعد ترقيةك الجديدة.
- الذي جعلني أترج في هذا الوقت القصير وألحق بك أي أصعد رتبتين في هذه الفترة الوجيزة، قادر أن يمنحني الأكثر فتجدني أسبقك أيضًا.
- لا أظن.. نسيت أن أقول لك.. لقد رأيتك في المنام.
- حقًا.. خيرًا رأيت؟
- رأيتك تستقيل في القريب العاجل...، حاولت ثنيك عن هذا الفعل...، ولكنك كنت مصمم...، قلت أنا لا أستحق هذه الوظيفة.
- خيرًا "سالم" باشا...، فالكوابيس منتشرة جدًا هذه الأيام وبكثرة...، لو أردت عندي علاج يضيئها...، أمسك ملفي كل يوم قبل النوم واقراه.
- نظر إليه "سالم" بغيظ وغضب، فربت "خالد" على كتفه، متحدثًا بنبرة باردة:
- عندي ميعاد مع مسجونة عندك طلبتني بالاسم...، لا تريد الاعتراف إلا في وجودي...، لا أعلم القضايا تطلبني بالاسم...، يبدو لأنني أحلها سريعًا.



سبقه "خالد" إلى غرفته، ثم توقف عند الباب قائلاً بصوت مرتفع:

- "سالم" باشا..، ألن تأتي وتطلب لي مشروب لحين إحصار المتهمه "سها"..، عندي مهام كثيرة أخرى لا أريد التأخر عليها.

لعق "سالم" شفطيه مضيّقاً عينيه كتحلب يجهز الشرك لفريسته، ثم ذهب إليه وفتح له الغرفة، نفذ ما طلبه "خالد" على مضض، الذي استأذنه في الخروج ليختلي بـ"سها" فور مجيئها.

قام "سالم" وهو ينفث بعصبية ملحوظة..، قائلاً بابتسامة غل:  
- المكتب مكتبك يا .. يا "خالد".

اعتدل "خالد" ليواجه "سها" الجالسة أمامه صامتة، وبعد خروج "سالم" فتحت فمها تتحدث بتلعثم:

- لقد وعدتني بالحماية..، أرجوك يا "خالد" باشا، أنا لم أقتله عن قصد هو الذي كان يريد قتلي، أنا كنت أذافع عن نفسي فقط.

أعطاه "خالد" مشروب الليمون الذي طلبه مسبقاً لكي يعطيه لها، ثم وضع هاتفه على الصامت لكي لا يزعجه أحد، وتحدث بنبرة هادئة:



- احكي لي ما حدث بالتفصيل يا "سها"، لأعرف كيف سأساعدك.

\*\*\*\*\*

وصل "آدم" المنزل وهو يتوعد "خالد"، كيف لا يرد عليه في وقت كهذا، سأل الحارس قبل الدخول:

- هل وصلت مدام "همسة"؟
- هل وجدتموها حمدًا لله حمدًا لله.. مبارك يا سيد "آدم".. مبارك رجوعها.
- ألم تأتي حتى الآن؟
- لا لم تصل.

دخل "آدم" وهو يكرر اتصاله بـ"خالد" دون رد، أغلق بغضب ثم اتصل على الخادمة "هالة"، ليسألها عن "هند" و"هيثم" لا يريد لهما رؤيته بهذه الحالة، فأعلمته أنهما في غرفهما ينفذون جدول مدام "همسة"، فحذرها ألا تبلغهما بمجيئه.

دخل دون صوت وصعد إلى غرفته غير ثيابه وتحمم سريعًا، ثم خرج ليحاول مرة أخرى الاتصال بـ"خالد" ولكنه لم يتلقَ ردًا، فانتبه إلى "شادي"، كيف لم يتصل عليه من البداية؟، فهو مع "خالد" دائمًا، ضغط الأزرار بلهفة، فحالفه الحظ هذه المرة ورد عليه بالفعل:



- أهلا "آدم" حمداً لله على سلامتك وعلى سلامة مدام "همسة" ..، والبقاء لله في الحاجة "سهام" ..، لا أعلم أهنتك أم أقدم لك العزاء.
- الله يسلمك يا "شادي" ..، أنا نفسي أصبحت تائه من كثرة الأحداث، أين "همسة"؟.. لماذا لم تعد حتى الآن؟
- تعد أين؟.. هي بالفعل عادت الحمد لله ..، هي بالمشفى ..، ألم يخبرك "خالد"؟
- ماذا؟.. مشفى .. أي مشفى؟.. ولماذا؟

\*\*\*\*\*

- "ملك" حمداً لله أنك اتصلت ..، كنت أحتاجك بشدة ..، أريدك أن تأتي في الحال.
- خيراً يا "ندی" ..، أين أنت؟.. ولماذا صوتك باكي؟
- أريدك أن تأتي إلى المشفى المحجوز بها والد "دنيا" ..، فوالدتها توفيت في حادثة شنيعة .. وحتى الآن لم نستطع أنا وأمي إخبارها هي وأختيها ..، أرجوك يا "ملك" تعال سريعاً أحتاجك بجانبني.
- يا الله .. سأرتدي ثيابي وأستأذن أُمي وأتي في الحال .. اهدأ حبيبتي، لن أتأخر عليك .. السلام عليكم.
- هيا يا "ندی" سندخل نطمئن علي الحاج "محسن"، ثم نأخذ البنات إلى البيت ونخبرهما بالأمر هناك ..، جففي دموعك هذه، ف"دنيا" قادمة خلفي، وقد لاحظت حزنك.



- حسنًا يا أمي أنا أحاول...، ولكن كلمات "دنيا" أثقلت علي كثيرًا.

دخلا سوياً سلما على الجميع، سأل "محسن" عن "آدم"، ثم تذكر ما أخبرته به "سهام"، أنه تزوج من "همسة" فسأل عنها أيضاً:

- الحمد لله هما بخير...، سيأتيان للاطمئنان عليك غدًا بإذن الله يا حاج.

- أو يخرج والدي ويقابلهما بنفسه يا خالة "عايدة"..، عندما جئنا اليوم كانا هو وأمي يتسامران ويضحكان كأنهما قد عادا لسن الشباب.

ابتعلت "ندى" غصة وقفت في حلقها، وارتجف جانب فم "عايدة" التي تماسكت، وهي ترد بابتسامة:

- من قالا أنهما ليسا في مرحلة الشباب؟..، فالشباب شباب القلب.

- دخلت الممرضة التي كانت تقف مع "ندى" بالخارج، وقد اصفر لونها وظهرت حبات العرق على جبينها، تنحنحت قبل أن تقول:

- عفواً يا سيدات فموعد الزيارة قد انتهى.

لمحت "عايدة" شحوب وجهها، وتلعثمها ثم ربطته بتأخر "دنيا"، فخشيت أن تكون "دنيا" قد استمعت إلى كلامها هي و"ندى"، ولكنها لا تذكر أنها قد تلفظت بمقتل والدتها.



عندما شاهدت اعتراض الفتيات، حزمت الأمر قائلة :

- يجب أن نحترم قوانين كل مكان يا بنات... هيا بنا سنغادر جميعًا.

- ولكن أُمي لم تأتي بعد... سننتظر حتى تأتي لتجالس أبي... ثم نرحل.

ابتعلت الممرضة ريقها بصعوبة، وقد زادت حبات العرق على جبينها حتى أصبحت ملحوظة، ثم تحدثت:

- عندما تأتي سأدخلها يا آنسة "هاجر".. لا تقلقن، ستسبون لي الضرر إن بقيتم أكثر من هذا.

قامت "عايدة" وهي تقول مشجعة إياهن:

- هيا يا بنات.. سأنتظركن أنا و"ندى" بالخارج... لنوصلكن إلى البيت، حمدًا لله على سلامتكم يا حاج "محسن".

شكرها "محسن" الذي ودع بناته، واعدًا إياهن بأنه سيكون بخير بإذن الله، حتى مجيء والدتهن.

سبقتهم "ندى" إلى الخارج لتبلغ "ملك" بتغيير اتجاهها إلى بيت "دنيا"، ثم أغلقت معها تبحث عن الأخيرة التي لم تلحق بهما حتى الآن، وليست موجودة بالخارج.

- أنا سأخرج لبعض المهام... إذا احتاجت أي شيء فالجرس بجانبك، سأمر عليك من وقت لآخر حتى في غير مواعيد الدواء.



ابتسم "محسن" للممرضة بامتنان، وبعد خروجها لاحت أمامه صورة "أسيل" زوجة "حاتم"، وهي في سيارة تبتسم له بغل، فضيق عينيه وتغصن وجهه.

\*\*\*\*\*

- أين غرفة "همسة شهاب الدين" التي دخلت اليوم؟  
- في الدور الثالث غرفة 307 .

استبق الريح إلى الغرفة، لم يستقل المصعد فإن قلبه يتدفق منه وقود يكفي لقطع آلاف الأميال حتى الوصول إليها، وصل أخيراً إلى الغرفة فوجد اثنان من العساكر يقفان أمام الباب، فتقدم منهما:

- السلام عليكم...، أنا من أبلغكم النقيب "شادي" بزيارته للمريضة.

أظهر لهم هويته الشخصية، فسمح له بالدخول ليجد إحدى الممرضات المتحفزة ويدها علي زر استدعاء الأمن.

- لا تقلق .. أنا زوجها.

فتح الباب ليؤكد لها من خلال العساكر الواقفين أمام الباب، ثم طلب منها الانتظار بالخارج، ترددت لحظات لقد أمرها الضابط ألا تغادر الغرفة لأي سبب وحذرهما من التغافل، حسمت أمرها وخرجت بعد رؤية نفاذ صبره، ولكنها لم تترك



إلى تأكيدات، فاتصلت على "خالد" الذي أعطاها رقمه شخصيًا للطوارئ.

وفي الغرفة توقف "آدم" أمام فراش "همسة" ينظر إليها بغضب وقلق، فأثار الكدمات على وجهها ورسغها ظاهرة، اقترب منها وانخفض إلى مستوى وجهها، قبلها على جبينها قبلة وضع فيها جام اعتذاره طالت القبلة، فسقطت دمعات "آدم" على وجه "همسة"، وهو الذي لم يبكِ منذ وفاة والده، حتى في وفاة أخيه، اعتزل الكلام والناس لفترة طويلة، حينها ظل يأن ولكن دمعاته أبت النزول، عملا برغبة أخيه عندما رآه يبكي في وفاة والديهما.

عندما رآها بهذه الحالة زاد علي همه عجزه، كيف لم يحميها؟.. كيف لم يضع هذا الملاك داخل عيونه فتحرسها أجفانه ومن أمامها رموشه؟، ابتعد قليلا عن جبينها ينظر إلى وجهها المضمّد وهو يقول:

- ابتليت كثيرا.. فوعداً مني سأعوضك بإذن الله..، سأعوضك عن كل دقيقة تألمت فيها..، سأعوضك عن كل لحظة بكيت فيها..، سأعوضك عن كل أساء إليك..، حتى من قبل زواجنا..، سأكون لكِ **"العرض الجميل"** بعد صبرك بإذن الله حبيبتى.

رقت عينيها قليلا ثم فتحتها ببطء، يراقبها هو بابتسامة رقيقة، يريد أن تكون أول رؤياها لوجهه هذه البسمة، ولكنها ظلت



تفتح وتغلق عينيها رغم الإضاءة الخافتة التي بالغرفة، قبل أن تقول بلهفة بصوتٍ هامسٍ متعب، بعد أن تبينت ملامحه:  
- "آدم"...

اتسعت ابتسامته وزادت دقات قلبه احتفاءً بها، رفت عينيها كأنها ترقص على دقات قلبه، ثم أعاد قبلة جبينها مرة أخرى ولكن لمدة أقصر من الأولى، قبل أن يرد أخيراً:

- كيف لم أنتبه لجمال اسمي من قبل...، يبدو أن صوتك هو من زاده جمالا.

احمرت وجنتيها فقربه منها جعل أنفاسهما تختلطا لا تعرف أي نفس يتبع أيهما، قبلته المفاجئة التي ألجمت لسانها..  
ابتسامته العزباء.. كلماته التي أعادت إليها دوار رأسها، أغلقت عينيها أكثر من مرة وفتحتها تظن أنه حُلم جميل ستستيقظ منه عاجلا، ولكن في كل مرة تفتح عينيها تجد ابتسامته تتسع وعينيها تزداد لمعانا.

هل هذا الحلم حقيقة؟.. هل نجت من المجرمين و"آدم" يقف بكل هذا الحنو لا ينفك عن النظر والابتسام إليها؟، أم أن إرهابها وعدم تناولها للطعام بهذا القبو العفن هو ما جعلها تسقط في إغماء ترى فيه هذا الحُلم الجميل؟

دمعت عينيها عندما تذكرت ما مرت به، فحركت يديها لتتأكد أنها ليست مُكبلة بالسلاسل الثقيلة التي أنهكتها، اعتدل في وقفته وامسك يديها يدلكها مكان الكدمات بحنو، حاولت



سحبها بخجل ولكنه أبى تركها دون الضغط عليها كثيراً،  
وتحدث ليطمئنها:

- لقد مرت المحنة... اطمئني .. كل المذنبين بالسجن  
الآن... وأنتِ أيضاً ستدخلين سجن أبدي.

توقفت عن سحب يدها واتسعت عينيها، فأردف:

- سجن الزوجية بالطبع، أين روح المناكفة التي كانت تجري  
في عروقك مجرى الدماء؟، لقد اشتقت إليها كثيراً... أين  
صوتك؟.. لقد أوحشني كثيراً... لم تتلفظي سوى باسمي  
منذ استيقاظك.

ابتلعت ريقها الضعيف، ففمها قد جف لا تعلم كيف تخبره أن  
كلماته أنستها الكلمات التي كانت تعشقها، تحتاج الآن لأحد  
يعلمها كيف تنطق من جديد، كانت واثقة أن بداخله الكثير من  
الحنان والحب يخبئه.

اقترب من وجهها مرة أخرى، يضيق عينيه بخبث، قبل أن  
يقول:

- أظنك تحتاجين إلي حضان وقبلة لتمرين شفاهك،  
حتى تعودين إلى الحديث من جديد!؛

انتفضت في فراشها واتسعت عينيها ثم اعتدلت وهي تدفعه  
برفق إلى الأمام حتى تجلس، تقول بتلعثم:



- أنا بخير.. فقط كنت في حالة ذهول..، انظر أنا أتحدث..  
ليس بلساني أو شفاهي أي شيء..، حتى يدي  
سليمة..، فقط كدمات بسيطة..، حتى أنني أريد العودة  
إلى المنزل لا أحتاج إلى المشفى.

ضحك حتى دمعت عيناه، ثم ربّع يديه أمام صدره، وقال لها  
والابتسامة لم تفارق شفثيه:

- اشتقت إليك حقًا يا "همستي".

حاولت ابتلاع ريقها الغير موجود من الأساس، وتذكرت ما  
نجدها لتغير الموضوع:

- أين "ندى" وماما "عايدة" و"هند" و"هيثم"..، لقد أوحشني  
رؤيتهم كثيرًا.. اشتقت إليهم.

مط شفثيه وهو يجلس على طرف الفراش أمامها، قبل أن  
يرد:

- هم فقط من اشتقت إليهم؟، حسنًا.. أنا المسكين  
دائمًا..، "هند" و"هيثم" بالبيت لا يعلمان بعودتك حتى  
الآن..، وأمي و"ندى"...

تردد قليلا ثم استطرده:

- هما في "المنصورة" لحضور عزاء أحد الأقارب.



- يا الله.. رحمه الله ربنا يعينهما ويصبرهما.. حسنًا متى سأعود إلى البيت.. أريد أن أفاجئ "هيثم" و"هند" بنفسى.

ابتسم لعفويتها وطفولتها، التي دائمًا ما تأسر قلبه.

- سأمر على الطبيب لأنى لم أمر عليه قبل قدومي للاطمئنان عليكِ، ولكن هل لي أن أعرف من فعل هذا بكِ..، ما هذه الكدمات التي بوجهكِ ويدكِ؟

أمسكت يديها تحركها بتوتر وهي تنظر إليها، ثم فرت من عينيها دمعة تلو الأخرى يفصل بينهما لحظات وذكريات مؤلمة، انقبض قلبها وزادت سرعة تنفسها واقشعر بدنها.

التف بجسده كاملاً ناحيتها و مازال جالساً على الفراش انحنى اتجاهها، ثم أمسك وجنتيها بكلتا يديه يمسح آثار الدمعات، أراد أن يحضنها ليطمئنها ويهدد رعدة جسدها، التي انتقلت عدوتها إلى قلبه، ولكنه يعلم أنه ليس بوقته، فخلجها سيزيد الموقف سوءاً.

رفع وجهها إليه و مازال بين يديه، يقول بصوت حاني بث فيه كل حبه وشوقه إليها:

- حسنًا.. لا أريد أن أعرف أي شيء، عندما تكونين مستعدة للكلام بهذا الموضوع سأكون بانتظاركِ..، كما أنني لا أريد أن أرى هذه الدمعات مرة أخرى، انتهى كل شيء



ستخرجين من المشفى على قلبي وستحرسك  
شراييني..، لا تقلقي.. فهي مسلحة أشد تسليح.

قال كلمته الأخيرة وهو يحرك إصبعيه الإبهام يدلك بهما  
وجنتيها، فتنبهت ليديه بعد كلماته، انسحبت إلى الوراء وقد  
خذلتها وجنتيها للمرة المليون وتخضبت باللون الوردى، فيما  
تشوشت رؤية عينيها بعد أن تاهت وسقطت في غياهب  
عينيها.

- لقد أدمنت هذا اللون الوردى..، أظن أنني سأتعمد قول ما  
يثير خجلك في كل مرة لأره.

ابتسمت فزاد على جمال لون وجنتيها نور ابتسامة حياءها،  
ضرب "آدم" جبينه بمرح قائلاً:

- سأخرج من هنا الآن على الطبيب لأقنعه أنك لم تعد  
بحاجة إلى المشفى.

أنهى كلماته وهو يتجه بالفعل إلى الباب ثم التفت إليها،  
يضيف ويده على مقبض الباب:

- لا تسمحى لأحد بالدخول حتى وإن كان الطبيب، فلون  
وجنتيك مازال وردياً.

ضحك فمها وقلبها بعد مغادرته، لم تتوقع أن يتغير كل هذا  
التغيير لقد رأت بداخله الحب والحنان من قبل، ولكنها لم  
تتوقع يوماً أن يكون بمثل هذه الرقة والرومانسية، لقد أوصل  
حياءها لأعلى مراحلها بتغزله فيها.



عادت بظهرها إلى الورا لتستريح وما زالت بسمتها بملء وجهها، دخلت الممرضة لتقطع عليها هذه اللحظات وتخبرها:

- أراك أفضل بعد زيارة زوجك، ولكن هذا موعد الدواء.

قضبت "همسة" جبينها كانت تود أن يكون آخر صوت هو صوته، صوت غزله.. ولكنها لم تهناً به، فاستسلمت لها وأخذت منها حبات الدواء، التي أشعرتها بالنعاس.

- هذا الدواء فيه نسبة مهدئ عالية..، ولذلك ستشعرين بالنعاس وغالبًا ستغطين في النوم، فلتتحسني سريعًا لتغادري إلى بيتك.. فزوجك أيضًا خرج كأنه كان في الجنة..، من يرى وجهه عند دخوله لا يراه بعد خروجه.. صراحة ظهرت وسامته أكثر.

استاءت "همسة" منها كثيرًا ليس فقط لإعطائها المهدئ وهي من كانت تنتظر عودة "آدم" ليأخذها إلى البيت، بل زاد من حنقها تغزلها به أمامها، مطت شفيتها إلى الأمام ولم يسعفها الوقت لترد عليها.

كيف تتحدث عن وسامته أمامها هكذا دون حياء؟، فكرت في هذه الوقاحة ولكنها غطت في نوم عميق قبل أن تزجرها وتعلمها ألا تتعدى على حقوق غيرها.

\*\*\*\*\*



- أين "دنيا"؟

قالتها "منال" وهي تنظر حولها، لحقت بهن الممرضة، ثم أخبرتهم بخجل وهي تنظر إلى "عايدة" و"ندى"، لقد رأتهم عند "سهام"، وفهمت بعد هذا الموقف أنهما الوحيدين من يعلمون بموتها:

- لقد سقطت مغشياً عليها... ونقلتها أنا وزميلة لي إلى هذه الحجرة.

صعقا "هاجر" و"منال" بالخبر، فيما توترت "عايدة" و"ندى"، فهرعوا جميعاً إلى الحجرة، ليجدوا "دنيا" وقد على نحيبها<sup>60</sup>، تجاهد لتتنفس بصعوبة، احتضنتها "منال" ومسحت على يدها وجسدها "هاجر"، وهما يسألان عما حدث لها، ما الذي أوصلها لهذه الحالة، فيما وقفت "ندى" على مقربة تتضع يدها على فمها، لقد تيقنت أن "دنيا" علمت بالخبر ولكن من من؟

- اطلبي طبيب فوراً.

قالتها "عايدة" للممرضة، وهي تزحزح "منال" قليلا كي تأخذ مكانها، تمسد شعر "دنيا" وتملس على جسدها، وهي ترقيها بـ"الرقية الشرعية"، فيما أسرع الممرضة إلى الخارج لتنفذ ما قيل لها تشعر بالذنب لتسرعها، فوجدت الطبيب "نور الدين" متجهاً إلى حجرة الحاج "محسن" يهم بالدخول.

<sup>60</sup> - النحيب بُكاء شديد أو تنفُّس سريع عنيف متقطع مصحوب بالبكاء ناتج عن انفعال وقَبْض تشنُّجِي واختلاجات متتابعة في عضلات الصَّدر، وهو صوت الإنسان عند بكائه فوق الخنين.

نادت عليه وهولت إليه، لقد علم بوفاة الحاجة "سهام" في الحادثة وكان ذاهبًا إلى غرفة "محسن" للاطمئنان عليهم، فأبلغته بما حدث باختصار في عَجالة، ذهب معها مسرعًا.

دلف "نور" بعد أن سمع الإذن له بالدخول، فنظر في وجه "هاجر" ليرى دمعات قلق على أختها، رأف بها كيف ستستقبل الخبر إذا، تقدم إلى "دنيا" التي مازالت بحالتها لم تهدأ بعد أن تنحت له "عايدة".

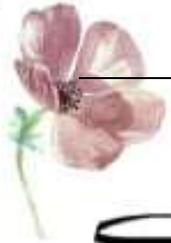
- شغلي جهاز الأكسجين ثم اذهب إلى صيدلية المشفى احضري هذه المهدئات

فيما شرع هو في قياس النبض والضغط، ليجد الأثنان مرتفعان، فالقلب مجهد بسبب سرعة وصعوبة التنفس لبذله مجهود إضافي.

وفجأة غابت "دنيا" عن الوعي وبدأت أطرافها ترتعش بشدة، ثم تحولت إلى انتفاضات، لقلّة وصول الأكسجين إليها<sup>61</sup>، انتفض معها قلبا "هاجر" و"منال"، واقتربا منها بهلع، يتسألان عما يحدث والدموع تنهمر من عينيهما.

لم يلتفت "نور" إلى هلعهم ووضع قناع الأكسجين على فمها وأنفها، ثم طلب الممرضة لجلب الكحول الأنفي الخاص بحالات الإغماء الحرجة على وجه السرعة.

<sup>61</sup> - حالة طبية معروفة.. بسبب الضغط العصبي والتوتر.



حضرت الممرضة ومعها الأدوية، فأعطائها حقنة الأعصاب، ثم قَطَّرَ الكحول الأنفي بالأنف ورأسها مرفوع قليلا، ظل يحاول معها إلى أن سكنت أطرافها، وفتحت عينيها بإرهاق من جديد ولكنها بعد أن جالت بنظرها تستوعب المكان والأشخاص شخصت عينيها في السقف ولم تتحدث، فقط ما طمأنهم هو تنفسها الذي انتظم إلى حد ما.

- أرجو من الجميع مغادرة الغرفة لتستريح..، لقد أعطيتها مهدئ وستغط في النوم بعد دقائق بإذن الله.
- لن نغادر ونتركها.. نحن حتى لا نعرف ما أصابها وجعلها تصل إلى هذه الحالة..، لقد كانت بخير قبل مغادرة الغرفة للاتصال بأمي.

نظر "نور" إلى "عايدة" التي أمسكت برأسها، ثم قالت:

- سأوصلكن إلى البيت وأعود إليها لأجلس بجوارها، لا مزيد من النقاش أرجوكن.
- أنا لا أفهم لقد بدأت أشك أن هناك أمر ما تخفونه عنا..، لماذا تتعجلون في ذهابنا إلى البيت..، هل.. هل مرضت أمي؟

تحدثت "منال" بعصبية غير عابئة إلى من تتحدث.

- ستعلمون عندما نصل إلى البيت، هيا بنا يا "منال" ألا تعتبريني كوالدتك؟، التي لا بد أن تستمعي إلى طلباتها؟



كادت "هاجر" تتدخل ولكن "نور الدين" تتدخل وهو يقول بحزم:

- أرجوكم وجودكم هنا سيؤذي المريضة لن يفيدها، أرجو الامتثال لكلام الخالة، فهي على صواب في رأيها.
  - أسمعتم وجودكم هنا سيؤذي "دنيا".. هيا بنا إلي البيت.
- تقدمت "ندى" تأخذ بأيديهن تحثهم على التنفيذ، فنظرا إلى "دنيا" التي أسبلت جفنيها واستسلمت إلى النوم أخيراً نظرة قلق، ثم رضخوا لطلب "عايدة".

خرج خلفهم "نور" يحاول المساعدة فتحدث باهتمام:

- هل تسمحين يا خالة أن أوصلكن، فبالتأكيد لن تستطيع أي منهن القيادة وهن في هذه الحالة.
- شكراً لك يا دكتور، فسائقنا مازال بالأسفل وأيضا سيارة الحراسة التي عينها ابني، شاكرة لك اهتمامك.

غادرن المشفى وعقلهن جميعاً شاردًا أنفاسهن تجاهد للخروج، متجهين إلى منزل "سهام" التي غادرتهن جسداً.

\*\*\*\*\*

- لقد وعدتك بالحماية من المجرمين يا "سها" وليس من الشرطة..، ولكن اطمئني فروايتك هذه ستبرئكِ وفي أحلك الحالات ستخفف عنك الحكم كثيراً..، كان هذا دفاعاً



عن النفس...، لا بد أن تطلبي العرض على الكشف الطبي لإثبات صدق كلامك بالكدمات التي حول رقبتك، وفي جسدك قبل أن تختفي.

أسرعت "سها" تكشف عن عنقها لتريه الآثار، فأوقفها "خالد" بإشارة من يده ونبرة حازمة:

- لست أنا من عليه رؤيتها يا "سها".. إنما طبيب الكشف الطبي...، أريدك أن تقولي كل شيء ولا تخافي...، أنا متأكد أنا روايتك ستبرئك بإذن الله أو حكم مع إيقاف التنفيذ أو حكم هين.. اطمأن .

قام "خالد" بعد أن أنهى كلامه، واتجه إلى الباب، فقالت بنبرة حزينة منكسرة:

- أبنائي وحدهم بالمنزل.. علاقتي مع جيرانني لم تكن جيدة...، لا أعلم إذا كان سيهتم بهم أحد...، فهل لي أن أطلب منك أخذهم إلى أختي "إيمان"، فهي بالتأكيد لا تعلم بما حدث...، بعد وفاة أمي قاطعتني لأنها تعلم أنني كنت أويدها فيما تفعله بل وأشجعها، فاتهمتن بأني كنت السبب في مقتلها.

- لا تقلق...، سأخرج من هنا إلى بيتك.

استدعى "خالد" العسكري ليعيد "سها" إلى الحجز، وهرولاً مسرعاً لا يريد رؤية "سالم" مرة أخرى، وفي سيارته أخرج هاتفه ليعيد جرسه، وجد عشرات المكالمات منها عشر



وحدهم لـ "آدم"، اتصل بـ "شادي" ليطمئن على الوضع، ثم أنهى معه سريعاً ليتصل بـ "آدم" وهو يضغط على دواسة الوقود لينطلق في طريقه.

- عذرا يا "آدم"،، لقد كنت في لقاء مهم.. فوضعت الهاتف على الصامت، ولم أر اتصالاتك إلا الآن.
- لولا اهتمامك بـ "همسة" ورعايتك لها، ومزاجي الذي لا أريد تعكيره كنت قد اغتالتك..، كيف تكذب علي وتخبرني أنها بخير وأنك ستعيدها إلى البيت..، وتزيد من حبكة روايتك، فتؤكد لي أن الخادمتا يرعيانها..، ولا بد ألا اتصل لكى لا أزعجها، وهي بالمشفى ووجهها وجسدها به هذا الكم من الكدمات؟
- من أخبرك بمكانها..، لقد توقعت ألا تنتهى مما أنت فيه هذه الليلة..، لم أرد أن أزيدك همًا يا "آدم"، فكل شيء وقع فوق رأسك دفعة واحدة..، ولكن قل لي ما الأمر؟..، فنبرة صوتك تحكي عن قصة سعادة؟
- عندما رأيت "همسة" بهذا الشكل كدت أنفجر غضبًا..، وأنت لم تقل لي ماذا حدث ومن اختطفها..، فكدت أن أجن.. حاولت معرفة ما حدث منها ولكني صدمت من ردة فعلها، حاولت ألا أظهر لهفتي على معرفة ما حدث وامتصت غضبي وحنقي على الفاعل واجتهدت لأجعلها سعيدة بقدر الإمكان.

صمت ليتنهد مبتسمًا، ثم أردف:



- فاكتشفت أنها هي التي أسعدتني...، ولكن صدقًا كان وفاة الحاجة "سهام" وحال بناتها يؤنب ضميري مع كل ضحكة...، لا أنكر أنني نسيت هذا الحدث للحظات معها...، ولكنه عاد لينخر في عقلي كالوباء.. وما أراح قلبي قليلا هو معرفتي من الطبيب أن ما بها مجرد كدمات سطحية في الوجه وسائر الجسد نتيجة لشجار أو ما شابه...، من فعل هذا يا "خالد" أرح عقلي وقلبي.
- لا أعلم تفاصيل ما حدث معها.. ف"همسة" كانت بحالة صعبة عندما وجدناها...، يبدو أنها ما كانت تأكل أو تنام بخلاف الكدمات...، لم أستجوبها أو أحاول معرفة أي شيء منها، ولكنني ألقيت القبض على محتجزها.. بينهم شخص واحد تعرفه.
- هل عدت لطريقة التشويق هذه مرة أخرى.. اختصر أنا في طريقي إلى حجرتها...، من؟
- "أسيل فاضل الشرابي" .. زوجة أخيك الراحل...، والتي ظننا جميعًا أنها رحلت معه...، والغريب ما أبلغني به "شادي" قبل أن أهاتفك...، أنها بعد دخولها الحجز بمدة ظلت تطلب لقاء "همسة" على وجه السرعة.
- صمت "آدم" وقد توقف عن السير، فيما رفض عقله تقبل الجملة، من الخارج كان ساكنًا تمامًا أما يده فكادت تعتصر الهاتف كضاغطات القمامة، وداخله قد رفع غضبه إلى درجة التأهب القصوى.



قلق "خالد" عليه وندم على إخباره، كان يعلم رد فعله، ولذلك أراد إخباره وجها لوجه:

- "آدم" ..، أمازلت معي؟..، قل شيئًا.. "أسيل" في قبضتنا الآن..، وستنول عقابها بالتأكيد.
- سأمر عليك في الصباح.. السلام عليكم.
- "آدم" انتظر.. لا تقلقني عد..

توقف لينظر من أحد النوافذ، التي بجانبه تنتفخ أوداجه لا تهبط غضبًا، يسايرها فتحات أنفه يكمل هيئتهما زم شفثيه بقوة، ضرب قبضته على سور النافذة، وهو ينظر إلى السماء تتناثر النجوم خافتة الإضاءة على غير عاداتها يبدو أنها تؤازره، تساءل بصوت مسموع:

- كيف؟.. ولماذا؟.. أنا لا أفهم..، لماذا أنت دائمًا في حياتي تنتزعي مني كل من أحب؟.. ماذا فعلت لك؟..، كم أود قتلك هذه المرة بيدي..، حتى تهدأ نيران قلبي..، يبدو أن الحُلم الذي حلمت به في بداية زواجي كان لتنبهني بالفعل.

- سيدي.. لقد أعطيت لزوجتك الدواء وهي تغط في نوم عميق لن تستيقظ الآن..، تستطيع المغادرة والمجيء صباح الغد؟

التفت إليها "آدم" يحاول مسح ما بقى عن وجهه من غضب وحنق، يرد عليها بنبرة خاوية:



- هل كان الدواء ضروري...، كانت أخذته بالبيت...، لقد اتفقت مع الطبيب على الاعتناء بها عندي.
- أعتذر.. ولكن لم يخبرني الطبيب بذلك، لقد كان ميعاد الدواء، فأعطيته لها التزامًا بتعليماته فحسب.
- حسنًا شكرًا لك...، كوني بجانبها..، لا تتركها سأقوم بعدة اتصالات ثم أعود إليها.

تركها "آدم" دون سماع ردها، متجهاً إلى كافيتريا المشفى لشراب القهوة، فقواه أصبحت بالية، جلس على المقعد بعد أن أحضر كوبه، نظر في ساعته إنها الحادية عشر مساءً، لقد مر الوقت سريعًا، رغم ما به من أزمات وحوادث، أخرج هاتفه وضغط أزراره منتظرًا الرد.

- السلام عليك يا "آدم" .. كيف حالك أنت و"همسة".
- عليكم السلام يا أمي...، بخير حمدًا لله...، كيف هو الحال عندك...، هل أستطيع المجيء؟
- لا ابق بجانب "همسة"...، واذهب في الصباح لإنهاء باقي الإجراءات...، لقد اتصلت ببعض من أهلها ممن توصلت إلى أرقامهم، سيذهب أخيها غدًا للتعرف عليها...، من الصعب إدخال بناتها عليها...، فمنذ أن علمن بالخبر.. وحالتهن سيئة للغاية.
- يا الله.. حسنًا يا أمي سأقوم بكل التجهيزات في الغد...، النعي وإجراءات النيابة وخلافه...، لكن للأسف الجثة لن تخرج إلا بعد انتهاء الطب الشرعي منها.



صمت لحظات، ثم سألتها:

- أين أنت يا أمي...، أنا أسمع صوت هواء بجانبك؟
  - أنا في السيارة مع "ملك" صديقة "ندى" وأخيها "جاسر" يقومان بإيصالي إلى المشفى التي بها الحاج...، ثم سيعودان إلى البيت لتبيت "ملك" مع البنات بعد استئذان والدتها...، ف"دنيا" حجزت هناك بعد إصابتها بانزهار عصبي عقب معرفتها بالخبر.
  - وكيف تركبين مع أحد غريب يا أمي؟...، أين سيارة الحراسة؟...، ولماذا لم تتصلين بي أو بالسائق؟
  - ليس هذا وقته يا "آدم"...، لقد تركت سيارة الحراسة ببيت "سهام" لحراستهن...، وجزاه الله خير أخو "ملك".
  - لن نتحدث في هذا الآن يا أمي...، ولكن أرجوك.. لك ابن اتصلي علي تجديني أمامك، فبخلاف خوفي عليكم...، لا أريدك التعامل مع غرباء ولاسيما رجال...، أرجوك يا أمي..
  - حسناً يا "آدم"...، هل "همسة" بجانبك أستطيع التحدث إليها؟
  - لا إنها نائمة الآن...، لقد أبلغتها أنكما ذهبتما للعزاء في "المنصورة"...، عندما تستيقظ سأجعلها تحادثك.
- أغلق الهاتف معها، لم يُرد أن يبلغها بوجود "همسة" بالمشفى فيها ما يكفيها، وضع رأسه بين كفيه يحاول تجميع شتات تركيزه، انتهى من القهوة ثم اتجه إلى غرفة "همسة" التي كانت نائمة تغط في نوم عميق.



طلب من الممرضة المغادرة، ثم توضأ وصلى ركعتي شكر، واختتم بركعات قيام يدعو فيها بالكثير، الحاجة "سهام" .. وحفظ أهله له .. والانتقام من "أسيل" إلى أن انتبه في صلاته على سماع علو وتيرة أنفاس "همسة"، كأنها تنازع أمر ما، أنهى آخر سجدة على عجل ثم سلّم.

\*\*\*\*\*

- من الجيد أنكِ عدتِ..، لماذا لم تأتِ "سهام" ..، هل اتصلت  
اعتذرت لسبب ما؟

تلعثمت الممرضة وابتعلت ريقها بصعوبة، لا تعرف بماذا تجيب؟، أخفت توترها بالنظر في دواءه التي حضرت لتعطيه إياه، ثم ردت:

- لقد مرضت أنسة "دنيا" فقررت الجلوس بجوارها.  
- مرضت كنت أشعر أن هناك أمر ما، عندما لم تأتِ "دنيا" لتوديعي..، لماذا لم تخبرونني؟..، ماذا أصابها؟  
- لا شيء خطير مجرد وعكة بسيطة.. ستراها غدًا بخير إن شاء الله..، أستأذنك.. فهذا موعد انتهاء دوامي..، ستستلم مكاني الممرضة "شيماء" ..، إذا احتاجت إلى أي شيء اضغط لها زر الجرس.

خرجت علي عجلة من أمرها تخشى أن يُلقي عليها أية أسئلة أخرى، فيما بقي هو شاردًا لم ينته من كوابيس رؤية

وجه "أسيل" في كل وقت ولا يعرف السبب، ليصدمه خبر جديد وهو مرض ابنته.

- جيد أنني قابلتكِ يا "سحر" .. هل هناك أي ملاحظات

تريدين قولها لي بخصوص أي مريض؟

- لا يا "شيماء" .. كل شيء مدون بالتقرير الموجود بجانب

الفراش كما هو المعتاد.

- ما بك؟ .. هل حدث شيء؟

- ليس لي .. بل لعائلة هذا المريض .. ففي البداية تعرض

هو لحادث خطير كاد يؤدي بحياته، ثم عاش هو وتعرضت

زوجته لحادث أليم اليوم توفيت على إثره أمام باب

المشفى .. وبناته زهراء يافعة صدمن بالخبر .. إحداهن

سقطت مغشياً عليها وأصيبت بانزهار عصبي عند معرفتها

بالخبر.

- لا حول ولا قوة إلا بالله .. ربنا يبرهم

استأذنت "سحر" للمغادرة، لقد مرت بيوم عصيب، فيما دخلت

"شيماء" إلى "محسن" تطمأن عليه، فأخرجته من شروده.

- عذراً ما انتبهت لوجودك.

- لا عليك يا حاج .. فيكفيك ما أنت فيه .. البقاء لله في

زوجتك .. وربنا يعافي ابنتك.

\*\*\*\*\*



نزلت "ملك" من سيارة أخيها، ودعته ودعت يحفظ الله طريقه، فأمن وراءها، ثم ذكّرها:

- لا تنسى إرسال رقم "آدم" إلي لكي أكون معه صباح الغد.
- يا الله.. كدت أنسى..، انتظر سأهاتف "ندى" لترسله لي الآن وتسجله.

اتصلت بـ"ندى" التي أجابت بعد عدة أجراس، لتسألها إرسال الرقم:

- لا أعلم هل يحمل "آدم" الهاتف العام معه أم الهاتف الخاص بنا، فهو يترك خط عام للعمل وكافة الاتصالات، وآخر خاص لا يستطيع أحد الاتصال عليه إلا من حدد أسمائهم فقط..، حسنًا انتظري أنا قادمة سأتصل عليه من هاتفي، ثم أعطيه لأخيك.
- أنا في انتظارك.

خرجت "ندى" وهي تتصل على "آدم" مرة واثنان وثلاثة، وفي المقابل يحترق "جاسر" هي أمامه ولا يستطيع رفع نظره إليها، يغض بصره عنها، لقد اشتاق إليها كثيرًا.

- لا أعلم لما لا يجيب..، لا أريد تعطيلك أكثر من ذلك.

غلبه شيطانه فرفع نظره إليها، إذا بوجهها شاحب وبياض عينيها قد استحال إلى اللون الأحمر، انفطر قلبه لمرآها هكذا، فرد بصوت حاول ألا يحمل أي لهفة:



- أبدأً أبدأً.. الأمر ليس فيه عطفة..، أنا الذي لا أريد إرهابك..، لقد عانيت.. أقصد عانيتم اليوم بما فيه الكفاية..، من المحتمل أن يكون نائماً، لقد مر بظروف عصيبة هذه الأيام.. حمداً لله على سلامة زوجته.
- شكرا لك لقد أرهقناك معنا اليوم.

وقفت "ملك" في المنتصف تنظر إليه وإليها دون التفوه بشيء، ففي وقت آخر كانت قد فتحت آفاق "ندى" للالتفات لأخيها، ولكن يبدو أنها لن تحتاج إلى هذا، يبدو أن "ندى" في طريقها للوقوع بشباكه بالفعل، قطع عليها تفكيرها فكرة "جاسر":

- لا تقفا هكذا فيومكما طويل غداً..، هذا إذا نمتما من الأساس..، أستمحيكِ عذراً أنسة "ندى" أن ترسلي إلي أخيكِ رقمي في رسالة، واطلبي منه الاتصال بي عندما يستيقظ..، وإذا اتصل بكِ في أي وقت أخبريه أنني أنتظر مهاتفته.

شكرته وودعته أخته بدعائها له، ثم دخلا إلى الفيلا، فعلمت "ندى":

- جزاه الله خيراً أخيك..، وأيضاً الطبيب "نور".. لقد وعد أمي بمجيء والدته غداً للمساعدة..، وترك لنا رقم هاتفه عند احتياجنا إليه..، ووعد أيضاً بمحاولة إنهاء إجراءات المشفى ومتابعة أمر الجثمان لدفنه في أقرب وقت.
- يبدو أنه شاب طيب كأخي تماماً.



- نعم.. وشكرًا لوجودك بجانبني أنت أيضًا، فأنت نعمة الصديقة.. بل الأخت.
- ماذا تقول يا "ندى".. حتمًا لابد لي أن أكون بجانبك في الحزن قبل الفرح.. هيا بنا نصعد إلى "هاجر" و"منال" نحاول إخراجهما من غرفة والدتهما فاحتضان أغراضها يزيد من بكائهن.

\*\*\*\*\*

- ماذا حدث يا "همسة"؟
- اقترب منها "آدم" يمسد شعرها، وييده الأخرى يصب كوبًا من الماء، أخذت رشفة صغيرة، ثم هدأت نفسها مع حركة "آدم" المستمرة على شعرها، فردت أخيرًا:
- كنت أحلم.. حلم غريب.
- لم يتوقف عن تمسيد شعرها وهو يسألها:

- ما هو؟
- لقد رأيت الحاجة "سهام" وهي مغبرة..، قادمة إلي كأنها تسير في الهواء.. وقفت تحمق في، ثم جذبتني من يدي دون أن تتفوه بكلمة ولا أنا استطعت التحدث..، كنت أود سؤالها إلى أين تأخذني ولكنني لم أتحكم في لساني.



ابتلعت ريقها وحاولت أخذ نفس عميق ليهدأ من انفعالها،  
فعاد "آدم" لتمسيد شعرها مرة أخرى بعد أن توقف من هول  
المفاجأة، أكملت وهي مازالت تنظر أمامها شاخصة:

- إلى أن وصلنا إلى حجرة مكتب الحاج "محسن"، رفعت  
الدرج الأخير كان تحته مكان يبدو أنه سري كعادة الأثاث  
العتيق القديم...، أخرجت منه رسالة وأعطتني إياها لكي  
أقرأها...، وهنا عاد إلي صوتي وبدأت في قراتها كان نصها..  
"ماتت الدنيا التي بداخلي...، ولم يبقَ لي منها شيء.. ندمت  
على قطع الرحم والتقصير في العبادات.. الكبير.. والنميمة..  
والحقد والغل والحسد...، يفنى الإنسان ولا يبقى إلا الأثر...،  
وأثري هو بناتي.. فليحسنوا العمل لعلي أنجو، ستجدون  
وصيتي في آخر السطور"

وضعت "همسة" يدها على صدرها كأنها تمد رثتها  
بالأكسجين، الذي قل بسبب توترها، فربت "آدم" على  
ظهرها وهو يطلب منها بلهجة حانية:

- يكفي يا "همسة" لا تكلمي...، فهذا كابوس عودي إلى  
النوم وأنا بجانبك.

نظرت إليه بعين دامعة ثم تحدثت بنبرة حزينة متألمة:

- نظرت إلى آخر السطور ولكن كان يحجبها عن عيني  
الضباب...، نظرت إليها أطلب منها المساعدة لقراءتها،  
فنظرت إلي بحزن وهي تشير برجاء إلى الرسالة، وظلت



تبتعد وتخبو هالتها وفي عينيها نظرة كأنها تتوسل إلي..،  
لا أفهم.. هل من الممكن أنه أصابها مكروه؟.. أرجوك يا  
"آدم" اتصل عليها الآن أريد الاطمئنان..، وإذا استاءت  
سأعتذر لها.

ضم رأسها إلى صدره وهو يمسد شعرها، قبل أن يجيبها:

- الوقت تأخر الآن..، سنذهب إلى بيتها غدًا بإذن الله.

صدح آذن الفجر.. فغلف الحجرة بالطمأنينة التي أسكنت آخر  
توتراتها، فاستطرد "آدم" بمرح مفتعل:

- رأيت.. ليس غدًا بل اليوم.

سحبت رأسها تهم بالقيام فساعدها، توضأت ثم وقفت خلفه  
ليصلي بها في صلاة جهرية كما تمننت في الماضي، تستمتع  
بصوت قراءته في القرآن، فزادها جمال صوته خشوعًا في  
الصلاة، دعت في السجود بكل ما جال بخاطرها وأهمهم  
الدعاء لـ "سهام".

انتهى من الصلاة فرجع إلى الخلف دون ترك مصلاه<sup>62</sup> ،

ليسبح على يدها كاد يتحدث، فأشارت له بالألا يتحدث، ثم  
قالت:

<sup>62</sup>- قال ابن باز -رحمه الله-: "الجلوس بعد السلام من الصلاة المكتوبة من أعظم الأوقات التي تنتزل فيها رحمة الله -عز وجل-، لا تستعجل بالقيام؛ استغفر، وقل سبحان الله والحمد لله وهلل وكبر".  
وقال ابن بطال -رحمه الله-: "من كان كثير الذنوب وأراد أن يحطها عنه بغير تعب فليهتم بملازمة مكان مصلاه بعد الصلاة  
ليستكثر من دعاء الملائكة واستغفارهم فهو مرجو إجابته لقوله تعالى: (وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى) [الأنبياء: 28]."

قال -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "مَنْ قَالَ فِي دُبْرِ صَلَاةِ الْفَجْرِ، وَهُوَ ثَانِ رَجُلِيهِ قَبْلَ أَنْ يَتَكَلَّمَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ عَشْرَ مَرَّاتٍ؛ كُتِبَ لَهُ عَشْرُ حَسَنَاتٍ، وَمُحِي عَنْهُ عَشْرُ سَيِّئَاتٍ، وَرُفِعَ لَهُ عَشْرُ دَرَجَاتٍ، وَكَانَ يَوْمَهُ ذَلِكَ كُلَّهُ فِي حِرْزٍ مِنْ كُلِّ مَكْرُوهٍ، وَحُرْسٍ مِنَ الشَّيْطَانِ وَلَمْ يَنْبَغِ لِدَنْبٍ أَنْ يُدْرِكَهُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ إِلَّا الشَّرْكَ بِاللَّهِ"<sup>63</sup>.

ابتسم وردد الذكر ثم دعى لها بشفتيه دون صوت، ظلا على هذه الوضعية إلى أن انتهوا من الأذكار، ثم قاما يقفان أمام نافذة غرفتها، يشاهدان لأول مرة شروق الشمس معًا بشعور مختلف، وقفا جنبًا إلى جنب يمسك بيديها كحبيبين جدد.

لف ذراعه على كتفها ليحتويها، كأنه يعلن للشمس ها هي حبيبتي، ها هي من عذبتني طوال الفترة الماضية بالبحث عنها، ها هي من كانت السبب في إشراق شمس قلبي بعد غياب شهور حتى ظننت أنه لا شروق لها مرة أخرى، فاشهدي على ميثاقنا، مرت أسرابًا من الطيور لتكمل لوحة الخالق المبدع المصور، كل شيء في أحسن صورة.

دخلا بعد اكتمال الشروق، فأسدل الستائر ثم التفت إليها:

- هيا إلى النوم..، فأمامنا يوم طويل.
- لقد جافني النوم وطارت آخر حبات النعاس مع بزوغ الشمس.

<sup>63</sup> - قال الترمذي: حديث حسن صحيح، وقال الألباني: حسن لغيره.

رفع حاجبيه ثم اقترب منها ودثرها بالغطاء:

- سنري.
- ماذا الآن؟
- أغمضي عينيك.

ترددت لحظات ثم نفذت ما طلب منها، فاستلقى بجانبها على الفراش، متكأ على راسه، فتحت عينيها وتحركت لتقوم فأمسك بها، قائلاً بحزم:

- فقط أغمضي عينيك.

اقشعر جسدها وحاولت أن تنفذ ما طلب منها، فإذا بصوته يصدح بالقرآن مرة أخرى بصوت عذب جميل ويده تمسدها شعرها بحنان.

لم تستطع التمتع بصوته مدة طويلة، لقد غطت في نوم عميق بسرعة البرق، ابتسم بعد أن أحس بانتظام نفسها دليل على نومها ثم قال بصوت هامس:

- كما كتبت في مذكراتك بالضبط... فتمسيد الشعر هو الحركة السحرية لنومك.

ظل يتأملها لفترة قبل أن يقوم، ليستريح علي الأريكة الأخرى فغفى هو أيضاً.

\*\*\*\*\*



- أحسنت يا "حامد" أنت و"سمير"...، هذان هما رجلاي...،  
لقد أتمتم عملية "سهام" ببراعة، وأنا انتهيت من هذا  
المختل "رامي".. مشاجرة صغيرة داخل الحبس، فُقأ  
عينيه بسكين غرست حتى آخر رأسه، لم نرد أن تغرس  
بأي مكان آخر لضمان موته في الحال...، لم يتبق الكثير.  
- هذا لأننا صالحين لا نُؤذي إلا من يؤذينا.

دوت في الهاتف الضحكات، ثم قطعت بأمر آخر:

- كما أمرتكم لا أريد خروجكم إلا لعملياتنا فقط...، أنا علي  
من بداخل السجن، وأنتم عليكم من بخارجه، لا أريد  
أخطاء.

- المقابر لن تغلق هذه الأيام...، سيظل ملك الموت يحف  
الأرجاء.

تجددت الضحكات مرة أخرى، التي شاركهم شياطينهم فيها.

\*\*\*\*\*

- "آدم"!.. جئت مبكرًا...، كيف حال "همسة" اليوم؟  
- كانت بخير حتى الصباح...، ولكن بعد أن أخبرتها بوفاة  
"سهام" ساءت حالتها مرة أخرى، وأصرت على الذهاب  
إلى البنات لتشد من أزهرهم، وعندما علمت بوجود "دنيا"  
بالمشفى آثرت الذهاب إليها أولاً.  
- لماذا أخبرتها بكل هذا؟



- لقد راودها حلم عن الحاجة "سهام" مرتين متتاليتين، حتى أنها لم تستطع النوم جيدًا، فعندها استسلمت وأخبرتها.
- لعله خير.. لعل مؤازرتها لهن يعيد إليها قوتها.
- أنت محظوظ حقًا بها يا "آدم".
- كعادة "شادي" لا يتحكم في فمه، كب "خالد" على النار التي أشعلها "شادي" المياه بحديثه عن "أسيل":
- بعد معرفة "أسيل" بمقتل "رامي" بالحبس اليوم..، زادت من إلحاحها في رؤية "همسة".
- لماذا تريد أن تراها ألا يكفي ما فعلته بها..، لقد جئت إليك باكرا من الأساس لمقابلتها.
- لا لن أسمح لك..، أنت غير مضمون وخاصة إذا وقفت أمام هذه المرأة.
- لست مختل عقليًا يا "خالد" أو مجنون بالتأكيد سأتحكم في أعصابي..، أريد أن أسألها عن بعض الأمور فقط..، أريد أن أفهم.
- لا يا "آدم" تستطيع رؤيتها خلف القضبان في المحكمة وسؤالها عما تشاء..، ثم إن النيابة ستتكلف بهذا الأمر وسنفهم كل شيء ولا تنسى "همسة" بالتأكيد تعرف بعض الأمور عنها.
- هي ذاهبة اليوم إلى النيابة يا "خالد"..، هل سأنتظر شهر أو أكثر لأقابلها.
- لا تحاول يا "آدم" لن أسمح لك بمقابلتها وجهًا لوجه أبدًا.



زفر بضيق وهو يقوم من مقعده متجهًا إلى الباب وبعد أن فتحه، أستوقفه "خالد"، فسأله "آدم":

- ماذا؟ هل غيرت رأيك وستدعني أقابل "أسيل"؟
- بالطبع لا.. كنت أود إعلامك أنه مقرر مثل "همسة" أمام النيابة اليوم إذا حالتها تسمح، ولكنني أستطيع تأخير حضورها إلى الغد بالتعاون مع وكيل النيابة إذا احتاجنا لهذا.
- حسنًا فلنؤجلها للغد إذا..، فهي غير مؤهلة يكفي صدمتها الثانية اليوم.

غادر "آدم" الغرفة، فكاد يصطدم بجسد طويل ونحيف، اعتذر منه وكاد يغادر، فاستوقفه صاحب النفس الكريه:

- سيد "آدم" لحظة من فضلك.

التفت إليه "آدم" يحاول التشبيه عليه.

- "أسيل" ليست هي من سببت هذه الكدمات في وجه زوجتك..، إذا كنت تريد مقابلة من تسبب بها..، فأنا على أتم الاستعداد للمساعدة.

نظر إليه "آدم" بشك، وضيق ما بين عينيه يسأله بريية:

- من تكون؟.. وما مصلحتك في هذا؟، وكيف تعرف أنني أردت مقابلة "أسيل" من الأساس؟

- عفوًا نسيت التعريف بنفسي..، أنا الضابط "سالم

الرفاعي" صديق "خالد"، وكنت على وشك الدخول إليه،



عندما فتحت أنت الباب وسألته مقابلة "أسيل"، كما أنني شريكه في القضية، أستطيع تلبية طلبك.. ولكن من تسبب في كدمات زوجتك وعذبها هو "داغر"،، إذا أردت رؤيته من وراء باب الحجز سأفعل لك هذه الخدمة عن طيب خاطر..، فأنا أعشر بما تشعر به، وكنت سأفعل مثلك لو حدث نفس الشيء مع زوجتي.

تذكر "آدم" الاسم على الفور، وعلم أنه "سالم" عدو "خالد" وليس صديقه، فابتسم هازئاً يربت على كتفه، سأحتفظ بخدمتك هذه لوقت آخر..، شكراً لك أيها الصديق.

غادر وهو يخرج هاتفه، لقد نسي الاتصال بـ "ندى" ليفهم منها قصة "جاسر" بعد أن رأى رسالتها في الصباح، فاتصل بـ "خالد" ليخبره بما تم بينه وبين "سالم" في عجالة، ثم اتصل بها اطمأن على البنات، ورحب بمساعدة أخو صديقتها.

\*\*\*\*\*

- الفراق ليس فراق الموت، سنجتمع في الآخرة جميعاً، الفراق هو أن يكون أحدها في الجنة والآخر في النار، نسأل الله السلامة لها ولنا..، كلنا سنذهب إلى هذا المكان لن يفر منه أحد، وما الحياة إلا قصة قصيرة نحن أبطالها، أما أساسنا فمن التراب.. ثم على التراب.. ثم إلى التراب.. ثم حساب فتواب أو عقاب.



ظلت "همسة" تردد كلمات عن الصبر، والرضى بقضاء الله وقدره وهي تمسد شعر "دنيا" بحنو، تجلس بجانبها تضم رأسها إلى صدرها، فيما تراقبها "عايدة" وهي تجلس أمامها على الأريكة.

هدأت "دنيا" كثيرًا مع كلمات "همسة" الرقراقة، وطلبت العودة إلى إخوتها لتكون بجانبهما.

فرحت "عايدة" و"همسة" لطلبها فساعدتها "همسة"، فيما خرجت "عايدة" لتتصل بالطبيب "نور" ليطمئن عليها قبل الخروج، وتسأله عن حالة الحاج "محسن" وخاصة أنه لن يزوره أحد اليوم عندئذ سيشك بالأمر.

- لقد ساءت حالته مرة أخرى وتعرض لأزمة تنفس، بعدما أخطأت إحدى الممرضات بالحديث أمامه عن وفاة زوجته ومرض بناته.

جلست "عايدة" علي أقرب مقعد، هل ستداوي أحدهم ليسقط آخر، أسندها "نور" وهو يتأسف:

- عذرا ما كان علي أن أزيد ما أنت فيه.

وصل إلى المشفى "آدم" و"جاسر" ليستلما الدفة من "عايدة"، وطمأنها ابنها أنه سيعتني به، طالبًا منها أن تغادر مع "همسة" و"دنيا" فالبنات هناك في حاجة لها.



قسّم "أدم" المهام بينه وبين "نور" و"جاسر"، حامدًا الله على وجودهم في هذا الوقت الحرج، وذهب كل منهم ليقضي مهامه.

\*\*\*\*\*

- خذ هذه ابتلعها بعدما أخرج من هنا... لقد أرسلها إليك أصدقاءك من "الفريق الأحمر".

تناول "داغر" القرص من فتحة نافذة باب الحجز، وابتلعها على الفور، فيما غادر "سالم" بعد حضور العسكري الذي صرفه لشراء السجائر له لاحقًا، وهو يردد:

- لا حاجة لي إليك يا "أدم"، كنت أود أن أكون خارج الصورة فأعطيه القرص وقت المشادة التي ستتم بينكما... ولكن لقد مر الأمر بسلام.

وبعد دقائق بدأ "داغر" السعال والقيء المتواصل، فاضطروا إلى طلب الطبيب الذي شخّصه بتسمم، وأكد أنه يحتاج إلى غسيل معدة على الفور.

نُقل "داغر" إلى إحدى سيارات الشرطة تحت الحراسة للذهاب إلى أقرب مشفى حكومي، وفي الطريق قطع عليهم سيرهم سيارتان فارهتان مصفحتان، قتلوا كل من بسيارة الشرطة وحمل أحدهم "داغر" على كتفه إلى إحداهما،



فاستقبله وجه يعرفه كثيرًا مرحبًا به، حياه "داغر" وهو يتألم من بطنه أشد تألم:

- هؤلاء هم رفاقي.. أحسنتم يا رجال.. نعم الأصدقاء أنتم.

أعطاه أحدهم دواء ليريجه حتى يصلون إلى مخبأهم ويتم معالجته، وفور وصولهم قيده ثلاثة إلى أحد المقاعد، وسط دهشة "داغر" ومحاولاته للإفلات منهم، يصرخ فيهم:

- ماذا تفعلون..، أيها الحمقى أنا صديقكم..، ما كنت سأشي بكم في أي حال.

- لم نجد ضحية في وقتنا فأثرنا أن نضحى بأحدنا..، وطالما أنت قد انكشف أمرك، فلا بد أن تكون أنت كبش الغداء.

- ماذا تقول.. لا..، لا ينبغي أن يكون هذا مصيري..، لا تفعلوا هذا بي.

- لن نفعل بك مثل ضحايانا بالطبع أنت شخص مميز..، سيكون تعذيبك أضعاف.. والمفاجأة أن هذه المرة لن ننتظر من يدفع أكثر ليحدد طريقة موتك..، فالطريقة جاهزة بالفعل.. وسنصورها أيضًا.

هذه المرة لم يسأل "داغر" عن نهايته، ظل يعلو تنفسه وتزداد سرعة ضربات قلبه فقط.

\*\*\*\*\*



- كف عن الحزن يا "خالد" .. سنجد "داغر"، ثم إنك لم تكن تعرف بنقله، لقد ذهبت إلى مشوارك وأنا من أخرجته.
- أنا حزين على من ماتوا.. لولا طلب سيادة اللواء لي لكنت نبهتك.. خيرًا إن شاء الله، أتمنى إيجاده في أقرب وقت.
- إن شاء الله.. لقد مر الأمر بسلام مع باقي أفراد التنظيم، وقد تم ترحيلهم أخيرًا خلال الثلاث أيام الماضية إلى السجن لخطورة تواجدهم هنا.
- لم يتبقَ منهم إلا اثنان مع "أسيل" يا "شادي"، العقد ينفرط من أيدينا.
- سنقوم بالتجهيزات التي أعدتها يا "خالد" وسينتهي الأمر.
- إن شاء الله.
- لم تعد "أسيل" فقط من تصر على مقابلة "همسة"، لقد سلطت محاميتها ليلح علينا، وهو يحاول الوصول لـ"آدم"، أظنه قد وصل إليه، لأنه لم يتصل منذ ساعة تقريبًا.
- كاد يرد "خالد" ..، إلا أن رنين هاتفه قد استبقه، رد عليه وفور سماعه لصوت محدثه، جحظت عيناه واشتعل الغضب فيهما.
- ما الأمر يا "خالد"؟
- لقد انتحرت "أسيل" ..، أو هذا ما بدى عليه الأمر..، وجدوها مشنوقة بزنانتها الافتراضية التي وُضعت بها بسبب الهيستريا التي أصابتها فور دخولها من باب السجن..، كانت تردد أنهم سيقتلونها، وأنها ستعيش مهما قتلوها.



\*\*\*\*\*

- وأخيرًا وجدتكَ سيد "آدم"،، ولكن للأسف متأخر.  
- من أنت؟

كان "آدم" يستقل سيارته من أمام شركته في طريقه إلى منزل الحاج "محسن".

- أنا محامي السيدة "أسيل"،، وقد أبلغت من دقائق بانتحارها.

- ماذا؟..

- نعم للأسف.. حاولت الوصول إليك كثيرًا..، عامة هذا الكلام لا فائدة منه الآن..، هذا المظروف لزوجتك..، السيدة "همسة".

أخذه "آدم" بريبة فلم ينتظر المحامي إلقاء أي سؤال آخر من "آدم"، استقل سيارته وغادر على الفور، يبدو عليه الحزن والدموع في عينيه وكأنه حزين عليها، فتساءل في نفسه.. "من يحزن علي هذه الأفعى!"

ركب سيارته وفض المظروف ليرى ما بداخله، لن يغامر ويعطيه إلى "همسة" قبل أن يعرف ما بداخله، فهذه الأفعى ستعيش وتموت وهي تنفث سمها، فوجد أحجية "بازل" لعبة تكوين الأشكال وورقة صغيرة مكتوب عليها..



" هذا بازل هدية مني إليك...، أعرف أنك كنت تحببته قبل  
فقدك للذاكرة...، سأتحداك فيه.. أعيدي ترتيبه الصحيح...،  
لتعلمي أن أغلب الأمور ليست كما تبدو".

\*\*\*\*\*

- يبدو أنه يصارع الموت الآن...، هنا تنتهي فقرتنا نحن أيها  
المشاهدين...، حان وقت موته...، ستتغير الأدوار سيحل  
مكاننا آخرون...، ولكننا سنستمر في البث الحي وهذا بعد  
ربع ساعة من الآن.

بعد ثلث الساعة بالضبط كان البث قد عاد.

- إليكم طريقة موت مميزة لهذا الشاب الهمام...، استمتعتم  
معنا بحفلتنا التي كان هو بطلها.

التفت إلى "داغر الذي كان يصارع الحياة ليتنفس، ووضع يده  
على كتفه المفصول والمفرغ من اللحم، لم يبالي بتألمه قائلاً:

- أنت تعلم أن الذئب عندما يُلقى إليها بقطعة منتهكة  
مخضبة بالدماء، لا تهتم بخنق الضحية، بل تتصارع في  
قضم كل ما تطاله أنيابها غير عابئة بتوجع صاحب الجسد  
أي كان حيوان أو إنسان.

جاء من خلفه آخر وضرب على فخذه أو للدقة ما تبقى منها  
ليكمل:



- ولأننا نعرف مقدار حبك للذئب وهذه بالذات في هذه المنطقة... دعوناها لأكل سيدها... سيكون يوم حافل لهم بالتأكيد.

شل لسان "داغر" ولم يقو على النطق، فيما شرعوا هم بقذفه خارج السيارة، لتلتف حوله ذئابه التي كان يهدد بها سابقًا، بل وألقى إليها الكثير، كان يهوى إطعامها وها هو طعام لها اليوم.

\*\*\*\*\*

روايات



إن المصائب إذا تحملتها مع الصبر دون الاحتساب..  
صارت كفارة للذنوب..

وإن صبرت مع الاحتساب، فزت مع تكفير الذنوب بالأجر  
والثواب أيها العذوب.



أيا ليت عراقيل أحلامنا تتفتت..  
أيا ليت همومنا وأحزاننا تتشتت..  
صخور وجبال فوقنا قد أرسست..  
فيا ليتنا نتذكر مآسينا وقد ولت..  
فآذاننا عن سائر أوجاعنا طنت..  
فيارب حقق أمانى بقلوبنا التفتت..



## الفصل الرابع عشر "قبل الأخير"

- بانتهائنا من "داغر" سيضاف إلى رقم الحساب الذي أعطيته لنا باقي أتعابك اليوم..، وشكرًا على حسن تعاونكم معنا.

قهقه الطرف الآخر بضحكات متحكمة لا يظهر فيها جام فرحه، ثم رد:

- رغم تأخركم أسبوع كامل..، ولكني أحب التعاملات النظيفة..، أبلغ رئيسك أنني أحببت التعاون معكم..، وسأكون حليف جيد لكم فيما بعد.

- ومن قال لك أنني لست الرئيس؟

علت ضحكات الطرف الآخر..، ثم قال بصوت خافت أقرب إلى الهمس:

- لست مبتدأ أو هاوٍ لأظن هذا..، لا تجعلني أبحث خلفكم لأبلغ رئيسك بنفسني.

- تعلم أن هذا ليس في صالحك على أية حال..، وبالتأكيد تعرف أن سواعدنا كُتِر في كل مكان.



- لن أعتبره تهديدًا، نظرا لمعرفتكم من أنا؟..، ومن يساندني؟.. على كلِّ دعنا لا نفسد ودنا وتعاملنا الجيد حتى الآن، وكلُّ يحتفظ بأوراقه كما يريد.
- جيد أنك تعرف قواعد اللعبة..، هذا يريحنا جميعًا.
- أغلق الهاتف وظل يخبط به على ذقنه وهو يبتسم:
- لا أحب التعامل مع أحد لا أعرفه..، وقد قاربت على معرفة رئيسكم.. لا تقلق لست ضمن القطيع.. أنا أسير نفسي بعقلي لا يقودني أحد.
- ثم وضعه على المكتب وضغط على زر بجانبه، ليطلب ملهه دائما وأبدا.. ألا وهو الطعام.

\*\*\*\*\*

- هل هناك خطب آخر؟..، حقًا لقد اكتفيت.. ثلاث مواضيع مرة واحدة.

أمسك "آدم" يدها يمسح عليها ليطمئنها، ثم أجلسها وجلس قبالتها، أخرج مذكراتها ووضعها أمامها.

- الموضوع الأول.. سامحيني لقد قرأت بعض صفحات مذكراتك أثناء غيابك.. قدر ضئيل ليس بالكثير.

أعادتها "همسة" إليه وهي تقول ببسمة يظهر فيها جهادها لإخراجها:



- فلتبق معك.. أنا لن أحتاجها هنا.. فأنا مشغولة بـ "منال" و"هاجر" و"دنيا" كثيرًا.
- سأسعد بوجودها معي جمًا، والأمر الثاني.. منذ عودتك وأنت معهن.. إذا ذهبوا لأبيهن في المشفى تجلسين هنا لانتظارهن، أسبوع كامل لم نلتقِ على انفراد إلا عندما أخذتكِ للإدلاء بأقوالكِ ثاني يوم، وكنا في ظروف حتمت علينا الصمت طوال الطريق.

صمت هُنيهة ثم عاود الحديث مرة أخرى:

- أنا أرى البنات بفضل الله أصبحن أفضل، حتى أمي و"ندى" عادوا إلى بيتهما.. فلماذا تعجبتِ من طلبي منكِ الجلوس بحجرة المكتب على انفراد؟.. هل يجب أن يحدث أمر ما حتى نجلس لتحدث.
- عذرًا فأنت مصيب.. أنا فقط.. أصبحت أعصابي مذبذبة وقوتي مهددة.. بت هشة..، أو كما قالت "أسيل" عدت إلى هشاشتي القديمة، التي لا أعلم عن ماضي سواها.. كنت أود سؤالها عن حياتي السابقة.. يبدو أنها كانت تعرفني.. وعن قرب.
- ومن قال أنكِ أصبحتِ هشة..، أنا حقًا لا أعلم عن حياتكِ السابقة الكثير..، ولكني واثق من حياتكِ الحالية وطباعكِ وشخصيتكِ كما لم أثق في أحد من قبل..، لقد كنت فخورة بكِ الأسبوع الماضي، بل ومنذ معرفتي بكِ، لولا غيرتي عليكِ كنت صرخت بأعلى صوتي، وقلت هذه القوية الحكيمة هي زوجتي، لقد كنت خير عون للبنات هنا..،



فنادراً ما يجتمع العقل والحكمة والأخلاق والجمال كلهم  
في امرأة واحدة و...

رفع يده بالاعتذار وهو يبتسم عندما تدارك ما فعله، ثم صحح  
كلامه:

- دعيني لا أكون عنصري اتجاه النساء حتى لا أفتح على  
نفسي أبواب لن أستطيع الصمود أمامها معكِ... نادراً ما  
يجتمع هؤلاء الصفات في شخص ما أيا كان.. وليس شرط  
أن يكون امرأة.

ابتسمت وهي تمدد يديها للأمام بأن يكفي، واعتدلت في  
جلستها بزهو، ثم ردت:

- أنقذت نفسك في آخر لحظة... كنت أعد العدة على  
لساني لكي أُجهز عليك.

- حمداً لله.. تنبّهت قبل فوات الأوان... وبالحدِيث عن هذه  
الحياة "أسيل"، التي لا أعرف لماذا ذكّرتني بها؟.. ولا ماذا  
قالت لك؟.. ولكنني واثق أنها كانت تريد إحزانك وكسرِك  
بالمقام الأول.. فهذا ديدنها.. صحيح لقد تَرَكْت لكِ ظرف  
يحتوي كلمات قليلة غير مفهومة ومعه لعبة تكوين  
الأشكال، تقول أنك كنتِ تحبينها في الماضي.

فكرت "همسة" قليلاً عاقدة حاجبها بتعجب، تحاول سبر  
أغوار أبواب ذاكرتها، وبعد أن فشلت سألتها:

- وأين هو؟



- لقد تسلمته من المحامي الذي كان يدافع عنها منذ أيام، وكنت أنت مشغولة هنا، وأنا أيضا انشغلت في المهام التي تكدست فوق رأسي فنسيته.. غالبًا موجود بالسيارة منذ ذلك الوقت.
- حسنًا.. سأراه عندما نعود إلى البيت..، فكما قلت لا خير من ورائها أبدًا، لا بد أنه أمر جديد تريد تعكير حياتي به..، كيف حال الحاج "محسن"؟.. لم أزره مطلقًا..، أحببت أن يكون لقاءاته مع بناته عائلية يؤازرون بعضهم البعض، فأثرت عدم الذهاب إليه معهن.
- الطبيب يقول أنه تجاوز صدمة وفاة زوجته وتحسنت حالته بعد اطمئنانه على بناته، فهو في المجمل يتحسن بفضل الله.
- حمدًا لله.. هل من جديد في قضية مقتل الحاجة "سهام" أو.. أو في قضيتي؟
- الحاجة "سهام" لا جديد.. لم يتوصلوا لأي خيط.. ولكن "خالد" شبه متأكد أنها لها علاقة بقضيتك.
- ماذا؟.. لقد أصبحت مصدر إزعاج للجميع لا أعرف أحد إلا ويتم إزائه لا أفهم لماذا؟..، هل آذيت أحدهم إلى هذه الدرجة؟..، فحتى الآن لا أعرف جرمي؟
- قالت "همسة" كلماتها بتأثر، وهي تحيد بوجهها لكي لا يرى الأسى في عينيها، قام عن مقعده وأدناه منها ثم جلس عليه مرة أخرى، يمسك ذقنها ليعيد وجهها إلى محيط نظره مرة أخرى، متحدًا بنبرة يغلفها الحب والحنين:



- لم تسأليني عن ثالثًا.. ولكني سأعتبرك سألتِ.

أنزل يده عن ذقنها وأسكن كفيها في يديه، قائلاً وهو ينظر في عينيها التي لا يمل منها أبدًا:

- أما عن ثالثًا بما أن البنات سيذهبن إلى أبيهن غدًا ويمكن معهن طوال اليوم كالمعتاد..، فما رأيك أن أمر عليكن في الصباح أوصلهن إلى المشفى، ثم نعود أنا وأنتِ إلى بيتنا وعند انتهاء اليوم، سنذهب إليهن لنعيدهن إلى البيت، وتكون أمي و"ندى" في انتظارهن بدلا منك..، وتعودين أنتِ معي إلى منزلنا تبنتين فيه، وإذا أردتِ الذهاب إليهن كل يوم لتبقي بجانبهن، سأوصلك وأمر عليكِ في نهاية اليوم لأعيدكِ.

لماذا تخجل في كل مرة يحدثها عن أمر يخصهما معًا؟، حاولت إقناع عقلها أنه زوجها ولكن يبدو أنه مُصر على اعتباره حبيب لا زوج، نفضت عن رأسها خيالاته عندما سمعته يسألها:

- فيما تفكرين؟.. إلى أين ذهبتِ؟..، لقد اشتاق "هند" و"هيثم" إليكِ كثيرًا فهل هذا يشجعكِ؟..، لم يرونكِ إلا مرات معدودة عندما أحضرتهم إليكِ هنا..، عندئذ لم يقضيا معكِ وقت كافي.

- لقد أوحشني قضاء الوقت معهما كثيرًا أنا أيضا..، حسنًا.. كما تريد أن....

وضع إصبعه على شفيتها ليوقفهما، ثم أكمل بدلا منها:



- أريدك أن تقولي ما تريدن أنت.. لا ما أريده أنا..، أريدك أن تفعلي ما تحبين فعله أنت.. لا ما أحب أنا..، ما يجعلك سعيدة وراضية..، فإذا كنتِ تريدين المكوث هنا لن أعارض.

أفرجت عن ابتسامة عذبة، ومازال إصبعه يلامس شفثيها لم ينزله ولم تبعده هي، فلمست ابتسامتها قلبه قبل أن تمس إصبعه، وكأنها قفزت من شفثيها صارت عبر إصبعه في عروقه وصولاً إلى قلبه مباشرة.

- وأنا سيسعدني التواجد بالمكان الذي تتواجد أنت فيه و..

أرادت أن تكمل ما جاد به قلبها وفاض به لسانها بمباركة عقلها ولكن عقد لسانها الخجل كالمعتاد، فاستاءت منه هذه المرة أيما استياء، قامت عن مقعدها ترتجف يديها تخبأ توترهما بالإمساك ببعضهما بتوتر، ثم قالت بتلعثم:

- هل.. هل تناولت عشاءك.. أم أعده لك؟

- لا أنا شبع.. من يسمع هذه الكلمات ويبقى جائع..، لقد امتلأت معدتي عن آخرها، إلا إذا كان هناك كلمات مماثلة أخرى، سأفرغ لها مكان في الحال.

لم تعقل الكلام فعقله قلبها، فأثرت الرد بعقلها حتى تعتاد الأمر:

- حسناً.. أم..، فلتعد إلى البيت أنت لم تسترح منذ فترة طويلة..، حادثتي وحادثة الحاجة رحمها الله وإجراءات القضيتان وصولاً إلى دفن الحاجة..، لا بد وأنك متعب وتريد



الفراش في الحال.. سأقول لك مقدمًا.. نومًا هنيئًا وأحلامًا سعيدة.

قالت كلماتها وهي تتجه إلى باب غرفة المكتب لتفتحه له، تخاف من الجو الذي عبأ الحجرة تحاول تغييره، قام على مضض منه واتجه ناحيتها.

- إذا كنتِ تسألينني عما أريد... فالنوم ليس ما أريده.

صمت لحظات يتمتع بخجلها، ثم أضاف بلهجة مداعبة مؤثرة:

- ولكن حسنًا سأقبل طردني بصدر رحب... لقد انتظرت عودتكِ وقت اختطافكِ كأني مسجون سجنوا روحه بعيدًا عنه وبعد عودة روعي إلي تطردني هي بنفسها مرة أخرى... لو تعلمين كم كان قلبي يعنفني في غيابكِ... رفضت عيناى النوم حتى تقر برؤيتكِ... وفي النهاية هذا جزائي الطرد.

وقفت "همسة" ساهمة صامته، فمها وعينيها مفتوحتان، هما الوحيدتان اللتان قد دل على كونها على قيد الحياة، حرك يده أمام وجهها وهو يضحك:

- "همستي".. هل مازلتِ معي في هذه الحياة؟.. أراكِ ذهبتِ إلى عالم آخر؟

حركت رأسها كناية عن الرفض، ثم غدا وجهها وردي بعد استيعابها للكلام، أبعدت عينيها عن عينيه وهي ترجع خطوة إلى الوراء، ثم أجبرت لسانها على التحدث:



- لم أقصد.. لقد أردت لك الراحة فقط.. أعلم أنك لم تلقَ القسط الكافي من الراحة منذ فترة، فكل الأمور جاءت وراء بعضها.. إذًا أنا أصلح خطأي وأعرض عليك المكوث لشراب أي مشروب تختاره.. الخيارات عصائر فقط.. لا منبهات ليلا لكي تستطيع النوم عند العودة إلى المنزل.

ربع ساعديه أمام صدره، وعلى وجهه ابتسامة حماسية، وكأنه سقيم قد رُدت إليه عافيته في غمضة عين:

- انتظر رجوعكِ بفارغ الصبر، ولم شملنا مرة أخرى... صمت فترة كعادته ليختبر حياءها، ثم أضاف:

- لكي تُحجمين احتسائي للمنبهات بالتأكيد...، ليس لسبب آخر.

ألقت بحيائها خارج الباب بدلا من هواء الغرفة، ووضعت يدها في خصرها وضيقت عينيها، ثم زمت شفيتها قبل أن تُكَيِّل له بما يستحق:

- هذا أمر بسيط تستطيع أي مدبرة منزل عمله..، بل أنت أيضا تستطيع..، وكرمًا مني سأقول لك كيف؟

فتحت الباب أكثر، وهي تشير بكفها إلى الخارج ومطأطأة رأسها كمن يُحيي أحدهم عند المغادرة، مضيئة:

- سأقول لك فكرتي ونحن في طريقنا إلى باب الخروج لكي لا تتأخر..، سأوصلك بنفسي.



فك "آدم" ساعديه.. كيف غفل عن أنه لن يستطيع مباراة امرأة في الكيد والغيظ مهما بلغ خجلها، فذهنهن حاضر وخاصة عند التقليل من شأنهن، يتحولن إلى وحوش ضارية، تأبط ذراعها وعاد بها إلى الأريكة هذه المرة، أجلسها وجلس بجوارها، ثم نظر في عينيها، قائلاً بهيام:

- عن ماذا كنا نتحدث؟.. آه تذكرت...، عن المشروب الذي كنت تعرضينه علي...، لقد نسيت من جمال عينيك.. كيف لي أن أنظر إلى هاتين اللوزتين ولا أفقد صوابي..  
تنحج قليلاً...، ثم أردف:

- أنا اختار المشروب الذي تختارينه لي.

هذه المرة ضحكت لتداري خجلها، فكرامتها كامرأة أهم في هذا الوقت، قلدت تكتيف ساعديه أمام صدره، ثم قالت بزهو:  
- يبدو أن عيناى قد أنستك فيما كنا نتحدث أيضاً...، لقد كنت تقول أنك تحتاجني فقط من أجل...

وضع إصبعه على شفيتها ليقفها وعلى شفتيه ابتسامة جذابة كادت تفقدها عقلها، ثم أسرع قائلاً:

- لا يستطيع المرء خداعك أبداً.. حسناً سأعدد لك أهميتك عندي، ولكن أنت المسؤولة.. لا ذنب لي إذا فاضت وجنتيك باللون الوردى، وتلجم لسانك وتوترت يداك كالعادة.

قامت من مجلسها، وهمت بالتوجه إلى الباب وهي تسأله:



- ليس بالأمر الضروري.. حسنًا أصدقك.. وسأتغاضى عن هذه الجولة...، أنا ذاهبة لأعد المشروب وبعدها تغادر فورًا...، لقد تركت البنات فترة طويلة، أخشى أن يكونوا قد استيقظوا، فهن لم يخلدن للنوم إلا بعد أن حلق النعاس فوق رؤوسهن ساعات يحاول معهن.
- حسنًا اتفقنا.. سأغادر بعده مباشرة...، ولا تقلق سيجتزن هذه الأزمة بأمر الله.

كادت تخرج من الباب...، فرفع صوته قائلاً:

- يبدو أننا قد تعادلنا في هذه الجولات، لن أعتبر هذا انتصار. التفتت وهي تبتسم له ابتسامة إن جاز القول.. شيبت رأسه وألجمت لسانه، فانتقلت عدوى الارتباك والشوق إليه.

\*\*\*\*\*

- لا أفهم.. لماذا لم تقدم الدليل الذي معك حتى الآن رسميًا؟...، نريد الخلاص منه قبل أن يتسبب لنا في كارثة أخرى.
- سأنتظر حتى يقودني إلى هدفي الأساسي...، هو مجرد طعم سنتركه يرتع ويتجبر، حتى يحين موعد إيقافه...، كما أنه لا بد أن يكون له يد في باقي الحوادث التي حدثت داخل الحجز والسجن...، يجب أن نحكم شراكتنا حوله أولاً...، ونجمع أدلة لكل شيء.



- لا أعرف يا "خالد"؟.. أنت على صواب أم لا؟..، فبعد أن ظننا أن القضية قد انكشف كل جوانبها وحللنا أغازها تعقدت مرة أخرى.
- لا تقلق يا "شادي".. دعنا نسير في اتجاهاتنا كما هي، وأنا أثق أننا ما دمنا نسعى فلن يخيبنا الله، وسنحل كل أغازها سيأخذ كلُّ جزأه.
- لم ينته من حديثه حتى رن هاتفه، فعلق "خالد" قبل الرد:
- يشم سيرته وسيرة قضاياها عن بعد..، السلام عليكم يا "آدم".. أين أنت؟..، أسمع صوت الهواء كأنك تقود السيارة..، لماذا أنت مبكر هكذا؟
- عليك السلام يا "خالد"..، ذهبت إلى العمل لإنهاء بعض الأعمال المؤجلة..، ثم سأعود إلى البيت مرة أخرى قبل أن أذهب إلى بيت الحاجة "سهام" لإيصال بناتها إلى أبيهن بالمشفى، ومن ثمَّ أعود أعيد "همسة" إلى بيتنا.. "ندى" و"هند" و"هيثم" يحضرون لها حفل استقبال.. صغير بالطبع نظرًا للأحداث الحالية التي نمر بها، فهي بحاجة إلى هذا لقد تلقت صدمات كثيرة وراء بعضها.. بالنسبة لعندك.. هل من جديد؟
- فكرة حلوة من الأولاد.. ومن أختك بالتأكيد..، بالنسبة للقضايا لا جديد..، النيابة انتهت من أقوال المتهمين الباقين..، و"داغر" مازال مختفي.. ولا جديد في قضيتنا مقتل "رامي" و"أسيل".



- لقد نسيت إخبارك.. محامي "أسيل" مر علي منذ حوالي 5 أو 6 أيام، وأعطى لي ظرف تركته لـ "همسة" ولكني لم أتذكره إلا وأنا معها أمس..، لم يحوِ إلا كلمات غامضة مع لعبة أحجية.. متى أمر عليك لتراه؟
- لا داعي لأن تأتي وسط كل هذه المهام.. سأمر أنا عليك لأراه.
- لقد وفرت علي الكثير.. ما دمت قادمًا، دعني أستغلك كما يستغلونني هنا في مهام كثيرة اليوم..، ستشتري لي طلب من محل بجانبك في وسط البلد وأنت قادم..، أسرع حتى تقوم معي ببعض المهام في الحديقة، فأنا قد أنهكت.
- أشفق على العمال الذين يعملون تحت يديك..، إذا كنت أنا صديقك وتفعل بي كل هذا..، فما بال هؤلاء العمال المساكين إذا.. لهم الله.
- أنهى "خالد" الاتصال، فنظر إليه "شادي" بخبث عاقدًا حاجبيه، يعلق على المكالمات:
- فكرة حلوة من الأولاد.. و من أختك بالتأكيد..، ولا تمر علي لأنني قادم إليك..، ماذا نفهم من هذه الدلائل يا سادة؟.. بالتأكيد نفهم أن أخت "آدم" عنده بالبيت.
- قذفه "خالد" بأحد المفكرات..، فتغادها "شادي" وتلقفها ثم فتحها.. قائلاً بمزاح:



- إنها فارغة.. جيد... لقد انتهت مفكرتي وكنت أود شراء أخرى... لقد وفرت علي ثمنها.

كاد يقذفه بثاقبة الورق هذه المرة لولا رنين هاتفه باسم صديقه "أكمل" فرد عليه على الفور، لقد كان في انتظار مكالمته طوال الأسبوع الماضي بفارغ الصبر، وها هو أثلج صدره بمعلومة هامة.

\*\*\*\*\*

- لقد انتظرنا أسبوع كامل... وحين وقت تنفيذ آخر مهمة بعمليتنا... لا أريد ولو نسبة ضئيلة من الخطأ... لن أتهاون مع المخطئ مهما كان... سيلقى مصير لم يخطر على باله من هوله.. أتفهمون؟
- لن يكون هناك أي خطأ.. سيتم كل شيء بمنتهى الدقة.. سنغلق هذا الملف نهائياً... هذه الـ"همسة" انتهت أيامها في هذه الحياة... وقد بدأ العد التنازلي للدقائق الأخيرة في عمرها، سنبدأ في حفر قبرها من الآن.
- جيد.. خذوا حذرکم... لا أريد غيركما أنت و"سمير" في هذه العملية... لقد رتبت كل شيء وأخيراً سنمحي اسمها من سجل الأحياء.. سأمحيه بنفسي.
- نعتبره تم.. هناك أمر آخر... هذا الضابط المدعو "سالم" ذكي وأنا أقلق من الأذكيا... هو يعرف أنني ليس



الرئيس...، كما أنه متأكد من قتل "داغر" يبدو أنه لا يعرف كيف قتل ولكنه يخمن، فقد أكد على هذا في مكالمته.  
- لا تعره بالا الآن...، فمادام ذكيًا يعلم أن وقوعنا سيدينه، كما أننا سنقدم ما يثبت تحالفه معنا...، ولكن راقبه جيدًا بحرص بالطبع، فمراقبة رجال الشرطة ليست مثل غيرها من المراقبات...، إذا تعدى حدوده ووسوس إليه شيطانه...، فسيكون هو من أراد التعجيل بدوره.  
- علم وينفذ.

انتهت المكالمة فتوجهت أنظار الصوت الأمر إلى صورة "همسة" الموضوعه بدرج المكتب.

- اقترب لقاءنا إذا يا ابنة "شهاب الدين"...، لن تخرجي حية هذه المرة من تحت أنيابي...، لقد نجدك أول مرة سفري خارج البلاد...، والمرة الثانية مجموعة من الأغبياء المتحذلقين أفسدوا الأمر...، هذه المرة أعدك أن أتمم كل شيء بنفسني.

\*\*\*\*\*

- أهلا ومرحبًا بصاحب الوجه البشوش.. وجه الخير على دائمًا.

- أهلا بك يا صاحب اللسان المعسول والكلام المنمق...، كيف حالك يا بني.. وكيف حال زوجك الآن؟



- الحمد لله يا حاج "راغب"، مرت بظروف صعبة كثيرة ربنا يجعلها دائماً من الصابرين.
- اللهم آمين.. لقد مر على وفاة زوجة الحاج "محسن" أسبوع، فهل تستطيعون القدوم إلى الحفل الذي سننظمه غداً أنا وزوجتي بمناسبة زيادة بلد جديد إلى قائمة فروع شركاتي ودخولي السوق الإيطالي؟..، سيكون حفل عائلي به مجموعة من الأقارب والأصدقاء المقربين فقط.
- أتمنى حضوره حقاً لأكون أول من يبارك لك هذا الإنجاز، ولكن لا أعلم ظروفك فكما تعلم زوجتي عند بنات الحاج "محسن" لمؤازرتهن، ولم تسترح حتى الآن حق الراحة.
- لأكون صريح معك.. من ضمن الأسباب التي جعلتني أنظم هذا الحفل بل وأهمهم..، أنت تعلم أنني لم أرزق أنا وزوجتي بأبناء منذ وفاة ابنتنا وهذا لسبب طبي..، لاحظت عليها هذه الأيام الدخول في دور اكتئاب وزهد عن الحياة.. ترى حياتها مملة منذ قدومها من الخارج واستقرارها بمصر، تشعر أن لا رسالة لها في الحياة لعدم وجود أبناء يشغلونها.
- بارك الله لك فيها.. هذا شعور طبيعي بسبب الروتين وعدم إشغال الوقت.
- هي للأسف ليست على قدر كبير من الدين والإيمان، نظراً لقضاء معظم حياتها بالخارج..، ولذلك لا تشغل نفسها بأمور مفيدة.. سأكون سعيد بحضوركما وصادقتها مع زوجتك، فبالرغم من أنني لم أرها مطلقاً حتى الآن، ولكني لم أسمع عنها إلا كل خير، لقد حددتم يوم زفافكم سريعاً

- عندما كنت بالخارج لأنهى أوراق انتهاء إقامة زوجتي  
ببريطانيا، فضلا عن كون علاقتنا لم تكن موطدة حينذاك.
- شرف لي اختيارك لنا ضمن هذه القائمة المحدودة..، ياذن  
الله سأحاول تنسيق الأمر والحضور، ولا تقلق ف"همسة"  
لها مواهب متعددة واثق أنها ستساعد زوجتك في التخلص  
من هذا الشعور، وبجاذبيتها الخلقية والشخصية ستأخذ  
بيدها في الأمور الدينية.
- جزاك الله خيرا يا بني.. وما دمت أنت واثق فيها إلى هذا  
الحد فأنا أيضا أثق بها.. سأنتظركما إذا.
- خرج "راغب" ودخل بعده "صهيب" مساعده، ألقى السلام  
وجلس بإرهاق، وهو يضع أمام "آدم" ثلاث صور.
- لا أفهم "ما الذي جمع الشامي بالمغربي"؟..، ولماذا  
تضعهم أمامي الآن؟..، لا أهتم بسماع أخبار "سامر"  
قديمة أو جديدة، فهو في السجن الآن.
- ومن قال أن هذه أخبار قديمة؟..، ومن قال أن "سامر"  
بالسجن الآن من الأساس؟
- ماذا؟..
- اعتدل في جلسته ونظر إلى الصور مرة أخرى، ثم أردف  
دون أن يرفع نظره:
- هات ما عندك بالتفصيل..

\*\*\*\*\*



- حسنًا حسنًا يا "ندى" لن أنسى شيء... أغلقي فأنت  
من تعطينني سألج... انتبه أيها السيد أنا أقف بجانبك!!  
- وهل فعلت لك شيء؟

نظرت إليه "ملك" باحتقار دون رد وأكملت المكالمة، لكنها  
قطعت كلامها بنفاذ صبر هذه المرة وقالت بصوت عالي:

- أغلقي الآن يا "ندى".. يبدو أنني سأذهب إلى القسم  
بأحدهم أو نتيجة قتل أحدهم، لا أعلم أيهم أقرب.  
- ماذا؟.. ماذا حدث؟.. أخ.

أغلقت دون سماعها لاستفسار "ندى"، تلتفت إلى الشاب  
الثلاثيني الواقف بجانبها، وهي في قمة غضبها:

- هل تعتقد أنني من الفتيات المرنة أو السلبية أو الضعيفة  
سأصمت عن تجاوزاتك أيها الحقير؟.. لقد تغافلت مرة  
ومرتين مبررة لنفسي أنك لا تقصد... ومرة أخرى نبهتك  
عندما تجرأت يدك أكثر... ولكن الأمر قد عد كل حدود الأدب  
والأعذار.. أنت شخص قليل الأدب... لا بل عديم الأدب  
والأخلاق... لن أتنازل عن طلب الشرطة الآن وتفريغ  
كاميرات المحل لإثبات ادعائي وسجنك حتى لا تأذي أحد  
غيري.

ابتعد الشاب بظهره، متجهًا إلى باب الخروج، وهو يتحدث  
بصوت منخفض عن صوتها ولكنه عالٍ أيضًا:



- هل برأسكٍ خلل.. أنا لم أقترب منك..، هل تتدعين ذلك لأنكٍ تتمني ذلك بسبب الفراغ العاطفي..، يبدو أنكٍ عانس لا تجدي من يقترب منك..، فاختلقتِ هذه القصة في رأسك.. فأليكٍ عني.

هرولت "ملك" إلى الباب قبله تغلقه بعنف، وقد كاد يفتحه أحدهم من الخارج للدخول، فاصطدم بالباب وقد أوشك على الوقوع، لكنها لم تلتف له، لقد كانت مشغولة بمنع الشاب من الخروج.

مادام كل الموجودين وقفوا يشاهدوا المسلسل دون أن يتدخلوا، وفي هذا الوقت أقبل مسؤولي المحل لا لينجدوا فتاة في أزمة، بل لمنع حدوث هرج يزعج زبائنهم أو يسيء إلى سمعة المحل.

حاول المسؤولون احتواء الموقف والإصلاح بين الطرفين، فزاد تصرفهم من حنق وعصبية "ملك"، كيف يتهاونون في حقها إلى هذه الدرجة؟!، هل التحرش بفتاة أمر سيان عندهم؟، هل فقد هؤلاء النخوة إلى هذا الحد؟، ماذا إذا تم مع إحدى قريباتهم أو زوجاتهم أو بناتهم؟، هل سيقفون يبررون ويحللون ويصلحون هكذا أيضاً؟

- أظن إذا حدث هذا مع زوجاتكم أو بناتكم، ستكررون نفس الموقف وتقومون بالصلح لأن الرجولة والنخوة والشهامة بل والدين نفسه مات في قلوبكم وأصبحتم دي.....



خجلت من إكمال الكلمة، ولكن اليأس والإحباط والغضب والظلم قد أوقدوا نيران مستعرة في صدرها، بعد أن أشار مسؤولو المحل أنهم لن يساعدوا في هذا الأمر متحججين أن الكاميرات بها خلل ولم تسجل شيء، هداها قليلا رنين هاتفها باسم أكثر شخص تريده بجانبها الآن.

نظرت إليهم بكره وهي توكل الله فيهم، فتحت الباب للخروج، لقد كانت تحجزه بيدها طوال الوقت:

- لم تكتفِ بغلق الباب في وجهي بل وتمسكتِ به كالأطفال ..و

- لست في مزاج للشجار الآن... ما كان ينقصني إلا أنت أيضاً..، ابتعد عن وجهي فأنا على وشك ارتكاب جريمة، فلا تجعل من نفسك الضحية.

تحدثت بغضب شديد، وصوت لا يحتمل التفاهم.  
فهمّ صديقه بالتدخل:

- ما هذا التبجح؟... أنت فتاة سليطة اللسان و..

لم تعره "ملك" بالا بل ابتعدت وهي ترد على الهاتف:

- السلام عليك يا "جاسر".. أهلا يا حبيبي..

- عليك السلام...، ماذا بك يا "ملك"..، هل أنت بخير؟... يبدو

على صوتك أنك كنت في شجار أو تتحدثين بصوت عالٍ؟

- لا أنا بخير...، فصوتي محبوب لأنني لم أتحدث منذ فترة، وأنت تعرف أختك لا تقو على هذا.



حاولت جعل صوتها مرح أكثر، كانت تود وجوده معها ليدافع عنها، ولكنها لا تستطيع إخباره بالهاتف، تخاف عليه من غضبه وهو على الطريق، كما تعلم أنه من الممكن أن يرتكب جريمة بالفعل ولن يشعر بنفسه في موقف كهذا، كم تود إخباره ولكن قلقها عليه يمنعها.

أردفت بعد صمت قصير لكي تمنعه من التفكير في الأمر:

- سأنتظرك بعد المحل بخطوات فأمامه الشمس حامية، سأذوب تحتها كما يذوب الثلج..، لا تتأخر علي.
- لن أتأخر..، ولكن هل أنتِ واثقة من أنكِ بخير؟
- يبدو أن صوتي أوحشك..، حسناً أنت من طلبت سأظل أثرثر لحين وصولك، لقد افتقدت الثرثرة طوال فترة تجولي لشراء ما طلبته "ندى".
- لا أنا استسلم.. حسناً أنا قادم إليك بسرعة البرق، فقط أغلقي أرجوكِ.
- حسناً سأقبل استسلامك..، ولكن لا تتأخر لكي لا أفقد الكلام أكثر من ذلك..، ولكي لا تفقد "ندى" صبرها، فهي تتصل بي كل دقيقة، لا لتستعجلني فقط بل لتطلب مني شيء جديد..، ها قد أتت على سيرتها تتصل بي مجدداً..، سأغلق معك الآن.

أغلقت "ملك" وهي تزفر بقوة، ردت على "ندى" بإنهاك، التي اتصلت مراراً طوال فترة شجارها:



- "ملك" .. أين أنتِ؟.. لقد قلقت عليكِ كثيرًا.. ماذا حدث؟،
- ومن هذا الذي كنتِ تتشاجرِين معه؟..، وماذا ف..
- توقفي دقيقة لتسمعي جواب كل هذه الأسئلة..، يبدو أن
- "جاسر" موعود بالثرثارين.
- ماذا؟!.. "جاسر"!.. ما الذي أدخل "جاسر"؟!..، ولماذا..
- حسنًا حسنًا سأصمت وأنتِ اشرحي لي.
- الحمد لله فصلت..، سأقص عليكِ باختصار الآن لأن "جاسر"
- في الطريق إلي ليقلني، لا أريد التحدث أمامه وعندما آتي
- سأقص عليكِ بالتفصيل.

\*\*\*\*\*

- هل أنتِ جاهزة أنا أعبّر البوابة الآن؟
- نعم.. كلنا جاهزون..، سنخرج في الحال ولكنهن يصرون
- على استقلال سيارتهن مع "رمضان" ويعودون معه..، حاول
- معي إقناعهم.
- السلام عليكم يا "آدم".. قبل أن تتحدث لقد حاولنا إقناع
- "همسة" ولكنها لم تقنع..، لماذا تُكلف نفسك عناء
- إيصالنا إلى المشفى ثم إعادتنا مرة أخرى..، يكفي أنكم
- لم تتركونا لحظة واحدة، حتى أننا معترضات على مجيء
- الخالة "عايدة" و"ندى" اليوم بدلا من "همسة"..، نحن
- بخير الآن والحمد لله.



- الموضوع أبسط من ذلك يا "هاجر"، نحن قلقون عليك  
ليس أكثر... أريد إيصالكن لأنني أخاف عليكم كـ"همسة"  
و"ندى".

تدخلت "منال" هذه المرة لتدعم ما اتفقن عليه هي وأختيها:

- شكرًا لك ولكنك وظّفت لنا رجال أمن بالفيلة وخارجها  
مثلهم تمامًا، فلما القلق إذا؟..، سنرتاح أكثر إذا وجدناكم  
نلثّم ولو قدر ضئيل من الراحة..، نحن ممتنون لكم كثيرًا..،  
لقد كنتم خير عون لنا أفضل من الأهل بمراحل.  
- كما تحبون يا "منال".. ولكن ثقوا أن وجودنا بجانبكن ليس  
فيه أي تعب لنا، بالعكس نحن نكون مطمئنون عليكم وبالنا  
مرتاح أكثر..، لا نقاش في مجيء أمي و"ندى" ليلا بعد  
مجيئكم من المشفى، وأبلغوا سلامنا للحاج "محسن"  
حتى نلتقيه على خير بإذن الله.

بعد السلام ركبت "همسة" مع "آدم" وانطلقوا جميعًا كل في  
اتجاهه.

- لم أر فتاة حلوة في كل حالتها مثلكِ.

التفتت إليه وجدته ينظر إليها من حين إلى آخر أثناء القيادة  
وهو يبتسم، خجلت ونظرت إلى يديها بتوتر، ثم ردت عليه  
بنبرة تكاد تكون مسموعة:

- لأن عينيك حلوة ونفسك جميلة، فتراني حلوة.



أوقف السيارة فجأة بجانب رصيف المشاة، والتفت إليها وعلى وجهه إحدى ابتساماته الجذابة، التي يُخرجها في مناسبات قليلة جدًا، فعللت ذلك قائلة في نفسها وهي تذوب "أنه يقلل منها لعلمه بمدى تأثيرها على من أمامه".

- لا أريد شرود في هذه اللحظة...، أريد سماع ما قلته الآن بالحرف.

- حسنًا إذا أردت سماعه عُد للقيادة مرة أخرى، ولا تنظر إلي هكذا...، أنت توترني.

- لن أركز في القيادة عند سماعي له...، هل يرضيكِ إصابتنا بحادثة وأموت شهيد الغزل.

ضحكت من قلبها لأول مرة منذ أسبوع، يبدو أن عوضها الجميل قد حان.

- لقد نسيت الكلمات...، لقد خرجت عفوية من فمي...، قُد الآن وعندما أتذكرها ستجدني أعيدها عليك.

- ما دمت تصرين.. حسنًا إذا كما تريد.

قالها بخُبت وانطلق بالسيارة إلى طريق آخر غير المنزل كعقاب لها، وعلى شفثيه ابتسامته لم يؤمر بها عقله، بل رُسمت على شفثيه بأمر من قلبه، فخرجت في أبهى صور ابتساماته، لقد حان وقت "العوض الجميل" عما عاناه في الفترات الأخيرة.



لم يكونا وحدهما.. فليمن في السيارة الزرقاء التي تتبعهما منذ خروجهما من بيت "سهام" رأي آخر في "العوذ الجميل".

\*\*\*\*\*

- كيف حال القمر اليوم؟
- قمر والشمس ساطعة؟!
- تحنحت "دنيا" وهي ترسم ابتسامة مشاغبة، فتدخلت "هاجر":
- يا لخسارة المال الذي أنفقناه في التعليم يا أبي..، قلت لي أنك في الجامعة تقريبًا؟
- ابتسم "محسن" بوهن، فلحقت بالركب "منال":
- خذي أختك الكبيرة قدوة..، تعلمي منها كيف تحتفظين بالمعلومات التي درستها.
- حسنًا يا أختي الكبيرة كيف تحتفظين بها؟
- كتبت معظم المجالات التي درستها والكتب في مفضلة "جوجل"..، فأصبحت عندما أبحث يبحث لي بداخلها أولاً، فتكون معلومتي من حصيلة ما تعلمت.
- أفرج الجميع عن ضحكة كانت مكتومة منذ أسبوع كامل، فتدخلت طرقات علي الباب لتوقفها سريعًا.



أذنت "هاجر" بالدخول، ليدلف الطبيب "هلال" وابنه "نور".

- لقد سمعت ضحكاتكم من الخارج...، ربنا يديمها على وجوهكم...، كيف حالك الآن أيها البطل؟...، أراك اليوم بدر في أوانه.
- رأيت يا أبي.. رأيتكم جميعاً...، لست وحدي من أرى ذلك.
- ومن قال عكس ذلك!.. أنا أيضاً أراه اليوم اللهم بارك بدر بالفعل.

قالها "نور" وهو متأكد أنه لن يرد عليه سوى واحدة.

- ولكن البدر لا يخرج بالنهار يا سيدي الطبيب الجراح المتفوق في مختلف المجالات.

ردت "هاجر" بلسان ونبرة أقل حدة من عاداتها، فتأكد أنها لم تتجاوز بعد المحنة، ابتسم وهو يرد عليها:

- يدور القمر حول الأرض لمرة واحدة كل 29 يوم في أوقاتٍ محددة، ولذلك يُمكننا وبسهولة رؤيته في وضوح النهار...، على عكس ما نعلم بأن خلال النهار تكون "الشمس" أكثر الأجسام سطوعاً في السماء، وفي الليل يكون "القمر" أكثر الأجسام سطوعاً فقط...، ويعود السبب إلى عاملين كبيرين هما لمعان القمر ومداره حول الأرض و...<sup>64</sup>

<sup>64</sup> - يعد القمر أكثر الأجسام لمعاناً في السماء بعد الشمس، وهذا بسبب قربه الشديد من الأرض بمقارنته مع أي شيء آخر، بالإضافة إلى لونه الأبيض الذي يجعله عاكساً قوياً أو مرآة كبيرة تقوم بعكس ضوء الشمس القادم من الجانب الآخر للأرض، أما الشمس لامعة لأنها تقوم بحرق كميات كبيرة من الهيدروجين، فلا يضيرها بعدها عن الأرض حتى تصبح مرئية، عندما يكون القمر مكتملاً يتواجد في الجانب المعاكس تماماً للشمس، ولكن مع اقتراب القمر من طور الهلال، تتناقص المسافة بينه وبين الشمس، مما يؤدي إلى إمكانية رؤية القمر خلال النهار وجعله مرئياً بشكلٍ أقل خلال الليل أيضاً.

- كاد يكمل فأوقفه والده، رافعًا يده إلى "هاجر" بالاستسلام:
- إذا ظل يتحدث عن العلوم ستقفين أمامه حتى الفجر لن يوقفه أي شيء...، استسلم أفضل لك ورحمة بنا أرجوك.
  - سأخذ بنصيحتك يا دكتور "هلال"..، سأحاول أن أباريه المرة القادمة في ملعبى.. ملعب اللغات..، صراحة متشوقة لهزيمته منذ الآن.
  - وأنا أنتظر بفارغ الصبر هذا الموعد...، سأحضر له منذ الآن.
  - لقد أعجبتني المعلومة جدًا وسأبحث عنها.. شكرًا لك دكتور "نور"، إذاً يمكننا رؤية القمر في النهار..، ومفاد هذا أنني قلت لكم معلومة من قبل أن أعرفها..، أنا حقًا جهيد.
  - حقًا يا "دنيا" أرى فيك بشاير الجهادية..، في كل مرة تُحدثني خسائر أثناء قيامك بتجارب الكلية في البيت أشعر أنك مشروع عالم صغير..، كلهم كانوا يحرقون العالم قبل اكتمال نضوج علمهم.
- ضحكوا جميعًا على تعليق "منال"، الذي استأذن بعده "هلال" و"نور" ليطرخوا الأسرة وعلى وجهها البسمة أخيرًا.
- كيف حال "آدم" و"همسة"؟
  - الحمد لله يا أبي هم في أفضل حال.. "آدم" الآن أصبح يضع "همسة" ليس في عينيه فقط، بل في قلبه قبل عينه..، وجزاهم الله خير هما والحاجة "عايدة" و"ندى" لم يتركونا لحظة واحدة، كانوا أفضل من أهلنا.
  - ربي يبشرك بالخير يا "دنيا".. وهذا المنتظر منهم بالطبع.



- كدت أنسى يا أبي هم ينوون زيارتك...، ولكن كانوا يأجلونها  
من أجل تجاوزنا جميعًا.. تجاوز الأزمة التي مررنا بها ..  
ووفاة أُمي.

- وهل أصيبت "همسة" بأي أذي؟...، هل تعرض لها أحد؟...،  
لقد اطمأنت من "آدم" بالهاتف.. ولكنني أريد التأكد منكن.

نظر البنات لبعضهن متعجبين، ثم أسرعت "هاجر" في الرد  
بثبات:

- لا يا أبي هي بخير الحمد لله، لم يصبها أي أذي...، أنت  
تسأل عنها تقريبًا يوميًا منذ خمس أيام، هل.. هل هناك  
خطب ما؟

- لا أريد فقط أن تبلغوها أنني أريدها والأفضل تكون وحدها.

\*\*\*\*\*

- إلي أين نحن ذاهبان؟

- لن نعود إلى البيت قبل أن تعيدي علي ما قلته...، هذه أول  
مرة أسمع كلمة غزل منك، وأنت تستكثرين علي إعادتها.

رفعت "همسة" حاجبيها بتعجب وهي ترد بابتسامة:

- هل أنت جاد؟

- نعم أنا رجل أعمال سيدتي، لا مزاح عندي في قراراتي...،  
ها قد وصلنا.



نظرت حولها مندهشة وهي تمط شفيتها.

- لا أفهم لماذا نحن هنا؟

- تعالي معي.

ترجلا إلى مقهى يطل على النيل غير مزدحم، لم تجلس بل  
وقفت تمسك بسور السياج المطل على النيل تستنشق  
نسيم اختلاط الهواء بالمياه.

- رُغم حرارة الجو في الخارج، ولكن الهواء هنا منعش  
يُنسيك العالم ومشاكله وازدحامه... فالنيل له قوانينه  
الخاصة من درجة حرارة وجو ومنظر خلاب... دائماً ما  
يأسرني.

وقف بجانبها يُبدل بين الشهيق والزفير، كأنه يشبع رثيته  
ويُخزن من هواء النيل، ثم رد عليها دون أن يلتفت لها:

- حبك للنيل والسماء والنجوم عوامل مشتركة بيننا... ولذلك  
هما اللذان هونا علي غيابك، كنت أراك فيهما.

التفت لها مبتسماً، وهو يستند بساعده على السور، ثم  
أكمل:

- كانا حلقة الوصل بيننا... منذ صغري وأنا أهوي السماء  
وأتحدث مع النجوم... لم أجد هذا العامل المشترك بيني  
وبين أي أحد عرفته... الكل يراه درباً من الجنون أو الخيال  
الزائد، وعندما قرأت في مذكراتك عن السماء والنيل أيضاً  
ذهبت إليه حدثته وفور معرفته بحديثي عنك استجاب لي



ورسم صورتك من مخيلته.. ولكنه أجادها حقًا.. فظهرت ملامحك الملائكية على صفحة الماء، كما أجادتها السماء في وقت لاحق... يبدو أنك مشهورة عندهما كثيرًا.

ظلت تحملق فيه ولم تفارق فاهها الابتسامة، لم ترد ولم تحيد بنظرها عنه، فقطع نظراتهما رجل جوال كبير في السن يعرض عليهما شراء الورد، اشتراه "آدم" منه كله وأجزل في العطاء له، فرح الرجل ودعا لهما وهو ينظر إلى المال بفرحة شديدة.

فرحت "همسة" ليس بالورد فقط، بل بفرحة الرجل أيضًا، فدمعت عيناها وهي تقول:

- رأيت كيف كان ينظر إلى المال..، كأنه قد وجد كنز قارون<sup>65</sup> .. يبدو أنه كان يحتاجه بشدة... زوج سقيم أو تعليم ولده أو زواج ابنته..، يسبب الله البشر كأسباب لتيسير الرزق، لذلك علينا ألا نبتئس ولا نقنط، فقط ندعوه بثقة وبقين.
- رؤيتي للفرحة في عينيه تزيح عن صدري هموم وأحزان الحياة..، كما ذكّرتني لكلمات رقيقة كتبتها عندما ابتكرت مساعدة الفقراء بيت الحاجة "سهام" رحمها الله.

<sup>65</sup> - يحدثنا الله عن كنوز قارون فيقول سبحانه وتعالى إن مفاتيح الحجرات التي تضمها، كان يصعب حملها على مجموعة من الرجال الأشداء، ولو كان هذا حال مفاتيح الكنوز، فكيف كانت الكنوز ذاتها؟! لكن قارون بغى على قومه بعد أن آتاه الله الثراء، فحذره علماء قومه من الفساد في الأرض والبغي، فكان رده جملة واحدة: "إنما أوتيته علي علم عندي"، فأنساه غروره مصدر هذه النعمة وأعماه الثراء، وعندما عمت الفتنة وتمني الشعب ما كان عند هارون، جاء عقاب الله حاسمًا "فخسفنا به وبداره الأرض" .. هو وكنوزه التي أغرته.

أخرج دفترها من جيبه، فرفعت حاجبها متسائلة "هل يسير به؟"، لم يمهلها وقت للتعجب، قلب في الدفتر وكأنه يحفظه، ثم أخرج الصفحة التي يريدتها، وقرأ بصوت مسموع:

- \* لا تتأخر في أن تكون الضوء الذي يُلهم بانسًا للمضي  
قُدماً..،

\* لا تتراجع عن التفوه بكلمة أو بذل مجهود، قد يخلق  
دافعاً تحفيزياً، يوحد روح الحياة داخل قلب بات آيلاً  
للاحتضار..،

\* لا تتردد في أن تمد يدك لمن قصم الأسي ظهره وأخار  
قواه، فقد تكون طوق النجاة الوحيد الذي سببه الله له،  
ليستقيم بك.

اتسعت ابتسامتها ثم تحدثت وهي تنظر إليه نظرة حب  
واحترام وود:

- أنت لم تسعد شخص واحد، فبال تأكيد خلفه أسرة يرعاهم،  
بالإضافة إلى فرحتي أنا أيضاً..، لا تعلم كم أحب الورد  
والزهور والنباتات كلها..، أراه دائماً كائن رقيق بالرغم من  
وجود بعض الوحوش به أيضاً كالنباتات آكلة اللحوم  
والحشرات مثل باقي الكائنات..، إلا أنها أقل الوحوش  
افتراساً ووحشية، لقد سعدت أيما إسعاد بالزهور  
الموجودة بحديقة الفيلا وخاصة "البنفسج"، فهو الأقرب  
إلى قلبي.



- هو في انتظارك لتعتني به، ولكن اعلمِ أنني غيور جدًا...، فلا تُفريطي في الاعتناء به وتهمليني.
- حقًا هل ستغير من الزرع؟
- أنا أغير من أي شيء تسقط عليه عينيك وتستحسنه أي كان.

التفتت إلى النيل ثم قالت وهي تشير إليه:

- خذ عليه عهد ألا يحزنني.

ضحك وكاد يرد عليها لولا رنين هاتفه، الذي أضاع باسم "ندى"، فأغلق عليها وهو يمسك بيد "همسة" متجهاً إلى الباب قائلاً:

- حان وقت العودة إلى البيت...، ف"ندى" عيل صبرها في الانتظار مع "هند" و"هيثم" تعلمين أن عقليتهم واحدة إن لم تكن عقلية "ندى" أصغر منهما.

هذه المرة قهقهت وهي تستقل السيارة مؤكدة على كلامه، فانطلق إلى المنزل ومازالت السيارة الزرقاء خلفهما.

وصل أخيراً فترجلا من السيارة، تقدمت "همسة" لتدخل إلى الفيلا أمسكها "آدم" من رسغها وأخرج وشاح قصير وأدارها ليربطه على عينيها، ثم أخذها إلى مقعد قريب.

- لا أفهم ماذا يحدث؟..، لما هذا الوشاح؟
- ستعلمين بعد لحظات، فقط اجلسي هنا ولا تتحرك، سأعود إليك بعد لحظات.



- هل سيتم اختطافي مرة أخرى أم ماذا؟

ضحك ورد عليها وصوته يبتعد:

- يبدو أنكِ اعتادت على الاختطاف...، سنقوم باختطافكِ  
يوميين بالأسبوع لكي لا تكسر روتينكِ.

ذهب إلى الحديقة الخلفية ليتأكد من كون كل شيء في  
موضعه، حيث كان ينتظر "هند" و"هيثم" و"ندى" و"ملك"  
و"عايدة" الجالسة على أحد المقاعد ترسم ابتسامة هزيلة،  
ثم عاد إلى "همسة" حيث تركها، أمسك بيدها يوجهها إلى  
مكانهم.

أخيرًا توقف وقام بنزع الوشاح ببطء، لتتفاجأ بهم يحتفون بها  
أجمل احتفال، الحديقة تم تزيينها فوقفت "هند" بجانب اسم  
"همسة" التي صاغته بالخط العربي على لوحة كبيرة رائعة  
الجمال يحفه زهور بألوان زاهية زادت اللوحة جمالا، ووقف  
"هيثم" بجانب شاشة عرض تعرض تطبيق باسمها، نزل  
بجهازه اللوحي رويدًا رويدًا ليربها أقسامه وهو يشرح:

- \* هذا قسم خاص بالأفكار الإبداعية..

\* وهذا للتذكرة بالعبادات به خاصية إضافية لذكر معلومات

يومية عن كل عبادة، وكلمات حماسية للتشجيع عليها..

\* وهذا الأخير يحوي عبارات داعمة لجبر الخواطر.

وقفت "همسة" مذهولة من مفاجئتهم، فخرجت "ندى"  
بحركة استعراضية تقول:



- وأنا من قمت بالتزيين... بالطبع لفت نظركِ الطريقة الرائعة التي زينت بها وأفكاري النيرة.

ضربتها "ملك" وهي تقول مازحة:

- وأين كنت أنا؟

تحنحت "ندى" وهي تقول متفاخرة:

- كانت تساعدني بالطبع... ولكن روعي ظاهرة في الزينة أليس كذلك يا "همسة".

- العبوا سوياً لا تتشاجرا... فالأطفال يضحكون عليكما.

نظرا الاثنتان إلى "هند" و"هيثم" اللذان يضعان أيديهما على فمهما يكتمان ضحكاتهما، و"خالد" و"جاسر" اللذان يقفان عند مدخل الحديقة يرفعان حاجبهما، فاعتدلا في وقفتهما وتأبطا ذراعا بعضهما البعض وتحنحا، ثم قالت "ندى" بصوت عملي خجل:

- ما رأيك بالذهاب إلى هذه الطاولة لنجلس باحترامنا قبل أن ينفرط منا العقد أكثر من ذلك... فنحن في موقف لا نحسد عليه.

وافقتها "ملك" بهزة من رأسها، فذهبا وجلسا وكأنهما لم يفعلوا أية أفعال طفولية منذ لحظات.

اقتربت "ملك" من "ندى" تتحدث بصوت منخفض:



- أشعر بالخجل يأكل وجهي...، فأنا نسيت تمامًا وجود "آدم" وتصرفت بعفوية.
- لم تنجرفِ وحدك.. أنا أيضًا تصرفت بعفوية دون علمي بوجود أخيكِ وصديق أخِي "خالد"، دعينا لا نلفت الأنظار أكثر من هذا بحديثنا الجانبي أيتها البلهاء...، يكفي إحراج.
- لكزتها "ملك" وهي تمط شفيتها، فيما تقدم "جاسر" و"خالد" إلى الجمع ليستأذنا في الذهاب.
- لم أعلم أنكما لازلتما هنا.. أعذراني.
- انحنى "خالد" على أذنيه ليقول هامسًا:
- فمن يعاتبك في وجود منار القلب وبوصلته.
- ثم ضرب على صدره هو و"جاسر" وأضاف:
- صدق المثل من وجد أحبابه نسي أصحابه...، هيا بنا يا "جاسر" قبل أن يتهور "آدم"...، لن تحب تجربة قبضته وقت غضبه.
- قال آخر كلامه وهو يهرول إلى الخارج وخلفه "جاسر" يضحكان، همّ "آدم" بالعدو خلفهما فأمسكته "همسة" وهي تضحك:
- وأخيرًا وجدت من يستفزك بجدارة.
- "خالد" دائمًا ينجح في استفزازي بسهولة...، فهو يحفظني أكثر من نفسي، هو صديق طفولتي ويبدو أنه انضم إلينا



صديق جديد، ف "جاسر" صدقًا شخص جيد...، لم أتعرف عليه إلا منذ مدة وجيزة...، رغم أن "ملك" صديقة "ندى" من أيام الثانوية.

- فعلا يبدو عليه شخص محترم وخلق.. لم يتركنا لحظة واحدة، وساعدك في إجراءات ومراسم دفن الحاجة "سهام" رحمها الله.

- وماذا أيضا؟.. فانتِ لم تشيدين بي كإشادتكِ به.

قالها "آدم" بحدة ممتزجة بالمداعبة، فهو يغار ولكنه واثق بأنها لا تقصد.

ضيقت عينيها ورفعت إصبعها السبابة إلى ذقنها كأنها تفكر وهي ترد عليه:

- هل تعتقد أخبره بإعجابي به أم أنتظر يصارحني هو؟

رفع حاجبيه وزم شفثيه وهو يشبك أصابع يديه ليكتم غضبه، ثم قال بابتسامة غيظ:

- لا تختبرين صبري في هذا المزاح...، فعند وصول دمائي إلى درجة الغليان لا أشعر ب..

وضعت يدها في خصرها وقدمت جزعها إلى الأمام كالأطفال وهي تقاطعه:

- لا تشعر بماذا؟!.. ألم تعدني أنا والنيل ألا تحزني؟

تحدث وهو يجز على أسنانه وابتسامته لم تفارق شفثيه:



- ليس إلى هذه الدرجة حبييتي... أنتِ تتغزلين في رجل آخر أمامي.
  - أري أن تكملا حديثكما الخاص وأنتما وحدكما... فنحن نجلس معكما أيها المشاغبان.
- انحنت "ملك" على "ندى" تقول بصوت هامس في أذنها وهي تضحك:
- جيد أنكِ أنقذتِ الموقف فملامح وجههما لم تكن تبشر بالخير.
  - لا تقلق.. أظن "آدم" تعلم الدرس جيداً... هما يحبان المناكفة والمزاح ليس أكثر... فبعد ما رأيته من "آدم" في الفترة التي اختطفت فيها "همسة"، أستطيع أن أبصم بأصابعي العشرة أنه يعشقها عشقاً، بل ويذوب في حبها.
  - طمأنتِ قلبي.. سأخرج أنا الآن لابد أن "جاسر" ينتظرني بالخارج لا أريد أن أجعله ينتظر كثيراً... فأنا عطلته عن عمله طوال اليوم وهو الذي يُقدس العمل ولا يحب التقصير فيه إطلاقاً.
  - إذا أردتِ المكوث سأطرد "آدم" ونحتفل نحن.
  - يا لجبروتك.. تريدين طرد زوجها الذي لم يهنأ بزوجته منذ عودتها من الاختطاف... سنتفق على ميعاد نجتمع فيه ونفرغ طاقتنا نحن الفتيات وحدنا.. الأيام قادمة سأذهب إلى فارسي الوسيم الذي ينتظرني بالخارج.



ودعت "ملك" الجميع الذين جلسوا حول طاولة واحدة يهنتون بجو العائلة أخيراً، واتجهت إلى الحديقة الأمامية حيث تقف السيارة فلم تجد "جاسر"، فنظرت حولها تبحث عنه.

- ذهب إلى الجانب الآخر ليرد على الهاتف حيث الشبكة أفضل.

استدارت إلى مصدر الصوت هلعة ولكن متحفزة، لكنها ضيقت عينيها لقد رأت هذا الشخص من قبل فوجهه مألوف لها، ظلت تفكر إلى أن تذكرت.

- لقد تذكرت..، أنت من صدمتك باب محل الحلويات وسببتني أنت وصديقك.  
- لا أنت من أهنتنا.. وكاد صديقي يرد عليك لولا إيقافي له.  
- ماذا تتوقع من فتاة ظلمت ولم تجد من يقف في صفها..، إحساس كونك مظلوم ولا تستطيع أخذ حَقك مؤلم أكثر من الموقف الذي تتعرض له.

شعر بنصل سكين بارد يذبح كرامته، يكره أن يرى أحد يستضعف امرأة أو يظلمها لعلمه أنها لن تستطيع مجابهته، زفر بقوة قبل أن يرد عليها:

- ومن قال أنك لم تستطع أخذ حَقك؟..، لقد لقنتهم درس قاسٍ ودخلت أنا أكملت ما بدأت.

رأى في عينيها التساؤل والحيرة وهي تُضيق ما بين عينيها وتمط شففتيها، فاستطرد:



- لقد طلب مني "آدم" شراء علبة "شكولاتة" وأنا قادم إليه، ولكن يبدو أن "ندي" كانت تشك في تذكره لها من بين المهام التي كلفته بها، فطلبتها منك أيضاً.

توقف عن الكلام واستند بجذعه إلى السيارة عاقداً ذراعيه، فوقفت تنظر إليه بغيظ وهي تزفر بقوة، غاضبة من بروده تريد أن تفهم، فرحمها من الانتظار وأكمل:

- كنت أهم بالدخول لولا إمساكك للباب وصدمي به لكي لا يخرج الشاب، فظللنا أنا وصديقي بالخارج نتأفف من فعلك لا نفهم ماذا تفعلين؟، وعندما خرجت ودخلنا نحن سمعت الشاب يحاول رشوة مسؤولي المحل لمساندتهم إياه، لكنهم رفضوا معترفين بمساندته وطلبوا منه عدم القدوم إلى المحل.

ابتسمت باستهزاء وسخرية من موقفهم ولكن لم ترد تنتظر سماع المزيد، فأردف:

- ما أثار غضبي أكثر وأكثر هو تأكيدهم له أنهم كانوا يخشون قرابتك لضابط أو مسئول فتتصلين به، يعلمون أنك فتاة يبدو عليها الالتزام إذا لم تجد من يساندك ستخافين وتتنازلين عن حقلك، وهذا كله لمصلحة المحل خوفاً من إثارة الأقاويل حوله.

طأطأت رأسها إلى الأرض وهي منكسرة، تهمس بنبرة حزينة:



- وهذا ما حدث بالفعل.

اعتدل في وقفته وقد تلونت عينيه بالغضب.

- أنت فعلتِ ما بوسعك لا يستحقون أن تنزلي إلى مستوى فكرهم العقيم..، ويبدو أنك قريبة من الله أن سخرنى في هذا الوقت، لقد هددتهم حتى يعيشون كل لحظة شعرت بالخوف فيها، وقمت باتصالاتي سيجدون مباحث التموين ومفتشو الصحة عندهم كل يومين وسينتشر الخبر، والمنافسين عليهم الباقي ستنتشر أقاويل حول سمعة منتجاتهم، وهو أسوأ بين الناس من سمعة وجود متحرش بالمحل.

ابتسمت وقد أضيئت عينيها بالفرحة من جديد، ثم خبي هذا الوميض رويدًا رويدًا، وهي تشكره:

- شكرًا لك.. أنت بالفعل أطفأت جزء كبير من النار التي كانت تشتعل بداخلي، ولكن بقى هذا العديم الأدب والأخلاق دون عقاب..، لكنني واثقة من انتقام ربنا فيه.

ربح ساعديه وهو يرد عليها بابتسامة على جانب فمه:

- ومن قال لك أنه فلت.. إذا لم أقابلك اليوم كان سيفلت بالفعل، ولكن حظه السيء أني قابلتك اليوم، فأنا بعدما سمعت هذا الكلام أخذتهم إلى حجرة المراقبة وشاهدت ما حدث في الكاميرات، فأخذته أبيته في الحجز هذه الليلة.. طبعًا هذا مخالف للقانون، ولأول مرة ارتكب أمر



كهذا، ولكنني لم أتوقع أن أعثر عليك لعمل محضر...، وها أنتِ تقفين أمامي، سيسعدني بقاءه في الحجز فترة أطول إذا أردتِ عمل محضر.

صفقت بكلتا يديها بطفولة، تبتسم بفرحة وامتنان، قطع عليها فرحتها صوت غاضب:

- ماذا يحدث هنا؟

التفتت لترى وجه "جاسر" الغاضب، وقبضته المعقودة بقوة، كأنه يمسك بها يده بصعوبة، فابتلعت ريقها الذي وقف في حلقها لفترة كادت تختنق فيها، وكادت تتحدث لولا تدخل "خالد":

- هل تأذن لي أن أشرح لك؟

نظر إليه "جاسر" بغضب وأنفه منتفخة ولم يرد، فقص "خالد" عليه ما حدث بالتفصيل، وفي كل دقيقة كانت "ملك" تريد أن تتوارى من عينيها، وخاصة عندما وصل إلى جزء التحرش بها.

احمر وجهها وغامت عينيها وتساقطت دموعها، هي لم تقصد التمادي في الحديث مع "خالد" ولم تشعر بنفسها وهي تظهر له فرحتها بهذا الشكل، لقد فعلت كل شيء بعفوية، تُقدر غضب أخيها فهي بالفعل أخطأت، حتى سمعت من يدافع عنها:



- هذا ما حدث بالتفصيل... ففرحتها كانت بسبب معاقبة من أخطأوا في حقها.

لم يبرح الغضب عين "جاسر" ولا وجهه بل ازداد، وهو يتحدث من بين أسنانه:

- شكرًا لك على مساعدتك لأختي...، أنا عرفتكَ منذ فترة قصيرة ولكن أظهرت فيها الكثير من الأخلاق...، شكرًا لك مرة أخرى.. أعتذر منك سنذهب نحن الآن.

قالها ولم ينتظر رد من "خالد" الذي قدر موقفه وتقبله بصدر رحب، مؤجلا الحديث في أمر المحضر هو الآن بات يعرفها، فلا ضير من بقاء هذا الحثالة في الحجز للغد حتى يتمكن من إقناع أخيها بالتقدم بالبلاغ.

ظل واقفا يفكر "لماذا تساقطت دمعاتها.. لقد لاحظتها؟، هل أخيها قاس عليها؟"، كان يود الاطمئنان على ألا يتهور "جاسر"، فهي يبدو عليها البراءة والطفولة، بالتأكيد فعلت كل هذا بعفوية ولم تقصد التمادي أبدًا.

- هل تحرس الفيلا أم يعجبك البناء لدرجة الوقوف لتأمله كل هذه المدة؟

التفت "خالد" إلى "آدم" الذي أحنى رأسه كأنه يستشف من عيني صديقه فيما كان يفكر.

- يبدو أنه أمر جلل الذي يشغل بال الضابط الهمام إلي هذه الدرجة!.. فاجئني.



- لقد حدث موقف عابر مع "جاسر" وأخته فخرج غاضبًا،  
وكنت أفكر في كيفية مصالحته فقط.
- ماذا فعلت؟... هل غازلت أخته أم ماذا؟  
قالها "آدم" وهو يضرب كتف زميله مداعبًا، يحاول فك هذه  
الجديّة.
- أتمزح؟.. دعك من هذا الآن سأعرف كيف أعالج هذا الأمر،  
أين المظروف الذي تركته "أسيل"؟
- اتجه "آدم" إلى سيارته وأخرج المظروف من درج السيارة.
- "آدم".. عذرًا كنت أحسبك ذهبت لإحضار الكرة فقط، فجئت  
أفقدك لتأخرتك.
- لا.. أنا أعرض مظروف "أسيل" على "خالد".  
تقدمت بحب الاستطلاع، تمط شفيتها وهي تسأله:
- لماذا القلق؟.. لقد غادرتنا حمدًا لله..، بالتأكيد هو أحد  
ألعابها، فهي كانت مهووسة بذكائها.
- لا يوجد قلق.. هو أراد رؤيته فقط لاغير.
- فض المظروف وأخرج منه الورقة، قرأها بصوت مسموع لهما،  
فحك "خالد" ذقنه، وضيقت "همسة" ما بين حاجبيها، الكلام  
المكتوب في الورقة يوحي أن هناك أسرار لم تكتشف بعد،  
سيكتشفونها بعد ترتيب الأُحجية.



ولكن ما الذي ستفهمه من "بازل"؟، هي تراه أمامها لعبة تكوين أشكال عادية لا شيء فيها يسير الريبة، أمسكته من يد "آدم" تحاول تقلبيه في كل الاتجاهات فلمحت شيء جعل حدقة عينيها تتسع، وهي تقول بنبرة مهتزة:

- هذا "البازل" ليس بازل عادي، يبدو أنه قد صنّع خصيصًا، فالوجه الآخر للشكل عبارة عن كلمات وحروف غير مرتبة لا تظهر إلا بتحريك "البازل" في الضوء، كباقي الألعاب التي تكون ذات وجهين.

أخذه "آدم" منها وقلبه في ضوء الشمس ليتأكد بالفعل مما قالت، فتدخل "خالد":

- إذا لا بد من حل هذا "البازل"، فلتسمح لي بأخذه معي وحله للتوصل للكلام الذي تركته لنا هذه الـ"أسيل"، لا أعلم لماذا كل هذا التعب، يبدو أنها أدمنت إرهاب الآخرين.
- لا أنا سأحله..، هي تحدثني أنا وأنا أحبه بالفعل كما قالت..، لدي ذكريات مشوشة تخصه من حياتي القديمة.
- هذه ليست لعبة يا سيده "همسة"، نحن نريد حلها في أقرب وقت لعلها تقودنا إلى دليل ما..، فإذا أردت حلها بالفعل أتمنى يكون على وجه السرعة.
- لا تقلق هو "بازل" عادي، فحله لن يستغرق الكثير.
- حسنًا سأنتظر منكما اتصال.. بالتوفيق.
- بإذن الله.. انتظر سأتي معك.
- إلى أين؟



- سأذهب إلى "أشرف حامد" محامي "أسيل"، بالتأكيد هو من ساعدها في طباعة هذا "البازل"، وأظنه خازن أسرارها.
- جازر ولكن كيف ستستخلص من محامي معلومة؟.. فهذا أشبه باستخراج اعتراف من جاسوس حرب.
- سأحاول لن أخسر شيء.. كل شخص وله مدخله.
- حسنًا.. هيا بنا.
- تذكر "آدم" قبل أن يستقل السيارة ما حدّث "خالد" عنه في المكتب قبل الذهاب لإحضار "همسة"، فذكره بصوت مرتفع:
- لا تنسى أمر "سامر" الذي حدثتكَ عنه، ومصالحة "جاسر".
- ودع "همسة" التي أمسكت بـ"البازل"، كأنه ذكرى من ذكرياتها أو كنز ثمين كان مفقود مع وصول "ندى".
- أين ذهبنا؟.. وما أمر مصالحة "جاسر"؟.. هل أغضبه أحد هو و"ملك"؟
- أما عن "جاسر" و"ملك" لا أعرف..، اتصلي بـ"ملك" كي نفهم منها، وأما بخصوص خروجهما.
- تأبطت ذراعها وهم يعودان أدراجهما، ثم تابعت:
- سأقص عليك الجديد في طريقنا إلى الحديقة الخلفية، ولكن مقابل هذا ستساعديني في عمل نوع حلوى يحبه "هند" و"هيثم".



- ما هذا الاستغلال؟.. يبدو أنكِ اكتسبتِ صفات جديدة من خاطفيك.
- بالطبع لا.. لن نظلمهم هذه صفة أصيلة في من قبل ذلك. وافقت "ندى" علي مفض، وخاصة بعدما علمت سبب المساعدة، وهو توفير وقت لـ "همسة" كي تحل "البازل".
- تشاركنا سويًا بالفعل وأنها الحلوى، وقبل نضوجها في الفرن كانت "همسة" تصرخ بفرحة طفولية:
- حللت "البازل".. حللته أخيرًا وفي وقت وجيز. انتفضت "ندى" في مقعدها على صوتها، وكادت تلقي بالهاتف أرضًا هلعًا، قامت من مجلسها وأمسكت "همسة" من مرفقيها تتحدث مداعبة بنبرة أم فخورة:
- طفلتي النجبية "همسة".. أنا فخورة بكِ حقًا.
- شكرا أمي.. دعينا لا نزعج أمي والأطفال لن نخبرهم بشيء..، وبما أنهم بالداخل الآن بسبب حر فترة "العصر" هيا بنا نحن بالحديقة لنقرأ "اللوغاريتمات" التي وضعتها "أسيل".. أنهكتنا حية وميتة.
- أسرعا إلى الخارج فقامت "همسة" بالتحريك يمينًا ويسارًا تحاول قراءة الخط الصغير المكتوب بصوت مسوع:

\* "والآن حان وقت اللعبة الثانية.. "اكتشاف جاسوستي"، التي ستجدون معها مفتاح كل الجرائم الظاهرة والمستترة".



\*\*\*\*\*

- لم يسبر أغوار السيدة "أسيل" أي شخص تعامل معها، فهي كانت حذرة وذكية...، حتى أنني لم أتوقع موتها بهذه السهولة.

- أنت محاميها الأوحده ألم تطلعك على أي شيء.  
- كان بودي مساعدتك سيد "آدم" ولكن.. صدقاً لا أعلم شيء، لقد بدأت التعامل مع السيدة "أسيل" منذ مدة ليست بالطويلة، وهذا "البازل" الذي تتحدث عنه كلفتني بطباعته قبل القبض عليها بأيام قليلة، فاستعنت بصديق لي يملك مصنع لعب أطفال لإنجازه.

أسند ظهره على المقعد وهو يشعل سيجار، ثم نفث دخانه في الهواء، يُكمل ببرود:

- ثم طلبت مني أن أبقيه عندي ولم تأتي على ذكره إلا في آخر زيارة لها عندما نُقلت إلى السجن...، عندئذ أبلغتني أن أقدمه للسيدة "همسة" إذا قُلت، فهي كانت واثقة في الأواخر أنه سيُغدر بها ولكن من هذا الطرف التي كانت تخشاه؟... لا أعلم عندي.

قام "آدم" وودع المحامي وقد تيقن من قول "خالد" فالوصول للجاني الأساسي أسهل من استخراج معلومة من محامي.



جلس في سيارته يفكر، قطع تفكيره اتصال من الشركة تذكره مساعدته بموعد أحد المقابلات المهمة كما أمرها، فانطلق إلى الشركة حامدا الله على وجود بعض المخلصين حوله في عمله، فانشغالاته الكثيرة المؤخرة كانت كفيلة بأن تسقط الشركة إذا لم يوجد من يعتني بالعمل بدلا منه كأنها شركته.

- رحمك الله يا والدي.. لقد أحسنت إدارة الشركة أنت وأخي وأحسنت إلى موظفيها فاجتهدوا هم في عملهم، جاء أخي من بعدك ليكمل على منوالك وأنا سأكمل طريقكما، لن أقصر في مساعدة أي منهم ولن أحملهم فوق طاقتهم سأتقي الله فيهم، كما سأظل محافظاً على جو الأسرة الذي صنعتماه فيها.

وصل إلى مكتبه فاستقبله "صهيب" مرحباً به:

- حمد لله على السلامة.. سأقدم تقريرتي ومن ثم أغادر كي أتركك لمقابلتك لن آخذ من وقتك الكثير.

ربت "آدم" على كتفه مبتسماً:

- وهل يوجد هنا بالشركة من لا يستطيع الامتثال لأوامرك يا سيد "صهيب"،، فأنت تخاف علي وعلى الشركة أكثر من نفسي.. بسبب إتقانك للعمل وجديتك ودقتك أشك في كونك عملت من قبل كرجل مخبرات أو جاسوس.

ضحك الاثنان وشاركتهما "ياسمين"، التي لم تضحك شفاهاً فقط لقد رقص قلبها أيضاً، كم هو وسيم عندما يضحك؟، فهذه

من النوادر أن تراه يضحك بملء فيه، تأففت قليلا وهي تتساءل ضحكته جميلة وجذابة بل رائعة لماذا لا يفرج عنها إذا؟!، أخرجها من تأملاتها صوت "آدم":

- "ياسمين" .. إلى أين ذهبت؟

انحنى إلى الأمام واضعًا يده على جانب فمه، كمن يُفشي سرًا وهو يكمل:

- لا تقلقِ سنبحت خلفه خوفًا من أن يكون متخفي في عملنا وورائه كارثة.

ضحكت مرة أخرى وعينيها تسبر أغوار عيني الواقف بثبات لم يتزعزع فيه سوى فمه الذي حافظ على ابتسامته، لكنها لم تفهم فيهما شيئًا، وهل للعيون لغة غير لغة القلب؟

أبعد "صُهب" عينيه عن عينيها متعمدًا، ثم قال لـ "آدم":

- لا توصي "ياسمين" فهي تبحث عن أصل كل من بالشركة كهواية لها.

ضحك بتفاخر ثم أضاف:

- وحتى الآن تظن أن بحثها ومحاولات تقصيها لا يعلمها أحد.

نظر إليها مرة أخرى ولكن هذه المرة لمحت في عينيه نظرة تحدي، فارتبكت "كيف علم بهذا الأمر؟".

ردت عليه بنبرة هامسة:



- أنا فقط أحب أن أعرف مع من أتعامل.

ضحك "آدم" لِمناكفتها متذكراً مشاكسته مع "همسة"، يبدو أنه أمام ثنائي جيد في المستقبل سيحاول التوفيق بينهما لاحقاً.

اعتدل واتجه إلى المكتب وهو ينبه "صهيب":

- هيا أيها الهمام فموعدى بعد 10 دقائق فقط...، إذا حضر الضيف أدخله حجرة الاجتماعات، حتى أنتهي مع "صهيب".

- حسناً أوامر سيادتك.

بدأ "صهيب" في استرسال المعلومات فور دخولهما، وكأنه إنسان آلي قد ضُبط على تجميعها، فدائماً ما يدهش "آدم" بسرعة بديهته وذكائه.

- حسناً.. هذا يعني أن "سامر" و"أروى" يتقابلان بشكل دوري...، إما في شقة "سامر" التي استأجرها مؤخراً وإما في أماكن عامة...، كما انتشرت الأخبار أنهما في طريقهما إلى الارتباط.

- نعم.. فبعدها اعترف والده على نفسه وبراه من كل التهم خرج من الحجز وبدأت مقابلتها على الفور، لكنها ازدادت هذه الفترة.

- وبالطبع "أروى" تحكم قبضتها عليه وتفترس كل من يقترب منه من معجباته السابقات حقاً المظاهر خداعة...، فوالده



كان متخفي خلف ستار الأعمال الخيرية، عندما كان ولده يدرس بالخارج، لم أهتم بالبحث عنه عندما تقدم إلى "ندى"، ففور عودته من الخارج ولاه أبيه إدارة أحد مصانعه، وكان لا يظهر فجوره إلى هذه الدرجة.

أخذ نفساً عميقاً وشبك أصابعه أمام وجهه، ثم أكمل :

- حسنًا.. حتى الآن أبلت بلاء حسنًا يا "صهيب"، أكمل ما اتفقنا عليه فالخطة التي وضعتها سابقًا للإيقاع بأبيه سننفذها معه.

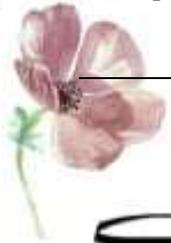
\*\*\*\*\*

- لا أفهم لماذا تبكين الآن؟..، قلت لك لا أريد رؤيتك تبكين.. أنا الغاضب هنا..، أريد أن أسمع منك أسبابك لإخفاء أمر كهذا عني..، لن ندخل في أمر تهاونك وإخضاعك الذي تم أمام "خالد" الآن.

هَمَّت<sup>66</sup> دمعاتها وتقطعت أنفاسها وهي تحاول التوقف، فزفر بقوة ثم قام عن مقعده في المقهى، الذي أخذها إليه بعد خروجهما من فيلا "أدم".

جلس بالمقعد المجاور لها لا يحب رؤيتها تبكي، سيختفي غضبه ولن يستطيع محاسبتها على خطأها إذا ظل ينظر إلى

<sup>66</sup> - هَمَّت: سال الدمع بكثرة من عينيها كالمطر.



عينها الباكية، ولذلك اختار مكان عام بدلا من المنزل، فهو لن يستطيع التريب على يديها أو احتوائها لتهدئتها فيه، ولكن دمعاتها تحفر في قلبه كما تفعل مياه الشلالات بالصخر.

- هل تعلمين أن دمعاتك تضايقني؟

تحدثت من بين دمعاتها:

- أعلم.. أن.. أنا آسفة، لقد خشيت إخبارك بالأمر خوفاً من ردة فعلك، لم أرد أن تتورط مع أحد.

- وهل هذا صواب؟.. لقد كنت بالجوار وأستطيع القدوم إليك في أية لحظة..، كيف تتنازلين عن حقلك وتتهاونين مع من ظلمك؟.. لقد أدميت يدي وأنا أسمع من "خالد" تحرش أحدهم بك..، والأدهى أنك تركته ينفذ بفعلته بالإضافة إلى موقف مسؤولي المحل عديمي المروءة.

- هل كنت ستصرف بدون عنف في موقف كهذا؟

صمت هنيهة فهو واثق أنه لم يكن ليستطيع التحكم في غضبه وقتها، ولكن بالتأكيد وجودها في الجوار كان سيحجم أفعاله كثيراً لكي لا تتأذى وهي معه، كان على الأقل لن يتنازل عن حقها بعد تلقيه درسا.

- هذا ليس بالأمر الجوهري..، ربي يحفظك ولا يصيبك مكروه أبداً ولا يتناول عليك أشباه الرجال أمثال هذا الفاسق، لكن إذا تكرر الأمر لا قدر الله اتصل بي ولو كنت في آخر



الدنيا...، ستثيرين غضبي إن تغاضيت عن هذا الأمر مرة أخرى...، أنت لا تعلمين ما يدور بصدري الآن.

التفتت له تبتسم يحاوط ابتسامتها دمعاتها التي بدأت في الانحسار رويدًا رويدًا:

- هل قلت لك من قبل أنني لو تمنيت لنفسي أخ ما كنت تمنيته بمثل هذه الصفات والحنو.

التفت إليها يحاول الابتسام، فقلبه وكرامته مازالا يؤلمانه.

- لا لم تقولي ولكن لا تُلْهين عقلي بهذا الكلام المعسول، فمازال هناك حساب آخر.

طأطأت رأسها تصطنع ابتلاع ريقها الغير موجود، عاد مرة أخرى إلى المقعد المقابل لها وأشار إلى النادل يطلب منه مشروب، وكأنه قد شعر بجفاف فمها، ثم عاد إليها ليكمل حديثه:

- أعلم أنك لم تقصدين هذا الإخضاع بالقول والفعل مع "خالد"..، ورغم عدم تقبلي لرجال الشرطة بسبب بعض الأخطاء الفردية، إلا أنني حقيقة رغم قصر فترة تعارفنا قد أعجبت بأخلاقه والتزامه، مما جعلني أعترف بخطأي في الحكم على طائفة كاملة بالفساد و الانحلال، حتى وإن كثر فيها الإهمال والظلم، فلا بد أن يتواجد في كل مكان الصالح والطالح، وإن كان الصالح فيها قليل...، فلا يحق لنا ظلمه بإجماع الحكم عليهم كلهم.



- أنا لا أعرفه ولكنني سعدت بما فعله مع المحل ومع الشاب...، لم أستطع التحكم في نفسي...، أعرف أنني أخطأت اليوم في عدة أمور ربي يغفر لي ويسامحني.
- أنا سعيد بكِ وبنقائكِ لأنكِ تعلمين خطئكِ وتعترفين به...، والآن سأهاتف "خالد" لكي أخبره بالذهاب إليه لتقديم بلاغ في هذا الشاب، وربّي يسترها إذا تقابلتُ مع هذا الحثالة وجهاً لوجه.
- اللهم آمين.. اطلب لي الطعام قبل رحيلنا، فالعصير لم يكن كافيًا لقد هضم حزني وتوترتي جميع ما في معدتي، أكاد أسمع زغورتها بسبب تضوري جوعًا.
- مسح "خالد" علي وجهه بنفاذ صبر، ثم طلب من النادل مرة أخرى.

\*\*\*\*\*

- وكأنك تشعرين بي.. لقد أنهيت للتو اتفاقية جيدة جدًا سيكون لها أثر إيجابي على تطور الشركة بإذن الله.
- حمدًا لله اللهم بارك.. أسعدت قلبي بهذا الخبر ربي يوفقك لكل خير دومًا ويسدد خطاك، فمن لها سواك يا سيادة رجل الأعمال الناجح.
- يا الله على هذا الكلام الذي يجلي سائر الهموم والأوجاع...، أشعر أنني جددت نشاطي لتوي يبدو أن عقدة لسانك تنفك عندما لا أكون بجانبك.



ضحكت "همسة" برقة وهي ترد:

- هذه حقيقة.. أنت تربكني وتوترني.
- لا أرى أي توتر مطلقاً عند مناكفتك إياي.
- هذه حقيقة أخرى.. أنا أنسى أي شيء بخلاف المزاح عند المناكفة والمشاكسة لأنني أستمتع بها حقاً.. أراها أفضل طريق لإنهاء أي شجار أو تحسين أي وضع لأنها طريقة طفولية، إذا تدخلت براءة الأطفال في أي شيء مُحيت أية ضغينة في الحال.
- تحليل رائع أيتها الطيبة تبهريني بعقليتك المتحولة دائماً.. أراها في كل أطوارها من الطفولة إلى الكهولة لا أعلم كيف؟!

ضحكت بخجل هذه المرة، ثم ردت:

- وبمناسبة الذكاء والحكمة اللذان يشعان من عقلي لقد حللت "البازل".

تحدث بنبرة مشجعة بإعجاب وهو يشيد بفعالها:

- ما شاء الله لم أشك لحظة في ذلك.. وماذا وجدت في الوجه الآخر منه؟

قرأت له ما دونته في ورقة لكي تتذكره بدقة كما كتب ولا تحتاج للضوء القوي لقراءته، فطال صمته حتى ظنت أن الخط قد أغلق.

- "آدم"...



- معك كنت أفكر.. من الجاسوس الآخر الذي جندته غير "يسرية" في حياتنا هذه الأفعى؟
- أنا أعرف موقعه في حياتنا وأعرف جنسه ولكني لا أعرف من هو؟
- ماذا تنتظرين إذا.. من هو؟
- أخبرتني "أسيل" عندما اختطفتني أنها جندت صديقة لها بالشركة لتنقل لها أخبار...

ترددت قليلا لكي لا تثقل عليه، ثم أردفت:

- أخبار "حاتم" رحمه الله وأخبار الشركة، أخبرتني كيف ساعدتها وقت إصابتها في الحادث أيضًا.. عفوًا يا "آدم"، لقد نسيت إخبارك بهذا أثناء الإدلاء بأقوالي بقسم الشرطة، لقد كنت متوترة والصدمات كانت كثيرة علي.

ضرب سطح المكتب بغضب ثم مسح وجهه وهو يستغفر ليهدأ، صمت مرة أخرى يفكر في المقربين منه بالشركة من النساء، فلا بد أن تكون قد قامت بأخطاء وهو لم يلتفت لها بحسن ظن.

حاول مراجعة المواقف في الفترة الأخيرة، التي كثرت فيها الحوادث، فتوقف عند موقف بعينه.

- لا عليكِ أعلم ما كنت فيه.. حسنًا أظنني عرفت من هي يا "همسة"..، أغلقِ الآن وعندما أتأكد سأهااتفك.



أغلق معها الخط ثم خرج من مكتبه، ووقف أمام مكتب "ياسمين"، التي رفعت رأسها تنتظر أوامره دون التفوه بحرف، ضيّقت عينيها لا تفهم لما يحدث بها بهذه النظرة الغاضبة، هي حسبما تذكر لم تخطأ بشيء، استجمعت قوتها وسألته:

- هل هناك خطب ما؟.. هل أخطأت في شيء؟
- المرة التي تركت فيها الهاتف معك عندما أعدتَه إلي وجدته مغلق...، وكان ردك "يبدو أنه فصل شحن دون علمي"...، هذا اليوم الذي أختطفت فيه "همسة" زوجتي...، وعندما فتحته وجدت بطاريته في منتصفها ولم ينفذ الشحن...، لم أعر هذا الأمر بالا وقتها لثقتي بكِ.
- لا أفهم.. وما الخطأ في ذلك؟
- هذا الهاتف أُغلق بالقصد.

تسارعت دقات قلبها.. أرادت الوقوف لولا خذلان قدمها لها فسألته:

- لا أفهم سيد "آدم".. ماذا تقصد.. أنا.. أنت تعلم.. أنا.. أوقفها بيده واستخدم الهاتف الداخلي بجانبها ليطلب رجل الأمن المسؤول عن مراقبة الكاميرات، أملاه تاريخ يوم الحادثة وأمره بإحضار شرائطه.

جف ريق "ياسمين" وتوترت ملامح وجهها ويديها، ظل عقلها يعمل دون توقف ولكنها لم تتفوه بحرف واحد، جلس أمامها على المقعد ينتظران وصول رجل الأمن.



حضر رجل الأمن أخيرًا يحمل الشرائط في يده، فطلب "آدم" منه المغادرة، وأمر "ياسمين" بالمجيء معه إلى مكتبه.

حدد الموعد المنشود بداية موعد الاجتماع وإعطاءه الهاتف لها، ظلا يتابعان سويًا حتى دخلت "رفيف" مساعدة مدير الحسابات، جلست بجانب "ياسمين" تحدثت معها قليلا، ثم دق الهاتف الداخلي فاستدارت إليه "ياسمين"، واستندت بظهرها على مقعدها تأرجحه يمينًا ويسارًا.

وجداد "رفيف" تمتد إلى هاتف "آدم" من الفجوة المفتوحة بالمكتب أسفل الدرج الأول، ظلت تحركه يمينًا ويسارًا كأنها تستكشفه ثم أعادته مرة أخرى.

فغرت "ياسمين" فاهها واستدعت الكلمات التي هربت من حلقها منذ برهة تقول بحماس:

- رأيت؟.. لا بد أنها أغلقت في هذا الوقت.. أنا واثقة، فمنذ مجيئها لم يتصل أحد على الهاتف مطلقًا، أكمل التسجيل سترى أنني لم أمسكه مطلقًا بعدها.. أكمل.

نظر إليها بعين فاحصة ثم عاد إلى التسجيل مرة أخرى وأسرع الحركة قليلا كي يستعجل المشاهد فوقت الاجتماع كان طويل، تأكد من صدق كلامها ولكنه لم يريحها ولم يستعجل في الحكم.

أجابها بعد أن أوقف التسجيل مرة أخرى:



- هذا لا يؤكد صدق كلامك... فمن الممكن أن تكوني أغلقته قبل ذلك وهي أمسكته لتتفحصه ليس أكثر.

نظرت إليه وقد خبت الحماسة في عينيها، وعاد جفاف حلقها المشتعل ليمنع استرسال الكلمات على لسانها، كأن الكلمات كالماء يجف ويتبخر بمجرد المرور على حلقها المشتعل.

رأته ينظر في الساعة ثم طلب "صهيب" على الهاتف يأمره بإحضار "رفيف" إلى هنا دون إثارة ربيتها، لم يستفسر "صهيب" ونفذ ما طلب منه بالحرف، وبعد لحظات كانت قد تبذلت الأحوال و"ياسمين" هي من تجلس قبالة "آدم" في مكتبه تفرك يديها بتوتر وتشتعل عينيها بالغضب. سمعا دقات على الباب، فأذن "آدم" بالدخول:

- تفضلاً.. حسناً يا "ياسمين" سأنظر في الملف وأرد عليك... عود إلى مكتبك الآن وانتظري مني الرد.

ثم نظر إلى "صهيب" نظرة ذات مغزي، لم يفهم "صهيب" في البداية، ولكنه حاول التخمين أنه يطلب منه البقاء مع "ياسمين" بالخارج، خرجت "ياسمين" دون التفوه بكلمة، وتبعها "صهيب".

- تفضلي يا "رفيف".



جلست والتفتت له تنتظر أوامره، قام عن مقعده والتف حول المكتب ليجلس في المقعد المقابل لها، يحدجها بنظرات حيرتها وكأنه يُحفز توترها، ثم تحدث أخيراً بنبرة خاوية:

- أريد ما تركته معك "أسيل" وطلبت منك إعطائه لـ "همسة" إذا حدث لها شيء.

اتسعت حدقتا عينيها وتوقف بها كل شيء، حتى أن من يراها يظنها تمثالاً لا نفس فيه ولا قلب ينبض، شبك أصابع يديه وظل يخبط إصبعيه الإبهام ببعضهما كمن ينتظر وقد شارف صبره على النفاذ، أخيراً تحدثت وهي تبتلع ريقها:

- "أسيل" من؟... وما هذه الأشياء التي تتحدث عنها؟.. أنا لا أفهم.

ظل يحدّق بها بنظرة بالتأكيد لن تنساها ما حيت، ثم زم شفتيه وقام عن مقعده عائداً إلى رأس مكتبه يقول بلامبالاة:

- حسناً يبدو أنكِ اخترت الطريق الأصعب...، و"أسيل" التي جندتك منذ أيام "حاتم" رحمه الله لتنقلي إليها الأخبار لن تفيدك الآن، لقد رحلت عن عالمنا هي بين يدي الله يقتص لنا منها.

أمسك بهاتفه، ثم أردف:

- التليفون الأول الذي سأقوم به هو لمدير الحسابات يبحث في سجلك وكاميرات المراقبة جيداً، لكي نري كم



المخالفات التي ارتكبتها، وكم تجسستِ على مكتبه لتطلعي على كل شيء قبل ترقيةكِ إلى مساعدته.

تقدم إلى الأمام ليكمل بسخرية:

- أما الثاني سيكون لضابط الشرطة صديقي لأريه تسجيل كاميرا المراقبة في مكتب "ياسمين" يوم حادث اختطاف زوجتي "همسة"، حين قمتِ بإغلاق هاتفي حتى لا تستطيع هي أو رجال المراقبة التوصل إلي، فنشبت تورطكِ في جريمة الاختطاف..، وقتها لا أعلم كيف سنخرجكِ؟.. فموقفكِ صعب بالتأكيد.

زم شفتيه وهو يمثل اللامبالاة ليخيفها ثم استطرد:

- وكى أصدقك صديقي هذا عصبي قليلا..، لا يتحمل إنكار متهم أبداً..، وأنت تعلمين غضب رجال الشرطة.. كان الله في عونك.

اتصل بالفعل وفتح مكبر الصوت، فقامت عن مقعدها تترجاه الإغلاق.

نظر إليها يرسم التردد في الإغلاق وهو يطم شفتيه إلى الأمام ويضيق عينيه كمن يفكر.

- حسناً.. يبدو أنكِ استخدمتِ عقلكِ هذه المرة.. أنا أنتظر.

جلست مرة أخرى، ثم قالت بصوت مبحوح:



- لقد طُلب مني إغلاق الهاتف فقط..، حتى أنني لم أكن أعلم بموديله وأرسلت لي الصورة على هاتفي..، لكنني لم أكن أعلم بخطف زوجتك صدقني.
- هذا كله تدبير "أسيل" صديقتك..، أعرف أنك كنت تعلمين بوجودها علي قيد الحياة وساعدتها بعد إصابتها في الحادث الذي تعرضت له هي وأخي..، والآن أين ما تركته معك؟
- لا أعلم كيف عرفت ولكنها لم تترك معي سوى مظروف، طلبت مني إعطائه إلى "همسة" زوجتك إذا أصابها مكروه.
- ولماذا لم تعطه لي أو إلى "همسة" كما طلبت؟
- كنت أعلم تورط "أسيل" مع أناس لا يرحمون فخشيت أن يصيبني مكروه إذا أوصلت إليكم المظروف.. فأثرت عدم التدخل.
- بهذه البساطة؟.. ماذا إذا كان هذا المظروف سينقذ حياة إنسانة؟.. أو سيكون السبب في نجاتها من شر ما؟.. بهذه البساطة خفت على نفسك وتركتها في خطر!
- لم أعلم ما في المظروف حتى الآن.. كنت أخشى الذهاب إلى المكان الذي تركته فيه "أسيل".

زفر بقوة لعدم اقتناعه بتبريرها ثم سألها بتقزز:

- أين هو؟
- شقة كانت قد استأجرتها لوالدتها كي تعيش فيها بعيدًا عنها فلا تزعجها..، وبعد وفاة والدتها اشترتها وجعلتها مخبأ سري لا يعلم عنه أحد إذا أرادت إخفاء أمر ما.



أخذ مفاتيح سيارته وأمرها تكتب له العنوان وتعطيه المفتاح،  
وتصف له مكان المظروف، لن يستطيع أخذها معه في  
السيارة لعدم وجود محرم، ولا يثق فيها حتى يدعها تذهب  
وحدها حتى وإن سار خلفها بسيارته، ولن ينتظر مجيء  
"خالد".

وبعد تردد فعلت ما أمر، ثم قالت له برجاء:

- أرجوك سيد "آدم" .. لا تطردني اتركني أعمل في وظيفتي أو  
انقلني إلى مكان آخر، فمن كنت أنقل إليها الأخبار قد توفيت  
ولا خوف مني بعد الآن، لن أفعل أي شيء مخالف.  
- تعالٍ معي.

خرج سوياً فقام كلا من "ياسمين" التي كادت تقرض أناملها  
وليس أظافرها فقط من شدة التوتر و"صهيب" الذي كسى  
وجهه الحزن والكآبة.

- ستنتظر "رفيف" معك يا "ياسمين"، وأنت يا "صهيب" عد  
إلى رأس عملك.. شكرا لك.

خرج "آدم" واتصل بـ"خالد" ثم روى له المختصر.

- حسناً.. أنت تريد إذن تفتيش الشقة، تحفظ على هذه  
الفتاة حتى آتي إليك لن أتأخر، سأترك "شادي" يقوم  
باستخراج الإذن ويلحق بنا.



- هي في مكتبي ولكني لا أعلم ماذا سأفعل معها..، في الغالب سأطردها وهذا عقاب كافي لها، لن أنتظرِكَ سأسبقك لأن طريقي أبعد منك.
- حسنًا سنتحدث في أمرها فيما بعد.

\*\*\*\*\*

- كيف حالك يا "ملك"؟..، لقد اتصلت عليك كثيرًا بعد مغادرتك دون رد أين كنت؟، لقد قلقت عليكما.. أقصد عليك.
- عليكما.. عليك.. يبدو أنني سأضمك إلى قائمة معجبيين أخي.
- يبدو أن قلقي ذهب سُدى، فأنت تمزحين أثقل من المعتاد.
- حسنًا حسنًا لا تغضبي.. يبدو أنني ضُربت على رأسي اليوم فأفعالي كلها غير متزنة، أين "همسة" أريدها في أمر ما؟
- لست مطمئنة لك..، ما هذا الأمر؟
- سر بيني وبينها.
- هل تعدون لمفاجئتي بحفل أنا أيضًا؟
- قالتها "ندى" بمرح طفولي.
- وما المناسبة؟.. وهل سنهدر أموالنا وصحتنا هباء.



- ما هذا؟..، لقد اقتنعت أنكِ ضربت على رأسك بالفعل، سأستدعي لكِ "همسة" وأتمني أن تستطيع تحملك 5 دقائق كاملين.
- لا تقلقي.. ستمتد لساعة.

تركها "ندى" والفضول وحب الاستطلاع قد بلغ منها مبلغه، ما هو الأمر الذي تريد صديقتها المقربة التحدث فيه مع "همسة" ولا تريد قوله لها؟، مطت شفيتها وذهبت لاستدعاء زوجة أخيها، حيث كانت تعد مع الطفلين والجدة المادة العلمية التي ستوضع في تطبيق "هيثم".

- أهلا "ملك".. كيف حالك؟
- بخير الحمد لله.. كنت أريدك في أمر عاجل جدًا يا "همسة"، هل "ندى" بجانبك؟
- "ندى" لقد تركت باقي الحلوى المغطاة بالمثلجات بالخارج، أرجوكِ غلفيها وضعيها بالمبرد كي لا تفسد.
- تدمرت "ندى" كالأطفال وذهبت إلى المطبخ مستسلمة.

- خيرًا إن شاء الله يا "ملك".. كما سمعتِ الآن "ندى" ليست بجانبني ما هو هذا الأمر لقد أثرتِ فضولي؟
- أخي معجب بـ"ندى" منذ زمن، وكان يريد التقدم إليها بعد انتهاءها من دراستها..، حتى أنه بعد خطبتها المفاجئة من "سامر" غادر مصر وذهب للعمل بأحد فروع شركة أبي بالخارج هربًا، وأنت تعلمين بالطبع أن الحوادث توالى عليكم بالتتابع فلم يستطع حتى الآن التحدث مع أخيها، وكلما

طلبت منه التقدم رفض متحججًا بالظروف التي تمرّون بها  
فماذا أفعل؟

- الأمر بسيط يا "ملك" ..، ولكن بداية لقد لاحظت قبول من  
ناحية "ندى"، فهي تتحدث عنكما كثيرًا وعندما تأتي سيرة  
أخيكِ تمدح فيه بخجل وأرى في عينيها وميض أعرفه جيدًا.  
- حقًا؟! .. ربي يبشركِ بالخير يا "همسة" يا صاحبة  
البُشريات الجميلة.

- دعينا لا نتعجل.. هذا كله مجرد استنباط لاحظته ولكن لم  
أتأكد منه.. فأولا سأستشف منها بطريقة غير مباشرة إذا  
كان هناك قبول بالفعل أم لا، وبعد ذلك نحرك أخيكِ بنفس  
الطريقة التي حرّكته في الماضي، ستخبرينه أنها من  
الممكن أن تضيع منه كما ضاعت من قبل وهناك البعض  
المُقبل على خطبتها، وها هي الأمور تستقر الحمد لله.  
- "همسة" هل أشاد أحدهم بذكائكِ من قبل.. الأمر بسيط  
بالفعل ولكني كنت لا أعرف من أين أبدأ، احتاج من  
يساعدني ويشجعني.

- نعم لقد قال لي الضابط "شادي" هذا الكلام من قبل، وكاد  
"آدم" يفصل رأسه عن جسده وقتها.. فاحذري أن تردديه  
أمامه.

- حسنًا أتراجع أنا لا أحب الرعب.. فصل رأس من!..، أنا أحب  
رأسي ولا انفصل عن بعض أبدًا.

ضحكا الاثنان مع دخول "ندى" التي قالت بنفاذ صبر:

- أضحكاني معكما.



ردت عليها "همسة" بمرح:

- عندما تكبرين سنخبرك.

ضربت "ندی" بقدميها الأرض بطفولة وهمّت بالانقضاء عليها، ولكن نجد "همسة" من بين يديها دخول "آدم".

- حسنًا خذ زوجتك أيها السيد.. لن أستطيع التفوق عليها، وأنا سأتعامل مع خائنة الصداقة التي على الهاتف، فعقليتها مثل عقليتي سأحاول إجبارها على الاعتراف.

ضحك "آدم" وهو يتأبط ذراع "همسة".

- حسنًا هيا يا زوجتي الحبيبة..، كان الله في عون "ملك".

خرجا فأخذها "آدم" إلى الحديقة ليكونا وحدهما، جلسا تحت ضوء القمر على الحشائش، نظر إلى السماء ثم إليها، يقول بتكاسل:

- هذا المنظر وهذا الجو لا يناسب الذي كنت سأحدث فيه.. ولكن لا مفر.

حولت عينيها إليه قلقة، تسأله وهي تتنهد:

- ماذا أيضا؟.. هل هناك جديد؟

- لا تقلق.. لقد اكتشفت الجاسوسة وأرشدتني إلى الذي كانت تخبأه "أسيل" معها..، ولكن هذه الخبيثة لم تُرد لنا الراحة أبدًا..، لقد وجدت لغز آخر أصعب من سابقه.



أعادت نظرها إلى السماء تحاول طرد شبح "أسيل"، الذي يقوم بدورها عندما كانت على قيد الحياة يطارهم ليفسد عليهم حياتهم ثم قالت:

- لماذا ننساق وراء ألغازها؟.. دعنا منهم ولنعش حياتنا، هناك شعور يراودني أن وراء هذه الألغاز صدمات ومآسي لنا.

أمسك يدها ورفعها إلي شفتيه يقبلها، ثم شرع يدلکها وهو يطمئنها:

- لا تحزني إن الله معنا... وأنا بجانبك سأظل ممسك بيدك حتى الممات لن أفلتها.

ابتسمت له ابتسامة عذبة، تسكنها مكنون مشاعرها، فاعتدل في جلسته وأخرج مظروف آخر من "أسيل"، فضه وقرأ ما فيه بصوت مسموع:

"مادام هذا المظروف قد وصل إلى أيديكم، فلا بد أنكم حللتم اللغز الأول وأني قد غدر بي وأصبحت في عداد الأموات، تهاني لكم... لا أعرف كيف توصلتم إلى حل "البازل"، فهو كان مصمماً بشكل محترف، بحيث لا تعرف ما في الوجه الآخر إلا في وجود إضاءة قوية... من سيراه سيظنه أحجية عادية لن يهتم بمعرفة الوجه الآخر له، ولكن لابد أن الحظ حالفكم.



**اللغز الثاني:**

- لقد هالني التراب.. ليس أنا فقط، بل ومبتغاكم أيضًا والذي أسكنته مع قلوب ليست لبني الإنسان قريبة منكم.. تتنفس لكنها عاجزة عن الحركة، اسمها في بعض الأحيان يخدعنا ولذلك أحببتها، لها ذكرى خاصة مع همستكم".

\*\*\*\*\*

روايات



"كن سخيًا.. لكن لا تسمح لأحد باستغلالك،  
امنح الحب.. لكن لا تسمح لأحد بالإساءة لقلبك،  
انصت للآخرين واحترمهم.. لكن ليس بالضرورة أن  
تصدقهم،  
ثق بمن حولك.. لكن لا تكن ساذجًا،  
خالط الناس.. لكن لا تفقد هويتك،  
أعط من وقتك.. من قلبك.. من أفكارك،  
كن إنسانًا ... كن أنت بقوتك وإيمانك لا تضعف".



سَاعِيشُ رَغَمَ الدَّاءِ والأَعْدَاءِ .. كالتَّيْسِ فوقَ القِمْمَةِ الشَّمَاءِ  
 وَأَسِيرٌ في دُنْيَا المَشَاعِرِ حَالِمًا .. غَرِدًا وتلكَ سَعَادَةُ الشَّعْرَاءِ  
 املًا طريقي بالمخاوفِ والدُّجَى .. وزوابعِ الأشواكِ والحصباءِ  
 وأنشرَ عليه الرُّعبَ واثرَ فوقه.. رُجْمَ الرَّدَى وصواعقَ البأساءِ  
 أمّا إذا خمدتَ حياتي وانقضَى .. عُمْرِي وأخرستَ المنيَّةَ نائي  
 فأنا السَّعيدُ بأنَّني مُتحوِّلٌ .. عن عالمِ الآثامِ والبغضاءِ  
 لأذوبَ في فجرِ الجمالِ السرمديِّ .. وأرتوي من مَنهَلِ الأضواءِ  
 وأقولُ للجَمْعِ الَّذِينَ تجشَّموا .. هَدَمِي وودُّوا لو يخرُّ بناي  
 ورأوا على الأشواكِ ظليَّ هامِدًا .. فتخيَّلوا أَيَّ قضيَّةٍ دَمائي  
 وغدوا يَنْشُبُونَ اللَّهيبَ بكلِّ ما .. وجدوا ليشوُّوا فوقَهُ أشلائي  
 ومضوا يَمُدُّونَ الخُوانَ ليأكلوا .. لحمي ويرتشفوا عليه دِمائي  
 إني أقولُ لهمْ ووجهي مُشرقٌ .. وعلى شفاهي بَسْمَةٌ استهزاءِ  
 إنَّ المعاولَ لا تَهْدُ مناكبي .. والنَّارَ لا تأتي على أعضائي  
 فارموا إلى النَّارِ الحشائشَ والعبوا.. يا مَعشَرَ الأَطْفالِ تحتَ سَمائي  
 وترنِّموا ما شئتُم بِشَتائمي .. وتجاهروا ما شئتُم بعِدائي  
 أمّا أنا فأجيبكم مِنْ فوقكم .. والشَّمْسُ والشَّفَقُ الجميلَ إزائي  
 مَنْ جَاشَ بالوحي المقدَّسِ قلبُه .. لم يحتفلَ بِجِجَارَةِ الفلتاءِ  
**مقتطفات من قصيدة.. لأبو القاسم الشابي**



## الفصل الخامس عشر

### "الأخير"

ساد صمت ثقيل يحفه أشباح ذكريات، قطعه صوت "عايدة" قادمة نحوهما:

- سنغادر أنا و"ندى" الآن..، لقد عاد البنات إلى البيت.. ما خطبكما؟..، لماذا تجلسان مبهورتان ساهمان هكذا؟  
- لا شيء يا أمي.. أنا جاهز هيا بنا.

قال "آدم" كلماته وقام ينفض ملابسه.

- لا ابق أنت.. سيوصلنا السائق، لا تقلق ستتبعنا سيارة الحراسة، فأنت لا تسترح أبدًا يا بني.  
- لست متعبًا أو مجهد يا أمي سأأت..  
- لا نقاش.. ستبقى كما أنت لا تجعلني أقرص أذنيك كما كنت أفعل في صغرك.

قالتها "عايدة" مداعبة فتحنح "آدم"، فيما وضعت "همسة" يدها علي فمها تخبيئ ضحكاتها، نظر إليها متوعدًا ثم علق:

- لقد سعدت بهذا التوبيخ بالطبع بدلا من أن تدافعي عني.  
- من الذي ضحك عليك وأخبرك أن المرأة ممكن تنصف رجل على مثلتها مهما كان الموقف؟!  
على مثلتها مهما كان الموقف؟!



ضحكت "عايدة" فيما دُهل "آدم" بالرد، فضيق ما بين عينيه وقال مبتسمًا بنبرة غامضة:

- حسنًا يا أمي.. لقد كنت على حق عندما صممت على استقلالنا أنا وزوجتي الحبيبة بغيلا وحدثنا..، فإن المكان هنا مهجور وغير مأهول كثيرًا.

قامت "همسة" من جلستها تنظف ثيابها.. تقول لـ "عايدة" محاولة الهروب:

- "آدم" يخشى عليكِ يا أمي.. ولذلك سأأتي أنا معك لأراكن هناك.

تأبطت ذراع "عايدة" المبتسمة مع آخر كلماتها تحثها على السير، فأمسك "آدم" ذراعها وجذبها بجانبه يقول لأمه:

- حسنًا يا أمي ما دمت تصرين.. ولكن فلتصلوا بي فور وصولكما كي أطمئن.

زمت "همسة" شفيتها ومازالت يد "آدم" قابضة على رسغها، ثم قالت بنبرة مقهورة:

- في حفظ الله يا أمي.. اتصلوا بي فور وصولكما.. لتطمأن أنتم علي.. فحوادث القتل زادت هذه الأيام والأكياس السوداء والأسلحة الحادة متوفرة هنا.

نظر إليها "آدم" لائئماً:



- ما هذا؟.. أكياس سواء وسكين؟!..، أنتِ قديمة جدًا هذه طرق بدائية الحوادث تقدمت وتطورت هذه الأيام.  
ابتلعت ريقها مصطنعة الخوف تودع "عايدة" وهي توما برأسها بالموافقة:

- كنت أود المجيء معك يا أمي...، ولكنى لن أستطيع ترك بيتي وزوجي.. هل تريدني معك؟..، فأنا لا أعلم لماذا أوحى لمن يراني دومًا بطرق القتل المميزة؟  
- ما أجمل رؤيتكما بهذه الحالة؟.. اللهم بارك.. ما شاء الله ربي يحفظكما..، لقد تحسنت نفسياتي كثيرًا برؤيتكما أخيرا سعداء، إذا اشتكت "همسة" منك يا "آدم" لن أكتفي بقرص أذنيك فقط.. استودعتكم الله.

غادرت "عايدة" فوضع "آدم" يده على كتف "همسة" يضمها إليه متحدثًا بحنان:

- أتوصيني عليك!.. أنا الذي أقول لك إذا أحزنتك فلتشتكيني إلي.. وقتها سأعاقبني أشد العقاب.

حاولت التملص من يده بخجل حتى نجحت، وغيرت الموضوع لأنها لا تقوى على مقاومته ودومًا ما تقع أسيرة شبابه:

- ربي لا يجلب الحزن ولا الألم...، هيا بنا نبدأ في اللغز الثاني حتى نهتدي إلى ما بعده..، أتمنى أن يكون الأخير لقد تعبت من ألغازها وربى يسلمنا من شرها، لم أر في حياتي موقف كهذا.. نتعود من شر شخص ميت.



\*\*\*\*\*

- ما هذه المرأة؟!.. لقد كانت كتلة شر تمشي على الأرض.  
 - نعم يا "شادي" صدقت... فاللغز الثاني غريب وغامض أكثر  
 من الأول الذي حللناه بتوفيق من المولى عن طريق  
 المصادفة، لو كان عرضه "آدم" على "همسة داخل البيت  
 كانا لن يتوقعا وجوب رؤيته في الشمس أو ضوء قوي أبدًا.

كاد يرد "شادي" لولا رنين جرس هاتف "خالد".

- عليك السلام يا "جاسر".. كيف حالك؟  
 - الحمد لله يا "خالد".. أعذرني لعدم شكري إياك على ما  
 فعلته مع أختي لقد كنت غاضبًا.  
 - لا عليك.. أقدر ذلك، أتمنى.. أتمنى ألا تكون قد أسأت  
 التصرف.. سامحني على التدخل.  
 - لا تقلق أنا اتصلت بك لكي استأذن في المجيء إليك،  
 لأتقدم ببلاغ ضد الشاب الذي تتحفظ عليه، أتمنى ألا تكون  
 قد تركته.  
 - بالطبع لا.. كنت أنتظر مجيئكم... أعلم أنكم لن تتركوا  
 حركم.  
 - أنا قادم وحدي لا أريد أن أعرض "ملك" إلى أي ضيق.. فهل  
 هذا يجوز؟



- قانونًا لا.. ولكني سأتغاضى عن وجودها.. للمرة الثانية سأخالف القانون لعلمي بمدى صعوبة الموقف لها وخاصة أنني كنت حاضرًا وقتها.
- جزاك الله خيرًا أنا اقتربت من مكتبك.. ألسنت بالمكتب؟
- نعم.. انتظرك.

أغلق "خالد" الهاتف فسأله "شادي":

- أليس هذا "جاسر" صديق "آدم"؟.. ماذا كان يريد؟.. وبلاغ بخصوص من؟..، ومن أخته التي تهتم أنت بها وبمشاعرها وأحاسيسها إلى هذه الدرجة؟.. أذكرك بـ"ندى".
- يا الله.. رأسك دائمًا في الجانب الشمال ومع ذلك سأريحك..، ألا تذكر الفتاة التي تشاجرت بالمحل صباح أمس واكتشفنا أنها كانت محاولة تحرش؟
- نعم.. سليطة اللسان التي كانت تحدث رجل في الهاتف تناديه بحبيبي.
- بالعكس فهي مؤدبة جدًا وهذا الذي كانت تحدثه أخيها "جاسر"، لكن الموقف الذي وضعت فيه لا تحسد عليه.
- أشجيني.. لقد نسيت شكلها هل كانت حلوة؟
- إذا استمررت على هذا المنوال سأتركك تأكل نفسك أوجب الاستطلاع يقتلك ولن أخبرك بشيء.
- حسنًا حسنًا لقد صمت.. سأغلق فمي بقفل صدأ لا يفتح بسهولة.



قال "شادي" كلماته وهو يشير إلى إغلاق فمه ويضع يده عليه مازحًا.

- جيد أحبك وأنت مطيع.. لقد اكتشفت أنها أخت "جاسر" عندما قابلتها عند "آدم"،، عندئذ أخبرتها بما فعلناه مع الشاب والمحل.

- حسنًا أنا أرى أن تطلبها من أهلها أفضل.

- أرى أنك تحب قذف إياك بالأشياء من حولي.

رفع "شادي" يديه كأنه سيتلقف شيء، وهو يقول بمرح:

- اقذف اقذف.. أنت تقذف بأشياء مفيدة دومًا.

أنقذ "شادي" طرقات على الباب، فأذن "خالد" بالدخول:

- عليك السلام يا "ملك".. هل أنت بخير؟

- نعم!.. لقد أوصلتني إلى البيت فماذا سيحدث لي وأنا

أدخل الفيلا؟.. تشاجرت مع الأعمدة مثلًا.

- الحق علي.. ما الأمر أيتها الث.. أنا لست وحدي يا "ملك"

يا حبيبتي لا تستفزيني يا جميلتي؟

- من حقي فأنا عندي لك خبر بمليون جنيه أعرف أنك لا

تلتفت إلى المال.. فلنقل أجمل بشرى في الوقت الحالي.

أشار له "خالد" بالجلوس فحياهما برأسه وهو يجلس، ثم رد:

- خيرًا يا جالبة الأخبار السعيدة؟

- لقد حدثتني "همسة" عن ملاحظتها لإعجاب "ندى" بك

وهما يتسامران اليوم.



- حقًا؟.. هل تميل إلي حقًا؟..، ربي يبشرك بالخير يا أجمل زهرة في حياتي كلها.
- الآن أصبحت أجمل زهرة.. حسنًا سأقبلها ولكن لا تدخل البيت إلا بهدية تليق بالخبر فنفسيتي سيئة منذ فترة، متى سنذهب لخطبتها؟.. ضع في اعتبارك أنه إذا تقدم أحد وأنت تقف في مكانك هذه المرة، فلا تلوم إلا نفسك.
- يكفي ما هم فيه يا "ملك".."ف"آدم" لم يسترد أنفاسه حتى هذه اللحظة، كيف سأقدم لخطبة أخته في هذه الظروف.

نظر "شادي" إلى "خالد" الذي تجهم وجهه، وظل يحرك القلم بين إصبعيه دون أن ينبث بينت شفة.

- الأمور تتحسن بفضل الله.. نستطيع أن نؤجلها فترة بسيطة حتى تهدأ "دنيا" وإخوتها ويستقر حالهن، ولكن لن نتأخر كثيرًا لقد سمعت من "همسة" أن هناك من ينوي التقدم إليها بالفعل، وأيضًا ضع في حسابك أننا سنبدل أحزانهم بالفرح.

- حسنًا سنفكر في هذا الأمر عندما أعود إلى البيت.. سأغلق الآن لأنني وصلت عند "خالد".

أنهى "جاسر" المكالمة وهو يعتذر منهما، فتغضن وجه "شادي" ومط شفثيه إلى الأمام وهو ينظر إليه، فيما حافظ "خالد" على ابتسامته، وهو يقول بحياء:

- أتسمح لي بالتدخل في حدود ما سمعت؟



- تفضل.. خلال الفترة الماضية أظننا تقربنا إلى الحد الذي يؤهلنا أن نصبح أصدقاء... فأنا سعدت بمعرفتك كثيرًا، نادرًا ما نجد صديق طيب يصلح لأن يكون صحبة طيبة.

\*\*\*\*\*

- ماذا تكتبين؟  
- أوحشتني الكتابة.. بعد أن انتهيت من أعمال المطبخ كتبت بعض الجمل كخواطر.  
جلس "آدم" بجانبها على طاولة المطبخ، نظر في دفترها وهو يقول بشوق:

- لو كنتِ سمحتِ لي بمساعدتكِ كنتِ جلستِ معكِ وأنتِ تدوني إبداعاتكِ... لقد أدمنت هذه الكتابات.. فهل أستطيع قراءة ما كتبتِ؟

استدار بجذعه ونقل بصره إلى وجهها ومن ثم غاص بعينيها وهو يضيف:

- يومًا ما سنجلس نفس الجلسة ونقرأ كتابًا ورقيًا زين غلافه باسمكِ.

فتحت آخر صفحة بقسم الخواطر، ثم أعطتها إليه بابتسامة ووجنتين حمراوين دون التفوه بشيء، فأعاد يديها قائلاً بمرح:



- أريد أن أسمعها بصوتك ليصلني إحساسك عند كتابتها،  
فيزيدها معنًا وجمالًا مما أقرأها أنا.

ابتعلت ريقها بصعوبة فقربه منه يوترها، ولكنه لم يكتفِ بقربه  
بل كبلها بيده، وأسكن ساعده على كتفها يضمها إليه كأنه  
يختمها بصكه، بدأت أخيرًا بعد أن مرّنت صوتها:

• "لسنا قلاع حصينة، ولكننا صخور متراسة يصعب  
اختراقها..

الأولى لها أسوار يسهل القفز من أعلاها، أما الثانية فلها  
سنون مدببة تجرح من يحاول اعتلاءه".

• "لا تتأخر في أن تكون الضوء الذي يلهم بائسًا  
للمضي قُدّمًا..

لا تتراجع عن التفوه بكلمة، أو بذل مجهود، قد يخلق  
دافعًا تحفيزيًا، يوحد روح الحياة داخل قلب بات آيلًا  
للاحتضار..

لا تتردد في أن تمد يدك لمن قصم الأسى ظهره  
وأخار قواه، فقد تكون طوق النجاة الوحيد الذي سببه  
الله له ليستقيم بك".

• "احترامك للآخرين وتقديرهم، من أسباب كسب  
قلوبهم ومحبتهم.. فلربما تأتيك دعوة من قلب أحدهم  
لا تُرد، كن جميل الخلق تهواك القلوب".

- هل أعجبك؟

- وهل تسأليني؟!...، "همستي" أنت مبدعة في كل  
شيء...، كلماتك أصابت قلبي قبل صوتك حتى، وكأنها



نصائح حكيم وخبير في الحياة وليس فتاة في العشرينات من عمرها... لا أعلم كم الدعوات الذي دعته أُمِّي لأحظى بكِ ولكنني واثق أنكِ عوضِي الجميل من الرحمن.

عندما لم يجد رد وشعر بحرارة جسدها بسبب خجلها، رَأف بها فقام عن مقعده ثم أَردف:

- لا بد أنكِ متعبة.. فيومك كان طويل بخلاف الإرهاق في الفترة الماضية، وما زال أمامنا غداً التفكير في لغز السيدة "أسيل" إن شاء الله..، كما أنني لا أود التأخر عن صلاة الفجر، لقد كنت أنا من أوقفهم عندما كنتِ بيتِ الحاج "محسن" مؤخراً، سنرى من سينول ثواب الجميع ويوقظنا.

قامت عن مقعدها تصفق كالطفلة، متناسية خجلها من كلامه وغزله منذ برهة، فابتسم على طفولتها، متعجباً كيف تتبدل شخصيتها في لحظة، إما طفلة أو امرأة أو حكيمة أو أم أو أديبة دون فاصل أو حتى هدنة.

مد يده لكي تتأبط ذراعه، ثم صعدا بالأعلى حيث استبقت إلى غرفتها قبل حتى أن يودعها.

مكث وقت طويل بالشرفة يحكي للسماء عن كل شيء يؤرقه، ثم توضاً وصلى ركعتين كي يهديه الله إلى ما فيه الخير لهما، بعدهما غفى بمجرد أن وضع رأسه على الوسادة لم يدرك مر من الوقت، حتى سمع صوت هامس ويد تهزه برفق، فتح عينيه ببطء وهو يفركهما، وعندما استقرت الرؤية



رأى وجهها الملائكي المبتسم أمام ناظره، وفجأة قفزت قطرات المياه من يديها لتجد طريقها إلى وجهه، وهي تقول:

- "رَحِمَ اللَّهُ امْرَأَةً قَامَتْ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّتْ، وَأَيَّقَطَتْ زَوْجَهَا فَإِنَّ أَبِي نَضَحَتْ فِي وَجْهِهِ الْمَاءَ"<sup>67</sup>.

قفز عن فراشه يعدو خلفها، وهو يمسح وجهه ويتعسر في الأشياء الملقاة على الأرض، وهو يصرخ متوعدًا:

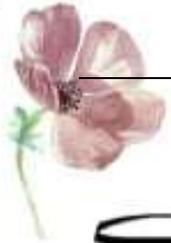
- إذا أبى.. إذا أبى أيتها المستغلة.. لقد انتظرت حتى استيقظت لتغرقني وجهي بالماء.

وصلت إلي غرفة "هند" فطرقت الباب على استعجال ثم دخلت مسرعة وأوصدت الباب خلفها، واتجهت إلى "هند" التي قامت بالفعل تستمع إلى صوت عمها بالخارج و تنظر إلى "همسة" الواقفة أمامها بتعجب لا تفهم شيء.

- لن تغلتي من يدي.. افتح يا "هند"، عاوني عمك حبيبيك.  
- ممنوع دخول الأولاد إلى غرف البنات.. اذهب لتوقظ "هيثم"، لكي نكون قد تشاركنا الثواب.  
- يا الله لقد تزوجت طفلة.. أمرك مُطاع يا زوجتي الحبيبة.. بيننا جولات لن نقف عند جولة واحدة.

سمعت أقدامه تبتعد، فجلست بجانب "هند" تمسد شعرها، تعتذر لها بحنو:

<sup>67</sup> - رواه أبو داود بإسناد صحيح.



- عذرًا حبيبتي لقد أيقظناكِ على أصوات عالية واقتحام لغرفتكِ.. لقد رششت الماء في وجه عمك وهو نائم، فركض خلفي لينتقم.

ضحكت "هند"، وهي تقفز على الفراش قائلة بمرح:

- إذا فهي الحرب.. عمي لن يستسلم وسيردها، فلنتفق على خطة.

صفقت "همسة" يدها بيد "هند" وهي تغمز لها تقول بحماسة:

- حسنًا يا شريكتي.. فلنعد الخطة ولكن أولاً نصلي الفجر ليفتح الله لنا أذهاننا.

احتضنتها "هند" بشدة، وهي تقول بنبرة فرحة:

- أنا سعيدة جدًا بعودتكِ.. ربي يحفظك لنا.

\*\*\*\*\*

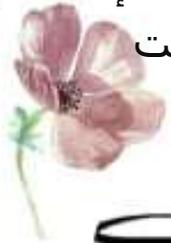
- جيد إذا.. لقد حاول أن يتقصى عن محدثه.. إنه لضرب من الجنون في هذا الوقت..، ولكن يبدو أن غروره بذكائه يعميه فمن كان يحدثه ومن ورائه بالتأكيد نشيطون الآن كان لابد أن ينتظر قليلاً، فأنا واثق أنه لا يراقبهم كي يقبض عليهم، بل ليعرف مع من تعامل فقط.. واصلوا المراقبة بحذر وأبلغوني بكل جديد أولاً بأول.



أغلق "خالد" ليسمع طرقات على باب مكتبه، دخل صاحبها دون الإذن له بالدخول كعادته.

- لماذا أنت مبكر اليوم هكذا..، فهذا ليس من عادتك؟
- أتمازحني؟!.. أنت أيضًا يا سيد "خالد"، لا تأتي إلى المكتب في هذه الساعة ويبدو أنك جئت منذ مدة فكأس قهوتك فارغ!
- استيقظت نشيطًا فخرجت مبكرًا..، أمر تكرر من قبل كثيرًا ليس بجديد.. استمع إلى آخر الأخبار.
- لا أريد أن أستمع إلى شيء قبل أن أفهم..، لقد تركتك أمس لأنك رفضت التحدث ولكن اليوم لا مفر.
- استدار "خالد" بمقعده ليواجه "شادي" بجانبه، فأردف الأخير:
- كيف تنصح "جاسر" بمحاثة "آدم" في أمر خطبة "ندى" أخته لكي لا يسبقه إليها أحد؟..، وليبقى طلبه طي الكتمان في الوقت الراهن حتى تتحسن الأمور، أتنصحه بأن يحجزها؟.. وأنت؟..، لماذا فعلت هذا؟
- شبك "خالد" أصابعه وatakأ عليهم بذقنه يستند بساعده على ذراع المقعد، ثم قال بنبرة رخيمة:

- ألم تسمع بأذنك ترديده لكلام أخته بأن "ندى" تميل إليه؟..، لا أنكر أنني حزنت لسماعي هذا الكلام ولكن.. عندما عدت إلى البيت ظللت أفكر، لماذا لا أتذكر "ندى" إلا في مرات قليلة أو عندما تأتي سيرتها؟..، لماذا تعاطفت



مع "ملك" أخت "جاسر" إلى هذا الحد، حتى أنني ولأول مرة في حياتي أخالف القانون مرتين متتابعتين، وأستخدم سُلطتي لأذية الشاب والمحل اللذان أذوها؟، ولكي أصدقك القول عندما فكرت في موضوع "ندى" بالأمس، حضرت "ملك" إلى ذهني.. لا أفهم السبب، فأنا لم أقابلها إلا مرتين!

استدار "خالد" بمقعده، فوجد "شادي" فاغراً فاهه بتعجب لم يبدِ أية رد فعل كأنه استحال تمثالاً.. فابتسم على مظهره وهو يضيف:

- لو معي مرآة كنت أريتك وجهك الحالي.

نفض "شادي" عن رأسه الذهول، ثم وضع ساق فوق الأخرى وهو يحك ذقنه، يقول بغرور وتفاجر:

- اسمع رأي الحكيم إذا.

افتعل السعال ثم تنحج، وأكمل بنفس النبرة الرخيمة:

- أنت لم يجذبك شكل "ندى" بل أخلاقها وتصرفاتها وعفويتها..، وعندما ظهرت "ملك" التي تقريباً نسخة منها، كان شكلها هو الأمثل بالنسبة إليك، أو من الجائز أن بها شيء آخر يزيد عن "ندى" جذبك إليها، فاحتلت قلبك بينما كانت "ندى" تحظى باحترامك فقط وليس بقلبك.

مط "خالد" شفطيه ثم صفق وهو يهز رأسه:



- أنا سعيد ليس بتحليلك الذي والحق يقال قد أنار لي بعض النقاط.. بل لأنني بقيت على قيد الحياة لأراك تستخدم عقلك.
- أنزل "شادي" قدمه وهو ينظره بغضب كاد أن يأخذ بثأره لولا رنين هاتف "خالد"، فقال بتأفف:  
- دائماً ينقذك مني هذا الهاتف اللعين.
- قهقهه "خالد" وهو يرد على الهاتف، فتوقفت ضحكاته وتبدلت بابتسامة وهو يسمع محدثه:
- لقد توصلنا إلى الشخصية التي تحدثت مع الطعم... وهو معروف بسيره المعوج ولكن ليس له سوابق... وفي طريقنا لمعرفة من خلفه، سأوافيك بالتفاصيل أولاً بأول.
- أغلق "خالد" وعينيه تتقد بالشرر والحماسة والفرحة في آن واحد، يتحدث وهو ينظر إلى الفراغ خلف "شادي":
- يبدو أنك وقعت أخيراً يا "سالم".. لكن سأشكر هذه المرة لأنك أوصلتني إلى آخر خيط في قضيتي.. لأول مرة تساعد.. صحيح بدون قصد ولكنني عادل وسأعتبرها مساعدة.

\*\*\*\*\*



- كيف حالك؟.. لماذا ذهبت مبكرًا إلى العمل؟.. لقد استيقظت وذهبت لأوقظك لكنني لم أجدك في الفراش.
- وجدت نفسي نشيطًا فلم أزد أن أزعجك، آثرت الذهاب لإنهاء بعض المهام، سأحضر على الغداء بإذن الله ولن أعود سنبقى سويًا نحل اللغز.
- هل تناولت فطورك؟

صمت برهة ثم أجاب:

- لقد ألقيت عليك نظرة قبل مغادرتي فشبعنت و..
- لا تداهن أيها المخادع.. الآن تطلب إفطار ودون أي اعتراضات.
- يبدو أن الأوامر التي ألقيتها على موظفي سترد إليّ واحدة واحدة.. حاضر يا أمي.. هل هناك أوامر أخرى؟
- لا.. هناك طلب أخير.. لقد رأيت حُلم الحاجة "سهام" بنفس التفاصيل من جديد، ولكن هذه المرة كانت تجذبني بقوة أكبر إلى بيتها ووجهها يبدو عليه الألم، أريد أن أستأذن منك في الذهاب إلى بيتها لكي أطلب من بناتها البحث في نفس المكان، لعل أجد شيء بالفعل.

تنهد ثم رد عليها:

- حسنًا موافق.. ولكن تذهبين مع السائق وخلفك سيارة الحراسة وعندما تصلين أو تتحركين من هناك تتصلي علي.. لا تتأخري لكي نجلس سويًا قبل الذهاب إلى حفل الحاج "راغب".



أغلقت معه وذهبت لتتصل بالبنات كي تستأذن في المجيء إليهم، أعدت نفسها وانطلقت في طريقها بالفعل، وصلت في وقت وجيز بسبب بكورة الوقت، فذروة الزحام لم تكن بعد.

- أهلا بك يا "هاجر" .. فوجئت باستيقاظك مبكرًا، فهذه ليست عادتكِ.

نزلت "هاجر" عن الدرج ترحب بها:

- لقد أصبحنا جميعًا نستيقظ باكراً.. هذا إذا خلدنا إلى النوم من الأساس.. ففي الغالب لا تغمض أجفاننا طويلاً.

ربت "همسة" على كتفها وهي تقول بصوت حماسي قليلا كي تخرجها من قوقعة الحزن التي سكنتها:

- لقد رأيت والدتك في المنام.. جاءني منذ أسبوع واليوم تجدد الحلم مرة أخرى بنفس تفاصيله.

التفتت إليها بلهفة تسألها:

- ماذا قالت لك؟.. وكيف حالها.. هل طمأنتك عليها؟.. أخبريني يا "همسة" أعلم أنك من الصادقين ولذلك اختارتكِ أنتِ.

- لقد كان حلم سريع كانت ترشدني إلى مكان ما بمكتب الحاج، تعالي معي نفتش عنه لعلها تريد إخبارنا بأمر ما.



اتجها سوياً ففتحت "همسة" الدرج السفلي، ورفعت غطاءه  
كما فعلت في المنام، ليتفاجأن بوجود تلك الفجوة بالفعل،  
والتي لم تعلم "هاجر" عنها شيء حتى هذه اللحظة.  
أخذت "هاجر" المظروف وأعطته إلى "همسة"، فأعادت يدها  
وهي تعترض:

- لا هذا يخص والدتك...، فلتقرأها أنتِ.
- مادامت اختصتكِ أنتِ فلا بد أنها تريد منكِ أنتِ أن تُفضيه..
- ثم أنني سأكون معكِ.

تناولت "همسة" المظروف وفضته، لكنها توقفت مع رنين  
هاتفها الذي أضيئت شاشته باسم "هيثم" ساورها القلق،  
فاستأذنت لترد.

- الحمد لله يا "هيثم".. ما بال صوتك؟.. هل حدث شيء؟
- تردد قليلاً ثم قال بحزن:

- "هند" مريضة جداً ومنذ غادرت وهي تتألم من بطنها  
وأفرغت ما بها تماماً، كما أن حرارتها مرتفعة وجسدها  
يرتعش.
- لماذا لم تتصل بي فوراً.. حسناً أنا قادمة لن أتأخر.
- في انتظارك فهي قلقة جداً لأنها بحثت عن هذه الأعراض  
على الشبكة العنكبوتية، فوجدت أمراض كثيرة خطيرة.
- افتح لها مكبر الصوت يا "هيثم".
- لقد فتحته واقتربت منها.. هي تسمعك الآن.



- "هند" حبيبتي أنا قادمة في الحال.. ولكن اعلم أن الإنترنت ليس بطبيب، صحيح ما يكتب في المواقع الموثوقة تشخيص أطباء ولكن كل مريض له حالته الخاصة.
- أعلم ولكنني أشعر بالآلام شديدة بالفعل.. يكفي هذا الدوار اللعين.
- أعلم أنك تتألمين ولكن ليس شرط أن يكون مرض مما بحث عنه.. إن "الوهم نصف الداء، والاطمئنان نصف الدواء، والصبر أول خطوات الشفاء".
- أنتِ على حق لقد سلّمت رأسي للشيطان.
- أحسنت.. هذه "هند" التي أعلمها جيدًا، إذا استطعت ارتداء ثيابك حتى أصل إليك.. ارتديها لنذهب إلى الطبيب، وهو من سيشخص حالتك بإذن الله لعله يكون تلوث أو نزلة برد خفيفة.. وأنت يا "هيثم" اعطِ الهاتف إلى "رضا".
- أعطت "همسة" تعليماتها للخادمة "رضا" بخصوص "هند"، ثم نظرت إلى "هاجر" بقلة حيلة وقامت عن مكانها تستعد للرحيل، وهي تخبرها:
- عليك أن تقرئيه وحدك إذا.. سأعود لأخذ "هند" إلى الطبيب كما سمعت.
- فليبقى معك إذا.
- لا أرجوك.. خذيه معك.. هكذا أفضل.
- حسنًا يا "همسة" ما دمت تصرين.. أنا أيضا سأخرج معك لشراء بعض المستلزمات من المركز التجاري قبل المرور على أبي.



خرجا سوياً واتصلت "هاجر" على إحدى شركات النقل لتقلها فاستوقفتها "همسة"، تصر على إيصالها في طريقها.

- إذا علم "آدم" أنك قد تحركت دون سيارة الحراسة، وركبت سيارة أجرة في هذه الظروف سيقوم هو بوأدنا حتى يعيش مرتاح البال مطمئن.

ابتسمت "هاجر" وهما يستقلان السيارة.

- لقد خرجت "منال" بالسيارة مع العم "رمضان" وأخذت معها سيارة الحراسة و"دنيا" تبيت مع أبي منذ الأمس..، ولكن صراحة إذا كانت الظروف تسمح وكنا نخرج كما في الماضي، كنت سأختار الخروج دون حراسة.. لا أحب التقييد مطلقاً على عكس "منال" التي أحبت الوضع كثيراً. - لطالما كنت تتعمدين التعامل بطريقة خشنة ظناً منك أن الناس ستحترمك وتقيم لك الحساب، ولكن لا بد أن تختاري متى تتصرفين بغلظة ومتى تكونين على طبيعتك اللينة كأنثى..، إذا تصرفت بطريقتك هذه مع شريك حياتك سينفر منك حتماً، فالرجال لا يحبون استرجال زوجاتهم، يريدون أن يروا منها اللين والرقة لا الند بالنذ والعناد والكبرياء.

ربتت على ساق "همسة" وهي ترد بابتسامة باهتة:

- لقد لاحظت هذا بالفعل.. أحاول أن أتغير.. لكن بالتأكيد سأحتاج إلى وقت وتدريب.



- أنا واثقة أنك ستتغيرين سريعًا لأن بداخلك أثنى مرنة لينة، كنت تدارينها بعصبيتك.. ها قد وصلنا أيتها الأميرة.. هيا بنا لكي لا نتأخر فأفاجئ ببحث آخر لـ "هند" على "الإنترنت" يقنعها أنها علامات الشيخوخة.

ضحكت "هاجر" وهي تنزل من السيارة بسرعة، فيما أشارت "همسة" لرجال الحراسة بأن يبقوا مكانهم.

دخلت "هاجر" إحدى المحلات لتشتري هدية لوالدها، فالיום يوم ميلاده وهي تريد أن تفرحه، فيما توقفت "همسة" أمام واجهة محل بجانبه، لفت نظرها فستان محتشم رائع يليق بـ "هند"، فترددت "هل تشتريه لها لعله يشغلها ويهدأ توترها ويغير مزاجها؟"، فالبنات مهما كبرن أو صغرن يحببن الهدايا فهي تسعدهم أيما إسعاد.

- هل تسمحين بإيصالي إلى الجراج، حيث سيارة أبي وأمي..، لقد ذهبا إلى أحد المحلات ليشتريا بعض الأشياء، وكنت أنا وأخي نلعب فاختبات بالمصعد ولكن أحدهم سحبني إلى الأعلى.. أنا خائف.

ربتت "همسة" على كتف الصبي الذي يبدو أنه لم يتجاوز السابعة بعد لتطمأنه، ثم أجابته وهي تبسم ابتسامة حانية:

- بالطبع أسمح.. دقيقة واحدة.



ذهبت إلى "هاجر" وأخبرتها أن تهاتفها فور انتهائها، ثم أمسكت بيد الصبي وأخذت تحدّثه ليطمئن حتى وصلا إلى الجراج.

- أين هي سيارة والديك؟
- لم يدخلوا الجراج فهي بالخارج.. كنا أنا وأخي نلعب فيه خوفاً من السيارات بالخارج، يبدو أنه عندما لم يجدني عاد إلى السيارة مرة أخرى.

خرجت معه فأشار إلى إحدى السيارات وهو يقول بفرح:

- ها هي حمداً لله أن أبي وأمي لم يأتيا بعد، كانا سيوبخانني.
- إذا تعال نذهب إليها سريعاً لأطمئن عليك، ولا تنزل من السيارة لأي سبب كي لا تكن معرضاً للاختطاف من قبل الأشرار.. اتفقنا.

لم تكمل كلامها لتجد يد تكبلها وأخرى تضع محرمة ورقية على فمها، قاومت ولكن لم تستطع كتم أنفاسها طويلاً، سحبها خاطفوها إلى سيارة بجانب سياج المركز التجاري، وقبل أن تغلق عينيها فاقدة للوعي، رأت امرأة مسنة ترتدي ثياب عاملة النظافة تقف من خلف السياج تشاهدهم وهي فاغرة فاهها وفوهة مسدس مزود بكاتم للصوت تصوب إليها، فأبت عين "همسة" الانغلاق إلا بعد أن سقطت المرأة غارقة في دمائها، تراقصت أمام عينيها مشهد لامرأة أصغر عمراً



تلقي نفس المصير، فأبى عقلها الصمود أكثر من هذا وخارت قواها.

- أبلت بلاء حسنًا أيها الولد حلال عليك هذه الملابس التي ترتديها، لا تظهر في الجوار هذه الفترة وإلا لقيت مصير هذه السيدة.

ارتجف الولد وهو ينظر إلى جثة المرأة الغارقة في دماءها، ثم أوماً برأسه بالموافقة وفر هاربًا يعدو كأن وحوش الدنيا كلها تعدو خلفه، لم يتوقف إلا بعدما ابتعد المسافة الكافية ليسترده أنفاسه، لقد خشي أن يطالب بالمال الذي وعداه به وحمد الله أنهما يظنونه صغير السن، ولم يعلموا بكونه قصير بملامح طفولية ليس أكثر.

\*\*\*\*\*

- ادخل.  
- لن أتركك تذهب إلى عمك إلا بعد أن أعرف مصير الموضوع الذي تحدثنا فيه بالأمس.  
- لا أخفيك سرًا يا "ملك" .. فأمر خطبة "ندى" .. لا أعرف .. كيف أشرح لك.

ربرت ساعديها أمام صدرها، ثم زمت شفيتها وتحدثت بنبرة غاضبة:



- ماذا تريد أن تقول؟.. هل مازال هناك ما لم نتحدث فيه؟،  
هل هناك أمر يستدعي الانتظار أكثر من ذلك، فتضع منك  
مرة أخرى؟.. أنا حقًا لا أفهمك.  
- أرى أنني تسرعت قليلًا في تحديد مشاعري اتجاهها.  
فكت يديها وهي تحدّق فيه وعينيها تتقد الشرر.

- ماذا تقول؟..  
- أنا ذاهب اليوم للقاء ولي أمر فتاة معجب بها منذ فترة.  
دمعت عينيها وارتعشت شفيتها، "كيف يخفي عليها أمر  
كهذا؟!"، "كيف طاوعه قلبه بعد كل هذا الحب الذي أظهره  
سابقًا التخلي عن "ندى؟!".

تركته واتجهت إلى الباب دون أن تتفوه ببنت كلمة دمعاتها  
تسبق قدميها، فأمسك بساعدها وأدارها إليه يمسح لؤلؤاتها  
وهو يقول بحنان:

- ألم أقل لك.. لا أريد أن أرى هذه الدموع مطلقًا.  
حاولت إزاحته والمضي في طريقها ولكنه اعترضها يقول  
بابتسامة مرحة:  
- ألا يستطيع المرء أن يمزح معك أبدًا.. هل المزاح حكرًا  
عليك فقط.

نظرت إليه بعدم فهم ثم مسحت دمعاتها وهي ترشف،  
فذهب إلى المرأة يتأنق بغرور وهو يضيف:



- أنا ذاهب لملاقة "آدم" الآن قبل الذهاب إلى العمل...، لقد اتصلت به وأخبرته أنني أريده في أمر هام.

ركضت نحوه ثم لكزته في كتفه بقوة، تتحدث بغضب وغيظ:

- لماذا لم تخبرني.. وكيف أخذت هذه الخطوة في ليلة وضحاها؟..، وهل أخبرت أمي وأبي...، وهل..

- اصمت قليلا لأجب على سؤال سؤال...، نعم أخبرت أمي وأبي أما عن الاقتناع، لقد أقنعني "خالد".. تحدث بالمنطق فاقنعت و..

لكزته مرة أخرى في كتفه بغضب وقوة أكبر من سابقتها، تسأله مستاءة:

- وبماذا كنت أتحدث أنا؟.. لماذا اقنعت بكلامه دون كلامي؟ ذلك كتفه وهو يجيبها بتألم:

- هل أصبحت تلعبين ألعاب قوة دون أن أعلم.. لقد خلعت لي كتفي.. إذا صبر القاتل على المقتول كان مات وحده، لقد كنت سأكمل وأنت قاطعتنني ككقطار سريع لم يقف في محطاته.. كنت سأقول لقد جاء حديثه مكتملا لكلامك، كان عنده نفس نظريتك فاقنعت.

حركت كتفها بغرور، وهي تعيد شعرها إلى ما خلف أذنها بعُجب، ترد بنبرة عُنْجِيَّة:



- الاستشارة بعد ذلك ستكون بدفع المال مقدماً.. لابد أن أستغل موهبتي وحكمتي وأوظفها بطريقة صحيحة.  
- لا أخفيك سرًا.. فكلام "خالد" كان له تأثير قوي علي نظرًا لترتيبه للكلمات التي أجاد تزيينها.

قال كلماته بلامبالاة ليغيظها وهو يلتفت إلى المرأة مرة أخرى، فضربته على ظهره بيدها الاثنتين كأنها تنفض له ملبسه وهي تتحدث من بين أسنانها:

- حسنًا.. فلتجعل صديقك "خالد" الهمام الذكي الحكيم، صاحب الكلام المنمق أن يعرف لك كل جديد بعد ذلك، سنكتفي به ولن أسئل "ندى" أو "همسة" عن أي شيء.  
التفت إليها يحايلها بتملق:

- أنت الخير والبركة يا فاكهة بيتنا.. سأذهب الآن لكي لا أتأخر على "آدم" وعن عملي أدامك الله لي خير أخت.

خرج "جاسر" بصعوبة بعد أن عطرتة "ملك" بكل العطور، وألقت عليه درزينة من التعليمات والتحذيرات، كأمر تهيئ ابنها للذهاب إلى أول يوم دراسة، حتى استطاع أن يفلت من تحت يديها مودعا أمه مهرولا، ثم استقل سيارته يتجه إلى حلمه الذي انتظره طويلا.

وصل شركة "آدم" الذي استقبله بحفاوة وترحيب شديدين، جلسا يتبادلان أطراف الحديث واطمئن "جاسر" على الوضع، ثم بدأ بإعلان سبب مجيئه:



- لقد أخذت من وقتك كثيرًا يا "آدم".. بالطبع أنت تتساءل عن سبب حضوري.
- أنت تأتي في أي وقت يا "جاسر".. صدقًا أنا سعيد بمعرفتي بك كنت أود التعرف عليك من قبل، فبالرغم من تعارف أختينا منذ سنوات إلا أننا لم نتقابل كثيرًا، ولم نتعرف على بعضنا البعض حق المعرفة.
- أنا من له الشرف بمعرفتك.. أنا جئت كي..
- رن جرس هاتف "آدم" باسم "هاجر"، فقلق "آدم" فهو يعلم أنها مع "همسة"، استأذن "جاسر" للرد جاءه صوت باكي:
- "آدم" لقد اختفت "همسة".. ابحث عنها أنا ورجال الحراسة منذ مدة ولم نجدها.
- قام عن مقعده يسألها بقلق وغضب:
- ماذا؟.. كيف حدث هذا؟.. وأين أنت الآن؟
- أنا في السوق التجاري القريب من بيتنا.
- أخذ مفاتيحه يعدو وخلفه "جاسر" لا يفهم ماذا حدث؟
- أخبريني كيف اختفت.. أنا قادم في الطريق الآن.
- لا أعلم كيف اختفت يا "آدم".. لقد كانت تقف خارج المحل الذي كنت به لم أتأخر عليها، خرجت لاتصل بها كما طلبت مني.. سمعت أول الجرس ثم أغلق الهاتف، ظننت في بادئ الأمر أن بطاريتها فصلت شحن، فذهبت إلى السيارة انتظرها لتأتي توقعت أن تكون شاهدت اتصالي، انتظرت

عشر دقائق ولمّا لم تأتي قلقت، أبلغت الرجال وذهبتنا للبحث عنها.. حاولنا رؤية كاميرات المركز ولكن الأمن رفض وكل ما فعله أنه أذاع في مكبرات الصوت اسمها يطلب منها التوجه إلى مكتب الأمن فقط.

ضرب مقود السيارة وانطلق بها مسرعًا، يتحدث بغضب وعصبية:

- أغبياء.. هؤلاء الرجال أغبياء.. لا أعلم لماذا وظفتهم.. ابق مكانك ولا تتحركي أنا قادم إليك.

أغلق الهاتف وضغط أزراره يتصل بأحدهم، فسأله "جاسر" الذي جاوره بالمقعد الأمامي بقلق:

- خيرًا يا "آدم".. ماذا حدث؟

رد بأسى وهو ينتظر رد من يهاتفه بفارغ الصبر:

- للمرة الثانية.. لقد اختطفت زوجتي.

- ماذا؟.. يا الله.. بإذن الله نجدها سليمة معافاة، من الذي

سيختطفها بعد القبض على كل عناصر الجريمة الأولى؟

- لم يقعوا جميعًا.. كنا نبحث عن آخرين.. بدى من مظاريف

"أسيل" أن لها شريك، لكننا لا نعرف كنهه أرجل هو أم

امرأة.. وما مصلحته في أذية "همسة"؟، لولا ألغاز هذه

الملعونة كنا قد عرفناه منذ مدة ولكن كيف تريحنا وتيسر

علينا!، لا بد أن ترهقنا وتتعبنا مثلما كانت تفعل دائمًا في

حياتها عليها من الله ما تستحق.



رد "خالد" أخيرًا عليه فأخبره بما حدث بعجالة، وانتقلوا جميعًا إلى موقع الجريمة يبحثون عن دليل.

\*\*\*\*\*

فتحت عينيها فإذا بغمامة لا تنتهي تسيطر على نظرها، ظلت تفتحها وتغلقها مرارًا حتى استقرت الرؤية قليلا، نظرت حولها تتساءل أين هي؟.. هذا المكان مألوف لها؟.. قامت عن الفراش التي كانت تجلس عليه.

اتجهت إلى باب الحجرة حاولت فتحه بهدوء دون إصدار صوت، لكنه لم يفتح يبدو أنه أغلق من الخارج بإحكام، فاتجهت إلى النافذة وقلبها ينبض بأعلى أصواته، وجدتها لا تُفتح أيضًا يبدو أن هناك ما وضع خلفها ليمنع فتحها من الداخل.

ظلت تطوف بأرجاء الغرفة تنظر حولها، مع كل خطوة وكل شيء تقع عليه عينيها تشعر بالحنين، لا تعلم لماذا؟! ولكنها واثقة أنها كانت هنا من قبل، بل كانت تنتمي لهذا المكان لم تكن مجرد زيارة عابرة.

فركت عينيها ومسدت جبهتها بتألم، يبدو أن هذا الصداق اللعين الذي يسيطر على رأسها منذ أن فتحت عينيها هو سبب تشتيت تركيزها، حاولت تذكر كيف جاءت إلى هنا وأين الجميع؟



لاح أمام ناظريها آخر ما رأته، لقد كان هناك من يجرها إلى سيارة وهو يكممها، ضيقت عينيها بألم وهي تتذكر السيدة التي لقت حتفها وسقطت غارقة في دماءها، استندت إلى الحائط بجانبها وهي تمسك رأسها.

هناك شبح قد احتل نظرها.. شبح امرأة كانت تقف هنا في هذه الغرفة.. نعم هنا.. وفوهة مسدس كاتم للصوت تصوب إليها.. لقد رأتها من هذه النافذة!.. سقطت على ركبتيها تتأوه وتبكي بنحيب، لقد رأتها غارقة في دماءها لم تستطع إنقاذها، سمعت صوت قفل الباب يخرجها من خيال الذكريات التي كانت تحياه كمنظارة الواقع الافتراضي<sup>68</sup>.

دخل رجل خمسيني يبدو عليه الوقار نظر إليها بابتسامة غل لا تتناسب مع هيئته الخادعة، ثم اقترب منها ببطء واضعاً يده في معطفه بزهو إلى أن وقف أمامها، فتوقف نحيبها دون دمعاتها انحنى عليها واقترب بغمه من أذنها يتحدث بنبرة حاقة:

- انظري إلى المكان.. هل تذكرته؟.. ألا يبدو جميلاً..، لقد جهزته بالنباتات كما تحبين لكي يكون آخر ما رأته عينيك هي الأزهار التي لطالما أحببتها.

قام واتجه إلى الأريكة ليجلس تشييعه نظراتها، ثم أضاف:

<sup>68</sup> - هي نظارات المحاكاة تعتمد علي محاكاة الوسط الواقعي باستخدام الحاسوب وصور ثلاثية الأبعاد، منتشرة بكثرة الآن.

- تعلمين أن قلبي رؤوف دائماً.. لن نطيل الوقت سننتهي من كل شيء اليوم.. بل الآن، لن أرتكب نفس الأخطاء التي ارتكبتها الحمقى الذين كلفتهم باختطافك وقتلك من قبل.

طافت عينيها الدامعة في المكان أنفاسها صارت ثقيلة.. شفاها ترتجف.. حلقها جف، لقد تذكرت كل شيء دفعة واحدة وكأنه كان بالأمس، اكتملت الصورة في عقلها.

أبيها الذي قتل أمامها هي ووالدتها.. دماء أمها التي أغرقت ثوبها بنفس البقعة التي تجلس فيها الآن.. وصيتها التي لم تعثر عليها حتى اللحظة بسبب فقدانها للذاكرة، كل شيء بزغ فجأة وكأنه شلال ذكريات يسقط أمام ناظريها، ثم يخرج على هيئة دموع بعد عرضه على عقلها، لقد تأكدت أن عقلها كان يمنع عنها آلام كثيرة لم تكن تقو على معاشتها جميعاً، لم يكن يعاندها كما كانت تظن.

قطع عليها استرسال قصة حياتها بصوته، فوجهت نظرها إليه مرة أخرى تراه من بين دمعاتها ومن خلف ستار الغمامة الذي فرضه الماضي كشاشة عرض يعرض عليه كل آلامها:

- حقيقة لقد أردت قتلك منذ أول يوم بعد قتل والدتك، وكان هذا هو الخطأ الوحيد الذي ارتكبته وتداركته سريعاً بعد أن بدأت ألمح ذكائك وشكك في، فأمرت بقتلك فوراً.. أنقذك القدر بالحادثة التي تعرضت إليها وفقدت الذاكرة، وكنت أنا خارج البلاد في هذا الوقت بإحدى سفريات زوجتي للتنزه.

حاولت القيام تبت قدميها كل عزيמתها النابعة من كرهها له،  
ثم تقدمت كطفل يتعلم السير في مراته الأولى، توقفت عند  
مكتبها في الماضي تحسسته كأنها تتعجز عليه ليساعدها  
على الوقوف، تستمد قوتها من خالقها الذي تثق في عدله.

وأخيرًا تحدثت بنبرة لو وُزن ما بها من كُره لدخلت به موسوعة  
"جينيس" للأرقام القياسية:

- أهلا بك عمي.. لم نتقابل منذ سنوات.. أو أظننا تقابلنا في  
حفل خطبة "ندى"، وقتها وللأسف خانتني قوتي لأنى لم  
أجد الحنان الكافي لدعمي، هل جئت لتسلب منى هذه  
العائلة أيضًا بعدما سلبتني عائلتي الأصلية؟

قهقهه ضاحكًا وأخرج سيجار من النوع الفاخر أشعله ليرسم  
بدخانه نيران حقهه وغيرته، ثم تحدث بابتسامة صفراء:

- كانت فكرة جيدة.. ليتني انتبّهت إليها من قبل.. كنت قتلت  
عائلتك الجديدة لأحرق قلبك ثم قتلتك بعدهم، لكن  
للأسف فات الأوان.

أخرج سلاحه من غمده يقلبه في يديه، ثم أخرج هاتفه  
واتصل برقم:

- كيف تسير الأمور.. هل انتهى نقل كل شيء؟

- .....

- حسنًا انتهِ سريعًا.. وفور انتهاءك أعلمني في الحال لأنهى  
ما بيدي أنا أيضًا.



أغلق الهاتف وهو يتنهد، ثم أجاب تساؤلات عينيها:

- يبدو أن في عمركِ دقائقٍ أخرى.. إذا فلنتسلى ونمرح قليلا  
قبل رحيلك، سأحزن عليكِ كثيرًا يا ابنة أخي العزيز.

لم تهتز ولكن على عكس توقعها، لقد ازدادت صلابة وقوة،  
فسألته وهي تجلس على المقعد المقابل له بهدوء:

- مادام في عمري بقية، فلتخبرني بسبب قتلك لأبي وأمي.  
- حسنًا.. كنتِ تحبين القصص دومًا وهذه قصة شيقة لن  
أرفض طلبكِ سأعتبره أمنيته الأخرى قبل رحيلكِ عن  
عالمنا.

أسند ظهره على الأريكة، يضع ساقًا فوق الأخرى وبدأ الحكاية  
من أولها..

\*\*\*\*\*

- ابحثوا عن الصبي في كل مكان وانشروا أوصافه في جميع  
الوحدات.

بعد أن ألقى "خالد" أوامره اتجه إلى "آدم" الذي ظل جالسًا  
أمام كاميرات المراقبة يعيد مرارًا ما حدث يكرر آخر لقطة  
لـ"همسة" وهي تغادر الجراج مع الصبي لا يعرف ماذا حدث؟،  
فالكاميرات وُضعت على مداخل الجراج فقط وخلف المركز لا  
يوجد أي مكان آخر ليبحثوا في كاميراته.



- لا تقلق يا "آدم" سنجدها.. هذه المرة أشعر أنا قريبين منها جدًّا، فأنا كنت أقوم ببعض التحريات من جهتي الفترة الماضية ووصلت لنتائج جيدة.

نفض "آدم" يد "خالد" عن كتفه يرد بغضب:

- جريمة قتل تمت مزامنة مع اختطاف زوجتي وفي نفس المكان، يبدو أنها رأتهم وهم يختطفونها فأنهوا حياتها بلا رحمة... ناهيك عن كومة الجرائم القديمة...، لم يهتموا لفشلهم في أول مرة وخسارتهم لأغلب رجالهم، جازفوا باختطافها بعد تسعة أيام من رجوعها وحدث هذه الضجة الكبيرة.. هل تظن أنهم سيقون عليها حتى نصل إليها؟

ابتلع "خالد" ريقه بألم لا يعرف بماذا يرد عليه؟ فمنطقه صحيح، تدخل "جاسر":

- إذا كان لها عمر فستبقى ويحفظها الله دون أن يمسخها أو يضرها شيء...، وإن .. وإن لم يكن فهو قدر الله لا نملك سوى السعي والدعاء واليقين بأن الله سيفعل لنا ما فيه الخير دومًا.. فلنبحث عن ثغرة أو معلومة تقودنا إليها لا تفقد الأمل في الله مطلقًا.. هذا عهدي بك.

سقطت دمعتين فقط وكأنهم تسللوا دون علم أجفانه، ثم قام يربت على كتف "جاسر" ويهز رأسه بتقبله، وقال لـ "خالد":



- سأسير أنا في اتجاه حل ألغاز "أسيل" لعلها تقودنا إلى شيء وأنت في اتجاهك.. بإذن الله نصل إليها، سأذهب إلى البيت لإحضار مظروف أسيل ثم ألحق بك في مكتبك.
- ألا تريدني معك يا "آدم"؟
- شكراً لك يا "جاسر".. أريد أن أبقى وحدي.. ابق مع "خالد" ورتقابل في المكتب.

غادر وعقله يعمل كما كينة قديمة تتخبط تروسها بسبب كثرة الشوائب والأتربة حولها يحاول تذكر اللغز يفكر فيما ذكر فيه. وصل إلى الفيلا فأسرع إلى المظروف، جلس بغرفة المكتب يحاول فك طلاسمه، محدثاً نفسه بصوت عال:

"ماذا تقصد بدفنها مع مبتغانا؟.. بالتأكيد لم تضع شيء معها في التربة.. كيف وهي ميتة؟.. وما القلوب التي ليست لبني الإنسان؟.. ولماذا هي عاجزة عن الحركة؟.. كيف سيكون له ذكرى خاصة مع "همسة"؟

وضع رأسه بين كفيه يستند بمرفقيه على المكتب.

- عمي ما بك؟.. هل أنت مريض أيضاً؟

رفع "آدم" رأسه يحاول الابتسام إلى "هند"، كيف سيخبرهما باختطاف "همسة" مرة أخرى؟

- أنا بخير حبيبتي.. ولكن من هو المريض الآخر؟

- أنا.. لقد كنت أعاني من ألم شديد بمعدتي، أخذت مطهر معوي وشربت بعض المشروبات الدافئة كما أمرت العمة

"همسة" حتى تأتي ونذهب إلى الطبيب.. ولكنى لا أعلم لماذا تأخرت كل هذا الوقت، حاولت الاتصال بها ولكن هاتفها مغلق.

تنفس بعمق قبل أن يقوم عن مقعده يتحدث بوهن:

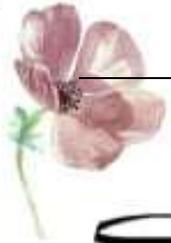
- حسنًا.. سأخذك أنا إلى الطبيب هيا بنا.  
- أنا أشعر بتحسن الآن.. فلننتظر العمه "همسة"، لقد قطفت لها من أزهار "البنفسج" التي تحبها كثيرًا.. أردت أن أفاجئها مع أول تفتح لها.

رفعت يديها بالأزهار لعمها فكادت تخونه دمعة أخرى، لقد تذكر عندما أخبرته بأنها تحب كل الأزهار، ولكن هذه هي المفضلة عندها، امسك إحدى الأزهار وقربها من أنفه يستنشق عبيرها كم يشبهها، لون ورقاته الوردية على شكل قلب<sup>69</sup> كقلبها المزهر دائمًا رغم ما مرت وتمر به.

انتبه "آدم" فاتسعت حدقة عينه، وهو ينظر إلى الزهرة فسألته "هند":

- ماذا حدث يا عمي؟.. هل هناك خطب في الزهرة؟  
خرج مسرعًا إلى مكان زهور البنفسج التي زرعها بنفسه، ثم وقف ينظر حوله يتذكر كلمات "أسيل" التي حفرت في عقله ظل يرددتها ثم قال بحماسة:

<sup>69</sup> - وصفها بأول صفحة بالفصل الخامس.



- هذا ما تقصده إذا.. أيتها الخبيثة.. ماذا استفدتِ من إرهابك لنا.

نزل على ركبتيه يحفر حول زهور البنفسج بيديه و"هند" خلفه تتعجب من فعل عمها لا تفهم شيء.

- عمي ستفسد زهور البنفسج التي تحبها العمه "همسة".. ماذا تريد وأنا أساعدك؟

- أنت ساعدتني بالفعل يا "هند".. لا تقلقِ إذا فسدت سأزرع بدلا منها للعمه هم...

توقف عن الكلام وعينيه تلمع، لقد وجد مبتغاهم أخيراً، يبدو أن "يسرية" هي من دفنته هنا بناء على أوامر "أسيل".

\*\*\*\*\*

وصلت "هاجر" المشفى يرسم الحزن ملامحها، شيعتها نظرات قلقة مترددة في الذهاب خلفها.

- السلام عليكم.. كيف حالكم جميعاً؟

- ما بك؟.. هل ما زلتِ نائمة؟.. تبدو عينك منتفختان كنتِ استرحتِ اليوم بالبيت.

أنهت "دنيا" حديثها وهي تربت على ظهرها بعدما جلست بجانبها على الأريكة المقابلة لفراش "محسن"، الذي لم



يقتنع بإرهاقها، يشعر أن هذه نظرات حزن لا مرض وأن انتفاخ العين بسبب بكائها لا بسبب قلة نومها إطلاقاً.

ظل يحرق بها ثم دعاها للجلوس بجانبه، فاستسلمت لطلبه مدعنة، رفع يده يحاوط به كتفها وهو يستند على الوسائد الموضوعه خلف ظهره ثم سألها:

- ما بكِ يا "هاجر"؟.. تحملين ثقلاً يفوق طاقتكِ يا بنيتي.
- لا شيء.. أنا فقط مجهدة يا أبي.

أجابته دون أن تلتف إليه.

- حسناً عندما ترغبين في التحدث ستجديني منصتاً.. أرجو ألا يكون ضايقك أحد وتخفين عني.
- لا يا أبي اطمئن.. الحمد لله لم يضايقني أحد.
- حسناً حمداً لله.. هل أبلغتم "همسة" بطلبي رؤيتها لأمر هام؟

- كنت أظنها ستأتي معك يا "هاجر".. لقد خرجت في الصباح الباكر قبل أن تأتي.. ظننتك ستخبرينها لتأتي معك.

سالت دمعات "هاجر" في صمت بعد كلمات "منال"، فضمها "محسن" إليه يطمئنها يقول بصوت حاني:

- لا بأس بنيتي.. لا بأس.. اهدأ وأخبريني ماذا حدث؟

أخبرته بما حدث معهما بعد خروجهما من البيت حتى رؤيتها للمرأة التي قتلت خلف الجراج.



شد "محسن" بيده على ذراعها وهو يزم شفتيه، ثم تحدث بقلة حيلة يغلفها الغضب:

- كنت أعلم أن هذا لا بد أن يحدث.. اتصل على "آدم" حالا يا "هاجر".. أنا أعلم من خطف "همسة".. لا أعلم دوافعه ولكنه سينال عقابه هذا الحقير هو ومن معه.

فتحت "هاجر" حقيبتها لتخرج هاتفها، فوجدت الطرف الذي هو لوالدتها تركته مكانه لتقرأه في وقت لاحق، وأخرجت هاتفها لتتصل بـ"آدم".

\*\*\*\*\*

- لا تبرر كرهك لأبي.. إن سببه الحقيقي هو الحقد والغيرة وليس الظلم ونكران الجميل والندالة كما تقنع نفسك.. أنت من ضيع ثروته على زوجته المسرفة المبدرة في سفرياتها الكثيرة وفي الحانات وكل ما يغضب الله.

انتفخت أنفه وتهاتوت بسرعة مرات، يحاول كتمان غضبه من صراحتها، كاد يرد عليها لكنها لم تمهله:

- حقدت عليه لبقاء ابنته على قيد الحياة، فيما توفيت ابنتك أنت في عمر السنتين.. وكانت زوجتك قد أصبحت عاقر بعدما أجرت عملية استئصال الرحم عقب ولادتها.. ما ذنبه هو؟.. لقد كان قدر الله.



عند هذه اللحظة قام من مكانه كالثور الهائج، لطمها لطمة أودع فيها كل حقدته عليها وحزنه الدفين على ابنته، التي طالما بقيت هي النقطة الوحيدة البيضاء بداخل قلبه، ثم أمسك شعرها من فوق حجابها يشده بقوة، وهي تتألم تحاول تخليصه من يديه، فأكمل على هذه الوضعية:

- اسمعي ما تبقى من القصة إذا.. فأنت حمقاء كأبيك وأمك تماماً.. لا تستحقون العيش بهذه الدنيا فأنتم من كان يجب أن تموتون وليس ابنتي.

ابتلع ريقه وأكمل بعصبية شديدة كمرريض نفسي أثاره أشد الناس عداوة إلى قلبه:

- اتصلت على أبيك لأخبره بأن يفتح الباب للشخص القادم، بحجة أنه قادم من طرفي لكي يعطيه الملفات التي طلبها مني وكنت أراوغه في إحضارها.. نعم كنت أعمل عنده بعد أن تبدد نصيبي في الميراث، جعل أخيه الذي من لحمه ودمه يعمل عنده بسبب المال، رافضاً أن يقرضني.

- أنت كاذب.. لقد سمعت أمي وهي تلوم أبي على تهاونه معك، لقد كان يعطيك ببزغ وعندما وجد أنك تستنزف المال على زوجتك ولا تعمل، آثر أن يحفزك للعمل ويجعلك تتحمل المسؤولية..، لم يبخل عليك مطلقاً.

شد شعرها أكثر فصرخت، ولكنها لم تعبأ به أكملت كلامها الذي خرج من فمها، كالبنزين الذي يزيد النار اشتعالاً:



- لقد سمعته عندما عرض عليك العمل، كنت قد دخلت لأضع لكما القهوة.. قال لك نصًا: "فلتعمل معي وتحمل عني جزء من عبئ الشركات وسيكون لك نسبة ربح 30 بالمائة".. وعندما استهجننت طلبه لأنك لم تكن تريد العمل، كنت تريد التجوال مع زوجتك النزقة حول العالم.. أغراك بوصول النسبة إلى 50 بالمائة بعد أن يرى منك الجدية في العمل، لا تروي القصة بالأكاذيب التي صنعتها برأسك لتبرر فعلتك الشنعاء..، فلا أحد معنا سوى الله المطلع، ولكنك لم تخشاه فلما الكذب إذا.

- لك ما طلبت.. لن أزين كلامي.

قذفها بعيدًا وهندم ملابسها ثم استدار إليها مجددًا.

- لا تقاطعيني.. فتح والدك للرجل الذي أرسلته وهو يلومني، لماذا أرسلته في وقت متأخر هكذا؟.. كنت انتظرت إلى الصباح، فبررت فعلي بأني سأسافر صباح الغد لأنهي بعض الأعمال العالقة الخاصة بي بالخارج، فتقبل تبريري وأدخل الرجل إلى المكتب حتى يشرح له بعض الأمور بشأن الملفات، وعندما اطمأننت لدخولهما المكتب طلبت منه أن يفتح مكبر الصوت وأمرت الرجل الذي استأجرته بأن يُنهي مهمته، عندئذ أخبرت أبيك بما كان يجيش في صدري من كره له، فكانت هذه آخر كلمات دخلت أذنيه.



ظلت تنظر إليه ودمعاتها تسقط، لم تُرد أن تبكي أمامه ولكن  
دمعاتها فرت رُغما عنها، لقد اكتفت معها من الألم وفرت  
هاربة، لم تفتح فمها ظلت تنظر إليه وقد كُبل لسانها وأغلق  
حلقها بغصة الغضب، نظر إليها وهو يبتسم بجانب فمه، ثم  
أكمل:

- هل استسلمتِ أخيراً.. فلننهي قصتكِ إذا قبل أن يأتيني  
الاتصال الذي أنتظره.. لا أريد التقصير في أمنيتهِ الأخيرة..  
هكذا يكون العم الحنون.

\*\*\*\*\*

- أين أنت يا "خالد"؟.. اسبقني فوراً إلى شقة "أسيل" التي  
أحضرنا منها اللغز الثاني، بها أدلة تدين المسؤول الرئيسي  
عن كل الجرائم التي تمت.  
- من هو؟.. وكيف علمت بهذا؟..، سأستقل سيارتي وألحق  
بك فوراً.  
- لا أعلم من هو؟.. لقد وجدت مظروف "أسيل" وبه صور  
أظنها لـ "همسة" وهي صغيرة مع والديها معهم رسالة  
كتبت فيها:

"أما عن هذا المظروف.. فسيكون الأخير.. سأوصلكم بمكان  
أدلة تدين رأس الأفعى.. أدلة ليست على جميع جرائم القتل  
والاختطاف التي حيرتكم في هذه القضية فقط، فما خفي كان  
أعظم.. أنا الأذكى ولو كنت ميتة.



لم أكن الرئيس مثلما توقعتم.. من الجائز أنني كنت العقل المدبر لبعض الجرائم، كان يظن صاحب المقام الرفيع أنني أداة في يده النجسة المملوطة بالكثير من الدماء، والذي استولى علي أطلال من الأموال من "همسة" وغيرها، لكني لم أكن طوع بنانه كما يظن، فكما غدر بي وقتلني سأفشي جميع أسراره وأفضح مؤامراته وجرائمه.

ستجدون بشقتي التي وجدتم بها اللغز السابق، الأدلة الدامغة على صدق كلامي.. ستجدون مقعد للمرأة متواجد بغرفة والدتي افتحوا ظهره لقد دفنت في ظهره المبطن والمقعدة من الأسفل جميع المستندات والتسجيلات".

قرأ عليه نص المظروف على عجلة أثناء القيادة..، فعلق "خالد" وهو في طريقه إلي الشقة:

- هذا جزاء من يأمن للنساء.. فهن عندهن وفرة من الذكاء في المعتاد، لو استخدمنها في المكان الصحيح سيصبحون عباقرة.. أنا في الطريق إليك لن أتأخر.

أنهى "آدم" المكاملة ليجد اتصالات "هاجر" قد تجددت، ألقى بالهاتف على المقعد المجاور وهو يقول:

- ليس الآن يا "هاجر" عندما أجدها سأطمئنك.. لا أريد ما يعيد على مسامعي عبارات الحزن والمواساة الآن، دعيني احتفظ بما تبقى من تركيزي وعقلي لكي أصل إليها في أسرع وقت قبل أن يصيبها أذى.



وصل أخيرًا فترك هاتفه بالسيارة وصعد إلى الشقة، حاول كسر الباب ولكنه لم يفلح، أصابه بأضرار جسيمة دون أن يفتح، فوضع يده في جيبه ليخرج الهاتف ويتصل بـ "خالد" ولكنه لم يجده، كاد ينزل إلى السيارة ل يبحث عنه في هذا الوقت خرج له بعض ساكني العمارة يستفهمون ما يحدث وقامت المشاجرة.

\*\*\*\*\*

- لم يرد هذه المرة أيضًا يا أبي.. ماذا سنفعل؟
- أرسلني إليه رسالة لعله يرفض المكالمات الغير هامة.
- أظن يا أبي حان وقت إخباري لـ "ندى" والخالة "عايدة" لعلهن يستطيعان الوصول إليه.
- حسنًا يا "دنيا".. لم أرد إزعاجهن ظنًا مني معالجة الأمور بسرعة ولكن لا مفر.
- لقد قمت بإرسال الرسالة يا أبي وكتبت له الاسم.. أتمنى أن يقرأها.

اتصلت "دنيا" بـ "ندى" التي غادرت منزل "محسن" صباح اليوم هي ووالدتها لإنهاء بعض المهام في بيتهما.

أخبرتها "دنيا" فتلقت صمت تام من "ندى"، لم تسمع صوت بكاء حتى ولم تجد أي إجابة.



- "ندى" ماذا حدث أجيبيني.. أرجوك نريد الوصول لـ"آدم"،  
فأبي يعلم من اختطف "همسة".

في هذه اللحظة ردت "ندى" بصوت مبحوح كان يأبى الخروج:

- أخبريني باسم هذا المجرم.. وأنا سأحاول الوصول إلى  
"آدم".

- جيد.. الشخص الذي لا بد أنه اختطفها ويود أذيتها طوال  
الفترات الماضية.. هو عمها "راغب الغرباوي".  
- ماذا؟..

- هذا ما عرفه أبي من "هنا" التي كانت تربي "همسة"  
قبل موتها.

- "راغب" هذا شريك لـ"آدم".. أنا لم أقابله من قبل ولكنه  
كان يردد اسمه ويشيد به.. ولكن كيف؟..، "همسة"  
اسمها "همسة شهاب الدين سيد جلال"؟

رد "محسن" هذه المرة وهو يسمع "ندى" عبر مكبر الصوت:

- هذا اسم عائلته.. ولكن اسمه بالتفصيل هو "راغب سيد  
جلال الغرباوي".

- حسنًا شكرًا لكم.. وحمدًا لله على سلامتك يا حاج  
"محسن".. سأتصل بـ"آدم" على الفور وأخبره.

- بماذا ستخبرين "آدم" يا "ندى"؟.. ولما هذه الدموع؟

أغلقت "ندى" الهاتف وهي تنظر إلى والدتها التي تقف في  
مدخل حجرة الضيوف، كيف ستخبرها بالخبر؟.. لقد تحسنت



حالتها أخيراً بعد رؤيتها لصلاح حال "آدم" و"همسة"، وأخبرتها أمس أنها إذا ماتت الآن ستكون مطمئنة على "همسة" مع "آدم"، لن تتحمل خبر آخر فحالتها الصحية غير مستقرة، ارتبكت وهي ترد عليها بابتسامة حاولت جاهدة أن تظهرها صادقة:

- لا شيء يا أمي.. كانت "دنيا" تطمئن على وصولنا وتبلغنا شكر الحاج "محسن" على رعايتنا لهن...، أما عن عيني فقد دخلت فيها حشرة ليس أكثر.
- وماذا بعد؟.. لم أربك على الكذب يا "ندى".. كما أنك لن تنجحي في الكذب على أمك.. أخبريني بما حدث بدلا من الاتصال بـ"دنيا" ومعرفة الخبر منها بنفسي.
- طأطأت رأسها وهي تسمح لدموعها بالانهمار مرة أخرى، وهي تخبرها:
- لقد اختطفت "همسة" مرة أخرى.. أخبرني الحاج "محسن" أن عمها هو من دبر لها كل هذا، وهو لا يستطيع الوصول إلى "آدم" ليخبره.
- ارتمت "عايدة" على أقرب مقعد تمسك صدرها، فركضت إليها "ندى" وهي تصرخ بها:
- ماذا حدث يا أمي؟.. ما بك؟.. أجيبيني.



اتصلت "ندى" بـ"آدم" ولكنه لم يرد، فاتصلت برقم الإسعاف تستنجد بهم للوصول سريعًا، ثم أغلقت واتصلت بـ"دنيا" مرة أخرى، تصرخ في الهاتف وتلهث من شدة القلق والخوف:

- "دنيا" أرجوكِ ساعديني.. أريد طبيب على وجه السرعة أو سيارة إسعاف، فأمي أمسكت صدرها ثم أغمضت عينيها ولا ترد علي.
- يا الله.. سأحاول البحث عن أقرب طبيب في الحال، لا تقلقِ ستكون بخير يا "ندى" نحن قادمون في الحال.

\*\*\*\*\*

نفض غبار وهمي عن معطفه، ثم تحدث بصوت رخيم وهو ينظر إلى الأمام كأنه يعايش ما حدث في الماضي من جديد:

- لا أعلم كيف علمت والدتكِ بالأمر.. يبدو أنها كانت مستيقظة أثناء اتصالي وعلمت أن الاتصال مني لأن الرجل الذي استأجرته أكد لي.. لم يرَ أحد مطلقًا، لا أثناء الدخول أو الخروج وأظنها استنبطت ما حدث بعد ذلك لأنها لم تكتشف الجريمة إلا بعد نصف ساعة من حدوثها كان أبيك قد ودع الحياة.

نظر إليها ليرى وقع كلماته عليها، كم يكرهها.. لماذا تعيش هي وتموت ابنته؟.. والأدهى من ذلك ألا تحبه منذ ولادتها، عاد لشروده وهو يروي تفاصيل جرائمه:



- نزلت والدتكِ لتطمأن عليه وتعرف سبب تأخره فوجدته غارقاً في دمه..، صرخت دون وعي منها فحضرا الخادمتين اللتان كانتا تعملان عندكم، ليتفاجئا بالمشهد.. اتصلت إحداهن بي، فخطفت والدتكِ السماعة منها تتحدث بصوت هيسستيري وتتوعدني.. أخبرتني أنها تعلم أنني من قتلته وتعلم بمكالمتي الأخيرة له.. فهي لم تعلم بمضمونها بالطبع ولكن والدتكِ كانت خبيثة ولم تفسر أي شيء..

- فهددتها هي أيضاً..

صفق لها وابتسامته تتسع ثم أجابها:

- أصبحتِ تشبهين أمكِ كثيراً بعد أن كبرتِ، هذا ما حدث بالفعل.. لقد هددتها بكِ ولكن نظراً لغضبها الشديد أخبرتني أنها لا تخشاني ولا تهتم بتهديدي وستفضحني لأنال عقابي على جريمتي.

- فقتلتها هي أيضاً بدم بارد لتجعلني أعاني اليُتم.. لا بل أردت قتلي أنا أيضاً لتمحي ما تبقي من رائحة أخيك شقيقك.

- لم أنو قتلها في البداية.. فأنا لم أكن أعتاد الإجرام وقتها، كل ما كنت أنوي فعله هو أخذ شركات "شهاب" لكي أدبر أمري وأسدد ديونني.

- لم تكن كما هو الآن بالطبع.. أردت معاقبته على حقدك وكرهك له.. ولكن ما يدهشني هو كيف أصبحت رجل أعمال خيّر وملتزم ولم يتعرف الناس على ماضيك بالحانات والملاهي الليلية؟



- الناس تنسى سريعًا مادام الأمر لا يخصهم وما دمت تغدقين عليهم بالمنافع... لا تستبقي الأحداث ألا تريد معرفة طريقة قتل والدتك؟.. لقد قتلتها بيدي.. لم أستأجر أحد هذه المرة.. عندما سافرت بكِ إلى هذا البيت بـ"مرسى مطروح" لتفرج عنكِ حزنكِ على أبيكِ لعلمها كم تحبين مظاهر الطبيعة، ذهبت خلفكم.. لقد قويت شوكة والدتكِ ورفضت وصايتي على الشركات، كنت أعلم أنها تفكر بطريقة تأمينك بها لكي تبلغ عني الشرطة بعد ذلك، فأنا أعلم كيف تفكر جيدًا، لا تتنازل عن حقها أبدًا ولا تخاف أو تخشى شيء.. كانت تساند أبيكِ دائمًا في كل شيء وتمده بالقوة.

- ولهذا حقدت عليها.. لأنك لم تجد هذا في زوجتك التي رفضت نصيحة أبي بالانفصال عنها وتشاجرت معه وقتها..، أتعجب هل في قلبك مكان للحب لتحبها بهذا القدر؟

قهقهه ضاحكًا ثم أكمل ليؤلّمها كما تؤلمه:

- لا تفسدي أجمل مشاهد القصة.. جلست في سيارتي قريبًا منكما، حتى رأيتكِ من خلف السياج تتجهين إلى البحر انتهزت الفرصة وذهبت إليها، حاصرتها بغرفتك.. وقتلتها.

اشتد دوارها وآلام رأسها، يبدو أن جسدها يمتص سائر المياه التي بجسدها ليخرجها على هيئة دموع، فتحدثت من وسط دمعاتها:



- لقد رأيت من هذه النافذة فوهة المسدس.. ولكن كنت تقف بجانب الحائط فلم أرك.. ركضت بكل عزمي لأجد أمي غارقة في دماؤها ترفع يدها إلي بأن أهرب.
- وقتها كنت ما زلت بالبيت سمعت صرختك من الخارج، فضغطت على الزناد وخرجت مسرعًا إلى الغرفة المجاورة اختبأت خلف الباب حتى دخلتي أنت.. نظرت من خلفك وتبادلت معها النظرات لأطمئن من إصابة هدفي جيدًا، وكدت أقتلك أنت أيضًا.. فشاهدتها وهي تشير إليك، عندئذ هربت.. كنت أعلم أنها لن تعترف لك أني الجاني.. خوفًا عليك، وكنت قد سرقت قبل مداهمتها من غرفتها صندوق ذهبها لكي أوهم الشرطة بأنها حادثة سرقة.
- سأكمل لك أنا باقي القصة أخذتني تطيب خاطري طوال فترة العزاء.. ثم أخبرتني بأن والدي قد تداين في آخر أيامه للكثير من التجار وأنت ستسافر إلى الخارج لكي تبيع بعض أملاكك بالخارج وتعود لتسد هذه الديون.. صدقتك وقتها وأنا التي كنت أمر بأكبر صدمات حياتي..، راح مني أبي وأمي.. بل وكانت اللحظات الأخيرة لأمي بين يدي فماذا ستفعل فتاة في السابعة عشر من عمرها، تعودت على وجود والديها كوجود الماء والهواء.
- لقد كنت مدلة أبيك وأمك.. كانا يغدقان عليك بالحنو فأفسداك.

ضحكت "همسة" بجانب فمها وهي ترد باستهزاء:



- ماذا؟.. هل أنا من فسدت؟.. من تربيت بين أكناف معلمات العلوم الشرعية؟!.. وكيف هو حالك أنت إذا؟.. لا تعليق.. تركتني مع "متولي" و"هنا"، واعدًا إياي باستردادتي بعد العودة من السفر.. في البداية كانا يعاملانني جيدًا.
- لقد كنت أرسل لهم مبلغ مالي نظير رعايتهما لك.

مطت شفتيها بسخرية وهي ترد:

- حقًا؟!.. لقد تفاجأت.. جزاك الله على قدر أفعالك، ثم اكتشفت دنو أخلاقهم، وظهروا على حقيقتهم لم يستطيعوا الصمود في زي الحنو والأخلاق فترة طويلة.. انتظرتك بفارغ الصبر كي تأخذني عندك..، ولكن في أحد الأيام سمعت مكالمة بينك وبين "متولي"، قلبت كل شيء في حياتي.. استمعت دون قصد مني عندما ردد "متولي" جزء من كلامك، وقد أخبرته أنك تريد الخلاص مني فور عودتك إما بتزويجي رجل من رجالك أو شخص تافه.. لكي لا يكشف سرقتك لي بالطبع، أو بقتلي كما حدث مع والدي.. لم أشعر بنفسي إلا وأنا أهرب إلى الشارع، لا أرى أمامي من كثرة الدموع، عندما اكتشف "متولي" هروبي توقع سماعي لمحدثكما لأنه اكتشف باب غرفته مواربًا.

- لم يخبرني بهذا حتى وفاته لقد أخبرني أنك صارحته بعلمك بكل شيء قبل هروبك.. خاف من رد فعلي بالتأكيد.
- وقتها اتصل عليك كثيرًا ولكنك لم ترد، فبحث عني مع بعض أصدقاءه حتى وجدني بمشفى قريب من البيت وقد



صدمتني سيارة، لم تتصل به إلا في اليوم الثاني عندما علم بفقداني للذاكرة.

جلس على المقعد التي كانت تجلس عليه من قبل وهو يقول ضاحكًا مستمتعًا:

- أعجبتني اشتراكنا في سرد الأحداث.. لقد استنتجت ما حدث بالفعل.. عندها أخبرني فارتكبت خطأي الوحيد وتركتك تنعمين بالحياة.
- لقد كان تدبير الله.. قدما شهادات ميلادي وأوراق ليشتا أنهما الوصيان علي بعد وفاة والدي مع شهادتك من الخارج وشهادة بعض أصدقاءهما، عندئذ خرجت معهم على بيت جديد.. أفتعاني بعدها بالقصة التي ظلت معي حتى عودة ذاكراتي.. أحسنت أيها العم.
- لطالما تميزتُ بالذكاء عن أبيك، ولكن كان حظي قليل عاسر.. قومي وأحضري إلي مشروب من هذا البراد، لقد وضعت به بعض المشروبات تحسبًا لأي ظرف.. لقد جف ريقى.. أظنك اعتادتِ على الخدمة وعمل الخدم..، حلو فكرة الرفين التي صنعتيهما بغرفتك بجانب النافذة لوضع الكؤوس.

قامت من مكانها تتحسس أحد النباتات التي زُين بها المكان بحنين وهي في طريقها إلى البراد، فعلق مستمتعًا وهو يرجع برأسه إلى الخلف ضاحكًا:



- هل ستشتاقين إليه؟.. أنت حقًا تافهة.. لم أجد من يهوى النباتات بقدر حبك لها، ادعي الله أن يدخلك الجنة في هذه الدقائق المعدودة من عمرك وستجدين منها هناك بوفرة.

لم ترد عليه ظلت ترميه بنظرات كره، ثم اتجهت إلى البراد باستسلام، سكبت له أحد العصائر وقدمتها إليه كمن زهد الحياة، كاد يعلق ويؤلمها بالكلمات مرة أخرى فقطعه رنين هاتفه، أخرجه ورد عليه وهو يرتشف من مشروبه متلذذًا:

- ماذا؟.. ماذا تقول؟.. حسنًا أنهي التحويلات التي في يدك فقط ونفذ الخطة بآء.. سأنتهي منها بيدي هذه المرة، أخاف أن أتركها لأحد فتنجو كالمعتاد فهي بسبع أرواح، لا أعلم كيف توصلوا إليّ ولكن على كلٍ نحن بأمان مؤقتًا، فلا أحد يعلم بهذا المكان أسرع قبل أن أوضع في قائمة الممنوعين من السفر.

أغلق الهاتف وهو يرتشف رشفة أخرى من كأسه، ثم قال:

- لقد داهمت الشرطة جميع أملاكي للبحث عني... لكنهم لا يعلمون بهذا المكان لأنه ملك لـ"شهاب"...، لم أبيعته اعتقادًا مني أنني قد احتاجه في يوم من الأيام وقد صدق حدسي، دقائق وينتهي نقل ما تبقى من أموالي في حسابي بـ"سويسرا".. سأقتلك ثم أسافر من مطار "مرسى مطروح" هنا إلى "إسبانيا"، ومن هناك أنتقل إلى



البلاد التي لا تشترك في "الإنتربول" <sup>70</sup> ، لطالما وجدت راحتي أنا وزوجتي بالخارج.

ارتشف رشفة أخرى، ثم أضاف:

- كنت أنوي الاتصال بـ"آدم" بعد قتلك، وإخباره بإلغاء الحفل بسبب مرض زوجتي وسفرنا للعلاج بالخارج، تحسباً إن أردت الرجوع بعد ذلك، لكنهم استبقوني واكتشفوا أمرى.
- ممتنة لك لأنك جعلت النباتات هي آخر ما ترى عيني، ولكن مادام أمامك بعض الوقت أخبرني كيف تمّت باقي الجرائم بدءاً من "متولى" و"هناء"، وصولاً بـ"أسيل" و"داغر".

قال لها مبتسماً:

- لك هذا.. لن أحرملك من شيء في آخر دقائق لك...، "هناء" و"متولى" خدعاني كانا يتسلمان منى كل شهر المبلغ المالي حتى رأيتك في حلقة بغيلا "محسن البشبيشي"، عندئذ نظرتك بغضب، كنتِ تلبسين ثياب غالية فسألت وعلمت بزواجك من "آدم الشامي"، اتصلت بهما فاعترف "متولى" بفعلته وبعد أن سامحتهما على فعلتهما، ارتكبا خطأ وراء خطأ من ضمنهم تعاونهم مع "سهام"، فكان لابد من وأد ثرتهم.
- سبب مقنع.. و"يسرية"؟

<sup>70</sup> - اتفاقية تضم عدد كبير من الدول لتسليم المجرمين والفاستين وتبادل المعلومات الخاصة بهم، وهي تعد أكبر منظومة للشرطة في العالم.



- هذه كانت بتدبير "أسيل" .. شريكتي العزيزة المتعجرفة، اكتشفت أن الشرطة علمت بمكانها فأرسلت إليها من يقتلها.
  - لقد نسيت تمامًا سؤالك.. كيف اجتمعتما سوياً لتشكلا هذا الثنائي الشيطاني؟.. لديك الكثير من القصص الماتعة. ضحك بنشوة ثم أجاب بزهو:
  - هذه بالذات إجابتها ستذهلك.. كنت أنا عشيقها الذي كان معها يوم الحادث، لكنني استطعت الهرب قبل أن يراني "حاتم" من درج المطبخ، وعندما عادت من الموت لم أرد مساعدتها لكنها وعدتني إن ساعدتها ستحضرني إليّ على طبق من فضة..، لقد كرهتك هي أيضاً بعد انتزاعك لمكانها.
  - لقد صدقت.. إنها مفاجأة اليوم بالفعل.. ولكن كيف علمت عني كل هذه المعلومات؟
  - كانت عشيقتي من قبل أن أقتل والديك.. كنت أقوم بأغلب أعماله من شقتنا هذه، فكانت تعلم عنك وعن أبيك كل شيء.. فما إن أعود من عندكم محملاً بالضغائن والحقد عليكم أفرغها في آذانها.. هل تظنين أن "أسيل" قد انتحرت في سجنها بالفعل؟
  - وهل مازالت على قيد الحياة؟
- سألت "همسة" بدهشة وقد اتسعت حدقتا عينيها.

\*\*\*\*\*



- كيف لم تجدونه؟.. أين ذهب؟
- لا أعلم يا "آدم".. لقد داهمت الشرطة منازلهم بكل محافظة حتى شركاته، ولكنه اختفى.. سنواصل بحثنا ونعثر عليه بإذن الله.
- أملنا في ربنا كبير يا "خالد".
- لكن "أسيل" هذه كانت داهية بالفعل.. لقد حصلت على مستندات وسجلت له ما يكفي لأن يُعدم مئات المرات، فظلمه لـ"همسة" وقتله لوالديها نقطة في بحر.
- فعلا يا "شادي".. لقد صدمت من كم المخالفات والجرائم، أتمنى أن نجد في خزائنه ما يدين من ساعده من رجال الدولة، فبال تأكيد لن يفعل كل هذا دون مساعدات.
- أنت تعلم واحد منهم بالفعل يا "خالد".
- علق "شادي" وهو يغمز بعينه.
- رن هاتف "آدم" باسم أخته، فتردد في الرد لا يريد أن يخبرها هي وأمه الآن.
- أهلا يا "ندى".. كيف حال..
- توقف عن الحديث وقد انقبض قلبه من صوت نحيبها:
- ماذا حدث يا "ندى"؟
- أمي بالمشفى الآن يا "آدم".. سقطت فور سماعها خبر اختطاف "همسة" مرة أخرى، لقد كانت القشة التي



قصمت ظهرها، فصحتها لم تكن على ما يرام منذ فترة،  
لكني لم أرد أن أقلق.. قلت أنها ستتجاوز هذه الأزمة  
باستقرار حياتنا من جديد.  
- كيف تخفين عني أمر كهذا؟.. في أي مشفى أنتما، يا الله  
القوة من عندك يا رب.

أخبرته فأغلق وهو يتجه إلى الباب، يخبرهم على عجلة:  
- أنا ذاهب إلى المشفى.. أُمي حالتها خطيرة.

لم يرد عليه أحد من صدمتهم وقد رأفوا بحاله، تتوالى  
الصدمات لا ينهض من واحدة حتى يقع في أخرى، هرول  
"جاسر" خلفه ليذهب معه لم يعترض لقد كان كالمُخَدَّر،  
يبتهل لسانه بأدعية الكرب فقط.

وأثناء سيرهم بالطريق اتصل "جاسر" بـ"ملك" كي تحضر  
لمؤازرة "ندي"، سيحاول تجنب وجودها قدر الإمكان، لا يحب  
أن يراها بهذه الحالة.

\*\*\*\*\*

- سلطُ عليها من افتعلوا معها المشاكل بالسجن وجبروت  
"أسيل" لا يستهان به بالطبع..، فقامت بالتعدي على  
الفتاة منذ أول يوم لها بالعنبر فعُوقبت بالنقل إلى زنزانه  
انفرادي.. وبالاتفاق مع إحدى السجانات تم حقنها بسم  
"الأفعى" الذي شل جهازها العصبي وسبب شلل في



الأطراف والجهاز التنفسي وعضلات القلب، فضلا عن مواد تخثر الدم التي به والتي تتسبب في موت الأنسجة، فظلت تتألم وهي لا تستطيع التأوه أو الحركة.. تألمت بعينها فقط... أليست هذه طريقة مبدعة مبتكرة.

- يا الله.. رأسكم أشد سُمًا من الثعابين والحيات.. لماذا تلجئون إلى العنف والتفنن في الجرائم؟.. حتى في القتل تفضلون الأقل رحمة!.. إلى هذا الحد أصبحتم ساديين تهوون الدماء والابتكار في الجرائم!

- هذه متعة إذا جربتها مرة ستحبين تجربتها كثيرًا.. لم تسأليني عن كيفية عدم اكتشاف الشرطة لطريقة الموت.. لقد تركتها يوم آخر وتم مسح آثار السم واللعب الذي سال من فمها ثم ربطنا رقبتها بحبل في نافذة السجن الحديدية لنوهمهم بانتحارها شنقًا، وبرشوة كبيرة نسبيًا تأخر الطب الشرعي في تشريح الجثمان مؤقتًا..، فبالرغم من أن لا دليل ضدي إطلاقًا ولكن الحرص واجب.. - حقًا.. لم أرَ بجبروتك في حياتي حتى الآن.. لقد نافست الشيطان بسموم رأسك، لماذا هربتم "داغر" دون "أسيل"؟

قهقهه ضاحكًا ثم أجابها من بين ضحكاته:

- معلوماتك كلها خاطئة عزيزتي.. لقد قتله رفاقه بـ"الغرف الحمراء"، ما كنت أنا إلا وسيط ساعدتهم في تهريبه خوفًا من أن يُفشي سرهم وسري.. لكن الحق يقال فطرقهم أكثر إبداعًا من طريقي.. لم أشاهد بالطبع طريقة موته ولم

أهاتفهم بعدها، لا أريد التورط معهم لأي سبب ولكن هذا كان الاتفاق.

سمع جرس رسالة فأخرج هاتفه وقرأها بسعادة، شرب ما تبقى في كأسه دفعة واحدة، ثم قام عن مقعده يخرج سلاحه من غمده يقول بعين شيطان:

- والآن.. ابنتي العزيزة.. قد حان دورك.

تذكرت حلمها.. لا بد أن هذا الخيال الذي حلمت به في أول يوم زواجها كان هو بل وكان نفس الصوت، ثبتت عينيها في عينه ثم قالت بثبات:

- لن تلحق بموعد طائرتك.. ولن تستطيع قتلي.. لن تغادر هذه الغرفة على قدميك.. ثق في كلامي.

تردد صدى ضحكاته في الغرفة حتى دمعت عيناه، ثم اقترب منها وصب سلاحه إلى رأسها يعلق بشغف:

- كم أنت متفائلة حد السذاجة.. لا أنت بالفعل بلهاء.

شد أجزاء السلاح استعدادًا للتصويب، فأغمضت عينيها تستعد لآخر لحظاتها، وبدلاً من سماع صوت الرصاصة تخترق رأسها سمعت اصطدام شيء ما بالأرض.

فتحت عينيها ببطء لترى عمها قد سقط أرضاً يُفرغ ما في معدته وقد اصفر وجهه واحمرت عينيهِ وتشنجت عضلاته،



فقامت من مكانها واتجهت إليه تطلبه كي تصل إلى الهاتف وهي تقول له:

- ألم أقل لك.. لقد جلبت أداة قتلك بنفسك، صحيح أنني لا أتحمل رؤية تألم أي شخص أمامي، لكن أنت تختلف عن الآخرين.. ما زلت أرى في يديك دماء أمي وأبي.. لكنني لا أجد المتعة التي تحدثت عنها إطلاقاً.

لم يستطع منعها من سلبه هاتفه، قامت بالاتصال برقم "آدم" تتمنى أن يرد سريعاً هذه المرة، فبالتأكيد لن يستخدم عمها نفس الرقم الذي يسجله "آدم" لابد أنه تخلص منه.

رن الجرس في أذنيها دون رد، ظلت تبتهل بالدعاء لكي يرد قبل أن يشعر من بالخارج بما يحدث بالداخل.

- حمداً لله أنك رددت.

- "همسة"؟!.. "همسة" أين أنتِ.

جاء صوته محملاً بكل لهفته وقلقه وخوفه عليها.

- لا وقت أمامنا يا "آدم".. أنا في أحد بيوت أبي رحمه الله في "مرسى مطروح"، سيأتي رجال عمي في أية لحظة، أخبر رجال الشرطة بأسرع وقت.

حفظ العنوان عن ظهر قلب، ثم استمع إلى شرحها لخريطة البيت، وأخبرته في أي الغرف هي منوهة عن وجود حرس أمام الغرفة.



- حسنًا ابقِ معي على الهاتف حتى اطمئن عليك.. لا تغلقه مهما حدث.

التفت إلى "جاسر" الذي انتبه بعدما سمع اسم "همسة".

- أطلب "خالد" بسرعة وأعطني إياه.

سمعت حديث "آدم" مع "خالد"، فاطمأنت قليلا تراب عمها وهو يتألم ويتلوى ويزداد وجهه شحوبًا، تعلم أنه لن يستطيع التحدث.

- عينك تسأل كيف فعلت هذا؟.. أليس كذلك؟، كما قلت لك أنت من جلبت أداة قتلك بيدك..، هذا النبات الذي توقفت عنده واتهمتن وقتها بالتفاهة، هو نبات "أذن الفيل"<sup>71</sup> إحدى نباتات الظل السامة تفرز أوراقها وسيقانها عصارة سامة تسبب حرقانًا شديدًا في الفم والحلق وزيادة في إفراز اللعاب وصعوبة في البلع و الكلام وشلل في العضلات، كما أنها قد تتسبب في فقدان النطق لمدة أيام أو أسابيع للضحية وأحيانًا يُسبب التسمم بها الاختناق حتى الموت<sup>72</sup>.

مرت الدقائق على "همسة" كالساعات وهي تنتظر النجدة، كان يتخللها محاولات "آدم" لطمأنتها.

\*\*\*\*\*

<sup>71</sup> - هو عبارة عن شجيرة صغيرة لها أوراق خضراء كبيرة، تعد من أشهر أنواع النباتات المنزلية، وقد حذر النباتيون وعدد من المنظمات، زرع بعض نباتات الظل بالبيت، وخاصة إذا تواجد الأطفال.  
<sup>72</sup> - لأنها تحتوي على نسبة كبيرة من أكزلات الكالسيوم والجليكوزيدات السينوجينية.

- هل أبدو جميلة في هذا الزي؟.. أنا أشعر بتوتر يشد أعصابي بطريقة مبالغ فيها.
- أنت تبدين كقطرات الندى تيمناً باسمك في هذا اللون الرائع، فدرجات تدرج المياه بحبات الخرز الفضية الصغيرة المتناثرة عليه تجعلك كقطرة ندى تلمع في ضي الشمس.
- ما هذا الوصف يا "همسة" .. أنت تبالغين تبدو عادية جداً في هذا الثوب.
- قالت "ملك" كلماتها وهي تقاوم ضحكاتها، فلكرتها "ندى" بقوة في بطنها وهي ترد:
- الله على وصفك يا "همستي" .. لقد مسحت عني توتري بهذا الوصف الرائع.. ماذا كنت سأفعل بدونك مع هذه الفتاة المتوحشة.
- احذري يا فتاة أنت تخاطبين امرأة ذات سلطة الآن، ومن المحتمل أن تصبح حماتك الثانية.
- هيا بنا لنخرج أيتها الطفلتان، فـ"آدم" سيقتلنا إذا تأخرنا أكثر من ذلك.
- خرجوا ليجدن الجميع بانتظارهن أعلى الدرج، اتجه "آدم" إلى "همسة" يشيد بفسطانها وجمالها، متناسياً "ندى" التي ضربته على ظهره بغضب طفولي، وهي تعنفه:



- عندكما بيتكما أيها العاشق، فأنا العروس هنا.. أين هي الإشادة بجمالي وهيئتي؟

تأبط "آدم" يد "همسة"، وهو يرد عليها:

- سأعيد زوجتي إلى البيت لكي لا يراها أحد فيفتن بها، ثم أعود إليك وأشيد بك كما تريد.

دببت "ندى" بقدميها في الأرض، كطفلة تعترض على كلام أولياء أمرها فتقدم "آدم" ناحيتها يحتضنها وهو يضحك، ثم أبعدها عنه يمسك بأطراف أصابعها يديرها حول نفسها، متحدثا بنبرة فرحة، من يسمعها يظنها طفلة لا أخته:

- وهل يخفى القمر أيتها العروس الأميرة، فأنا كلما نظرت إليك تتجدد غيرتي وأجد نفسي أراجع عن موافقتي على الخطبة لكي لا تغادرين بيتنا.

دمعت عين "عايدة" التي أقبلت عليهما تحتضنهما، فتدخلت "همسة" لتبدد هذه الدمعات:

- ألم تسمعي يا "ملك" يقول أنه يفكر في التراجع عن الخطبة، افعل شيئاً مصيراً أخيك في خطر.

تقدمت "ملك" على استحياء تنتزع يد "ندى" وهي تقول:

- لا تحاول لقد أصبحت ضمن عائلتي الآن ففي موقف كهذا لن تتوقع رد فعل أخي.



- لا.. يكفي ردود أفعال.. لقد اکتفینا.. سننزل الآن قبل أن يبدأ في القلق.

تأبط ذراع أخته من جهة وتأبطت "عايدة" الجهة الأخرى، فيما توسطت "همسة" و"ملك" الطفلان "هيثم" و"هند".

نزلوا الدرج ليجدوا "جاسر" وعائلته ينتظرون بالأسفل، فمرت أمام "ندی" ذكريات الخطبة الماضية، نفضت عن رأسها هذه الذكريات التعيسة عندما وصلت إلى خاطبها الذي زينت ثغره أجمل ابتساماته، فقبلتها والدته وحياتها والده ليخرجوا جميعاً إلى الحديقة كما هو المقرر نصف للسيدات ونصف للرجال، و قبل الانفصال دخل آخر شخصان يتوقعان حضورهما.

- مبارك يا "ندی".. لقد فرحت لكِ أنا و"سامر" كثيراً.

جذبها "سامر" إليه بوقاحة أمامهم، وهو يبارك بغل:

- مبارك يا "آدم" لقد جئنا نبارك وندعوكم إلى حفل خطبتنا عن قريب أنا و"أروى".

- مبارك لكما.. سبحان الله.. فعلا الطيبون للطيبات والخبيثون للخبيثات.

ضحك الجميع على رد "آدم"، فيما اشتعلوا الثنائي بالغيظ فحاولت "أروى" رد الإهانة إلى "همسة"، لم تدرك أنها أوقعت نفسها مع عائلة لا تصمت عن إهانة أبداً:

- ما بكِ يا "همسة".. ألا يوجد في أدرجك ولو قلم شفاه.. أنتِ تبدين باهتة جداً.



تأبطت "همسة" ذراع زوجها وهي ترد بعنجهية وزهو:

- إذا وثقت المرأة بجمالها تسترت.. وإذا شكت به تزينت،  
فإذا يئست منه تبرجت... صدقًا يا "أروى" زيتنك تشوه  
ملامحك كثيرًا، فضلا عن تبرجك حقيقة.

لم تمهلهم "ندى" لياخذا أنفاسهما، ففجرت قبلتها هي  
الأخرى:

- بعد إذنك يا "أروى" أنت و.. عفوًا قلت ما اسمك؟.. أنا  
أنسى كثيرًا هذه الأيام بسبب فرحتي.. لا يهم لا أهتم  
بمعرفة من هم دون نظري.. هيا بنا يا بشر سنتأخر على  
حفل خطبتي.

لا يعلمون هل نُقل "سامر" و"أروى" إلى مشفى الأمراض  
النفسية والعصبية بعد هذه الإهانات أم لا ولكنهم لم يروهما  
بعد ذلك خلال ساعات الاحتفال.

- "آدم".. أين أنت؟.. من يراك يظنك العروس.

- متى سنفرح فيك أنت أيضًا.. سيكون يوم تاريخي.

قهقه "خالد" ضاحكًا وهو يشير بكلتا يديه بالنفي، فتدخل  
"شادي" ليقول:

- لا أستطيع إمساك لساني.. قريبًا جدًا يا "آدم".

ضيق "آدم" عينيه وتحدث بغضب مفتعل:



- هل فعلتها دون أن أعرف؟.. هل وقعت في الحب؟.. لا لا لقد أصبتني في مقتل.. أعز أصدقائي يخونني.
- ضرب "خالد" كتف "شادي" بعنف وهو يرد بخجل:
- لم أستقر على شيء صدقني هذا الثرثار يهول من الأمر، سأعلمك بحقيقة الأمر فيما بعد عندما تأخذ نَفَسَكَ.. لقد خرجت من دوامات وأمواج هوجاء.
- بمناسبة الدوامات.. كيف تجري الأمور؟
- لا جديد.. النيابة تحقق مع "راغب" وقد أوصيت بوضعه تحت حراسة مشددة بعد خروجه من مشفى السجن ومعالجته من آثار ما فعلته به زوجتك.
- ضحك "آدم" معلقًا:
- يستحقها.. اللهم بارك لقد أنقذت نفسها بنفسها، وما أخبار "سالم"؟.. كيف أوقعت به لم تخبرني؟
- لقد رد الله إلي مظلمتي وانتقم لي منه.. صراحة أنت لك الكثير من الفضل بعد المولى في ذلك، فعندما اتصلت علي وأخبرتني بمقابلتك لـ "سالم" وماذا فعل ليغريك بالدخول إلى "داغر" شككت في نوياه وأيقنت أنه يجهز لشيء جديد، ركضت خارج الغرفة أسئل عليه العسكري الواقف على مكتبي، فأخبرني أنه اتجه ناحية الحجز هرولت خلفه ووقفت أراقبه.. كان وحده يقف عند الحجز الذي به "داغر" فأخرجت الهاتف وسجلت بالصورة لحظة إعطائه لـ "داغر" القرص الذي مرضه.



- ليس هذا فقط.. بل ظل يراقبه ويراقب هاتفه بطريقة غير قانونية ساعدنا فيها أحد الرتب النزيهة حتى سجلنا له مكالمته مع أحد أفراد التنظيم، والمال الذي دخل حساب ابنته سرًا وقدمنا هذه الدلائل، هو الآن بالسجن ينتظر محاكمته على هذه الجرائم.

قالها "شادي" بانفعال وحماسة.

- سمعت أنه لن يُسجن بل سينقل إلى موسيقي الشرطة أو يفصل من الخدمة دون إدانة، فمن كانوا يساعدونه بالخدمة سيقدمون إليه هذه المساعدة الأخيرة خوفًا من إفشاء فسادهم.

من هذا الذي سيفصل من الشرطة يا "آدم".. هل تنوون قلب حفل خطبتي كآبة وحزن.. فأنتم تعودتم عليها.

ضحك الثلاثة فلحق بهم "محسن" يقاطع ضحكاتهم:

- ربي يرزقكم السعادة دائمًا.. لقد اكتفينا من الأوجاع، فمن لم يتزوج سأخطب له ومن تزوج سأنتظر مولوده، هل كلامي واضح؟

تحرّج الجميع وهمهموا فتدخل "شادي":

- إذا كان عندك عروس بمواصفات...

توقف فورًا عن الاسترسال في الحديث، فتدخل "خالد" لينقذ الموقف:



- عروس بمواصفات قياسية.. فهو له مواصفات لن نجد لها إلا في كوكب آخر يا حاج.
- عندي عروسه.. لا تقلق.
- حقًا يا حاج.. أنت الذي في القلب.. دائمًا أردد الحاج "محسن" له مكانة خاصة عندي، أليس كذلك.. يا "خالد؟
- ضحك الجميع عليه فطلب "محسن" من "آدم":
- اذهب إلى الجهة الأخرى يا "آدم".. واسأل "همسة" عن "هاجر" فأنا اتصلت بها مرارًا لكنني لم أتلقَ رد.
- ذهب "آدم" مستغلا هذا الطلب ليراها لقد اشتاق إليها، فأول من رآه عند المدخل هي والدته.
- "آدم".. جيد أنني رأيتك.. كنت أريدك لأبلغك بأمر هام.
- خيرًا يا أمي.. هل تشعرين بأي شيء.
- لا يا حبيبي.. كنت أود إخبارك أنه بعد زواج "ندى" سينتقل أبناء "حاتم" للعيش معي.. فأنا سأكون وحيدة.
- يا أمي أرجوك.. لقد تحدثنا كثيرًا وتعرفين رأيي في هذا الأمر.. بيتي مفتوح لكِ وبيتك مفتوح لنا نجلس هنا وهناك، ويظل الأولاد تحت عيني وعينك.
- هل تشك في طريقة تربيته يا "آدم"!.. لقد رببتكم أحسن تربية.. أم تراني غير أهل لذلك؟
- حاشا لله يا أمي.. لا أقصد ذلك أبدًا.
- انحني ليقبل يدها معتذرًا فأكملت:



- فما المانع إذا؟.. أنت لديك "همسة" الآن، وإذا أردت رؤيتهم فلتأتي إلينا أو يذهبون إليك.

استسلم أخيراً ثم أخبر والدته أن تبلغ "هاجر" بحاجة والدها إليها وعاد أدراجه مستاءً.

دخلت "عايدة" وهي سعيدة هكذا يجب أن تكون الأمور في نصابها الصحيح، فلتتمتع "همسة" بزوجها ويعيشان حياتهما بحرية، لا أن تكون مسؤولة عن ولد وفتاة اقتربا من سن المراهقة، يكفيها ما حملته طوال السنوات الماضية.

أبلغت "عايدة" "هاجر" ثم ذهبت إلى الجموع تحيي هذا وتضيّف هذا كأم عروس، ساعد هذا على تحسين حالتها كثيراً، وشغلها عن أي أفكار ووساوس شيطانية محزنة.

- "همسة".. خباينِ خباينِ.

- من مَن؟.. ماذا فعلتِ؟

- لقد تقدم ابن الطبيب الذي كان يعالج أبي لي.. لأول مرة أشعر أنني هشة وضعيفة.

- هذا ليس ضعف يا "هاجر"، بل مشاعر الأنثى التي بداخلك تضرب عقلك وقلبك.. مبارك لك... فالأخبار السعيدة تأتي واحد تلو الآخر.

\*\*\*\*\*



- ماذا تقرئين وتركتِ مذاكرتكِ؟.. الامتحانات على الأبواب أيتها التلميذة.. هل يجب أن أجلس بجانبك طوال الوقت لتنجزي مذاكرتكِ؟

- عذراً أيها المعلم.. كنت أقرأ الرسالة التي تركتها الحاجة "سهام" رحمها الله، الحمد لله أن "هاجر" أصرت على إعطائي إياها، فالحاجة اعترفت بمعرفتها باختطافي أول مرة وتسليطها لـ "متولي" و"هنا"، ومعرفتها بأن عمي وراء كل شيء من خلال الحاج "محسن".. ما ألمني هو آخر سطورها.. ترجو مني مسامحتها ورد بعض المظالم التي فعلتها، متمنية صلاح بناتها ليكون حسناتها الجارية بعد موتها وذخرها، فهم أثرها في هذه الحياة.

جلس أمامها يدلك يديها ثم تحدث بنبرة حانية:

- رحمها الله.. لقد اتصل علي قريبك السمج اليوم ليخبرني أنهم قادمون إلى القاهرة لبعض الأعمال وسيمرن عليك لبيرونك.

ابتسمت لعلها أنه يغير منه، مثلت الجدية وهي تعلق:

- لقد اشتاقت إليهم كثيراً، فمنذ زيارتنا الوحيدة إليهم لم أرهم.. "حازم" هذا حقاً شاب نشيط يدير أعمال والدته بنت خالة أُمي بحرفية.. إذا كان مجالكما واحد كنت اقترحت عليك مشاركته.



ضغط على يدها بقوة، رغم أنه يعمل أنها تمازحه ولكنه لم يستطع التحكم في غيرته حتى هذه اللحظة، ثم أجابها وهو يجز على أسنانه:

- حقًا.. لم أعلم أنكِ علمتِ بكل هذا في هذه الزيارة الخاطفة، سأضمن توفير وقت كافي لكما هذه المرة كي يخبركِ بإنجازاته باستفاضة، فأنا أيضًا أرى في عينيه نظرات الإعجاب.

ضحكت فيما استلقى "آدم" على الفراش متخذًا ساقها كوسادة، ينظر إلى السقف، فسألته وهي تمسد شعره:

- "آدم" حبيبي.. هل حزنت من مزاحي؟
- لا تشغلي بالكِ.. أنا فقط مشغول البال بعدة أمور.
- ما الأمر حبيبي؟.. ماذا يحزنك؟..، ألم تعدني أن تخبرني بكل ما يغمك حتى إن كنت أنا سبب حزنك؟.. ألم نتفق على مشاركتي معك كل ما يفرحك ويحزنك؟
- لا أريد إحزانك حبيبتي..
- ما الذي تقوله؟!.. ألم نتفق إذا أهلكتك العقبات وأنهكتك مصارع الحياة أن تتخذ صدري وكتفي متكأ تبثه ما يضجرك ويحزنك؟.. سأعيد عليك مرة أخرى.. يبدو أنك لا تتعلم سريعًا أيها البليد.

أمسك يديها يقبلها وهي تحنو عليه بكلماتها قبل يديها فأردفت:



- أعدك أن أكون والدك في إعطاء الشورى ووالدتك في تطيب قلبك بالحنان وأخيك الذي يشد عضدك ويقدم لك النصيحة حتى في دهاليز عملك فأنا محترفة لا تقلق، حتى الجامعة التي قدمت لي فيها أستطيع النجاح فيها بـ 10% من ذكائي فقط.

- حقًا.. عذرًا لقد أخطأت.. سأعترف لك بما يحزنني.. لقد أعجبت بإحداهن في حفلة خطبة "ملك" و"خالد" أمس.. فهل تحدثينها من أجلي.. أختي العزيزة.

توقفت يدها عن تمسيد شعره، وسحبت يدها التي كان يقبلها من يديه وتحركت ببطء تسحب الوسادات من خلف ظهرها، ففطن لما تريد فعله، قفز يعدو إلى الخارج وهو يضحك بملء فيه، حملت الوسادات وركضت خلفه وهي تتوعده:

- أوامرك أخي العزيز.. اتجه إلى المطبخ لكي لا يصعب علي حملك لتقطيعك.

توقف فجأة وهول نحوها ليووقفها ثم ركز على ركبتيه يربت على بطنها تارة ويضع أذنه عليها تارة أخرى، فهتفت بذعر وهي تضع إحدى يديها على فمها والأخرى على شعره:

- يا الله لقد نسيت طفلنا.. عذرًا عزيزي.. كل هذا بسبب أبيك.. هو من أغضبني، دفعت "آدم" ليسقط أرضًا عائدة إلى الغرفة وهي تمسد بطنها، فهي ما زالت في الشهور الأولى والحركة خطر عليها.



- بماذا تشعر الآن يا حبيبي.. ستنتقم لي من أبيك عندما  
تحضر بإذن الله.. سنتفق سويًا أنا وأنت على طريقة  
الانتقام.

ثم همست له بابتسامة:

- لا تسمع هذا الهراء.. أريدك أن تكون شبيهه في كل  
شيء.. جماله وحنينه وحبه و..  
- سمعت كل شيء.

التفتت " لتجده مستندًا على الباب، فضيقت عينها تشاكسه  
كعادتهما التي لا ولن تنتهي:

- لم أرد أن أغضبه.. فكرت عندما يخرج إلينا بالسلامة  
أشحنه ضدك بأريحية أكثر.

ركض نحوها واحتجزها بين الحائط وجسده قائلاً لها:  
- هل قلت لك من قبل أنني أحبك.

\*\*\*\*\*



وذكريات حفرت في القلب علامات لا تُمحي...

تمت بحمد الله

